الألف كتاب (الثانى) ٦٨

مراكز الصناعة في مصر الإسلامية

من الفتح العربي حتى مجيء الحملة الفرنسية

د. عاصم محمد رزق عبد الرحمن



الهيئة المصرية العامة للكتاب

الألف كتاب (الثانى) ٦٨

مراكز الصناعة في مصر الإسلامية

من الفتح العربي حتى مجيء الحملة الفرنسية

الألف كتاب الثانى

مراكز الصناعة في مصر الإسلامية

من الفتح العربي حتى مجيء الحملة الفرنسية

د. عاصم محمد رزق عبد الرحمن



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٨٩

بسم الله الرحمن الرحيم

« وعلمنــاه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون »

(الأنبياء : ٨٠)

الإهــداء

الى من كانت ....

الدوحــة الوارفة فى الهجــير
والمرفأ الآمن من كل الأعاصير
وبلسم القلب اذا القلب كســير

الى من كانت ....

أعــذب نبع للحب بلا حــدود
وأصفى منهل للود بغــير جحــود
وفرحــة اللقـــاء كلمــا نعـــود

الى من كانت ....

أخلص من شــكر لله فى النعماء
وأحسن من أسلم له فى الضراء
وأطيب من رضى منــه بالقضــاء

الى أمى التى رحلت .... أحب من كان لدى ....

المؤلف

مراكز الصناعة

فى مصر الاسلامية

تمهيـــد :

قبل أن نتحدث عن مراكز الصناعة فى مصر الاسلامية لابد لنا من الاشارة الى أن هذه المراكز كانت الأساس الذى قامت عليه ونمت من حوله التجمعات الحضرية المصرية فى تلك العصـور ، اذ المعروف أن مراكـز الصناعة كانت ولا زالت عامل جذب كبير لأعرض قطاع من سكان أى مجتمع ، يهوى اليها الصناع والعمال والحرفيون من كل صوب ليشهدوا منافع لهم ، ويرد عليها كثير غيرهم ممن يتاجرون فى المواد الخام التى تحتاجها حرف وصناعات هذا المركز أو ذاك ، أو ممن يعملون فى تسويق منتجات هذه المراكز فيحملونها الى الأســواق المختلفة محلية كانت أم أجنبية ، فيكثر الناس وتتشعب حاجاتهم ومطالبهم ، وتفيض هذه الحركة فى النهاية على هؤلاء جميعا ــ صانعا كان أم جاليا للمواد الخام أم متاجرا محليا فى البضائع والمنتجات أم مصدرا للجيد والنفيس منها ــ بفيض من الأرزاق فيعم الخير ويكثر الرخاء ·

ليس هذا فقط بل أنه تبعا لما أنتجته هذه المراكز من سلع حرفية وصناعية ، لم تعرف مصر حينذاك كواحدة من أهم البلدان المنتجة لكثير من الصناعات ذات الجودة العالية التى صدر كثير منها لمختلف الأسواق العربية والاسلامية والأجنبية فقط ، بل كانت محط أنظار هذه البلدان جميعا ، يفد اليها الناس من كل فج يتعـلمون ويتاجرون ويسيحون ، فأفاءت عليهم من علمهــا ومنتجاتها وعجائبها ما شــفى غلة كــل منهم ، فكتب عنها بعد ذلك من كتب عدلا وصدقا ·

ونظرة للمواقع الجغرافية للقرى والمدن التى مورست فيهـا الحرف والصناعات ، تجعل عملية تقسيم هذه المراكز الى ثلاثة أبواب أمرا منطقيا ومقبولا ، فيخصص الباب الأول منها للعواصم وضواحيها حيث نتحدث فى فصله الأول عن الفسطاط وفى فصله الثانى عن القاهرة وفى فصله

الثالث عن الضواحى ، ويخصص الباب الثانى لمراكز الوجه البحرى فنتناول فى فصله الأول مراكز شرق الدلتا وفى فصله الثانى مراكز وسط الدلتا وفى فصله الثالث مراكز غرب الدلتا ، ويخصص الباب الثالث لمراكز الوجه القبلى فنتكلم فى فصله الأول عن مراكز الصعيد الأدنى وفى فصله الثانى عن مراكز الصعيد الأوسط وفى فصله الثالث عن مراكز الصعيد الأعلى ٠

وسنحاول فى حديثنا عن كل هذه المراكز أن نبرز الأنشطة الحرفية والصناعية المختلفة التى مورست فيه ، مستدلين على ذلك ــ قدر المستطاع ــ بما خرج من هذا المركز أو ذاك من سلع ومنتجات كشفت عنها أعمال الحفر الأثرى فيه ، أو لازالت محفوظة كسفير له فى المتاحف المختلفة والمجموعات الأثرية الخاصة ، وكذا بما جاء عنه فى المصادر العربية القديمة أو فيما نشر خاصا به فى المراجع الحديثة عربية كانت أم أجنبية ٠

الباب الأول

العواصم وضواحيها

كانت الفسطاط هي أول عاصمة لمصر الاسلامية اختطها عمرو ابن العاص في اليوم الثامن عشر من شهر ربيع الثانى سنة (٢٠ هـ) الموافق للسادس من ابريل سنة (٦٤٠ م) بعد ما تم له فتح الاسكندرية ، وبقيت المدينة دارا للحكم والادارة طوال عهدى الخلفاء الراشدين والأمويين الى أن انتهى عصر بنى أمية سنة (١٣٢ هـ / ٧٤٩ م) (١) .

فلما جاء أبو عون وصالح بن على على رأس الجيش العباسى الى مصر للقضاء على مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية وتم لهما فتح البلاد بنيا سنة (١٣٥ هـ / ٧٥٢ م) فى الشمال الشرقى للفسطاط مدينة جديدة سمياها العسكر وأقاما فى وسطها قصرا سمياه دار الامارة وجعلاه مقرا للحكم ، فاتخذه الولاة العباسيون من بعدهما لنفس الغرض الى بداية حكم الدولة الطولونية ، وقيل ان العسكر كانت مدينة ذات أسواق ومساجد ودور عظيمة منها مثلا دار ابراهيم بن صالح التى بنيت سنة (١٧٦ هـ / ٧٩٢ م) ودار حاتم بن هرثمة التى شيدت عام (١٩٤ هـ / ٨١٩ م) وغيرهما .

وعندما استقل ابن طولون بحكم مصر سنة (٢٥٤ هـ / ٨٦٨ م) أقام أول أمره فى دار الامارة المشار اليها ، ولكنه ما لبث أن تحول عنها بعد سنتين لانها لم تعد تتسع له ولحاشيته من ناحية ولأن الفسطاط والعسكر أصبحتا ـ فى نظره ـ أقل من أن تصلحا قاعدة لملكه من ناحية أخرى ، فبنى على الجبل المسمى بجبل يشكر فى الجهة الشمالية الشرقية للعسكر مدينة ثالثة سماها القطائع وبنى فى وسطها مسجده الجامع وكذا القصر والميدان واتخذها مقرا لحكومته (٢) .

وفى سنة (٢٩٢ هـ / ٩٠٤ م) زالت الدولة الطولونية وعادت مصر ولاية عباسية من جديد فخرب الوالى العباسى حينذاك (محمد بن سليمان) القصر والميدان وعاد العباسيون مرة أخرى الى مدينة العسكر فاتخذوها مقرا للحكم والادارة (٣) .

وفى عهد الدولة الاخشيدية اتصلت عمارة القطائع والعسكر ووصلت هذه بالفسطاط فأطلق عليها جميعا « مصر » . أما مصر بمعناها الذى

نعرفه اليوم فقد أشار اليه القزويني بقوله « ناحية مشهورة عرضها أربعون ليلة فى مثلها .. سميت بمصر بن مصرايم بن حام بن نوح عليه السلام ، وهى أطيب الأرض ترابا وأبعدها خرابا ولا تزال فيها بركة ما دام على وجه الأرض انسان » (٤) . وأضاف ابن بطوطة أنها « أم البلاد وقرارة فرعون ذى الأوتاد ، ذات الأقاليم العريضة والبلاد الأريضة المتناهية فى كثرة العمارة المتباهية بالحسن والنضارة » (٥) .

وعندما فتحت مصر للعبيديين على يد جوهر الصقلى قائد المعز لدين الله اختط سنة (٣٥٨هـ/٩٦٨م) مدينة رابعة سماها القاهرة ، اتخذها خلفاء الفواطم أول الأمر مقاما خاصا لهم ولحاشيتهم وأبقوا التجار والصناع والعمال فى مصر (أى فى الفسطاط والعسكر والقطائع) وظل الحال على ذلك حتى اتسعت القاهرة وأصبحت عامل جذب كبير لبقية طبقات المجتمع فتوافدت هذه الطبقات تباعا على المدينة الجديدة وتقلصت من ثم المدن الثلاث الى أن أتى عليها الخراب تماما بعد حريق الفسطاط سنة (٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م » فأصبحت القاهرة حاضرة مصر الأولى وسكن أهلها بغير شريك .

أما ضواحى هذه العواصم التى سنتحدث عنها كمراكز صناعية فان أهمها على الاطلاق جزيرة الروضة فى مواجهة الفسطاط ، وعين شمس (المطرية) والمقس على شاطىء النيل فى مواجهة القاهرة ، بالاضافة الى بعض المراكز الفرعية الصغيرة كبولاق والجزيرة الوسطى وقصر ابن العينى .

والواقع أن التجمع السكانى للعواصم وضواحيها الذى كان قد أخذ منذ الفتح العربى لمصر كل الأدوار العسكرية والادارية والحضارية ، كان هو أيضا صاحب الدور الصناعى والاقتصادى للبلاد ، فقد ازدهرت الصناعة والتجارة فى هذا التجمع لتفى أولا باحتياجات الطبقة الحاكمة من منتجات مختلف الحرف والصنائع ، ولتمد الوطن ثانيا بمتطلباته السياسية المختلفة كالمعدات الحربية وسفن الأسطول وخلع التشريف ونحوها ، ولتلبى ثالثا حاجة الأسواق المحلية مما كانت تقتضيه معيشة الناس وحاجاتهم اليومية من بضائع ومنتجات .

كذلك كان للنمو السكانى لهذه العواصم - بما فى ذلك أفقر الطبقات الاجتماعية - متطلباته المختلفة التى تزايدت يوما بعد يوم على منتجات مختلف الحرف والصناعات ، فأدى ذلك الى ازدهارها والى سرعة تأسيس تجارة عالمية فى هذه العواصم لعبت دورا هاما فى نموها وتطورها حتى كان لها فى النهاية مكان الريادة فى العالمين العربى والاسلامى .

الفصـــل الأول

الفســطاط

جاء فى المصــادر العربيــة أن عمرو بن العاص لما فتح مصر سنة (٢٠ هـ / ٦٤٠ م) عزم على التوجه الى الاسكندرية لاستكمال الفتح وأمر بفسطاطه أن يقوض فاذا يمامة قد باضت فى أعلاه فقال : « تحرمت بجوارنا ، أقروا الفسطاط حتى تنقف وتطير فراخها • ووكل به من يحفظه ومضى نحو الاسكندرية ، يدل على ذلك ما أشار اليه الادريسى فى القرنين (٥ ــ ٦ هـ / ١١ ــ ١٢ م) من أن عمرو بن العاص لما فتح مصر سنة (٢٠ هـ / ٦٤٠ م) عزم على التوجه الى الاسكندرية وأمر بفسطاطه أن يقوض فاذا حمامة قد باضت فى أعلاه فقال « والله ما كنا لنسىء لمن ألفنا واطمأن الى جانبنا حتى نفجع هذه الحمامة بكسر بيضها » فترك الفسطاط على ما هو عليه ومضى نحو الاسكندرية (٦) •

ثم جاء ياقوت بعد الادريسى فى القرنين (٦ ــ ٧ هـ / ١٢ ــ ١٣ م) وكرر نفس الرواية باختلاف واحد مؤداه أنها كانت يمامة لا حمامة (٧) ، وقد نقل عنهما هذه الرواية فى القرنين (٨ ــ ٩ هـ / ١٤ ــ ١٥ م) كل من المقريزى وابن دقماق (٨) • فلما فرغ عمرو من فتح الاسكندرية أراد أن يتخذ منها عاصمة لمصر لما وجده فيها ــ بطبيعة الحال ــ من عمائر شاهقة وقصور فارهة وحصون منيعة ، وكتب فى ذلك الى الخليفة عمر فبعث اليه قائلا « انى لا أحب أن تنزل بالمسلمين منزلا يحول الماء بينى وبينهم فى شتاء ولا صيف » (٩) • وهنا قال عمرو لأصحابه أين تحبون أن تنزلوا اذن فقالوا نرجع الى فسطاطك لنكون على ماء وصحراء ، فرجعوا اليها وخط كل قوم خطتهم وكان ذلك فى ذى القعدة سنة (٢١ هـ / ٦٤١ م) وسميت المدينة بالفسطاط (١٠) ، وتذكر المصادر والمراجع أن عمرو بن العاص أقام على هذا التخطيط أربعة من أعوانه هم معاوية بن خديج التجيبى وشريك بن سمى الغطيفى وعمرو بن قحزم الخولانى وجبريل ابن ناشرة المعافرى (١١) ، فقسم هؤلاء الاخطاط على القبائل من مهرة ورعين وغافق وبنى سبأ وبنى وائــل وغيرهم ، وأشرفوا على هذا العمل حتى أنجز •

وقد وصف لنا كل من ابن حوقل والاصطخرى مدينة الفسطاط فى القرن (٤ هـ / ١٠ م) فقال الأول « الفسطاط مدينة كبيرة نحو ثلث بغداد ، ذات رحاب فى محالها وأسواق عظام ومتاجر فخام وممالك جسام، الى ظاهر أنيق وهواء رقيق وبساتين نضرة ومتنزهات على مر الأيام خضرة، والدار تكون بها طبقات سبع وست وخمس ، وربما سكن بالدار المائتان من الناس » (١٢) ، وطابق قول الثانى ما ذكره الأول فيما عدا اختلاف عنه فى أن طبقات الدار الواحدة بلغت ثمانى طبقات لا سبعا (١٣) ، وزادنا المقريزى فى القرن (٩ هـ / ١٥ م) أنه كان للفسطاط أبواب قديمة ، وأن هذه الأبواب كانت قد تخربت فعملت لها أربعة أبواب جديدة هى : باب الصفاء بالقرب من كوم الجارح ، ومنه كانت تخرج العساكر وتعبر القوافل ، وقد هدم هذا الباب فى أيام الظاهر بيبرس ، باب الساحل وكان يفضى الى ساحل النيل القديم وكان موضعه قريب من الكبـارة ثم بابى مصر والقنطرة وهما من بناء قراقوش وكان موضع أولهما بالمراغة مجاورا لكوم المشانيق ، وموضع ثانيهما جنوب المدينة وقد سمى ببـاب القنطرة لانه كان قريبا من قنطرة بنى وائل (١٤) ٠ ومع أنه لا جدال فى أن المقريزى قد أثرى معرفتنا عن الفسطاط بما أشار اليه من معلومات الا أن هذه المعلومات لم تكن كافية بالقدر اللازم فى بعض المواضع ، من ذلك مثلا أنه لم يذكر لنا عدد الأبواب القديمة التى كانت للمدينة ، ولم يحدد مواضع هذه الأبواب ، كذلك لم يوضح ما يمكن أن يستنتج منه هل عملت الأبواب الجديدة فى مواضع الأبواب القديمة أم انها عملت فى مواضع أخرى ، يضاف الى ذلك أنه لم يشر بشىء الى الزمن الذى عمل فيه البابان الأول والثانى ولا الشخص الذى أمر بعملهما مع أنه أشار الى ذلك فى حالة البابين الثالث والرابع ٠

ورغم ذلك كله يطلع علينا بتلر برأى غير موضوعى يقول فيه أن الذين اختطوا المدينة الجديدة وبنوها كانوا من القبط لانه لم يكن فى العرب حينذاك من له فى نظره علم بذلك الفن ولا دراية به ، ليس هذا فقط وانما يزيد على ذلك أن اسم الفسطاط هو اسم أعجمى يرجع الى اللفظ البيزنطى (Fossatum)الذى كان وقت الفتح لفظا شائعا عند العسكر (١٥) ، وحول هذه التسمية تختلف الآراء فمن قائل بأن كلمة فسطاط هى كلمة عربية خالصة ومعناها المدينة (١٦) ، الى قائل بأن لفظ (Fossatum) هو لفظ أعجمى فعلا أخذه العرب عن الروم أثناء حروبهم فى الشام (١٧) ، ولو رجعنا فى ذلك الى القواميس والمعاجم والموسوعات والمصادر والمراجع لوجدنا أن لفظ الفسطاط بضم الفاء وكسرها يعنى « البيت من الشعر أو الادم (أى الجلد) وكان يأتى على ثلاثة أوجه هى فسطاط وفستاط

وفساط . والفسطاط لغة هو مجتمع أهل الكورة حول مسجد جماعتهم . ومنه قيل كل مدينة فسطاط وبه سميت مدينة مصر التى بناها عمرو بن العاص بالفسطاط ، وعلى ذلك فان اثنان لا يختلفان على أن اللفظ بمعناه اللغوى المشار اليه كان ولا يزال وسيبقى عربيا رغم ما يقال فى معناه بخلاف ذلك ، ليس هـذا فقط بل اننا قد نستطيع القول ان اللفظ البيزنطى (Fossatum) لم يكن أصلا للفظ العربى كما زعم بتلر بل ربما كان العكس فى ذلك هو الصحيح (١٨) .

أما ما ذهب اليه بتلر من نسبة هذا البناء الى الأقباط لأنه لم يكن بين العرب حينذاك من له علم بذلك الفن ولا دراية به ، فانه أمر يدعو الى الغرابة سيما وأن العرب كانوا قد بنوا قبل الفسطاط فى مصر الكوفة والبصرة فى العراق ، وقبلهما الحرم النبوى بالمدينة المنورة ، ورغم ذلك كله فبناء مدينة صغيرة متواضعة حول مسجد جامع بسيط لم يقصد بها فى البداية أن تكون أكثر من معسكر للجند الفاتح ومركزا للقيادة والادارة ، لم يكن بالأمر الذى يحتاج الى الهندسة المعقدة بمعناها الذى نعرفه اليوم لأن ذلك كله لم يكن مطلوبا وقتئذ ، وكثيرا ما خلط البعض بين مفهوم مصطلح العمارة بمعناه العلمى العام الذى أطلق اجمالا على كل ما عمره الانسان شريطة أن يوفر له الوقاية من الحر والبرد ويضمن له الأمن من الخوف والفزع وادخلت فيه من ثم عمارة الكهوف ، وبين مفهوم مصطلح العمارة الذى نعرفه اليوم بتعقيداته الهندسية وتنميقاته الزخرفية ، ومن هنا تجنى كثير من المستشرقين من أمثال بتلر على العرب خاصة والمسلمين عامة وعلى الحضارة العربية الاسلامية آخر الأمر ، والأدلة على ذلك كثيرة فيما كتبه فى هذا الصدد أساتذة العمـارة العربيـة تفنيدا وشرحـا واسهابا (١٩) .

ويغلب على الظن أن موقع المدينة الذى امتد على ضفاف النيل مقابلا لجزيرة الروضة كان يشغل مسطحا طوله خمسة كيلومترات وعرضـه كيلـومتر يحـده من الشمال جبـل يشـكر ومن الجنـوب دير الطين (ماريوحنا) (٢٠) .

وعلى الرغم من أن الفسطاط قد تخربت تماما بعد حريقها المشهور سنة (٥٦٤هـ/١١٦٨م) فانها كانت ولا تزال أول موقع أثرى اسـلامى فى مصر يعثر فيه على الكثير من المخلفات الأثرية التى تشهد على ما كان يمارس فيهـا من حرف وصناعـات منذ عصر الطـولونيين وحتى عصر المماليك (٢١) ، يدل على ذلك ان كثيرا مما افرزته هذه الحرف وتلـك الصناعات من تحف لا زال موجودا يمكن رؤيته حتى اليوم فى متحف الفن الاسلامى بالقاهرة ، وان كثيرا غيره مما كان قد خـرج من مصر بطرق

شرعية وغير شرعية لازال محفوظا فى العديد من المتاحف العالمية والمجموعات الأثرية الخاصة ·

والثابت ان الفسطاط لموقعها المتفرد على رأس الدلتا (٢٢) ، متوسطة الاقاليم المصرية من ناحية ، ولاتخاذها سكنا لطبقات الحكام والأعيان والمقطعين وبقية طوائف المجتمع من ناحية أخرى ، كانت أهم مركز صناعى فى مصر الاسلامية (٢٣) ، لأن وجود كل هذه الطبقات كان قد استدعى قيام حرف وصناعات مختلفة لسد مطالب كل منها ، ولأن توسطها للاقاليم المصرية المختلفة كان قد ساعدها كثيرا سواء فى يسر الحصول على المواد الخام أو فى سهولة تسويق منتجاتها الحرفية والصناعية ·

ويمكن بصفة عامة تقييم أهمية الفسطاط الحرفية والصناعية أولا من خلال ما كشفت عنه أعمال الحفر فى المدينة من آثار تثبت ليس فقط تنوع حرفها وصناعاتها بل أيضا جودة هذه الحرف وتلك الصناعات ، وثانيا من خلال ما كتب عنها فى المصادر التاريخية وكتب الرحلات ولا سيما ما دونه المؤرخون والرحالة الذين زاروها وكتبوا عنها من واقع مشاهداتهم الشخصية ، ومن هذه وتلك يمكن القول بأن الفسطاط كانت قد تميزت بنشاطات حرفية وصناعية فى المجالات التالية :

١ ـ صناعة الفخار والخزف :

لقد أمدتنا أطلال الفسطاط بعشرات الآلاف من القطع الخزفية التى تمثل شتى أنواع الخزف الاسلامى مما كان يصنع فيها منذ العصر الطولونى فى القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى وحتى العصر المملوكى فى القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى ، فقد عثر فى المدينة على قطع أرجعها على بهجت وفيلكس ماسول (Felix Masseul) فيما كتباه عن الخزف المصرى الاسلامى الى ما قبل العصر الطولونى وهى قطع وصفها زكى حسن بأنها ذات مسحة أولية وأشكال غير أنيقة وبريق معدنى غير واضح (٢٤) · (أنظر شكل ١ ، ٢) والمعروف أن صناعة الخزف ذى البريق المعدنى كانت قد نمت فى العصر الطولونى الى حد كبير بالفسطاط وخير شاهد على ذلك ان معظم ما نعرفه من هذا النوع من الخزف الطولونى كان قد وصل الينا من أطلال المدينة التى ظلت عامرة حتى أمر الوزير الفاطمى شاور بحرقها سنة (٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م) حين أدخل وزراء الفواطم الصليبيين فيما كان بينهم من نزاع ·

ثم وصلت صناعة الخزف فى الفسطاط أوج ازدهارها فيما بين القرنين (٣ ـ ٦ هـ / ٩ ـ ١٢ م) بوصول الخزافين فيها الى قمة التطور

فى صناعة الخزف ذى البريق المعدنى وهو أشهر أنواع الخزف الاسلامى وأرقاها على الاطلاق ، وتشهد مجموعة متحف الفن الاسلامى بالقاهرة (أنظر شكل ٣) بمدى التطور الذى حدث على هذه الصناعة فى المدينة منذ العصر الطولونى وحتى العصر الفاطمى (٢٥) ، كذلك فقد كشف فى أطلال الفسطاط عن مجموعة من القطع الخزفية ذات البريق المعدنى تحمل على ظواهر قواعدها أسماء صناعها مثل ساجى وأبو الفرج وابن نظيف والدهان ويوسف ولطفى والحسين وغيرهم (٢٦) وكان فى مقدمة هؤلاء الصناع سعد ومسلم وهما صانعان بلغا شأوا بعيدا فى هذا المضمار وكانت قمائنهما ـ فى غالب الظن ـ بالمدينة ذاتها ، ليس هذا فقط بل لقد عثر فى اطلال الفسطاط على قطع تالفة من هذا النوع أثناء صناعتها تثبت بما لا يدع مجالا للشك حقيقة قيام هذه الصناعة بالمدينة (٢٧) .

هذا عن المصادر المادية أما عن المصادر التاريخية فقد أخبرنا ناصر خسرو الذى زار مصر فى القرن (٥ هـ / ١١ م) ابان حكم الفاطميين أنهم يصنعون فى مصر (أى فى الفسطاط) (٢٨) خزفا بالغ الشفافية والرقة يلونونه بألوان جميلة فيبدو كذيل الطاووس ويتخذون منه الاقداح والاطباق والظروف والاباريق التى يعلو صفاؤها على صفاء الزبرجد ويبيعون تلك الاباريق وزنا كأنها الذهب (٢٩) .

وفى عصر الأيوبيين والمماليك انتج الخزافون بالفسطاط نوعا من الخزف ذى زخارف منقوشة أو محفورة تحت طلاء شفاف باللونين الأخضر والأزرق ، وقد عثر على قطع كثيرة من هذا النوع فى اطلال المدينة من بينها قطع تالفة (Wastes) من الفرن أثناء الصناعة أو التسوية ولا تترك هذه مجالا للشك فى صناعة هذا النوع من الخزف بالفسطاط (٣٠) . (أنظر شكل ٤ ، ٥) .

والى جانب الخزف ذى البريق المعدنى والخزف ذى الزخارف المنقوشة والمحفورة تحت الطلاء انتجت فواخير الفسطاط خلال عصر المماليك نوعا ثالثا ذاعت شهرته حينذاك كثيرا فى العالمين العربى والاسلامى هو الفخار المطلى ، وهو نوع كان يستعمل بكثرة فى بيوت الأمراء وأرباب الدولة لما كان يحمله من رنوك وشارات لهؤلاء وأولئك (٣١) . (أنظر الأشكال : ٦ ، ٧ ، ٨) .

كذلك فقد أنتج الخزافون بالفسطاط كميات هائلة من فن لم يزدهر فى بلد عربى أو اسلامى مثلما ازدهر فى مصر عامة وفى الفسطاط خاصة هو فن شبابيك القلل ، وقد عثر فى اطلال المدينة على قطع تالفة

من الفرن مما يؤكد قيام هذه الصناعة فى الفسطاط بغير شك ، ولو أن الراجح ان هذه القلل بشبابيكها المزخرفة لم تكن تصنع فى الفسطاط وحدها بل كانت تصنع في مراكز أخرى ولا سيما بالوجه القبلي ثم تحمل الى العاصمة بالمراكب النيلية ، لأنه لم يكن فى مقدور خزافى الفسطاط أن ينتجوا منها ما كان الناس جميعا فى حاجة اليه ٠ (٣٢) (أنظر شكل: ٩ ، ١٠) ٠

وأخيرا فاننا لو اعتبرنا ما أشار اليه المقريزى عند حديثه عن حريق الفسطاط من أن عشرين ألف (٢٠٠٠٠) قارورة نفط وعشرة آلاف مشعل (١٠٠٠٠) كانت قد وزعت على أخطاط المدينة وأشعلت فيها نارا ظلت ملتهبة من اليوم التاسع والعشرين من صفر سنة (٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م) لتمام أربعة وخمسين يوما (٣٣) على انه أمـــر قد يفسر سبب العثور على مئات القطع من هــذه القوارير فى اطلال الفسطاط ، فان ذلك لا يمنع من القول بأن هذه الصناعة كانت تمارس فى المدينـة أيضا ، يؤيد ذلك انه لم يكن من المعقول سهولة الحصول على هذا الكم الهائل من تلك القوارير التى وزعت على اخطاط المدينة لو انها لم تكن تصنع فيها ، ويؤيده أيضا أن مجموعة متحف الفن الاســـلامى بالقاهرة تضم بعضا من قوارير النفط « الجلل » التى عثر عليها فى أطلال الفسطاط سواء فى الحفائر التى أجراها المتحف المشار اليه أو التى أجرتها هيئة الآثار المصرية أو التى أجراها مركز البحوث الأمريكى بالقاهرة ٠ (٣٤) (أنظر الأشكال : ١١ ، ١٢ ، ١٣) ٠

الا أن صناعة الخزف بالمدينة كانت قد بدأت فى التدهور خلال العصر المملوكى مما دعى سلاطين هذه الدولة الى استقدام مجموعة من الخزافين المهرة من سورية وايرن لبث لروح فى هذه الصناعة من جديد، ولا شك أن توقيعات هؤلاء الصـــناع على ما أنتجوه من تحف فخارية وخزفية مما لا يزال محفوظا بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة هــو خير شاهد على ذلك ٠ (٣٥) (أنظر شكل : ١٤ ، ١٥) ٠

وصفوة القول أن مدينة الفسطاط كانت منذ عصر الطولونيين فى القرن (٣هـ/٩م) مركزا هاما لصناعة الفخار والخزف وخاصة الخزف ذى البريق المعدنى ، وظلت المدينة محتفظة بتقاليد هذه الصناعة حتى العصر المملوكى فى القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى حيث كانت تصنع فيها شتى أنواع الفخار والخزف الأخرى ولا سيما الفخار المطلى (بما عليه من رنوك) ، والخزف ذى الزخارف المحفورة تحت الطلاء، وشبابيك القلل بزخارفها النباتية والهندســـية والكتابية ، وقوارير

النفط ، وتقليد الخزف الصيني وخاصة ما كان منه ذا طلاء بلون واحد وغير ذلك من الأنواع ٠

٢ ـ صناعة الزجاج والبلور :

مما لا شك فيه ان صناعتى الزجاج والبلور كانتا ضمن أكثر الصناعات ازدهارا فى الفسطاط ، يؤيد ذلك ما كشف عنه فى اطلال المدينة من أوان وتحف زجاجية وبلورية ، وما سجل عن هاتين الصناعتين فى المصادر التاريخية وكثير من المراجع العربية . فقد أسفرت أعمال الحفر الأثرى التى تمت بالفسطاط عن العثور على فرن (مسبك) من أفران صناعة الزجاج يتكون من ثلاث دوائر أولاها شرقية وتعلوها قبة الفرن ذاته ، وثانيتها غربية وتمثل المستوقد الذى كان مخصصا للوقود . وثالثتها بحرية ٠ وكانت مخصصة لوقوف الصانع أمام قبة الفرن لتسوية عجينة الزجاج وبها حوض من الجرانيت لتبريد الآلات الحديدية التى كان يستعملها هذا الصانع فى نفخ عجينة الزجاج وترقيقها (٣٦)٠

ونحن نعرف أنه منذ بداية العصر الاسلامى فى مصر وامتدادا لما كان متبعا فى العصر الرومانى ، كانت المكاييل والموازين الزجاجية (أنظر شكل ١٦) تصنع فى الفسطاط وتحمل كتابات عربية كوفية فى أختام تشمل اسم الخليفة واسم الوالى أو صاحب الخراج ووزن الميزان وكمية المكيال (٣٧) ، كذلك كانت تصنع فيها خلال العصر الطولونى الكؤوس والقنينات المتواضعة ذات الزجاج المعتم كثير الفقاقيع (أنظر شكل ١٧) مما تشهد به القطع الزجاجية التى لا زالت محفوظة فى خزائن متحف الفن الاسلامى ومتحف كلية الآثار بالقاهرة وغيرهما من المتاحف الأجنبية (٣٨) ، يضاف الى ذلك أيضا انه كانت تصنع فى الفسطاط خلال الفترة المشار اليها القوارير الصغيرة ذات الأشكال المختلفة والأطباق وقنينات العطور ذات الزخارف المختومة وغير المختومة (٣٩) ٠ (أنظر الأشكال من ١٨ ـ ٢٢) ٠

ثم أصبحت الفسطاط زمن الفاطميين أعظم مركز لصناعة الزجاج فى مصر ، وقد وصلت المدينة فى عهدهم بما عرفته من أسرار هذه الصناعة وممارساتها فى عهد الطولونيين الى درجة كبيرة من التقدم والاتقان فعملت فى مسابكها قطعا بديعة فاخرة امتازت بجمالها ورقتها واختلاف زخارفها فكان منها القطع الزجاجية ذات الزخارف المضافة وذات الزخارف المقطوعة أو المحزوزة وذات الزخارف المذهبة أو المموهة بالمينا وغيرها ، وكانت هذه القطع الأخيرة هى أرقى المصنوعات الزجاجية الفاطمية وأكبرها

دبية فنية ، يدل على ذلك ما وصل الينا من نماذج ومخلفات هذا النوع المذهب والمموه مما عثر عليه في اطلال الفسطاط · (٤٠)

واستمرت شهرة الفسطاط في صـــناعة الزجاج بعد الفاطميين ، وما انتجته في عصرى الأيوبيين والمماليـك من القنينـات والـكؤوس والمشكاوات المموهة هو ولا شك فخر انتـاج هـــذا المركز ، ولعل فى مجموعة المشكاوات المموهة التي يحتفظ بها متحف الفن الاسلامى بالقاهرة والتى تعد من أفخم المجموعات الزجاجية المموهة فى العـالم ما يشهـــد بحق على المستوى الرفيع الذى وصلت اليه صناعة الزجاج فى الفسطاط خلال العصر المشار اليه (٤١) · (أنظر شكل : ٢٣ ، ٢٤) وغنى عن التعريف أن هذه المشكاوات كانت تعمل فى مصانع الزجاج بالمدينة التى أطلق عليها المؤرخون والرحالة ممن زاروا الفسطاط وكتبوا عنها من واقع مشاهداتهم اسم المسابك ، ولدينا فى المصـــادر التاريخية الموثوق بها ما يكفي من المعلومات الدالة على صدق هذا القول ، فيقول ناصر خسرو (٤٨١ هـ / ١٠٨٨ م) أنه كان يصنع فى مسابك الزجاج فى مصـــر (الفسطاط) قوارير كالزبرجد فى الصفاء والنظافه يبيعونها بالوزن(٤٢) وقد استمر وجود هذه المســـابك فى الفسطاط خلال القرن (٧هـ / ١٣ م) طبقا لما ذكره ابن سعيد (٤٣) ، وخلال القرن (٩ هـ / ١٥ م) طبقا لما ذكره ابن دقماق (٤٤) ، وخلال القرن (١٠هـ/١٦م) طبقا لما ذكره السيوطى · (٤٥)

ليس هذا فقط بل لقد احتفظت وثائق جنيزة القاهرة التى نشرها جوتاين بقطع من عقد مشاركة كتب فى الفسطاط ســـــنة (٤٤٩ هـ/ ١٠٥٧ م) مؤداه أن صانعى زجاج شريكان في مسبك بالمدينة استأجرا صانع زجاج ثالث لكى يعمل عندهما فى فرن الصهر لمدة عام واحـــد على أن يتسلم أجرا يوميا قدره خمسة دراهم ووجبة غذائية بما يساوى درهما ، ويشترط العقد على هذا العامل المستأجر ألا يعمل لأحد آخر طوال مدة التعاقد ، وعليه أن يدفع غرامة قدرها خمسة دنانير لصـــندوق معبدين محددين بالفسطاط في حالة اخلاله بشروط العقد (٤٦) ، ويكفى ما لهذا العقد من أهمية أكدت لنا أولا ــ الى جانب كل الأدلة السابقة ــ صدق قيام صناعة الزجاج فى الفسطاط ، وألقت لنا ثانيا بعض الضوء على أجور الصناع فى مجال هذا النشاط والتى حددها العقد بخمسة دراهم نقدية بالاضافة الى درهم واحد عينا (نظير الوجبة الغذائية) فيكون أجر عامل فرن الصهر بذلك هو ستة دراهم فى اليوم أى مائة وثمانين درهما فى الشهر، ويذكر المؤلف بعد ذلك أن عدد العمال اليهود العاملين في حقل صناعة

الزجاج بالفسطاط كان يقدر بمائتين وعشرين عاملا وأنه كانت هناك حالات مشاركة فى مصانع تمت بين المسلمين واليهود فى الفسطاط ٠

هذا عن صناعة الزجاج فى الفسطاط منذ العصر الطولونى وحتى العصر المملوكى ، أما عن صناعة البلور الصخرى التى كانت قد بدأت في المدينة منذ القرن (٣هـ/٩م) فيقول ناصر خسرو « ويقع فى الجانب الشمالى من مسجد عمرو بن العاص سوق يسمى سوق القناديل » رأيت فيه نوعا من البلور آية فى الجمال ورأيت صناعا ينحتون ذلك البلور بخفة ومهارة تستوقفان النظر » ٠ (٤٧)

ولعل أشهر ما أنتج فى الفسطاط من الأوانى والأباريق البلورية هى تلك المجموعة الرائعة التى تنسب الى العصر الفاطمى فيما بين القرنين ٥١ ـ ٦ هـ /١١ ـ ١٢ م) والتى خرجت من مصر فى سنوات مختلفة لأسباب شتى وأخذت طريقها الى بعض المتاحف والكنائس والكاتدرائيات الأوربية فحفظت فيها كأثمن ما يمكن أن يحتفظ به من الهدايا والتحف ، وخير شاهد على ذلك ما يوجد من هذه الكؤوس والأباريق فى كنيسة سان مارك بالبندقية باسم العزيز بالله ثانى الخلفاء الفاطميين فى مصر ، وما يوجد منها فى متحف اللوفر بباريس وفى متحف فيكتوريا وألبرت بلندن وغيرها (٤٨) ٠ (انظر شكل : ٢٥ ، ٢٦) ٠

وقد ورد فى ذلك أن المصريين كانوا قد زاولوا صناعة البلور الصخرى الذى كان يجلب من بلاد المغرب وبعض مناطق البحر الأحمر ، وكان النوع الذى يجلب من القلزم طبقا لما ذكره ناصر خسرو أجمل من المغربى وأكثر منه شفافية (٤٩) ، وفى متحف الفن الاسلامى بالقاهرة مجموعة من التحف البلورية الصغيرة التى تنسب الى مصر وترجع الى ما قبل العصر الفاطمى وتحتوى على قنينات صغيرة بعضها مضلع ، وعلى تماثيل صغيرة لحيوانات وطيور وأسماك ، وعلى قطع من الشطرنج (٥٠) ٠

واستنتاجا مما ورد عن هذه الصناعة فى بعض المصادر العربية ولا سيما ما رواه الحسن بن عمر (٥١) وهو أحد كتاب القرن (٨ هـ / ١٤ م) فانه يمكن القول أن صناعة الزجاج بالنظر الى الاعتبارات الصحية العامة التى فرضتها الدولة الاسلامية كانت من الصناعات غير المسموح بممارستها داخل المدن ، ونظرا الى أن أحدا من المؤرخين أو الرحالة الذين تكلموا عن مسابك الزجاج فى الفسطاط لم يحدد مواقع هذه المسابك بالنسبة للمدينة ، كما أن بقايا المصنع الذى أشير اليه فى كتاب «الفسطاط»

لم يحدد أيضا ، فانه يمكن القول ان هذه المسابك كانت فى غالب الظن على مشارف المدينة وليس فى داخلها ٠

٣ ـ حرف وصناعات تعتمد على منتجات زراعية :

ان كثيرا من الحرف والصناعات التى تعتمد على الانتاج الزراعى مثل صناعة السكر والعسل وطحن الغلال وعصر الزيوت وعمل الصابون والشموع وصناعة المراهم والعقاقير ، وعمل الفقاع والنبيذ وصناعة الورق وعمل السلال والحصير ، كانت كلها من الصناعات الرائجة فى الفسطاط وفيما يلى استعراض موجز لموقف كل من هذه الحرف وتلك الصناعات فى المدينة ٠

(أ) صناعة السكر والعسل :

لا شك أن هاتين الصناعتين كانتا مما يمارس فى الفسطاط من صناعات ، وقد أشار ناصر خسرو الى ذلك فى القرن (٥ هـ / ١١ م) ووصف انتاج مطابخ السكر فى الفسطاط بالكثرة (٥٢) ، كذلك أكد ابن سعيد (٦٧٣ هـ / ١٢٧٥ م) أن بالفسطاط مطابخ السكر ومعظم ما يجرى هذا المجرى لأن القاهرة بنيت للاختصاص بالجند (٥٣) ٠ وقد استمر وجود هذه المطابخ بالمدينة خلال القرن (٨ ـ ٩ هـ / ١٤ ـ ١٥ م) طبقا لما ذكره المقريزى (٧٦٦ ـ ٨٤٥ هـ / ١٣٦٤ ـ ١٤٤٢ م) الذى طابقت كلماته فى هذا الصدد ما ذكره ابن سعيد قبله بقرن من الزمان (٥٤) ، وتأكدت استمراريتها خلال القرن (٩ هـ / ١٥ م) طبقا لما ذكره ابن دقماق (٨٠٩ هـ / ١٤١٦ م) الذى أحصاها فى ثمانية وخمسين مطبخا ذكرها تفصيلا بأسماء مالكيها (٥٥) ٠

والواقع أن السكر الذى لا يزال معروفا باسمه العربى فى كثير من لغات العالم حتى اليوم كان من مآثر المسلمين على الحضارة الانسانية ، فمنذ سنة (١٣٣ هـ / ٧٥٠ م) كانت زراعة قصب السكر فى مصر قد أصبحت من أنجح الزراعات فى دلتا النيل ، فتقدمت مصر (الفسطاط) لذلك كل البلدان التى أسست فيها هذه الصناعة وحققت أعظم التحسينات فى صناعة التكرير ، ومن السكر صنع المصريون فى الفسطاط وغيرها نوعا من الحلوى يسمى « القند » نقلها الأوربيون بنفس التسمية العربية فقالوا (candy) (٥٦) ٠

والواقع أن بعضا من اليهود كانوا قد قاموا بدور فى مجال هذه الصناعة بالفسطاط ، يدل على ذلك ما ذكره ابن دقماق عند حديثه عن

مطابخ السكر بالمدينة وحصره لها بأسماء مالكيها ، فقد أورد لنا في هذا المختصر ثلاثة مطابخ يمتلكها اليهود (٥٧) ويبدو انها هى الحالات الثلاث التى أشار اليها جوتاين فى دراساته لوثائق الجنيزة موضحا أنه كانت هناك حالتين أو ثلاث تمت فيها المشاركة بين المسلمين واليهود فى مطابخ السكر بالفسطاط (٥٨) . ومنطق الاستقراء العقلى للمادة التاريخية التى بين أيدينا مما ذكره ابن دقماق وما سجلته وثائق الجنيزة مطابقا له يجعل هذا الحكم أمرا صادقا لا ريب فيه .

أما صناعة العسل الأبيض والأسود فقد قامت بالمدينة جنبا الى جنب مع صناعة السكر ، ولا غرابة فى ذلك فهى توأم هذه الصناعة وصنوها ، يدل على ذلك ما ذكرته المصـادر التاريخية فى هذا الصدد ومنها ما جاء فى القرن (٥ هـ / ١١ م) على لسان ناصر خسرو الذى أشار الى أنه يكثر فى مصر جنى العسل (٥٩) ، وهو يعنى بذلك العسل الأبيض لأن الأسود لا يجنى ، وما جاء فى القرن (١٠ هـ / ١٦ م) على لسان كل من السيوطى وابن ظهيرة حيث أورد أولهما هذه الصناعة من خصائص مصر (٦٠) ، وقال ثانيهما « وبمصر شراب العسل وهو لا يعمل الا بها ويشترطه الخلفـاء والوزراء على عمال مصر فيما يشرطونه ، وبها عسل النحل الذى يفضل ويفوق أعسال الدنيا » (٦١) .

(ب) طحن الغـلال :

يغلب على الظن أنه كان لايران فضل السبق فى مجال طحن الغلال بواسطة الارحاء الهوائيـة ، وقد ورد فى ذلك أن الرياح كانت تشتد باقليمى سجستان وكرمان ويدوم هبوبها دواما غير مألوف فانتفع الناس بهذه الرياح ونصبوا عليها أرحاء تدار بالهواء ، ولا يزال بعض من هذه الطواحين باقيا هناك حتى اليوم ، وتتكون الرحى الهوائية عادة من ثمانية أجنحة تعمل خلف عمودين ينفذ بينهما الهواء كالسهم وتكون هذه الأجنحة عمودية على قائم عمودى أيضا يحرك طرفه الأسفل حجرا فيدور هـذا الحجر على حجر آخر ، وقد حكى الغزولى (ت ٨١٥ هـ / ١٤١٢ م) فى أمر هذه الطواحين ما يبين أن تنظيم سرعتها كان يتم بواسطة منافس تغلق وتفتح حسب الحاجة (كما يفعل اليوم بالعجلات المائية) لأنها اذا كانت قوية أكثر من اللازم أحرقت الدقيق فخرج أسود وربما حمت شدة الرياح حجر الرحى فانفلق ، لذلك كانت عملية التحكم فى سرعة هذه الأرحـاء الهوائية لازمة وضرورية (٦٢) .

أما أرحاء الفسطاط فكانت تقع فى الجانب الجنوبى الغربى من المدينة وربما قصد بذلك أن تكون هذه الطواحين خلفها وليس أمامها ، وقد جاءت

اخبارها فيما ذكره المقريزى حين قال أن « فى يوم الاثنين سابع عشر صفر سنة (٧٨٥ هـ / مارس ١٣٨٣ م) خلع على شمس الدين ابراهيم كاتب أرلان واستقر فى الوزارة بعد شدة تمنعه وكثرة ابائه ، وبعد أن أجيب الى كل ما طلبه لبس خلعة من صوف وأدار الطواحين السلطانية بجوار الاهراء بمدينة مصر وعمر الحواصـــل بسائر الأصناف (٦٣) ، وجدير بالذكر أن بعضا من هذه الطواحين لا زالت قائمة هناك حتى اليوم شاهدا ودليلا على ما أدته فى حينها من دور فى خدمة مجتمع المدينة فى المجال الذى نتحدث فيه ·

(جـ) صناعات الزيوت والصابون والشموع :

مما لا شك فيه أن كثيرا من الزيوت كانت تستخلص فى الفسطاط من مصادر نباتية مختلفــة كالبذور والأوراق الخاصـــة ببعض النباتات والأعشاب ، يدل على ذلك ما ورد فى المصادر التاريخية الموثوق بها خاصا بهذا الأمر ، فيذكر السيوطى مثلا (٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) أنه يجتمع بمصر زيت البذر (أى بذر الكتان) وزيت الفجل وزيت الخردل وزيت الخس وزيت السلجم وأن بعضا من هذه الزيوت ولا سيما زيت الفجل كان يصدر الى العراق وغيرها من البلدان (٦٤) ، واثبات السيوطى لتصدير هـذا النوع من الزيوت انما يعنى حقيقة أنه كان ذا جودة عالية أهلته لكى يتبوأ مكانة التصدير بين ما كان يستخلص فى الفسطاط من زيوت ·

ويزيدنا تأكيدا فيما ذكره السيوطى فى هذا الصدد فى بداية القرن (١٠ هـ / ١٦ م) ، ما جاء على لسان ابن ظهيرة فى نهاية نفس القرن بقوله : « ومن خصائص مصر زيت الفجل والحلو والحار مما يدخل فى الأدام والعلاجات » (٦٥) ، وما ذكره جوتاين فى دراسته لوثائق الجنيزة التى حفظت لنا عقد مشاركة يرجع تاريخه الى سنة (٤٩٨ هـ / ١١٠٤ م) فحواه أن زيت بذر الكتان وزيت الزيتون وعصير الليمون كان يباع فى مخزن بالفسطاط عند بوابة الخراطين » (٦٦) ·

هذا عن المصادر التاريخية الدالة على قيام هذه الصناعة فى الفسطاط ، وكلها كما نرى مصادر لاتقبل الشك فيما أوردته ، أما عن الأدلة المادية فقد جاءت فيما ذكره صاحب كتاب « الفسطاط » فى معرض حديثه عن الدور والاطلال المعمارية التى كشفت عنها حفائر المدينـــة وفيهـا يثبت الكشف فى هذه الاطلال عن بقايا معصرة للزيت (سرجة) عثر فيها على أحجار لطحن البذور التى تستخلص الزيوت منها ، ومراقد مستديرة تدور مع طرفها قناة تنتهى بثقب يرتفع عن الحوض الذى يصير اليه الزيت ،

وهى مراقد منقورة فى الصخر ، وكانت طريقة استخراج الزيت من هذه المعاصر تتلخص فى وضع قواصر (أبراش) تفصل بين طبقات من البذور المطحونة المنداة ثم تضغط بالحجر فيسيل الزيت منها منطلقا الى قناة تعلو حوضا ، ومنها الى الثقب الموجود فى هذه القناة ثم الى الحوض ذاته حيث يتم جمعه واخراجه (٦٧) ٠

أما صناعة الصابون فقد ذكرت مصانعها فى مصطلح العصور الوسطى تحت اسم « مطابخ الصابون » مثلها فى ذلك مثل صناعة السكر التى قيل لمصانعها « مطابخ السكر » وقد جرى العرف عند مؤرخى هذه العصور على ذكر المصطلح مقرونا بنوع الصناعة التى تمارس فيه ـ فقيل « مطابخ السكر » « ومطابخ الصابون » و « مسابك الزجاج » و « مسابك الفولاذ » و « مسابك النحاس » وغير ذلك ، والذى لاشك فيه أن صناعة الصابون كانت مزدهرة فى الفسطاط ولاسيما فى القرن (٧ هـ / ١٣ م) طبقا لما ذكره ابن سعيد (٦٨) ، وفى القرن (٩ هـ / ١٥م) طبقا لما ذكره ابن دقماق (٦٩) ٠

أما عن صناعة الشموع فقد ذكرها ابن ظهيرة فى القرن (١٠ هـ / ١٦ م) وقال ان « بمصر الشمع الذى يفضل شمع الدنيا »(٧٠) وتلك كلها اشارات واضحة من مصادر ثابتة تؤكد أن هاتين الصناعتين كانتا من الصناعات الرائجة فى الفسطاط ٠

(د) صناعة الفقاع والنبيذ :

على الرغم من أنه ليست لدينا معلومات كافية من الناحية التاريخية عن صناعتى الفقاع والنبيذ والسوائل المخمرة التى كانت تعمل منهما ، فانه يمكن القول أن المزر والنيدة كانتا تصنعان فى المدينة من القمح أو الشعير بواسطة التخمير (Fermenting) ونظرا الى أن هذه الصناعة كانت من الصناعات التى يتطلبها كثير من العامة ممن اعتادوا شربها ، ونظرا الى أن اسمها لم يكن شائعا فى العصور الوسطى فقط وانما ظل معروفا حتى وقت قريب فانه يمكن القول باضافة هذه الصناعة الى صناعات المدينة وحرفها ٠

يدل على ذلك ما ذكره السيوطى فى القرن (١٠هـ/١٦م) حين أورد عند حديثه عن الفسطاط بعضا من هذه الصناعات مثل النيدة والقند والاباليج والطبرزد (٧١) ، ولا غرابة فى أن تكون هذه وتلك من بين الصناعات التى مورست فى الفسطاط لا سيما وأنها جميعا كانت كما

قلنا مما تعود الناس عليه في حياتهم اليومية من مأكل ومشرب وناهينا في ذلك بالمباح وغير المباح منها من الناحية الدينية ٠

(هـ) صناعة الورق :

كان من الطبيعي أن يضع ظهور الورق في مجال الخط والكتابة نهاية لعهد أوراق البردى ، وقد جاء في ذلك أن صناعة الورق كانت قد بدأت في الصين ، ثم انتقلت في أواسط القرن الثاني الهجرى الثامن الميلادى الى سمرقند بايران ، ومنهـا الى بغداد بالعراق حيث أسس الفضل بن يحيى على عهد الرشيد سنة (١٧٨هـ/٧٩٤م) أول صناعة للورق في العراق (٧٢) ، ثم انتشرت هذه الصناعة بعد ذلك في جميع أنحاء العالم الاسـلامى فدخلت سـوريا ومصر وشـمال أفريقيـة وأسبانيا (٧٣) ، يؤيد ذلك أن آخر ما يؤرخ من أوراق البردى يرجـع تاريخه الى سنة (٣٢٣هـ/٩٣٥م) وأن أول وثائق مكتوبة على الكاغد (الورق) ترجع الى سنة (٣٠٠هـ/٩١٢م) (٧٤) ٠

وقد ازدهرت صناعة الورق في مصر (الفسطاط) خـلال القرن (٤هـ/١٠م)على عهد الفاطميين ، وصنع فيها ورق مختلف الأنواع كان أبرزه الورق الأبيض والورق المنصورى الذى كان يباع بأسعار تختلف تبعا لنوعه وجودته ، يدل على ذلك ما ذكره في هـذا الصدد كثير من المؤرخين (٧٥) ، ويفهم مما سـجله هؤلاء أنه كان من خصائص مصر القراطيس أو الطوامير وهى أوراق البردى التى كانت تصـنع - على ماقيل - من حشائش أرضها في لفائف تصل الواحدة منها الى ثلاثين ذراعا في الطول وشبرا في العرض ، وظلت كل البلـدان الاسـلامية تستورد هذه القراطيس من مصر حتى حل محلها نوع من الورق صنع من الكتان وسمى الكاغد ، وقد نقلت صناعته كما أشرنا - من الصين الى سمرقند ومن ثم الى باقى البلاد الاسلامية في أوائل القرن (٤هـ/١٠م) وأدخل عليه المسلمون كثيرا من التحسينات حتى نالت سـمرقند من الشهرة في صناعة هذا الكاغد ما جعل المؤرخين يسجلون ذلك بقولهم أن كواغد سمرقند عطلت قراطيس مصر (٧٦) ٠

(و) صناعة السلال والحصير :

لاشك أن سعف النخيل وعيدان البوص كانت تسـتخدم لصناعة السلال والحصير في الفسطاط وفاء لحاجة النـاس الضرورية من هذه الصناعة لفرش أرضيات منازلهم ومساجدهم ، وقد تأكد استمرار هذه

الانشطة الحرفية بالمدينة ابان القرن (١٠ / ١٦م) من خلال ما ذكره السيوطي الذى عدها بين الحرف والصناعات التى أوردها عن مصر (الفسطاط) وقال فيما يتعلق بالسلال أنهـا كانت تسمى السلال الوهبانية ، وفيما يتعلق بالحصير أنها كانت تسمى بالحصير العبدانى . وأضاف الى ذلك قوله أن بمصر من سائر أصناف الحصر مالايوجد فى غيرها ، ثم أشار نقلا عن الذهبى الى أن الوباء الذى حدث بالديار المصرية سنة (٤٩٧ هـ / ١١٠٣ م) قد عطل كثيرا من مناسج الحصر التى قيل أنه كان بمصر منها تسعمائة منسج فلم يبق منها عاملا الا خمسة عشر منسجا (٧٧) .

٤ ـ صناعة الجلود والدباغة :

ورث المسلمون عن أقبـاط مصر صناعة الجلود واهتموا فى هذا المجال بشكل خاص بالسروج وأدوات الركوب لارتباطه بطبيعة حياتهم من ناحية ، ولما كان لاعداد رباط الخيل من أهمية بثها الاسـلام فى نفوسهم من ناحية أخرى ، لذلك لم يكن غريبا أن كثيرا من الصناعات الجلدية فيما عدا السروج كجلود الكتب والخفـاف والأحذية والأحزمة والقرب وغيرها كانت تمارس فى الفسطاط . (انظر شكل : ٢٧ ، ٢٨) .

ويؤيد ذلك أولا ما ذكره ناصر خسرو فى القرن (٥هـ/١١م) حيث قال أنه شاهد بمصر جلدة بقرة جلبت من الحبشة كانت كجلد النمر (فى برقشتها) وأن الصناع كانوا يعملون منها الأحذية (٧٨) ، ويؤيده ثانيا ماورد فى وثائق جنيزة القاهرة التى نشرها جوتاين وجاء فى وثيقة منها ذكر لكثير من أنماط الصناعات الجلدية ولا سيما فى مجال صناعة الأحذية وصناعة السروج والقرب ، كذلك فقد جاءت فى هذه الوثيقـة اشارة الى أنه كان لهذه الصناعة سوقا خاصا بالمدينة واشارة أخرى الى أن صناعة الدباغة كانت من بين الصناعات التى تمت فيها المشاركة بين المسلمين واليهود فى الفسطاط (٧٩) ، ولم يكن من المعقول أن تكون هناك صناعة دباغة دون أن تكون هناك صناعة جلدية رائجة .

ويؤكد قيام هذه الصناعات فى المدينة قبل هذا وذاك ما عثر عليه فى حفائر الفسطاط من بقايا النعال التى كان منها مايزخرف بالذهب أو يرصـع بالدر والجوهر ، أو يزركش بالقصب أو يطرز بالخيوط الملونة (٨٠) ، كما تؤكده مجموعة من الصور المرسومة بالمداد على الرق ترجع الى ما بين القرنين (٥ ـ ٨هـ/١١ ـ ١٤م) عثر عليها فى حفائر

متحف الفن الاسلامى بالفسطاط وعليها صور آدمية وأشكال حيوانات وطيور (٨١) ٠

٥ ـ صناعة المعادن والحلى :

ان ما جاء عن صناعة المعادن فى مصادر العصور الوسطى كان شبيها بما جاء عن صناعة الزجاج ،فقد سميت مصانعها « بالمسابك » فقيل « مسابك النحاس » « ومسابك الفولاذ » ونحو ذلك ، والذى لاشك فيه أن المسابك كانت قائمة بالفسطاط وتنتج من الخامات المعدنية المصهورة والمسبوكة ماكان صناع المعادن فى مصر فى حاجة اليه لعمل العديد من الأسلحة والآلات الحربية ، علاوة على الأدوات المنزلية والتحف المختلفة ، وقد أشار كثير من المؤرخين الى وجود هذه المسابك بالفسطاط (٨٢) ٠

ولعل ما أنتج من أسلحة وتحف معدنية مختلفة الأشكال والأنواع والخامات والزخارف ، على مدى عصور مصر الاسلامية ولا سيما عصر المماليك بدولتيه البحرية والبرجية مما لا تزال نماذجه محفوظة فى متحف الفن الاسلامى بالقاهرة وفى غيره من المتاحف الأجنبية والمجموعات الخاصة ، هو خير شاهد على الكم والكيف الذى كانت قد وصلت اليه هذه الصناعة فى مسابك الفسطاط وغيرها من مسابك مصر (٨٣) ٠

ولعل ذلك غير مستغرب وبمصر من المعادن كما قال ابن ظهيرة « معدن الذهب والفضة والزمرد فى جبل خلف أسوان لا يشاركها فيها بلد »(٨٤) كما أن بها الحديد والنحاس وغير ذلك ، والواقع أن الشماعد والمباخر والأدوات المعدنية التى ترجع الى بداية العصر الاسلامى ، والتى كشفت نماذج منها فى حفائر الفسطاط لا تختلف كثيرا فى شكلها وزخارفها عما كان معروفا فى مصر قبل الفتح العربى مما يجعل عملية التمييز بينها وبين ما أنتج فى العصر القبطى من تحف معدنية أمرا ليس من السهولة بمكان (٨٥) ٠

أما أكثر ما صنع فى الفسطاط من تحف معدنية فقد كان فى العصر الفاطمى الذى شهد ازدهارا حقيقيا فى هذه الصناعة ساعد عليه كثيرا هجرة عدد كبير من صناع المعادن المواصلة الى مصر منذ أواخر العصر الأيوبى ونقلهم خبرة مدرسة الموصل الى الفسطاط ، وما أنتج من تماثيل مختلفة ترجع الى هذا العصر مما لا يزال محفوظا حتى الآن بالمتاحف المختلفة هو خير شاهد على ذلك ، فهناك مثلا العقاب البرونزى الشهير بمدينة بيزا الايطالية الذى يقال انه نقل من مصر الى هناك على يد عمورى

ملك بيت القدس سنة (٥٥٩ – ٥٦٩ هـ / ١١٦٢ – ١١٧٣ م) ، والطاووس المحفوظ بمتحف اللوفر بباريس ، والآيل البرونزى الموجود بالمتحف البافارى بمدينة ميونخ (أنظر شكل : ٢٩) ، والأسد المجوف بمتحف برلين ، وشبيهه بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة ، وغيره من التماثيل التى يحتفظ بها المتحف الأخير كالظباء والأرانب ونحوها (٨٦) . (أنظر شكل : ٣٠) .

على ان انتاج الفسطاط فى العصر الفاطمى من التحف المعدنية لم يقتصر على التماثيل الحيوانية المشار اليها ، بل لقد أنتجت أيضا بعض التماثيل الآدمية ، وقد عثر فى المدينة بالفعل على تمثال لسيدة تعزف على الدف وعلى رأسها تاج به نتوء يوحى بأنه كان مرصعا بالجوهر وحول كل من ذراعيها وساقيها سوار (٨٧) . (أنظر شكل : ٣١) .

ثم وصلت الصناعات المعدنية فى الفسطاط غاية نضوجها فى العصر المملوكى ، يدل على ذلك تلك النماذج الكاملة من الأبواب المصفحة والشماعد والتنانير والثريات وكراسى (العشاء) وصناديق المصاحف والمحابر والأوانى والأباريق والأسلحة والحلى وغيرها مما يحتفظ به متحف الفن الاسلامى بالقاهرة وغيره من المتاحف العالمية (٨٨) . (أنظر شكل : ٣٢ ، ٣٣) .

ومع ذلك كله فهناك من الأدلة القطعية الأخرى ما يثبت قيام هذه الصناعة فى الفسطاط ، من ذلك مثلا ما ورد فى وثائق جنيزة القاهرة التى تشير الى أن صناعة المعادن كانت من الصناعات التى تمت فى بعض حالاتها مشاركة بين المسلمين واليهود فى الفسطاط ، وتحصى هذه الوثائق كثيرا من التخصصات المختلفة التى كانت تمارس فى مجال الصناعة مثل السكاكين والمغارف والملاعق والملاقط والخطاطيف والأمواس والابر وما شابه ذلك (٨٩) .

هذا عن الصناعات المعدنية التى كانت تمارس فى الفسطاط ، أما بالنسبة لصناعة الحلى فلدينا من المصادر المادية مما عثر عليه فى اطلال المدينة ومما لا يزال محفوظا بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة وفى غيره من المتاحف ما يثبت بما لا يدع مجالا للشك أن كثيرا من هذه الحلى كان يصنع فى الفسطاط ، من ذلك مثلا قرص ذهبى صغير مستدير الشكل وجهه مقعر ومطلى بالمينا يشتمل فى الجزء الأوسط على كتابة كوفية نصها « الله خير حفظا » (Sic) وفى الجزءين الأعلى والأسفل على زخرفة حمراء محددة بالذهب على أرضية خضراء عثر عليه بالفسطاط (انظر شكل : ٣٤) وأرجعه مؤرخو الفنون الى القرن (٥ هـ / ١١ م) ابان العصر

الفاطمى ، (٩٠) كذلك فقد عثر فى أطلال المدينة على كثير من قطع الحلى وأدوات الزينة كالأساور والخواتم والأقراط المصنوعة من الذهب الخالص أو الفضة الخالصة مما أمكن ارجاعه لما عليه من زخارف نباتية دقيقة الى العصر المشار اليه (٩١) •

ويزيد ما لدينا من المصادر المادية تأكيدا على قيام صناعة الحلى فى الفسطاط ما ورد فى المصـادر التاريخية عن المحابر الذهبية والفضية (انظر شكل : ٣٥) وقطع الشطرنج والمقابض والمظلات وأوانى زهر النرجس والبنفسج وغيرها مما نهبه الجنود الأتراك من القصور الفاطمية فى فتنة عام (٤٦٩ هـ / ١٠٧٦ م) (٩٢) • وما ورد فى وثائق جنيزة القاهرة من أن تسوية تمت فى الفسطاط سنة (٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م) بين زوج وزوجته تعهد الأم فيها بدفع تكاليف طعام ابنها الأكبر وجزيته لمدة عامين ، وكذا تكاليف تعليمه صنعة الصياغة ، وما ورد فيها أيضا من أن صياغة الذهب والفضة كانت من الصناعات التى تمت فيها المشاركة بين المسلمين واليهود فى الفسطاط (٩٣) •

٦ ـ صناعات النسيج والسجاد والصباغة :

اذا كان من المعروف أن صناعة النسيج كواحدة من أبرز صناعات مصر فى العصور الوسطى كانت تمارس فى مراكز عديدة موزعة على خريطة مصر الجغرافية بين الوجهين البحرى والقبلى ، فلا غرابة أن يكون للفسطاط ــ وهى أول مراكز الصناعة فى مصر ــ نصيب وافر من هذه الصناعة . ولدينا من المعلومات التاريخية والأدلة المادية ما يؤيد بالقطع هذه الحقيقة ، فقد جاء فى المغرب ــ كواحد من المصادر التاريخية ــ أن جميع زى الجند هو بالقاهرة أعظم منه بالفسطاط وكذلك كل ما ينسج ويصاغ وسائر ما يعمل من الأشياء الرفيعة السلطانية (٩٤) • ومعنى ذلك صراحة أن صناعة نسيج غير متطورة كانت تمارس فى المدينة حتى أيام ابن سعيد (٦٧٣ هـ / ١٢٧٥ م) ولكننا لا نميل الى الأخذ بهذا الرأى لأن كل الأدلة التاريخية والشواهد المادية تقف على النقيض من هذا تمـاما • فمعظم المصادر التاريخية وغالبية المراجع العربيـة والأجنبية تقول أن صناعة النسيج كانت تمارس فى العديد من المراكز التى انتشرت فى طول مصر وعرضها خلال العصر القبطى ومن بينها بابيلون ، يدل على ذلك ما ذكره البلاذرى فى القرن (٣ هـ / ٩ م) حين قال أن عمرو بن العاص «الزم جميع

أهل مصر (من القبط) لكل رجل (من المسلمين) جبة صوف وبرنسا أو عمامة وسراويل وخفين فى كل عام أو بدل الجبة الصوف ثوبا قبطيا وكتب عليهم بذلك كتابا » (٩٥) ومعنى هذا أن مصر وبابيلون التى لا تبعد عن الفسطاط الا أمتارا كانت تصنع فى تلك الفترة الجبة والبرنس والعمامة والسروال والخف والثوب القبطى مما كان يسمى « بالقباطى » ويشهد هذا كله بمدى ما وصلت اليه تلك الصناعة خاصة فى مصر القديمة عى عهد الأقباط (انظر الأشكال : ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨) .

ويشير ابن سيده فى القرن (٤ ـ ٥ هـ / ١٠ ـ ١١ م) الى أن الأقمشة التى كانت تصنع فى مصر (الفسطاط) كانت من الكتان الأبيض الذى لا تلوين فيه ، وأن هذه الأقمشة كانت خلال العصر الأموى كالغشاء على البيض (٩٦) وفى هذا من الدلالة على رقتها ما يكفى لمعرفة مدى التطور الذى كان قد حدث على هذه الصناعة بالفسطاط ، ثم يضيف ابن فضل الله العمرى فى القرن (٨ هـ / ١٤ م) على ما ذكره البلاذرى وابن سيده ان من خصائص مصر « دار الأنماط (وكانت بالفسطاط) وفيها يباع قماش النساء وفاخر الثياب والأمتعة ، وكان يجلس على حوانيتها أهل الفراغ واللهو وكانت من عجائب المبانى وغرائب الآثار » (٩٧) ومعنى ذلك بما لا يدع مجالا للشك أن منسوجات الفسطاط كانت على درجة كاملة من الجودة والذوق حتى أنه وصفها « بفاخر الثياب والأمتعة » وفى هذا ما يكفى للوقوف على النقيض مما ذكره ابن سعيد .

يضاف الى ذلك كله ما جاء فى كتاب « الفسطاط » فى معرض الحديث عن الأطلال المعمارية التى كشفت بالمدينة من وصف لقاعة مستطيلة الشكل فسيحة الأرجاء قيل أنها كانت لسعتها وبعض الأسباب التى وجدت فيها ـ مصنعا للنسيج لأنها تشبه القاعات الحالية التى تنصب فيها أنوال النسيج اليدوية ويعمل فيها النساجون على نفس المنوال (٩٨) ، وذلك يعنى نوعا من المناسج الأهلية المسماة بطراز العامة التى كانت تعمل بالمدينة جنبا الى جنب مع دار الأنماط التى مثلت طراز الخاصة .

وفى متحف الفن الاسلامى بالقاهرة ما يؤيد ذلك ممثلا فى قطعة من نسيج الكتان باسم الخليفة الأمين بن هارون الرشيد (١٩٤ ـ ١٩٨ هـ / ٨٠٩ ـ ٨١٣ م) عليها كتابة تقول « بسم الله بركة من الله لعبد الله الأمين محمد أمير المؤمنين أطال الله بقاءه مما أمر بصنعه فى طراز العامة بمصر على يد الفضل بن الربيع مولى أمير المؤمنين » (٩٩) . (أنظر أيضا شكل ٣٩) وكانت دور الطراز العامة والخاصة بالفسطاط تنتج العديد من الأقمشة التى كانت تزخرف بألوان متعددة وتزينها عناصر من أشكال

آدمية وأشكال طيور وحيوانات بالاضافة الى الأشكال الهندسية والخطوط المتقاطعة المتماسة والأشرطة الأفقية التى توازيهـا أشرطة من الكتـابة الكوفية (١٠٠) ، وقد نسج بعض هذه الأقمشة بلحمات من الحرير أو الصوف وسداة من الكتان ، ونسج بعضها الآخر من الحرير الخالص سداة ولحمة ، ووشى بعضها الثالث بخيوط الذهب . ولعل ما عرفته اللغات الأوربية من الأقمشة باسم (Fustian) نسبة الى الفسطاط (١٠١) هو خير الأدلة القاطعة فى هذا الصدد لأنه لولا جودته وعلو ذوقه لما نسب فى تسميته الى المدينة التى أنتجته ولما صدر الى الأسواق الأجنبية التى كان من المفروض الا يصدر اليها الا كل جيد ونفيس •

كذلك فقـد جـاء فى وثائق الجنيزة أنـه فى سؤال رفع الى ابن ميمون (١٠٢) نقرأ عن شركة لصناعة الحرير كانت بالمحلة الكبرى قام أصحابها بافتتاح فرع لها بالقرب من محل يتبع شركة مماثلة بالفسطاط ، وخوفا من المنافسة وافقت الشركة بالفسطاط على أن تقبل أحد عمال شركة حرير المحلة للعمل عندها مقابل أن يذهب أحد أعضائها الى المحلة الكبرى ويلتحق هناك بشركائها ، ونحن نعرف أن صناعة الحرير كانت قد راجت فى الفسطاط كثيرا على عهد المماليك وكانت قطعها المصنعة تسمى الكمخة •

وتضيف وثائق الجنيزة المشار اليها أن الحرير والنسيج والحياكة كانت من الصناعات التى تمت فيها المشاركة بين المسلمين واليهود فى الفسطاط (١٠٣) ، وفى موقع آخر يقول صاحب هذه الدراسات أنه فى احدى الشكايات التى رفعت لابن ميمون حوالى عام (٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م) يشكو صاحبها من تحويل جار له لمنزله الواقع فى منطقة سكنية الى دكان للصباغة وأن دخان مواقده قد أتلف كل الصوف الذى كان ينشره (١٠٤) ، وفى هذا ما يشير صراحة الى أن الصباغة أيضا كانت من بين صناعات الفسطاط ، وهو أمر غير مستغرب لما لهذه الصناعة من صلة عضـوية ضرورية بصناعة النسيج •

كذلك فقد أشارت المراجع العربية الى أن صنـاعة أبسـطة وبرية كتانية سدى ولحمة تعمل عقدها من اللحمة كانت تمارس فى الفسطاط منذ العصر العباسى وحتى العصر المملوكى ، وكانت المدينة حينذاك أكبر منافس لبلاد العجم فى هذه الصناعة (١٠٥) ، ويؤيد ما ذكرته هـذه المراجع ما جاء فى وثائق الجنيزة من أن ٤٤٣ يهوديا كانوا يعملون فى حقل صناعة السجاد بمصر (١٠٦) •

وقد أمدتنا حفائر الفسطاط بقطع من السجاد ذات أهمية كبرى فى

دراسة هذا الفن فى فجر الاسلام ، منها مما يحتفظ به متحف الفن الاسلامى بالقاهرة قطعة عليها بقية تاريخ يرجح أنه سنة ستة ومائتين بعد الهجرة (٢٠٦ هـ / ٨٢١ م) وقطعتان أخريان عليهما كتابات كوفية تحمل احداها تاريخ (٢٠٢ هـ /٨١٧ م) ومنها مما يحتفظ به متحف المتروبوليتان فى نيويورك قطعة أخرى عثر عليها فى اطلال المدينة (١٠٧) .

أما قطع النسيج التى كشفت عنها حفائر الفسطاط فهى كثيرة ومتنوعة ، ويحتفظ متحف الفن الاسلامى بالقاهرة بغالبيتها (١٠٨) ، كما تحتفظ المتاحف العالمية والمجموعات الخاصة ببعض آخر منها (أنظر الأشكال من : ٤٠ ـ ٥٤) ، وتشتمل مجموعة متحف الفن الاسلامى بالقاهرة من منسوجات الفسطاط على خمس وأربعين قطعة كتانية ذات كتابات كوفية بسيطة فى سطر أو سطرين تمتد تواريخها من سنة (٢٤٠ هـ /٨٥٤ م) الى سنة (٣٦٥ هـ / ٩٧٥ م) (١٠٩) ، منها قطعتان عملت احداهما فى طراز الخاصة بالمدينة وتقول كتاباتها « بعد البسملة والديباجة « مما أمر بعمله فى طراز الخاصة بمصر سنة أربع وخمسين ومائتين (١١٠) ، وعملت الثانية فى طراز العامة وتقول كتاباتها « .. مما أمر بعمله الوزير على بن محمد أعزه الله في طراز العامة بمصر على يدى ... مولى أمير المؤمنين سنة ستة وتسعين ومائتين » (١١١) .

ومعنى ذلك أن مصانع نسيج الفسطاط كانت كما قلنا قد اشتملت على دور الطرازين العامة والخاصة ، وقد حوت كتابات هذه القطع من أسماء الخلفاء : المعتمد على الله ، المعتصم بالله ، المكتفى بالله ، المقتدر بالله ، ومن أسماء الأمراء الآمرين بالصنع : الوزير على بن محمد وأخيه الحسن بن محمد ، ومن أسماء الصناع بشر الخادم ، وشفيع المقتدرى .

وتشتمل مجموعة تانو (Tano) من منسوجات الفسطاط على ست قطع كتانية أخرى ذات كتابات كوفية بسيطة فى سطر أو سطرين أيضا تمتد تواريخها من سنة (٢٦٥ هـ / ٨٧٨ م) الى سنة (٢٩٨ هـ/ ٩١٠ م) (١١٢) منها ثلاث قطع تشير كتاباتها الكوفية البسيطة الى أنها عملت فى طراز العامة بالمدينة تقول كتابات واحدة منها « بسم الله الرحمن الرحيم بركة من الله لعبد الله أحمد الامام المعتمد على الله أمير المؤمنين أيده الله مما أمر بعمله فى طراز العامة بمصر سنة خمس وستين ومائتين (١١٣) ، وتقول كتابات واحدة أخرى « بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد خاتم النبيين بركة من الله لعبد الله جعفر الامام المقتدر بالله أمير المؤمنين أطال الله بقاءه مما أمر الوزير على بن محمد أعزه الله بعمله فى طراز العامة بمصر على

يدى شفيع المقتدرى مولى أمير المؤمنين سنة ثمن وتسعين ومائتين »(١١٤) ، وقد حوت كتابات هذه القطع من أسماء الخلفاء المعتمد على الله ، المعتصم بالله ، المتوكل على الله ، المقتدر بالله ، ومن أسماء الصناع بشر الخادم ، شفيع المقتدرى ٠

وتشتمل مجموعة متحف بناكي في أثينا من منسوجات الفسطاط أيضا على ثلاث قطع بذات المواصفات السابقة تمتد تواريخها من سنة (٣٠٦ هـ/٩٨١ م) الى سنة (٣٦٥ هـ/٩٧٥ م) .(١١٥) منها قطعتان عملتا فى طراز الخاصة بالمدينة احـــداهما باسم المقتدر بالله وتقــول كتاباتها بعد البسملة والديباجة « ٠٠٠ بعمله فى طراز الخاصة بمصر على يدى شفيع المقتدرى مولى أمير المؤمنين ٠٠٠ مائتين » (١١٦) وقد حوت كتابات هذه القطع من أسماء الخلفاء المقتدر بالله ، ومن أسماء الأمراء حامد بن العباس ، ومن أسماء الصناع شفيع المقتدرى ٠ وتشتمل مجموعة متحف المتروبوليتان فى نيويورك على قطعة واحدة من منسوجات الفسطاط يرجع تاريخها الى سنة (٢٨٢ هـ/٨٩٥ م) تقول كتاباتهـا بعد البسملة « نعمة لعبد الله العباس المعتصم بالله أمير المؤمنين أعزه الله مما أمر بمصر سنة اثنين ثمانين مائتين » (١١٧) ٠

كما تشتمل مجموعة أبيمايور (Abemayor) على قطعة واحدة أخرى من منسوجات الفسطاط يرجع تاريخها الى سنة (٢٩٨ هـ/٩١٠ م) تقول كتاباتها بعد البسملة « بركة من الله لعبد الله أمير المؤمنين أيده الله مما عمل بمصر سنة ثمان تسعين مائتين بركة » (١١٨) ٠

ولا تقتصر منسوجات الفسطاط فى المجموعات الأثرية الخاصة على ماسبقت الاشارة اليه من مجموعتى تانو وابيمايور وانما تشتمل مجموعة نهمان (Nahman) على ست قطع من هذه المنسوجات تمتد تواريخها من سنة (٣٣٠ هـ/٩٤١ م) الى سنة (٣٥٣ هـ/٩٦٤ م) منها أربع قطع باسم المتقى لله تواريخها حول سنة (٣٣٠ هـ/٩٤١ م) وقطعتان باسم المطيع لله تاريخيهما (٣٣٦ هـ/٩٤٧ م ، ٣٥٣ هـ /٩٦٤ م) (١١٩) ٠

ويبقى بعد ذلك كله أهم ما يجب الاشـــارة اليه بالنسبة لصناعة النسيج فى الفسطاط وهو أن لدينا من الأدلة المادية ما يثبت بما لايدع مجالا للشك أن هذا المركز كان قد شارك فى صـــناعة كسوة الكعبة المشرفة ، من ذلك مثلا ثلاث قطع كتانية باسم المقتدر بالله العباسى أولاها فى متحف الفن الاسلامى بالقاهرة تاريخها (٣٠٠ هـ / ٩١٢ م) وثانيتها

فى متحف بناكى فى أثينا تاريخها (٣١٠ هـ/٩٢٢ م) وثالثتها فى مجموعة تانو تاريخها (٣٠٩ هـ / ٩٢١ م) (١٢٠) ، وان دلت هذه القطع الثلاث على شيء فانما تدل على مبلغ ما كان عليه هذا المركز من تطور فى صناعة السيج لأن هذه الكسوة كانت ـ كما نعلم ـ تعمل من أفخر الخامات وأغلاها وبأمهر الأيادى الصناعية المدربة وأدقها ٠

٧ ـ صناعة الخشب والعظم والعاج :

لم يكن غريبا أن يزدهر فن الحفر على الخشب فى مصر الاسلامية ازدهارا بالغا لما كان للمصريين فى هذا الفن من براعة ترجع الى العصر الفرعونى ، يدل على ذلك ما وصلنا من القطع الخشبية الكثيرة المزخرفة التى يرجع أقدمها الى العصرين الأموى والعباسى فى القرنين (٢ ـ ٣ هـ /٨ ـ ٩ م) والتى عثر على كثير منها فى القرافة الكبرى بالفسطاط (انظر شكل : ٥٥ ـ ٥٦) ، حيث كانت هذه القطع الخشبية تستعمل بعد أخذها من الأبنية والأثاث لمنع انهيار الأتربة فى المدافن (١٢١) ، أما فى العصر الطولونى فقد مارس صناع الأخشاب بالفسطاط اساليب جديدة جاء بها ابن طولون من سامرا ، وكان من أهمها أسلوب الحفر المائل أو المشطوف (Slant cut) (انظر الأشكال : ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩) وما لبثت هذه الأساليب أن امتزجت تدريجيا بالأساليب المصرية المحلية فنتج من هذه وتلك أروع الأمثلة الزخرفية العربية على الاطلاق ، وتكفى فى ذلك نظرة الى تلك الثروة الزخرفية الهائلة والمتنوعة التى يزخر بها جامعه الشهير (١٢٢) ٠

ولدينا فى المصادر التاريخية من المعلومات ما يؤيد قيام هذه الصناعة فى الفسطاط ، فيشير المقريزى فى القرن (٩ هـ/١٥م) الى أنه كان للخشب أسواق هامة فى الفسطاط منذ العصر الطولونى (١٢٣) ، ويقول ابن ظهيرة فى القرن (١٠ هـ/١٦ م) أن بمصر الابنوس الابلق (١٢٤) ، بينما يؤكد جوتاين أنه وجد فى دراسته لوثائق الجنيزة خمس صناعات خشبية مختلفة كانت تمارس فى المدينة هى النجارة والنشارة وعمل الصناديق والخراطة وعمل أقفال الأبواب (الضبب) ثم يضيف الى ذلك قوله أنه كان لكل طائفة من طوائف هذه الصناعات سوقا خاصا سمى باسمهم فى الفسطاط (١٢٥) ٠

أما عن الأدلة المادية القاطعة بممارسة الصناعات الخشبية فى

الفسطاط فهى كثيرة ، ويحتفظ متحف الفن الاسلامى بالقاهرة بالكثير من نماذجها ، بينما تحتفظ المتاحف العالمية ببعض نماذجها الأخرى ، ولعل أهم من هذه وتلك هى حلية وإفريز من جامع عمرو بن العاص يرجعان الى التجديد الذى قام به عبد الله بن طاهر سنة (٢١٢هـ/٨٢٧م) ، وتتالف زخارفها من صف من أوراق الاكانثس المحورة (شوكة اليهود)، ومن شريط زخرفى تتألف عناصره من البيضة والسهم المألوفتين فى الفن الكلاسيكى ، ومن افريز يضم فرعا نباتيا به أوراق ثلاثية وأنصاف مراوح نخيلية وأوراق عنب خماسية (١٢٦) · (انظر شكل ٦٠) ·

كذلك فقد مورست فى الفسطاط أنماط أخرى لصناعات خشبية تدخل فى اطار الفنون الجميلة منها تزيين الأخشاب بقطع الفسيفساء (١٢٧) ، أو نقشها بالمعجون وقطع العظام (١٢٨) ، وينسب ما عثر عليه من بقايا هذه الصناعات فى المدينة الى الفترة مابين القرنين (١ ـ ٣هـ/٧ ـ ٩ م) ·

وقد استمر هذا الانتاج الخشبى فى الفسطاط خلال العصر الفاطمى ، وما وصلنا من أدلة مادية عديدة ترجع الى هذا العصر تثبت بما لايدع مجالا للشك مدى التطور الذى حدث لهذه الصناعة فيه ، فهناك مثلا بعض الألواح التى كانت فى سقف مارستان قلاوون وتم نقلها الى متحف الفن الاسلامى ، وهى من مخلفات القصر الفاطمى الغربى وقد عثر على بعض منها فى الفسطاط ، وتشتمل على رسوم مختلفة لأشكال آدمية وحيوانية واشكال نباتية وكتابات وغير ذلك (١٢٩) (انظر شكل : ٦١)·

أما عن صناعتى العظم والعاج بالفسطاط فقد عثر فى أطلال المدينة على قطع عديدة منها ترجع الى أوائل العصر الاسلامى فى العهدين الأموى والعباسى ، يحتفظ ببعضها متحف الفن الاسلامى بالقاهرة وتحتفظ بعض المتاحف العالمية ببعضها الآخر ، ومن أهم هذه القطع قطعة من لوح من العظم عليها صورة صياد وغزال على أرضية من التفريعات النباتية تدل دلالة قاطعة على حسن ذوق صناعتها (١٣٠) ، ثم سار اسلوب الحفر على العظام وفق أسلوب الحفر على الخشب زمن الطولونيين كما يشاهد من قطع عثر عليها بالفسطاط محفوظة الآن بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة عليها رسم سيدة فى هودج وجندى فى يده رمح وترس وصائد بالباز على ظهر جواد (١٣١) · · ·

٨ ــ صناعة السفن :

سميت ترسانة صناعة السفن بالفسطاط فى المصادر العربية « بدار صناعة مصر » او « صناعة العمائر » وقد أنشأ هذه الدار سنة (٣٢٥ هـ / ٩٣٦ م) بساحل مصر القديمة محمد بن طغج الاخشيد عندما نقل جزءا من دار صناعة السفن بجزيرة الروضة الى الفسطاط ، فغدت السفن الحربية والنيلية تبنى فى دار صناعة مصر تارة وفى دار صناعة الجزيرة تارة أخرى (١٣٢) ، وقد ظلت هذه الدار تعمل أيام الفاطميين والأيوبيين ، يدل على ذلك ماذكره المقريزى بقوله « وأنشئت سنة (٥٧٧ هـ/١٨٨١ م) أربع حراريق لصناعة مصر برسم من تجرد الى بلاد اليمن » (١٣٣) .

على أن نشاط هذه الصناعة لم يقتصر على انشاء المراكب النيلية فقط وانما امتد الى بناء السفن الحربية التى أمدت صلاح الدين بأساطيل البحر المتوسط خلال حروبه مع الصليبيين فى الشام ، فكانت هذه الأساطيل بعد بنائها فى صناعة مصر تشحن بآلات الحرب والمقاتلة ثم تبحر فى النيل الى الاسكندرية أو رشيد أو دمياط أو الفرما ، ومنها الى البحر المتوسط لملاقاة الروم او الفرنج (١٣٤) ، وبلغ من اهتمام الأيوبيين بالاسطول أن أنشأوا له على عهد صلاح الدين ديوانا خاصا سموه «ديوان الاسطول » وعينوا له الأموال الكافية للنفقة عليه (١٣٥)، ولقد كان للسفن الحربية التى بنيت فى هذه الدار على عهد الكامل محمد وابنه الصالح أيوب الفضل كله فى صد العدوان الصليبى على مصر الذى قاده صاحب عكا ، والعدوان الذى قاده لويس التاسع ملك فرنسا (١٣٦) .

ثم سار سلاطين المماليك من حيث العناية بهذه الدار على نهج بنى أيوب فيذكر المقريزى أن السلطان الظاهر بيبرس كان قد أصدر مرسوما يمنع الناس من التصرف في أعواد العمل (أى خشب السفن) وأمر بأن تنشأ لتخزين هذه الأعواد عشرين شونة ، ليس هذا فقط بل لقد لازم الركوب بنفسه الى هذه الصناعة كل يوم طوال شهر المحرم سنة (٦٧٠هـ / ١٢٧١ م) ليباشر انشاءها حتى تم انجازها (١٣٧) .

كذلك اهتم الأشرف خليل ببناء أسطول فى صناعة مصر سنة (٦٩٢ هـ / ١٢٩٢ م) وعهد باعداده الى الوزير ابن السلعوس ، ثم سار الناصر محمد بعد ذلك على نهج أخيه وبنى فى هذه الدار سنة (٧٠٢ هـ / ١٣٠٢ م) أسطولا غزا به جزيرة أرواد عند ساحل مدينة طرطوس شمالى طرابلس بالشام (١٣٨) ، الا أن دوام الحال بالنسبة لهذه لصناعة كان

من المحال فتوقفت الدار بعد أن تربى على مر الأيام جرف فى البحر الذى يفصل بينها وبين جزيرة الروضة أو بين الفسطاط ودير النحاس ، فتحولت أرضها سنة (٧٠٠ هـ/١٣٠٠ م) الى بستان عرف ببستان كيسان ثم ببستان الطواشي (١٣٩) ونقلت الصناعة من ثم الى ساحل مصر تجاه دير النحاس حيث استقرت مدة طويلة ، ثم نقلت مرة أخرى الى ساحل بولاق خلال عهد محمد على (١٤٠) ، وكان للخلفاء الفاطميين منظرة بصناعة مصر يجلسون فيها حتى تقدم لهم العشاريات فيركبونها ويسيرون بها الى المقياس حتى يخلق بين أيديهم عند الوفاء ، والذى أنشأ هذه المنظرة هو الوزير المأمون بن البطائحى وجعل لها دهليزا مسده بمصاطب فرشها بالحصر العبدانى بسطا وتأزيرا ، وظلت هكذا حتى خربت الصناعة والمنظرة فى القرن (٧ هـ/١٣ م) وتحولت الى بستان على نحو ما ذكرنا (١٤١) .

١ ـ حواشي وتعليقات الفصل الأول
من الباب الأول
الفســطاط

١ ـ راجع في ذلك المقريزى : الخطط : جـ ٢ ص ص ٣ ـ ١٠ ، ابن دقماق : الانتصار جـ ١ ص ص ٢ ـ ٥ ، وانظر أيضا : حسـن الهوارى : الفسـطاط : ص ١ ، حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام : جـ ١ ص ٥٣٣ ، على حسنى الخربوطلى : الحضارة العربية الاسلامية : ص ص ٢٨٦ ـ ٢٨٧ ، أبو زيد شلبى : تاريخ الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامى : ص ٢٤٠ ٠

٢ ـ أحمد فكرى : المدخل الى مساجد القاهرة ومدارسها : ص ص ٦١ ـ ٦٤ ٠

٣ ـ حسن الهوارى : المرجع السابق : ص ٢ ٠

٤ ـ القزوينى : آثار البلاد : ص ص : ٢٦٣ ـ ٢٧١ ٠

٥ ـ ابن بطوطة : الرحلة : ص : ٣٦ وراجع أيضا : ناصر خسرو : سفر نامة (ترجمة أحمد خالد البدلى) ص : ٩٢ ٠

٦ ـ راجع فى ذلك : الادريسى : نزهة المشتاق : ص : ١٤٠ ـ ١٦٤ ٠

٧ ـ ياقوت الحموى : معجم البلدان : جـ ٤ ص ص ٢٦١ ـ ٢٦٦ ٠

٨ ـ المقريزى : المصدر السابق : جـ ١ ص ٥٥٦ ، ابن دقماق : المصدر السابق جـ ٢ ص ٢ ٠

٩ ـ راجع فى ذلك : المقريزى : المصدر السابق : جـ ١ ص ٥٥٥ وانظر أيضا : حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق : جـ ١ ص ص : ٥٣١ ـ ٥٣٢ ٠

١٠ ـ راجع فى ذلك : البلاذرى : فتوح البلدان : جـ ٣ ص ٧٥٧ ، المسعودى : التنبيه والاشراف : ص ٣١١ ، وانظر أيضا : محمود عكوش : مصر فى عهد الاسلام : ص ٢٥٢ ، فتحية النبراوى : تاريخ النظم والحضارة الاسلامية : ص ٢٤٩ ، سيرة القاهرة : تأليف : ستانلى لين بول ، وترجمة : حسن ابراهيم حسن وآخرون : ص ٥٣ ، أحمد فكرى : المرجع السابق ص ص ٥٥ ـ ٥٨ ، الموسوعة العربية الميسرة : ص ص : ١٣٠٠ ـ ١٣٠١ ٠

١١ ـ راجع فى ذلك ياقوت الحموى : المصدر السابق : جـ ٦ ص ص : ٣٧٩ ـ ٣٨٠ وانظر أيضا : حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق : جـ ١ : ص ٥٣٣ ، أبو زيـد شـلبى : المرجع السـابق : ص ٢٤٠ ، عبد الرحمن زكى : الفسطاط وضاحيتهـا العسكر والقطائع : ص ٨ ٠

١٢ ـ راجع في ذلك : ابن حوقل : صورة الأرض : ص ١٣٧ ، الادريسي : المصدر السابق : ص ص ١٤٠ ـ ١٦٤ ٠

١٣ ـ الاصطخرى : مسالك الممالك : ص ص ٤٨ ـ ٤٩ ٠

١٤ ـ المقريزى : المصدر السابق : ج ٢ ص ١٧ ٠

١٥ ـ فتح العرب لمصر : تأليف : ألفريد بتلر وترجمة ، محمد فريد أبو حديد : ص ص : ٢٩٤ ـ ٢٩٥ ٠

١٦ ـ جمال الدين الشيال : دراسات في التاريخ الاسلامي : ص ص : ٢١ ـ ٣٢ ٠

١٧ ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق : ج ١ ص ص : ٣٥١ ـ ٥٣٢ ، على حسنى الخربوطلى : المرجع السابق : ص ص ٢٨٦ ـ ٢٨٧ ٠

١٨ ـ راجع عن كلمة « الفسطاط » بمعناها الذى أشرنا اليه : ابن منظور : لسان العرب : ج ٩ ص ص ٢٤٦ ـ ٢٤٧ ، الجوهرى : الصحاح : ج ١ ص ص ٥٦٠ ـ ٥٦١ ، الجواليقى : المعرب من الكلام الاعجمي على حروف المعجم : ص ٢٤٩ ، المقرى : المصباح المنير : ص ٦٤٧ ، الرازى : مختار الصحاح : ص ٥٠٣ ، خليل الجز : المعجم العربى الحديث : « لاروس » ص ٩ ، الموسوعة العربية الميسرة ص ١٣٠٠ ، وانظر أيضا المقريزى : المصدر السابق ج ١ : ص ٥٥٥ ، أحمد فكرى : المرجع السابق : ص ٥٧ ٠

١٩ ـ لمعلومات أكثر تفصيلا عن الادعاءات المغرضة للمستشرقين في مجال العمارة الاسلامية أنظر مثلا : أحمد فكرى : المدخل الى مساجد القاهرة ومدارسها : الذى صدر عن دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٥ : ص ص ٥ ـ ٢١ ، فريد شافعي : العمارة العربية الاسلامية عصر الولاة ، الذى صدر بالقاهرة عن الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٧٠ م ص ص ٥٨٤ ـ ٦٢٣ ففي هذه الصفحات ما يكفى وزيادة للوقوف على كثير من هذه الادعاءات التي لا تستند الى دليل منصف واحد ٠

٢٠ ـ محمد عبد الله عنان : مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية : ص : ١٥ ٠

٢١ ـ أنظر أيضا : عبد الرحمن زكي : المرجع السابق : ص ص ٩٤ ـ ٩٨ ، حسن الهوارى : المرجع السابق : ص ص : ١٦ ـ ١٧ ، راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية على عهد الفاطميين : ص : ٣٨٠ ٠

٢٢ ـ محمد رمزى : القاموس الجغرافي للبلاد المصرية : ج ١ ص ٩٢ ٠

٢٣ ـ أنظر أيضا : راشد البراوى : المرجع السابق : ص ص : ٣٨٠ ـ ٣٨١ ٠

٢٤ ـ يحتفظ متحف الفن الاسلامي بالقاهرة بقطعتين من هذا النوع أولاهما القطعة المسجلة تحت رقم (٤١٧٦) وثانيتهما القطعة المسجلة تحت رقم (٧٩٠٠) وهما من الخزف ذى البريق المعدنى الذى ينسب الى الطراز العباسى بمصر خلال القرنين (٣ ـ ٤ هـ ٩ ـ ١٠ م) أنظر أيضا : زكي حسن : فنون الاسلام : ص ٣١٠ ، الفن الاسلامى فى مصر : ص ١٠٠ ، أطلس الفنون الزخرفية : ص ٦ شكلى ١٧ ، ١٨ ، عمر كحالة : الفنون الجميلة فى العصور الاسلامية : ص ٢١٤ ، محمود ابراهيم : الخزف الاسلامى فى مصر : ص ص : ٨٣ ـ ٨٥ ٠

٢٥ ـ فى الخزانات أرقام (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥) بالقاعة رقم (١٣) بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة مجموعة كبيرة من هذا النوع من الخزف تمتد تواريخها بين القرنين

٣ ــ ٦ هـ / ٩ ــ ١٢ م) ومنهـا مثـلا القطعة المسجلة تحت رقم (٥٨٦٧) وقد عثر عليها في اطلال الفسطاط وتمثل جزءا من اناء ذى بريق معدنى عليه زخرفة لسيدة فى ملابس رقص ترفع احدى قدميها فوق الأخرى . أنظر أيضا : أنور الرفاعى : تاريخ الفن عند العرب والمسلمين : ص ١٥٨ ، حسن الباشا : مدخل الى الآثار الاسلامية : ص ص : ٣٧٦ ــ ٣٧٨ ، محمد صدقى الجباخانجى : الموجز فى تاريخ الفن : ص ص : ١٧٠ ــ ١٧١ .

٢٦ ــ أنظر أيضا : زكى حسن : كنوز الفاطميين : ص ص : ١٥١ ، ١٥٨ ، فنون الاسلام : ص ٣١٠ . أطلس الفنون الزخرفية : ص ص : ١٢ ــ ١٩ (الأشكال من ٣٩ ــ ٦٨) . تراث الاسلام : تاليف : توماس أرنولد وآخرون : وترجمة جرجس فتح الله : ص ١٩١ (شكل ٢٢) ، عمر كحالة : المرجع السابق : ص ٢٣٩ ، الفنون الاسلامية تاليف : م. س. ديماند : وترجمة أحمد عيسى : ص ٢١٧ .

٢٧ ــ زكى حسن : كنوز الفاطميين : ص ١٤٨ ، م. س. ديماند : المرجع السابق : ص ٢١٦ ، عمر كحالة : المرجع السابق : ص ٢٣٧ ، أبو صالح الإلفى : الفن الاسلامى : ص ٢٦٩ .

٢٨ ــ تجب الاشارة هنا الى أن كلمة مصر كانت تستخدم عادة عند مؤرخى العصور الوسطى للدلالة على الفسطاط ، فيقول المقدسى مثلا أن « مصر هى الفسطاط فى كل قول » راجع : أحسن التقاسيم : ص ١٩٧. ويقول الادريسى « ومدينة الفسطاط هى مصر سميت بذلك لأن مصرأم بن حام بن نوح بناها فى الأول وكانت مدينة مصر أولا عين شمس فلما نزل عمرو بن العاص والمسلمون معه فى صدر الاسلام وافتتحها اختط المسلمون حول فسطاطه فعمروا مكان مصر الآن » راجع نزهة المشتاق : ص : ١٤٠ .

٢٩ ــ ناصر خسرو : المصدر السابق : ص ص : ١٠٨ ــ ١٠٩ ، وانظر أيضا : (عرض وتحقيق سفر نامة للدكتور يحيى الخشاب فى تراث الانسانية : مجلد ١ جـ ٨ ص ص : ٦٤١ ــ ٦٥٣) ، السيوطى : حسن المحاضرة : جـ ٢ ص ٢٢٩ ، زكى حسن : فنون الاسلام : ص ٢١٥ ، محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق : ص ١٣٤ .

٣٠ ــ يحتفظ متحف الفن الاسلامى بالقاهرة بثلاث قطع تالفة من مصنع غزال ، وتضم الخزانة رقم (٦) بالقاعة رقم (١٣) من المتحف المشار اليه مجموعة طيبة من قطع الخزف المصرى ذى الزخارف المحفورة تحت الطلاء ترجع الى القرنين (٦ ــ ٧ هـ / ١٢ ــ ١٣ م) ، ومنها مثلا القطعة المسجلة تحت رقم (٥٤٠٢/١٤) وهى من عمل شرف الأبوانى نسبة الى بلدة أبوان من أعمال مصر الوسطى ، والقطع المسجلة تحت أرقام (٦٠٢٩ ، ٦٠٣٧/١ ، ٦٠٣٩/١ ، ٦١٦٣/٩) وغيرها وتمثل كلها أوان من الخزف ذى الزخارف المنقوشة تحت الطلاء وسم كل منهما من الوجهين لتظهر الزخرفة على أحدهما . وتوقيع الصـــانع على الوجه الآخر . انظر أيضا زكى حسن : فنون الاسلام : ص ص : ٣٢٢ ــ ٣٢٥ . أطلس الفنون الزخرفية : (لنفس المؤلف) ص ص : ٥٨ ــ ٦٦ (الأشكال من ١٧٨ ــ ٢٠٥) ، محمد مصطفى : شرف الأبوانى صانع الفخار المصرى فى القرن الثامن الهجرى : مؤتمر الآثار العربية . دمشق ١٩٤٧ م ، ص ص : ١٥٩ ــ ١٦٤ .

٣١ ـ فى الخزانة رقم (٧) بالقاعة رقم (١٣) بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة بعض أطباق من الفخار المطلى عثر عليها فى الفسطاط تحمل رنوك بعض رجال بلاط الدولة المملوكية مثل القطعة المسجلة تحت رقم (٥١٥٨/٧) التى تحمل رنك البقجة وهى شارة الجوكاندار والقطعة المسجلة تحت رقم (٣٩٤٥) التى تحمل رنك الكأس وهى شارة الساقى وغيرها ، انظر أيضا : زكى حسن : فنون الاسلام : ص ٣٢٦ ، أطلس الفنون الزخرفية : (لنفس المؤلف) ص ٦٢ : شكل ١٩١) ص ٦٥ : شكلى ١٩٩ ـ ٢٠٠) ، توماس أرنولد : المرجع السابق : ص ١٩٩ ، عفيف بهنسى : جمالية الفن العربى : ص ١٩٧ ، نعمت علام : فنون الشرق الأوسط فى العصور الاسلامية : ص ٣٩ ، عمر كحالة المرجع السابق : ص ٢٣٩ ، أبو صالح الألفى : المرجع السابق : ص ٢٦٨ ٠

٣٢ ـ يحتفظ متحف الفن الاسلامى بالقاهرة بمجموعة رائعة من هذه الشبابيك منها مثلا القطعة المسجلة تحت رقم (٨٥٧٦) ، كما يحتفظ متحف كلية الآثار بجامعة القاهرة بمجموعة جميلة أخرى منها مثلا القطع المسجلة تحت أرقام (٧٢٢ ، ٧٢٧ ، ٧٢٩ ، ٧٣٥) ٠ أنظر أيضا : أبو صالح الألفى : المرجع السابق : ص ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥ ، زكى حسن : فنون الاسلام : ص ص : ٣٢٧ ـ ٣٣٢ ، أطلس الفنون الزخرفية (لنفس المؤلف) ص ٦٦ (الاشكال من ٢٠٢ ـ ٢٠٥) وتمثل شبابيك قلل ذات زخارف مختلفة منها الزخارف النباتية ومنها الزخارف الهندسية وتقوم على هذه وتلــك فى معظم الأحيان عبارات دعائية بالخطين الكوفى والنسخى ٠

٣٣ ـ المقريزى : المصدر السابق : جـ ١ ص ٦٣٦ ٠

٣٤ ـ يحتفظ المتحف المشار اليه ببعض من هذه القوارير حتى الآن ومنها مثلا القارورة المسجلة تحت رقم (٢٣١٩٧) وغيرها ٠

٣٥ ـ فى الخزانة رقم (٩) بالقاعة رقم (١٣) من المتحف السابق أمثلة عديدة تحمل توقيعات هؤلاء الخزافين مثل القطعة المسجلة تحت رقم (٦٠٢٩) وهى من عمل غزيل ، والقطعة المسجلة تحت رقم (٦٠٣٧/١) وهى من عمل دهين ، والقطعة المسجلة تحت رقم) ٧٢٣٣/١٠) وهى من عمل غيبى وغيرها ٠ راجع أيضا : زكى حسن : فنون الاسلام : ص ص : ٣٢٢ ـ ٣٢٥ (ولنفس المؤلف) : أطلس الفنون الزخرفية : ص ٦١ (شكل ١٨٨) ، ص ٦٤ (شكل ١٩٨) الفن الاسلامى فى مصر ، ص ١٢٢ ، وانظر أيضا م٠ س٠ ديماند : المرجع السابق : ص ٢٢٠ ، سعيد عاشور : العصر المماليكى فى مصر والشام : ص ٢٨٣ ٠

٣٦ ـ انظر : حسن الهوارى : المرجع السابق : ص ١٦ ٠

٣٧ ـ فى الخزانة رقم (٢) بالقاعة رقم (٢١) بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة أمثلة عديدة من هذه المكاييل وتلك الموازين ؛ أنظر أيضا : زكى حسن : فنون الاسلام : ص ٥٨٥ (شكل ٤٨٠) ويمثل ختما من الزجاج باسم عبيــد الله بن الحبحاب صاحب خراج مصر من سنة (١٠٢ ـ ١١٦ هـ / ٧٢٠ ـ ٧٣٤ م) مؤرخ بسنة (١١٠ هـ / ٧٢٨ م) ٠

٣٨ ـ يحتفظ متحف كلية الآثار بجامعة القاهرة بقنينتين من الزجاج من صناعة مصر (الفسطاط) فى فجر الإسلام ، كل منهمـــا ذات تعريقـــات لونية تجعلها شــبيهة

بزجاج المليفيوري (أو الألف زهرة) الذى كانت تنتجه الاسكندريه فى العصر الروماني ، كما يحتفظ القسم الاسلامى بمتحف برلين بكأس زجاجية وقنينة فوق ظهر جمل من صناعة مصر (الفسطاط) فيما بين القرنين (٢ ــ ٤ هـ / ٨ ــ ١٠ م) ، وكلها قطع تمتاز بما أشرنا اليه من خصائص فنية تدل على بدائية الصنعة وبساطتها . انظر بالنسبة لقنينتي متحف كلية الآثار : زكي حسن : فنون الاسلام : ص ٥٨٤ (شكل ٤٧٩) وبالنسبة لكأس متحف برلين وقنينته : نفس المرجع : ص ٥٨٣ (شكل ٤٧٥) . ص ٥٨٤ (شكل ٤٧٨) وانظر أيضا : زكي حسن : أطلس الفنون الزخرفية : ص ٢٤٩ (شكل ٧٣٢) ويمثل تحفة زجاجية ذات رسوم مختومة لحيوانات خرافية مما كان يصنع بالفسطاط فى فجر الاسلام .

٣٩ ــ أمثلة عديدة من هذه التحف لازالت محفوظة فى ثلاث خزائن بالقاعة رقم (٢١) بمتحف الفن الاسلامى توضح الطرق المختلفة التى استخدمها الزجاجون بالفسطاط وغيرها فى صناعة وزخرفة التحف الزجاجية . انظر أيضا : تاريخ الحضارة المصرية : مجلد ٢ ص ٦٠١ وما بعدها ، توفيق عبد الجواد : تاريخ الفنون والعمارة : جـ ٣ ص ٢٢٤ ، عمر كحالة : المرجع السابق : ص ٢٤٤ ، زكي حسن : كنوز الفاطميين : ص ١٨١ ، فنون الاسلام : ص ص ٥٨٦ ــ ٥٨٧ ، أنور الرفاعي : المرجع السابق : ص ١٦٠ ، محمد جمال الدين سرور : مصر فى عصر الدولة الفاطمية : ص ٢٠٠ ، دولة بنى قلاوون فى مصر (لنفس المؤلف) : ص ٣٠٩ .

٤٠ ــ يحتفظ متحف الفن الاسلامى بالقاهرة ببعض النماذج الكاملة من الزجاج المذهب والمموه . وببعض القطع التالفة منه مما عثر عليه فى الفسطاط ، كما يحتفظ متحف بناكى فى أثينا وغيره من المتاحف الأجنبية بنماذج أخرى من هذا النوع من الزجاج انظر أيضا : زكي حسن : كنوز الفاطميين : ص ١٨٣ ، أطلس الفنون الزخرفية (الشرح الوارد فى ص ٤٩٥ على شكل (٧٤٩) المصور فى ص ٢٥٤ ، الفن الاسلامى فى مصر : ص ٢٧٧ ، م. س. ديماند : المرجع السابق : ص ٢٣٤ ، عفيف بهنسي : المرجع السابق : ص ١٩٧ ، نعمت علام : المرجع السابق : ص ١٤٠ ، عمر كحالة : المرجع السابق ص ٢٤٦ .

٤١ ــ لقد رتبت هذه المجموعة من المشكاوات ترتيبا تاريخيا فى خزائن متتابعة بالقاعة رقم (٢١) من المتحف المشار اليه ، كذلك فقد خرجت بعض المشكاوات والقنينات المموهة الأخرى الى كثير من المتاحف العالمية والمجموعات الخاصة مثل المشكاة المشار اليها فى (شكل ٧٥١) ص ٢٥٤ من أطلس الفنون الزخرفية والمحفوظة فى متحف اللوفر فى باريس ، والاناء المشار اليه فى شكل (٧٥٢) ص ٢٥٤ والمحفوظ فى المتحف البريطانى بلندن ، والقنينة المشار اليها فى (شكل ٧٥٤) ص ٢٥٥ ــ والمحفوظة فى متحف كليفلاند بامريكا ، والكأس المشار اليه فى شكل (٧٥٥) ص ٢٥٥ والمحفوظ فى متحف المتروبوليتان بنيويورك وغيرها .

انظر أيضا : زكي حسن : أطلس الفنون الزخرفية : ص ص : ٢٥٤ ــ ٢٥٨ (الأشكال من ٧٤٩ ــ ٧٦٣ ، فنون الاسلام : ص ص ٦٠٢ ، ٦٠٨ ، الفن الإسلامي فى مصر : ص ٢٧٨ ، نعمت علام : المرجع السابق : ص ص : ١٩٧ ــ ١٩٨ ، محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون فى مصر : ص ص : ٣٠٩ ــ ٣١٠ ، سعيد عاشور : المرجع السابق : ص ص : ٣٨٢ ــ ٣٨٣ .

٤٢ ــ راجع : ناصر خسرو، عرض وتحقيق سفرنامة فى تراث الانسانية : مجلد : ٣ جـ ٨ : ص ٦٥٣ ، محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق : ص ١٣٤ .

٤٣ ــ ابن سعيد المغربى : المغرب فى حلى بلاد أفريقية والمغرب : جـ ١ : ص ١١ .

٤٤ ــ ابن دقماق : المصدر السابق : ص ص : ٤١ ــ ٤٦ .

٤٥ ــ السيوطى : المصدر السابق : جـ ٢ ص ٢٢٩ ، وانظر أيضا : محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق : ص ١٣٤ ، دولة بنى قلاوون فى مصر : ص ٣٠٩ ، سعيد عاشور : المرجع السابق : ص ٢٨٢ ، توفيق عبد الجواد : المرجع السابق : جـ ٣ ص ٢٢٤ .

٤٦ ــ دراسات فى التاريخ الاسلامى والنظم الاسلامية : تاليف س. د. جوتاين، وتعريب عطية القوصى : ص ١٨٥ (عن العقد) ، ص ١٧٠ (عن عدد العمال) ، ص ١٧٩ (عن حالات المشاركة) .

٤٧ ــ ناصر خسرو : المصدر السابق : ص ١٠٧ ، زكى حسن : كنوز الفاطميين : ص ١٨٨ ، فنون الاسلام : ص ص ٥٩٢ ــ ٥٩٨ ، سعيد عاشور : المرجع السابق : ص ٢٨٣ ، نقولا زيادة : مدن عربية : ص ١٠٠ .

٤٨ ــ أنظر أيضا : زكى حسن : أطلس الفنون الزخرفية : ص ٢٥١ (شكل ٧٤١)، فنون الاسلام : ص ص : ٥٩٢ ــ ٥٩٨ (الأشكال من ٤٨٨ ــ ٤٩٠) ، توماس ارنولد : المرجع السابق : ص ٢١٤ ، وكلها أشكال تمثل كئوسا وأباريق من البلور الصخرى مما عرف بعضه تجاوزا بكؤوس القديسة هدويج ، وكانت هذه الكؤوس والاباريق تزخرف بطريقة القطع فى أشكال طيور وحيوانات وعناصر أخرى نباتية من شجر الحياة والمراوح النخيلية وغيرها من الأشكال التى تدل على براعة الفنان وقدرته ومدى تحكمه .

٤٩ ــ راجع ناصر خسرو : المصدر السابق : ص ٦٠ وانظر أيضا : محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون فى مصر : ص ٣٠٧ ، تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق (لنفس المؤلف) ص ١٣٩ .

٥٠ ــ انظر أيضا : حسن الباشا : المرجع السابق : ص ٤٢٥ .

٥١ ــ الحسن بن عمر : آثار الأول فى ترتيب الدول : ص ١٦٥ .

٥٢ ــ ناصر خسرو : المصدر السابق : ص ١٠٨ .

٥٣ ــ ابن سعيد : المصدر السابق : جـ ١ ص ١١ ، وانظر أيضا : راشد البراوى : المرجع السابق : ص ١٧٨ .

٥٤ ــ المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ٨ ، السلوك : مجلد ٣ ق ٢ ص ٥٩٦ ، وانظر أيضا : راشد البراوى : المرجع السابق : ص ص ١٧٧ ــ ١٧٨ .

٥٥ ــ ابن دقماق : المصدر السابق : جـ ١ : ص ص ٤١ ــ ٤٦ ، ١٠٨ وانظر أيضا : خليل ضومط : الدولة المملوكية : ص ١٦٣ .

٥٦ ـ جلال مظهر : حضارة الاسلام وأثرها فى الترقى العالمى : ص ص ٣٨٧ ـ ٣٨٤ ٠

٥٧ ـ راجع : ابن دقماق : المصدر السابق : ص ص ٤١ ـ ٤٦ وفيها يذكر من هذه الأسماء اليهودية « مطبخ ابراهيم بن المشنقض اليهودى » ، « مطبخ ابن المشنقض اليهودى (آخر) » ، « مطبخ سعيد اليهودى » ٠

٥٨ ـ س٠ د٠ جوتاين : المرجع السابق : ص ١٨٤ ٠

٥٩ ـ ناصر خسرو : المصدر السابق : ص ١٠٧ ٠

٦٠ ـ السيوطى : المصدر السابق : ج ٢ ص ٢٢٩ ٠

٦١ ـ ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة : ص ١٣٣ ٠

٦٢ ـ راجع : المقدسى : المصدر السابق : ص ٣٣٣ ، وانظر أيضا : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى تأليف آدم متز وترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة : ج ٢ ص ص ٣٦٤ ـ ٣٦٥ ، أبو زيد شلبى : المرجع السابق : ص ص : ٣٠٨ ـ ٣٠٩ ٠

٦٣ ـ المقريزى : السلوك : مجلد ٣ ج ٢ ص ٤٨٦ ٠

٦٤ ـ السيوطى : المصدر السابق : ج ٢ ص ٢٢٩ ٠

٦٥ ـ ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص ١٣٣ ٠

٦٦ ـ س٠ د٠ جوتاين : المرجع السابق : ص ١٦٦ ٠

٦٧ ـ حسن الهوارى : المرجع السابق : ص ص : ١٢ ـ ١٣ ٠

٦٨ ـ ابن سعيد : المصدر السابق : ج ١ ص ١١ ٠

٦٩ ـ ابن دقماق : المصدر السابق : ص ١٠٨ ٠

٧٠ ـ ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص ١٣٣ ٠

٧١ ـ السيوطى : المصدر السابق : ج ٢ ص ٢٣٠ وانظر أيضا : راشد البراوى : المرجع السابق : ص ص ١٨٣ ـ ١٨٤ ٠

٧٢ ـ عبد الله حسين : الدولة الاسلامية (تاريخها وحضارتها) ص ٣٩ ٠

٧٣ ـ جلال مظهر : المرجع السابق : ص ص ٣٨٢ ـ ٣٨٦ ، أبو زيد شلبى : المرجع السابق ص ٣٠٧ ٠

٧٤ ـ محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق : ص ص : ١٣٤ ـ ١٣٥ ٠

٧٥ ـ مثل : ابن سعيد : المصدر السابق : ج ١ ص ١١ ، ابن دقماق : المصدر السابق : ص ١٠٨ ، السيوطى : المصدر السابق : ج ٢ ص ٢٣٠ وانظر أيضا : عبد الله حسين : المرجع السابق : ص ٣٩ ، راشد البراوى : المرجع السابق : ص ص ١٦٠ ـ ١٦١ ٠

٧٦ ـ الثعالبى : لطائف المعارف : ص ١٢٦ ، محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق : ص ١٣٤ ٠

٧٧ ـ السيوطى : المصدر السابق : ج ٢ ص ٢٣٠ ، وراجع أيضا الكندى : فضائل مصر : ص ٦٩ ، الثعالبى : المصدر السابق : ص ١٢٦ ، وانظر أيضا : نقولا زيادة : المرجع السابق : ص ١٠٤ ٠ محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ص ١٣٤ ، آدم متز : المرجع السابق : ج ٢ ص ص ٣٦٥ ـ ٣٦٦ ٠

٧٨ ـ ناصر خسرو : المصدر السابق : ص ص : ١٠٧ ـ ١٠٨ .

٧٩ ـ س. د. جوتاين : المرجع السابق : ص ص : ١٦٦ ـ ١٦٧ ، ١٧٩ وانظر أيضا : زكى حسن : أطلس الفنون الزخرفية : ص ص : ٣٨٣ ـ ٣٨٥ (الأشكال من ٦٢٩ ـ ٦٣٥) وتمثل كلها جلود كتب مزخرفة من مصر تنسب الى الفترة بين القرنين (٣ ـ ٩ هـ / ٩ ـ ١٥ م) .

٨٠ ـ من أمثلة النعال التى لازالت محفوظة بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة مما عثر عليه فى الفسطاط الحذاء المسجل برقم (٦٠٦٧٩) . وانظر أيضا : حسن الباشا : المرجع السابق : ص ص : ٤٥٠ ـ ٤٥١ .

٨١ ـ هذه المجموعة مثبتة على اللوحة رقم (٢) بالقاعة رقم (١٩) من المتحف المشار اليه .

٨٢ ـ مثل : ابن سعيد : المصدر السابق : ج ١ ص ١١ ، ابن دقماق : المصدر السابق : ص ١٠٨ ، السيوطى : المصدر السابق : ج ٢ ص ٢٣٥ .

٨٣ ـ فى القاعة رقم (١١) بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة نجد العديد من التحف المعدنية المملوكية التى تدل دلالة قاطعة على رقى هذه الصناعة التى أنشئت فى الفسطاط ثم تطورت وازدهرت فى القاهرة بعد أن خربت الفسطاط تماما وتحول الناس عنها بما فى ذلك الصناع وأرباب الحرف .

٨٤ ـ ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص ص : ١٣٣ ـ ١٣٤ .

٨٥ ـ انظر أيضا زكى حسن : كنوز الفاطميين : ص ص : ٢٤١ ـ ٢٤٢ .

٨٦ ـ يحتفظ متحف الفن الاسلامى بالقاهرة ببعض هذه التماثيل المعدنية الفاطمية التى تمثل الأسود والظباء والأرانب وغيرها مما عثر عليه فى أطلال الفسطاط ، ومن أهم هذه المجموعة الأسد المسجل بالمتحف المشار اليه تحت رقم (٤٥٠٥) والأرنب المسجل تحت رقم (١٤٤٨٧) ، أنظر أيضا : زكى حسن : فنون الاسلام : الأسد : ص ٥١٤ (شكل ٤١٩) والظبى : ص ٥١٥ (شكل ٤٢٠) والأرنب : ص ٥١٥ (شكل ٤٢١) ، (شكل ٤٥٥) ص ١٤٩ من الاطلس .

٨٧ ـ هذا التمثال محفوظ ضمن مجموعة متحف الفن الاسلامى بالقاهرة ومسجل تحت رقم (٦٩٨٣) وانظر عنه أيضا : زكى حسن : أطلس الفنون الزخرفية : ص ١٤٨ (شكل ٤٤٩) .

٨٨ ـ يحتفظ متحف الفن الاسلامى بالقاهرة بكثير من هذه التحف التى وردت أشكالها فى كثير من كتب الفنون العربية الاسلامية مثل الباب الخشبى المصفح بالنحاس المخرم الذى يحمل كتابة تاريخية باسم الامير سنقر (أحد مماليك السلطان قلاوون) المتوفى (٦٨٩ هـ / ١٢٩٠ م) والمشار اليه فى كتاب : فنون الاسلام : ص ٥٥٢ (شكل ٤٥١) ، رقبة الشمعدان المشار اليها فى ص ٥٥٤ (شكل ٤٥٣) والمقلمة المشار اليها فى ص ٥٥٧ (شكل ٤٥٤) ، والعلبة الصغيرة المشار اليها فى ص ٥٥٨ (شكل ٤٥٥) والثريا المشار اليها فى ص : ٥٥٩ (شكل ٤٥٦) والخوذة المشار اليها فى ص : ٥٦١ (شكل ٤٥٨) وغيرها . كما تحتفظ المتاحف العالمية بكثير من هذه التحف أيضا مثل صندوق

المصحف المحفوظ فى القسم الاسلامى بمتحف برلين والمشار اليه فى ص : ٥٦٠ (شكل ٤٥٧) من الكتاب المشار اليه ٠

٨٩ ـ س٠ د٠ جوتاين : المرجع السابق : ص ص : ١٦٤ ، ١٧٩ ٠

٩٠ ـ أنظر عن هذا الفرس : زكى حسن : كنوز الفاطميين : ص ٢٤٥ (شكل ١ ؛ عبد الرحمن زكى : المرجع السابق : ص ٩٧ ٠

٩١ ـ انظر أيضا : زكى حسن : المرجع السابق : ص ٢٤٨ ، فنون الاسلام ٣٢٥ ، عبد الرحمن زكى : المرجع السابق : ص ٩٨ ٠

٩٢ ـ توماس أرنولد : المرجع السابق : ص ص : ١٧٨ ـ ١٧٩ ٠

٩٣ ـ س٠ د٠ جوتاين : المرجع السابق : ص ص : ١٧٦ ـ ١٧٩ وراجع أيضا : ابن سعيد : المصدر السابق : جـ ١ ص ١١ ٠

٩٤ ـ ابن سعيد : نفس المصدر : جـ ١ ص ١١ ، كذلك يجد الزائر لمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة على لوحات الجانب الأيسر بالقاعة رقم (١٧) قطعا من المنسوجات التى ترجع الى ما قبل القرن (٩ هـ / ١٥ م) وأغلبها من صناعة مصر مما عثر عليه فى حفائر المتحف بمنطقة الفسطاط ٠ أنظر أيضا : محمد مصطفى : دليل موجز متحف الفن الاسلامى : ص ٨٠ ٠

٩٥ ـ البلاذرى : المصدر السابق : ص ٢٢٢ وانظر أيضا عن بابيلون : ياقوت : معجم البلدان : جـ ١ ص ٣١١ ، الموسوعة العربية الميسرة : ص ٢٩٦ ٠

٩٦ ـ ابن سيدة : العقد الفريد : جـ ١ ص ٤٦ وأنظر أيضا : آدم متز : المرجع السابق : جـ ٢ ص ٣٥٢ ٠

٩٧ ـ ابن فضل الله العمرى : مسالك الابصار : جـ ١ ص ٢٣٤ ٠

٩٨ ـ حسن الهوارى : المرجع السابق : ص ٩ ٠

٩٩ ـ هذه القطعة مسجلة تحت رقم (٣٠٨٤) وأنظر أيضا مصطفى حسين : دراسات فى تطور فنون النسيج والطباعة : ص ٢٤٧ ، زكى حسن : أطلس الفنون الزخرفية ص ص : ١٨٤ ـ ١٨٧ (الأشكال من ٥٥٨ ـ ٥٦٧) وهى منسوجات مصرية من صناعة الفسطاط وترجع الى الفترة فيما بين القرنين (١ ـ ٣ هـ / ٧ ـ ٩ م) بعضها أشرطة من نسيج الصوف على النمط القبطى ، وبعضها أشرطة من نسيج الكتان ، وبعضها أشرطة من نسيج الصوف والكتان ، وأهم هذه القطع جميعا قطعة مسجلة بمتحف الفن الاسلامى تحت رقم (٩٤٣٩) باسم الخليفة العباسى المتوكل على الله وتعد أقدم ما وصلنا من المنسوجات العباسية المطرزة مما كان يصنع فى الفسطاط ٠ أنظر هذه القطعة أيضا فى (شكل ٥٨٣) ص ١٩٣ من الاطلس ٠

١٠٠ ـ عبد الرحمن زكى : المرجع السابق :ص ص ٩٦ ـ ٩٧ ، مصطفى حسين : المرجع السابق ص ص ٤٧ ، ٥١ ٠

١٠١ ـ توماس آرنولد : المرجع السابق : جـ ٢ ص ص ٦١ ـ ٦٢ ، ٢٠٠ ، محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون فى مصر : ص : ٢٩٦ ٠

١٠٢ ـ هو الناقد ابراهيم بن موسى بن ميمون رئيس التجمع اليهودى بمصر حينذاك وقد توفى سنة (٦٠١ هـ / ١٢٠٤ م) ٠

١٠٣ ـ س٠ د٠ جوتاين : المرجع السابق : ص ص : ١٧٩ ـ ١٨٠ ٠

١٠٤ ـ نفس المرجع : ص ص : ١٦٦ ـ ١٦٧ ٠

١٠٥ ـ محمد عبد العزيز مرزوق : تاريخ الحضارة المصرية : ص ص : ٥٩٦ ـ ٥٩٧ ٠

١٠٦ ـ س٠ د٠ جوتاين : المرجع السابق : ص ١٧٠ ٠

١٠٧ ـ زكى حسن : فنون الاسلام : ص ٣٩٧ ، عبد الرحمن زكى : المرجع السابق ص ٩٦ ، عفيفى بهنسى : المرجع السابق : ص ٢٠٦ ٠

١٠٨ ـ ومن هذه القطع التى يحتفظ بها متحف الفن الاسلامى خمس وأربعون قطعة تبدأ تواريخها من سنة (٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م) وتنتهى بسنة (٣٧٠ هـ / ٩٨٠ م) تقول كتابات بعضها أنها عملت فى طراز الخاصة وتقول كتابات بعضها الثانى أنها عملت فى طراز العامة بينما تقول كتابات بعضها الثالث أنها عملت فى طراز مصر (ولم تزد) ويشتمل بعض هذه القطع على أسماء الخلفاء الذين صنعت لهم هذه القطع وكذا أسماء عمال الطراز وصناع الطراز وأرقام سجل هذه القطع على التوالى هو : (١٠٤٥٢ ، ١١٤٨٣ ، ١٠٣٠٣ ، ١٠٣٦٩ ، ١٠٧٠٩ ، ١٠١٤٢ ، ٨٤٣٣ ، ٨٢٦٩ ، ١٠٥٢٢ ، ١٠٦٢١ ، ٣٩٥٠ ، ١٠٧٤٥ ، ١٠٢٦٨ ، ١٠٧٣٣ ، ١٠٢٨٦ ، ١٠٦٨٩ ، ١٠٥٧٦ ، ٩٣٨٨ ، ١٠٧٠٤ ، ١٠١١٧ ، ١٠٠٩١ ، ١٠٦٦٨ ، ١٠٢٨٧ ، ١١١٠٧ ، ١١٦٧٨) ٠ راجع عن هذه القطع أيضا :

Repertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe
Tome 3, p 29 No 848, p 219, No. 906 A. p. 174.
No, 1114, p 67 No, 914, Tome : 4 p. 64, No, 1331, p. 125.
No, 1457, Tome 5p 35 No 6 1666, Tome : 4, p. 189, No.
1570, p. 43 No. 1285., Tome : 3 p 97, No. 957, p. 105, No.
981 p. 115 No, 1000, p. 122, No, 1013, pp. 122-3 No, 1914.,,
p. 129 No, 1047 p. 161 No. 1099, p 168 No. 1101, p. 178.
No, 1014., p. 139 No, 1047, p. 161. No. 1255, p. 28 No. 1260
p. 74, No, 1355 p. 123 No 1453, Tome : 5 p. p. 3-4. No. 1608,
p. 96, No, 1822, p. 133, No, 1886.

يضاف الى ذلك خمس قطع أخرى غير محددة التاريخ تقول كتاباتها أنها صنعت كلها بمصر (الفسطاط) الأولى باسم الأمين والثانية باسم القاهر والثالثة باسم المطيع والخامسة بلا أسماء ، وأرقام هذه القطع على التوالى هى : (٣٠٨٤ ، ١١٤٩٠ ، ٩٧٨٤ ، ١٠٨٣٧ ، ١٠٥٥٣) راجع أيضا عن هذه القطع الخمس :

Ibid : Tome, 1, p. 75, No. 95, Tome : 4 p. 21, No. 1246, Tome :
4 p. 42 No. 1282, Tome : 5-p.p. 21-2, No. 1642, Tome : 5, p. 21, No. 1641.

ومن هذه القطع أيضا قطعتان باسم المعز لدين الله الفاطمى أولاهما تحمل رقم سجل (٨٩٣٤) وثانيتهما تحمل رقم (٩١٦٠) وقد عثر على هاتين القطعتين فى حفائر المتحف التى أجراها فى عين الصيرة بالفسطاط ٠ راجع عنها كذلــك : زكى حسن : كنوز الفاطميين ص ١٢٤ ، الفن الاسلامى فى مصر : ص ٨٦ ، م٠ س٠ ديماند / المرجـــع السابق : ص ٢٥٢ ٠

١٠٩ ـ راجع عن بعض هذه القطع :

Repertoire chronologique d'epigraphie Arabe : Tome : 2, p.p. 138-9, No. 597, 180 No. 656, 249. No. 758, 252 No. 763, 269. No. 793, Tome : 3. p.p.g. No. 814, 16. No.826. 22, No. 838, 39. No. 864, 41 No 868. 48. No, 882, 51-2 No. 888, 91-2 No. 958, 92, No. 959, 106. No. 983.

١١٠ ـ هذه القطعة من نسيج الكتان ومقاسها (١٨ر × ٠٦ر م) وكتابتها بالخط الكوفى البسيط وهى محفوظة بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة تحت رقم (٧٠٨٥) راجع أيضا :

Ibid : Tome : 2, p. 138, No. 597.

١١١ ـ هذه القطعة مسجلة بالمتحف المشار اليه تحت رقم (١٠٣٨٧) وهى من نسيج الكتان وطولها (١٩ر م) وكتابتها بالخط الكوفي البسيط • راجع عنها أيضا :

Reper. Chro. d'epigraph. Arabe. Tome : 3, p. 48 No. 882.

١١٢ ـ راجع عن هذه القطع الست :

Ibid : Tome. 2 p. 200 No. 685. 225. No. 736, 261,. No. 779, 275 No. 476, Tome, 3 p.p. 59. No. 900, 60 No. 901.

والحق أن مجموعة تانو تشتمل من منسوجات الفسطاط بالاضافة الى هذه القطع الست على تسع عشرة قطعة أخرى ، منها قطعة باسم المكتفى بالله تاريخها (٢٩١هـ/٩٠٣م) وقطعتان باسم القاهر بالله غير محددتى التاريخ ، وسبع قطع باسم المقتدر بالله تمتد تواريخها من سنة (٣٠٠هـ / ٩١٢ م الى سنة ٣٢١ هـ / ٩٣٤ م) وقطعة باسم الراضى بالله غير محددة التاريخ ، وخمس قطع باسم المتقى لله تمتد تواريخها من سنة (٣٠٠ هـ/٩١٢م الى سنة ٣٣٠ هـ / ٩٤١ م) • وثلاث قطع باسم المطيع لله تاريخها (٣٠٠ هـ / ٩١٢ م)• راجع عن هذه القطع أيضا :

Ibid : Tome : 3. p. 218 No. 848A Tome 4. p. 24, No. 1253, p. 25. No. 1254,, p.p. 9-10 No. 1224, Tome : 3. p. 165, No. 1095, p.p 107-8. No. 987, p. 130. No. 1028 p. 144. No. 1058, Tome : 4. p. 16 No. 1237. p. 11. No. 1227, p. 45, No. 1290, p.p. 78-9 No. 1365, p. 79. No. 1366, p. 76. No. 1359, p. 77. No. 1361, p. 79, No. 1367. Tome : 5. p. 79. No. 1787, Tome : 4, p. 191. No 1576, p 180. No. 1555.

١١٣ ـ هذه القطعة من نسيج الكتان وطولها (٢١ر) م وكتابتها بالخط الكوفى البسيط • أنظر عنها أيضا : ـ

Ibid : Tome 2 p. 200 No. 685.

١١٤ ـ هذه القطعة من نسيج الكتان وطولها (٢٧ر) م وكتابتها بالخط الكوفى البسيط • أنظر عنها أيضا :

Ibid Tome 3. p. 60 No. 901.

١١٥ ـ راجع عن هذه القطع الثلاث :

Ibid : Tome 3, p. 62 No. 907, 117. No. 1004, p. 108 No. 1839.

السابق : ص ٢٥٢ •

كذلك يحتفظ متحف بناكي في أثينا بالاضافة الى القطع الثلاث المشار اليها من منسوجات الفسطاط بثلاثة عشر قطعة أخرى تمتد تواريخها من سنة (٣٠٠هـ/٩١٢م) الى سنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م) تشتمل من أسماء الخلفاء العباسيين المستكفى بالله ، المقتدر بالله ، الراضى بالله راجع عن هذه القطع أيضا : —

Ibid . Tome : 4. p. 102, No. 1411, Tome : 5. p. 66. No. 1752,
Tome : 2 p.p. 92-3 No. 960. p. 101 No. 975. p. 123 No. 1015,
p. 129. No. 1026, p. 142. No. 1054 p. 145. No. 1060, p. 149.
No. 1068. p. 168, No. 1102, Tome : 4. p. 32 No. 1266., p. 47. No.
1294.

١١٦ — هذه القطعة من نسيج الكتان ومقاساتها (٦٠ر × ٣٢ر م) وتشتمل على سطرين بالخط الكوفى البسيط ، انظر عنها أيضا :

Ibid : Tome. 3. p. 63 No. 907.

١١٧ — هذه القطعة من نسيج الكتان ومقاساتها (٢٦ر × ١٨ر م) وكتابتها بالخط الكوفى البسيط ، انظر عنها أيضا :

Ibid Tome 2, p. 264, No. 784,

وهناك قطعة أخرى من منسوجات الفسطـــاط فى متحف برلين باسم الراضى بالله ووزارة أبى الفضل جعفر تقول كتابتها أنها عملت فى طراز الخاصة بمصر سنة ٣٢٣ هـ / ٩٣٤ م ، راجع عن هذه القطعة أيضا :

Ibid, Tome. 4 p.p. 206-7. No. 1260 A.

١١٨ — هذه القطعة من نسيج الكتان ومقاساتها (٤٣ر × ٢٧ر م) وكتابتها بالخط الكوفى البسيط : انظر عنها أيضا :

Ibid : Tome : 3, p. 58 No. 898.

والحق أن مجموعة أبيمايور تشتمل بالاضافة الى القطعة المشار اليها من منسوجات الفسطاط على قطعتين أخريين احداها باسم المتقى لله وتاريخها (٣٠٠ هـ / ٩١٢ م) وثانيتها باسم المطيع لله وتاريخها (٣٣٧ هـ / ٩٤٨ م) ، راجع عن هاتين القطعتين أيضا :

Ibid. Tome : 4. p. 78 No. 1364, p. 111. No 1430:

١١٩ — راجع عن هذه القطع أيضا :

Ibid. Tome 4, p. 75 No. 1357, No. 1358, p. 82 No. 1373, p. 99.
No. 1406, p. 108, No. 1423, 188, No. 1568.

١٢٠ — قطعة متحف الفن الاسلامى محفوظة تحت رقم (١٠٧٥٨) وطولها (٣٧ر) م وقطعة متحف بناكى طولها (٣٢ر م) وقطعة مجموعة تانو طولها (٣٠ر م) ، راجع عن هذه القطعة أيضا :

Ibid : Tome 3, p. 69 No. 919, p. 141, No. 1052, p. 136, No. 1039.

١٢١ — زكى حسن : فنون الاسلام : ص ص ٤٤٧ — ٤٤٨ ، الفن الاسلامى فى مصر : ص ص ٢٩١ — ٣٨٠ .

١٢٢ ـ أنظر أيضا نماذج أخرى من الاخشاب المزخرفة بطريقة الحفر المائل فى : زكى حسن : أطلس الفنون الزخرفية : ص : ١٠١ (الأشكال من : ٣١٥ ـ ٣٢٠) وتمثل ثلاثة ألواح مزخرفة بالحفر المائل من الطراز العباسى بمصر فى نهاية القرن (٣ هـ / ٩ م ؛ ويحتفظ بها متحف كلية الآثار بجامعة القاهرة .

١٢٣ ـ المقريزى : الخطط : جـ ١ ص ص : ٢٣١ ـ ٢٣٣ وانظر أيضا : زكى حسن : الفن الاسلامى فى مصر : ص ٩١ ، أنور الرفاعى : المرجع السابق : ص ١٦٥ .

١٢٤ ـ ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص : ١٣٣ .

١٢٥ ـ س. د. جوتاين : المرجع السابق : ص ١٦٤ .

١٢٦ ـ فريد شافعى : الاخشاب المزخرفة فى الطراز الأموى (مجلة كلية الآداب ج القاهرة مجلد ١٤) جـ ٢ ص ص ٦٨ ـ ٧٢ وانظر أيضا : زكى حسن : أطلس الفنون الزخرفية ص ٩٤ (شكلى ٢٩٦ ـ ٢٩٧) .

١٢٧ ـ زكى حسن : نفس المرجع : ص ٩٧ (شكلى ٣٠٤ ، ٣٠٥) وهما يمثلان لوحان من الخشب مزخرفان بطريقة الفسيفساء وينسبان الى مصر فى القرن (٣هـ/٩م) .

١٢٨ ـ نفس المرجع : ص ٩٨ (شكل ٣٠٦) ويمثل قطعة من خشب مزخرف بطريقة المعجون وقطع العظام . يحتفظ بها متحف الفن الاسلامى بالقاهرة وتنسب الى مصر فى القرن (٣هـ / ٩م) .

١٢٩ ـ زكى حسن : كنوز الفاطميين : ص ٢١٤ ، نعمت علام : المرجع السابق : ص ٩٠ ، م. س. ديماند : المرجع السابق : ص ١٣٢ .

١٣٠ ـ عبد الرحمن زكى : المرجع السابق : ص ٩٧ ، زكى حسن : فنون الاسلام : ص : ٤٩٣ .

١٣١ ـ رقم سجل (٥٠٢٤) وانظر أيضا : م. س. ديماند : المرجع السابق ص ١٣١ ، زكى حسن : كنوز الفاطميين : ص ٢٢٥ .

١٣٢ ـ راجع فى ذلك المقريزى : الخطط : جـ ٣ ص ١٧ ، وانظر أيضا : سعاد ماهر : البحرية فى مصر الاسلامية : ص ٣١٥ ، أبو زيد شلبى : المرجع السابق : ص ١٦٦ .

١٣٣ ـ المقريزى : السلوك : مجلد ١ قسم ١ ص ٧٤ .

١٣٤ ـ المقريزى : الخطط : جـ ٢ ص ١٨٩ وانظر أيضا : السيد عبد العزيز سالم : تاريخ البحرية الاسلامية : جـ ١ ص ص : ٢١٩ ـ ٢٢٠ .

١٣٥ ـ جورجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى : جـ ١ ص ١٥٩ .

١٣٦ ـ المقريزى : السـلوك : جـ ١ قسم ٢ ص ٣٣٣ وانظر أيضا : السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق : ص ٢٢٠ .

١٣٧ ـ المقريزى : الخطط : جـ ٢ ص ١٩٤ .

١٣٨ ـ المقريزى : نفس المصدر : جـ ٢ ص ١٩٥ ، السلوك : جـ ١ قسم ٣ ص ٢٨ .

١٣٩ ـ المقريزى : الخطط : جـ ٢ ص ١٩٧ ، وانظر أيضا : سعاد ماهر : المرجع السابق : ص ٣١٥ .

١٤٠ ـ عبد الرحمن زكى : المرجع السابق : ص ص : ٣٠ ـ ٣١ .

١٤١ ـ راجع أيضا : المقريزى : الخطط : جـ ٢ ص ٢٦١ .

الفصل الثاني

مدينة القاهرة

مدينة القاهرة كما ذكرها ابن حوقل فى القرن (٤ هـ/١٠م) هى المدينة التى « استحدثها المغاربة بظاهر مصر ، استحدثها جوهر صاحب أهل المغرب عند دخوله الى مصر بجيشه وشمله وحاشيته ، وقد أحدق بها سور منيع رفيع يزيد على ثلاثة أضعاف مابنى بها ، وهى خالية كأنها تركت محالا للسائمة عند حصول خوف وبها ديوان مصر ومسجد جامع حسن نظيف » (١٤٢) ، وقد أشار اليها ناصر خسرو فى القرن (٥ هـ/١١ م) بقوله « أنها أول مايواجه القادم من الشام الى مصر لأنها تقع جنوب النيل مما يلى الشام » (١٤٣) ، ثم جاء كل من القزوينى وياقوت فى القرن (٧ هـ/١٣ م) فوصفها الأول بقوله « وهى المدينة المشهورة بجانب الفسطاط بمصر يجمعها سور واحد وبها دار الملك » (١٤٤) ، وأكد الثانى على ذلك الا أنه أضاف بأنها « أطيب وأجمل مدينة رآها لاجتماع أسباب الخيرات والفضائل بها » (١٤٥) كما وصفها ابن دقماق فى القرن (٩ هـ/١٥ م) بأنها قاعدة الوجه البحرى ودار المملكة » (١٤٦) أما المقريزى فقال « أنها رابع موضع انتقل سرير السلطنة اليه من أرض مصر فى الدولة الاسلامية لأن الامارة كانت أولا بمدينة الفسطاط ثم صارت الى العسكر خارج الفسطاط فلما عمرت القطائع صارت دار الامارة فيها الى أن خربت فسكن الأمراء بالعسكر حتى قدم جوهر الصقلى بعساكر مولاه المعز لدين الله معد فبنى القاهرة حصنا ومعقلا ، وصارت المدينة دار خلافة ينزلها الخليفة بحرمه وخواصه الى أن انقرضت الدولة الفاطمية فسكنها من بعدهم بنو أيوب حتى عهد الملك الكامل محمد الذى انتقل من القاهرة الى قلعة الجبل فصارت القاهرة من ثم مدينة سكنى بعد ما كانت حصنا يعتقل به فهانت بعد العز وابتذلت بعد الاحترام » (١٤٧) .

وقد اختط جوهر الصقلى أساس القاهرة يوم السبت لست بقين من جمادى الآخرة سنة (٣٥٩ هـ/٩٦٩ م) بعد استيلائه على مقاليد

الأمور فى مصر بعام ، وجعل موضعها فيما حازه السور الحجرى الذى طوله من بابى زويلة جنوبا الى باب الفتوح وباب النصر شمالا وعرضه من باب سعادة وباب الخوخة غربا الى باب البرقية والباب المحروق شرقا، ومعنى ذلك أن الموضع الذى بنيت فيه القاهرة كان يحده جبل المقطم شرقا والخليج الناصرى غربا ، بينما يحده الخط الممتد من ميدان باب الخلق الى جبل المقطم مارا بباب زويلة جنوبا والخط الممتد من ميدان باب الشعرية الى باب الفتوح فباب النصر فجبل المقطم شمالا (١٤٨) ، وأدار عليها جوهر القائد سورا من اللبن بنى من داخله جامعا سمى بالجامع الأزهر وقصرا سمى بالقصر الشرقى الكبير واختطت القبائل من حولهما خططها فاختطت زويلة الحارة المعروفة بها ، واختطت جماعة من أهل برقة الحارة البرقية ، واختطت الروم حارتين هما حارة الروم البرانية وحارة الروم الجوانية قرب باب النصر الى غير ذلك من الاخطاط.

ولم يكن القصد من بناء المدينة أن تكون عاصمة للدولة وبيتا لكل سكان مصر ، بل قصد أن تكون سكنا خاصا للخليفة وحرمه وجنده وخواصه بعيدا عن مصر الفسطاط وامتداداتها من العسكر والقطائع مما كان مكتظا بمختلف طبقات الشعب من العمال والصناع والحرفيين ونحوهم ، فكانت لذلك مدينة ملكية عسكرية تشتمل على قصور الخلفاء ومساكن الأمراء ودواوين الحكومة وخزائن السلاح ونحو ذلك (١٤٩) . ولهذا بقيت المدينة فترة من الزمن لايسمح لقاطنى مصر بدخولها الا باذن حتى كان عهد المستنصر بالله فسمح وزيره أمير الجيوش بدر الجمالى للناس جميعا من العسكرية والملحية والأرمن وكل من وصلت قدرته الى عمارة أن يعمر فيها ما شاء من الأبنية والمساكن مما خلا مصر (١٥٠) . والغريب فى ذلك ماذكره صاحب كتاب « الحياة الاجتماعية فى العصر الفاطمى » فى معرض حديثه عن تأسيس القاهرة والجامع الأزهر حين قال أن من الظواهر المعروفة فى مصر منذ القدم بمناسبة اعتلاء أسرة جديدة لعرش الفراعنة ـ بناء المعابد لنشر الدعوة للحكام الجدد ، فحيثما تقم العاصمة الجديدة يقم فى وسطها مقر الحاكم ثم المعبد وتقام من حولها خطط المدينة الحديثة (١٥١) ، وقد حاول بذلك هذا الباحث أن يربط بين تأسيس القاهرة وجامعها الأزهر وقصور خلفائها وأخطاط قبائلها بهذه العادة الفرعونية التى لانستطيع تأكيدها أو نفيها ، ولا ندرى كيف نسى صاحب هذا الرأى مادرج عليه العرب فى فتوحاتهم جمعيا تأسيا بما فعله رسول الله (ص) عندما هاجر الى المدينة ـ من انشاء المسجد الجامع وسط المكان الذى اختاروه لمقامهم

فى البلد التى فتحوها ثم توزيع الاخطاط بين القبائل المصاحبة للفتح حول هذا المسجد ليكون بيت الله هو محور حركتهم الادارية والعسكرية والقضائية والعلمية والدينية ونحوها فى مدينتهم الجديدة ، وكذا كان الحال فى كل عاصمة عربية اسلامية أسسوها قبل القاهرة مثل الفسطاط والعسكر والقطائع فى مصر ، والقيروان والمهدية فى تونس ، وبغداد والكوفة والبصرة فى العراق وغيرها ، ومن غير المعقول أن يترك العرب سنة رسولهم صلوات الله وسلامه عليه ويتبعوا منهجا فرعونيا لا صلة ولا اعتقاد لهم به .

وعلى أية حال فقد كان قيام القاهرة هو آخر مرحلة فى خطط مصر الاسلامية ، اذ لم تنشأ بها بعد ذلك عواصم أخرى ، بل انه لم يمض على انشائها جيل واحد حتى اتسعت جنباتها ونمت أطرافها فاتصلت بمصر الفسطاط وامتزجت المدينتان وتداخلتا وصارتا تكونان معا مدينة من أكبر وأعظم مدن الاسلام (١٥٢) .

وقد اشتملت القاهرة كما ذكر المقريزى على البساتين والمناظر والقصور والدور والرباع والقياسر والأسواق والفنادق والخانات والحمامات والشوارع والأزقة والدروب والخطط والحارات والاحكار والمساجد والجوامع والزوايا والربط والمشاهد والمدارس والترب والحوانيت والمطابخ والشون والبرك والخلجان والجزائر والرياض والمتنزهات مما كان متصلا بعضه ببعض من مسجد تبر الى بساتين الوزير قبلى بركة الحبش ومن شاطىء النيل بالجيزة الى الجبل المقطم (١٥٣) .

وكان من نتيجة ذلك كله أن نمت المدينة من الناحية العمرانية نموا هائلا (١٥٤) سرعان ما صاحبه نمو أنشطة حرفية صناعية كثيرة أنشئت لها أسواق مختلفة كانت مسمياتها مبعث حيرة كبيرة للباحثين زادها تعقيدا أن المصادر العربية لم تحدد ما اذا كان اسم السوق مشتقا من صناعة السلعة المشار اليها فيه أم من عملية بيعها أو المتاجرة فيها ، أم مشتقا من كليهما معا (١٥٥) ، يدل على ذلك مثلا أن سوق الامشاطيين كان يمكن أن يعنى بهذا المفهوم ورش صناعة الامشاط أو محلات بيعها أو يعنى الاثنين معا وهكذا .

ومع ذلك فالذى لا شك فيه أن القاهرة كانت قد أصبحت بعد قرن واحد من عمر الزمن على الأكثر مركزا عمرانيا هاما سرعان ما أسست فيه حياة مجتمع كامل بكل طبقاته ومتطلباته ، فانتشرت فى أرجائه أنشطة حرفية وصناعية مختلفة نوجزها فيما يلى :

١ ـ صناعة المعادن والحلى :

الواقع أن صناعة المعادن بمختلف أفرع حرفها كانت من أكثر الصناعات رواجا وازدهارا فى مدينة القاهرة ، يدل على ذلك أولا تلك المخلفات الأثرية العديدة التى لازالت محفوظة فى كثير من المتاحف المحلية والعالمية ، ويدل عليه ثانيا ماورد فى هذا الصدد من كتابات تاريخية كثيرة فيما لدينا من مصادر ومراجع ٠

فمن الناحية الأثرية مثلا هناك شمعدان من النحاس المكفت بالفضة لايزال محفوظا بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة (انظر شكل : ٦٢ ، ٦٣) تزينه جامات بها صور أشخاص فى مناظر صيد وشراب وأمير جالس على عرش وغير ذلك ، ويحيط بأسفل رقبته كتابة تنص على أنه « من نقش على بن حسين بن محمد الموصلى بالقاهرة المحروسة سنة احدى وثمانين وستمائة » (١٢٨٢ م) (١٥٦) ومن هذا النص الصريح نستطيع القول فى ثقة واطمئنان أن القاهرة كانت بعد سقوط بغداد على يد المغول سنة (٦٥٤ هـ/١٢٥٦ م) هى موئل صناع المعادن المواصلة الذين هربوا من وجه هذا الطوفان ، فجاء اليها كثير من هؤلاء الصناع ناقلين معهم أسلوب مدرستهم بالموصل التى كانت شهرتها فى مجال صناعة المعادن عموما قد طبقت العالمين العربى والاسلامى ٠

ولعل فيما لم نشر اليه من محتويات متحف الفن الاسلامى بالقاهرة من تحف معدنية كثيرة تتمثل فى بعض التماثيل الحيوانية كالأسد والظبى والأرنب ونحوها ، وفى الشماعد والتنانير والثريات (أنظر شكل : ٦٤) والمرايا وكراسى العشاء والصناديق (انظر شكل ٦٥) والأوانى والأباريق والأسلحة والدروع والطاسات (أنظر شكل ٦٦) والزرد والأبواب المصفحة برقائق النحاس المفرغ والمنقوش وغيرها من قطع الحلى كالأساور والخواتم والأقراط مما صنع بعضه فى الفسطاط وبعضه فى القاهرة منقوشا أو مطليا بالمينا أو مكفتا ، لعل فى ذلك كله خير شاهد على مدى ما وصلت اليه هذه الصناعة فى القاهرة خلال العصور الفاطمية والأيوبية والمملوكية (١٥٧) ٠

يؤيد ذلك أيضا مما صنع فى القاهرة خلال القرنين (٧ ـ ٨ هـ /١٣ ـ ١٤ م) مجموعة من التحف المعدنية المكفتة بالذهب والفضة ، منها قمقم من النحاس المكفت (انظر شكل ٦٧) عليه زخارف نباتية وكتابة نسخية باسم السلطان الناصر حسن بن قلاوون الذى تولى

السلطة فى سنة (٧٤٨ هـ /١٣٤٧ م) (١٥٨) ، ومنها زهرية نحاسية مكفتة بالذهب والفضة (انظر شكل : ٦٨) عليها أشرطة من زخارف نباتية متناهية الدقة وكتابة نسخية باسم الأمير طشتمر الساقى (ت ٧٤٦ هـ /١٣٤٥ م) تتخلل كتابتها ثلاثة رنوك بكل منها رسم نسر ناشرا جناحيه وواقفا على كأس (١٥٩) ٠

هذا عن الأدلة المادية التى تؤكد ممارسة صناع القاهرة لمختلف الصناعات المعدنية ، أما عن الناحية التاريخية فيذكر لنا المقريزى فى حديثه المسهب عن أسواق القاهرة خلال القرن (٩ هـ/١٥ م) مامعناه أن سوق الكفتيين كان الموضع الذى يشتمل على كثير من التحف المعدنية المكفتة (بالذهب والفضة) وغير المكفتة (١٦٠) ، وأن بعض الورش فى سوق السروجيين كانت قد تخصصت فى بيع المهاميز واللجم والسروج المكفتة أيضا (١٦١) ٠

ويبقى مع ذلك ونحن نتحدث عن صناعة المعادن فى القاهرة أن نشير الى سوق السلاح الذى كان يمتلىء بمختلف أنواع الأسلحة والدروع والحراب والزرد والخوذات والسيوف وبلط القتال ونحوها مما كان ينقش ويكفت ، وقد أشار المقريزى الى أن موقعه كان فيما بين المدرسة الظاهرية بيبرس وباب قصر بشتاك ، وقد استحدث فيما بعد الدولة الفاطمية فى خط بين القصرين (١٦٢) ٠ وسوق السيوفيين الذى خصص لمختلف أنواع السيوف ، وسوق الخراطين ويسلك فيه من سوق المهامزيين الى الجامع الأزهر وغيره ، وكان يعرف قديما بقصبة الصباغين ثم عرف بسوق القشاشين ، وكان فيما بين دار العزب والوكالة الآمرية وبين المارستان ، ثم عرف على عهد المقريزى بسوق الخراطين ، وكان معدا لبيع المهاد التى يجرى فيها الأطفال ، وحوانيت الخراطين وصناع السكاكين والدوى ونحوها ، وكان يشتمل على خمسين حانوتا (أو ورشة) (١٦٤) ، وسوق المهامزيين الذى اختص بعرض بدلات اللجم الفضية والمهاميز المصنوعة من الذهب الخالص أو الفضة الخالصة، وقد استجد هذا السوق بعد الدولة الفاطمية وأدركه المقريزى وهم يتخذون منه المهاميز (عاليها وسقطها) من الذهب الخالص والفضة الخالصة ، وقال أن بدلات اللجم التى كانت تباع فيه كانت تعمل من الفضة المموهة بالمينا تارة ومن الفضة المجراة بالذهب تارة أخرى فيبلغ زنة مافى البدلة من خمسمائة درهم فضة الى مادونها ، كذلك كان يباع بهذا السوق السلاسل والمخاطم الفضية والمطلية التى كانت تجعل تحت لجم الحجور من الخيل خاصة فيركب بها أعيان المقطعين وأكابر الكتاب

من القبط ورؤساء التجار ، كما كانت تباع فيه أيضا الدوى والطرف التى بها الفضة والذهب كسكاكين الأقلام ونحوها (١٦٥) ، وسوق اللحامين الذى ضم عدة حوانيت أو ورش للجام المعادن (١٦٦) .

ويزيدنا من الناحية التاريخية تأكيدا على ماذكره المقريزى عن صناعة المعادن وأسواقها فى القاهرة ماجاء فى كتاب وصف مصر بهذا الخصوص ، فقد ورد فى هذا الكتاب أن بالقاهرة يتركز كل ضرب من ضروب الصناعات فى حى خاص فنجد شوارع بأكملها لا يعيش فيها سوى نحاسين ، وشوارع أخرى لايعيش فيها سوى حدادين وهكذا ، وكان هؤلاء وأولئك يصنعون من النحاس والحديد مختلف الآلات والأدوات(١٦٧) ، ولعل فى الورش المتبقية فى خان الخليلى بحى الجمالية قريبا من الجامع الأزهر مما لايزال صناع المعادن يمارسون فيها مختلف التخصصات الحرفية المعدنية من حفر ونقش وتكفيت خير الأدلة الشاهدة على صدق هذه الحقيقة .

٢ ـ سك العملة :

كان من الضرورى أن تكون بالقاهرة ـ كعاصمة للدولة ـ دار للضرب تسك فيها واحدة من أهم شعارات الخلافة وهى السكة ، وقد أشار الى ذلك غير واحد من مؤرخى العصور الوسطى (١٦٨) ، ويفهم مما أشار اليه هؤلاء أن هذه الدار كانت قد أنشئت فى العصر الفاطمى ثم استمرت بعد ذلك فى أداء رسالتها خلال العصرين الأيوبى والمملوكى حتى كانت فى القرن (٧ هـ / ١٣ م) كما قال ابن مماتى (٦٠٦هـ/ ١٢٠٦ م) « واحدة من دارين احداهما بالقاهرة المحروسة والأخرى بالاسكندرية حماها الله » (١٦٩) الى أن أصبحت فى القرن (٨ ـ ٩ هـ/ ١٤ ـ ١٥ م) كما أشار المقريزى (٧٦٦ هـ ـ ٨٤٥ هـ /١٣٦٤ ـ ١٤٤٢م) واحدة من أهم دور الضرب فى العالم الاسلامى ، كما كان مسئولها واحدا من أهم موظفى الدولة ، وفى ذلك يقول « ومازالت هذه الدار باقية فى جميع الدولة الفاطمية ، فلما استولى صلاح الدين على السلطة أقر هذه الدار وجعلها وقفا على سور القاهرة مع ما كان جاريا فى أوقاف السور من الرباع والنواحى الجارية فى ديوان الأسوار » (١٧٠) .

وأهم من هذا كله أن لدينا من الأدلة المادية ما يؤكد وجود هذه الدار بالقاهرة خلال الفترة المشار اليها ، فهناك مثلا دينار مؤرخ بسنة (٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م) باسم السلطانة الملكة شجرة الدر على هامشه كتابة تقول بعد البسملة « ضرب هذا الدينار بالقاهرة سنة

ثمان وأربعين وستمائة » (١٧١) ، ودينار مؤرخ بسنة (٧٩١ هـ/١٣٨٨م) باسم السلطان الملك المنصور صلاح الدين حاجى الثانى خلال فترة حكمه الثانية ، على مركز ظهره كتابة تقول « ضرب بالقاهرة سنة احدى وتسعين وسبعمائة » (١٧٢) ، ودرهم مؤرخ سنة (٧٨٩ هـ/١٣٨٧ م) باسم السلطان الملك الظاهر سيف الدين برقوق على هامشه كتابة تقول «ضرب بالقاهرة سنة تسع وثمانين وسبعمائة » (١٧٣) وفلس مؤرخ بسنة (٧٨٥ هـ/١٣٨٣ م) باسم السلطان الملك سيف الدين برقوق أيضا خلال فترة حكمه الأولى ، على ظهره كتابة تقول « ضرب بالقاهرة سنة خمس وثمانين وسبعمائة » (١٧٤) .

وبذلك يتضح أن دار ضرب القاهرة ظلت تقوم بدورها طوال العصور الفاطمية والأيوبية والمملوكية ـ كما أشرنا ـ وكانت تضرب فيها كل العملات المعروفة حينذاك من الدنانير والدراهم والفلوس ومضاعفاتها ،ولعل استمرار هذه الدار فى عملها بمنطقة الجمالية بالقاهرة حتى اليوم خير شاهد على صحة هذه الأدلة جميعا .

٣ ـ صناعة النسيج والسجاد والصباغة :

على الرغم من أنه ليست لدينا أدلة مادية صريحة عن صناعة النسيج بمدينة القاهرة فى عصورها الاسلامية بعكس ماكان عليه الحال بالنسبة للفسطاط مثلا ، فانه استنباطا مما جاء فى المصادر التاريخية والمراجع العربية يمكن القول بأن المدينة كانت قد اشتملت على الأقل منذ القرن (٧ هـ / ١٣ م) على عدد غير قليل من المناسج ، وقد سبقت عند الحديث عن صناعة النسيج فى الفسطاط الاشارة الى ما ذكره ابن سعيد فى القرن (٧ هـ / ١٣ م) وصادق عليه المقريزى فى القرن (٩ هـ/١٥ م) من أن « جميع زى الجند هو بالقاهرة أعظم منه بالفسطاط » (١٧٥)

والواقع أن ما يحتفظ به متحف الفن الاسلامى من قطع المنسوجات الفاطمية والمملوكية العديدة التى يرجع بعضها الى أواخر العصر الفاطمى (١٧٦) وتزينه أشرطة زخرفية كثيرة تكاد تغطى السطح كله تخللها أسطر لكتابات دعائية بالخط النسخ الذى كان استعماله قد بدأ فى الشيوع على التحف الاسلامية المختلفة خلال تلك الفترة ، ويرجع بعضها الآخر الى العصر المملوكى (١٧٧) وتزخرفه كتابات نسخية وصور طيور وغزلان وعناصر نباتية وهندسية مختلفة ، كل ذلك يوحى بأنه كان لمدينة القاهرة من انتاج هذه المنسوجات الى جانب الفسطاط نصيب ليس بالقليل (أنظر شكل : ٦٩ ، ٧٠) .

ولعل فيما ذكره المقريزى فى القرن (٩ هـ/١٥ م) فى هذا الصدد خير شاهد على أن القاهرة كانت خلال العصر الفاطمى مركزا هاما لصناعة المنسوجات عامة والحريرية خاصة ، فقد أنشأ بهـــا المعز لدين الله دار الكسوة وكانت تصنع فيها ثياب موظفى الدولة وكســوة الكعبــة وخلع التشريف التى كانت تمنح للوزراء والأمراء والاشراف وكبــار رجال الدولة ، وكذلك فقد أنشأ الفاطميون عدة مصانع لانتاج الأنواع الفاخرة من الثياب ، وكانت دار الديباج منذ عهد الأفضل شاهنشاه تنتج نوعا من الحرير عرف بالحرير الديباج (١٧٨) ، وقد حددها المقريزى عند اصطبل الطارمة من غربيه حيث المدرسة الصاحبية بسويقة الصاحب وما جاورها من جانبها ، وقال أن أول من أنشأها هو الوزير يعقوب بن كلس وزير العزيز بالله الفاطمى ، ثم سكنها اليازورى وغيره من الأمراء الى أن قدم بدر الجمالى من عكا واستوزره المستنصر ، فأنشأ داره تجاه حارة برجوان وسكنها ، فصارت هذه الدار بعد ذلك تعرف بدار الديباج لأنه كان يعمل فيها الحرير الديباج وتولاها الأوائل والأعيان ، فلما انقرضت الدولــة الفاطمية بنى الناس فى مكانها المدرسة السيفية (١٧٩) . ليس هذا فقط بل لقد أورد المقريزى أن خزانة البنود التى بناها الظاهر لاعزاز دين الله كان بها ثلاثة آلاف صانع لصنع أفخر أنواع الأقمشة (١٨٠) .

وما تطور اليه الأمر بالنسبة لهذه الصناعة فى القاهرة خلال القرنين (٨ ــ ٩ هـ/١٤ ــ ١٥ م) ، طبقا لما ورد فى بعض المصادر العربية الموثوق بها يكاد يؤكد هذه الحقيقة ، ومن ذلك مثـــلا ما ذكره المقريزى من أن القاهرة كانت قد اشتهرت بانتشار مصانع وحوانيت النسيج فى سويقة أمير الجيوش وســوق الجملون الصغير حيث كانت تصنع المنسوجات المتنوعة من الكتــان والخام الملون وأنواع الطرح والأصنــاف القطنيــة المتعددة (١٨١) ، كذلك يذكر المقريزى فى معرض حديثـــه عن أسواق القاهرة سوق الحريريين ، وكان موقعه من باب قيسارية العنبر الى خط البندقانيين وقد عرف قديما بسويقة العداس ، ثم عمل صاغة للقاهرة ، ثم ســكنه الاساكفة ، ثم عرف على عهد المقريزى بســوق الحريريين الشرابيين ، وقد حــوى الكثير من المنســوجات الحــريرية ذات الجــودة العالية (١٨٢) ، وقد تأكد استمراره خلال القرن (١٠ هـ/١٦ م) طبقا لما ذكره ابن دقماق (٩٠٨ هـ/١٤٠٦ م (١٨٣) .

كذلك فقد أشار المقريزى ضمن ما أشار اليه من أسواق القاهرة الى سوق الشرابشيين الذى اشتمل على الكثير من الخلع السلطانيــة التى

كانت تعمل فى غالب الأحيان من فاخر الثياب ، وقال أن هذا السوق مما أحدث بعد الدولة الفاطمية وكانت تباع فيه الخلع التى يهبها السلطان للأمراء والوزراء والقضاة وغيرهم ، وأشار الى أن سبب تسميته بسوق الشرابشيين « ترجع الى أن السلطان كان اذا أمر أحدا من الأتراك البسه الشربوش ، وهو شيء يشبه التاج على شكل مثلث يجعل على الرأس بغير عمامة ، ويلبس معه على قدر رتبته ثوب بخ أو طرد وحش أو غيره ، وقد بطل هذا الشربوش فى الدولة الجركسية (١٨٤) ، سوق الصوافين الذى كانت تعرض فيه المنسوجات الصوفية المختلفة (١٨٥) ، يضاف الى هذه الأسواق جميعا سوق الخيميين الذى كانت تصنع فيه طبقا لما جاء فى بعض المراجع العربية الخيم والفساطيط بجميع آلاتها من الأعمدة الملبسة بأنابيب الفضة والحبال المكسية بالقطن والحرير والقماش المذهب ونحو ذلك (١٨٦) .

ومما ورد عن هذه الأسواق جميعا يمكن القول أن المنسوجات الحريرية والكتانية والقطنية والصوفية كانت تصنع غالبيتها فى دور الطراز الخاصة والعامة التى انتشرت فى كثير من مدن مصر بالوجهين البحرى والقبلى (مما سنتكلم عنه بالتفصيل كل فى موضعه) ثم يؤتى بها للبيع فى أسواق القاهرة التى كانت قد اشتملت أيضا على عدد محدود من هذه الدور ، يؤكد ذلك أيضا ماورد فى كتاب « وصف مصر » فى معرض الحديث عن الصناعات والحرف فى المدن بشكل عام ، فقد جاء فيه أن مصانع الأقمشة الكتانية والقطنية والصوفية والحريرية كانت تنتشر فى كل أنحاء مصر « وقد امتلكت المدن الرئيسية عامة والقاهرة خاصة عددا من هذه المصانع كانت تعمل فيها أشغال الزركشة والخيوط الحريرية الممزوجة بخيوط الذهب والفضة كما كانت تصنع فيها الشرابات والاهداب ونحوها » (١٨٧) .

والذى لاشك فيه أن القاهرة كانت قد شهدت تطورا هاما فى صناعة النسيج والسجاد خلال عصر المماليك ، يؤيد ذلك أن الحكومة المملوكية كانت قد ساهمت فى سبيل النهوض بهاتين الصناعتين مساهمة تتجلى فى عنايتها بدور الطراز الخاصة التى كانت تديرها (١٨٨) ، ويؤيده أيضا ما جاء فى الخطط المقريزية عن سوق الخياطين الذى كانت تعمل فيه مختلف الأزياء المملوكية من السراويل والسلاريات والفرجيات ونحوها مما كان يصنع من الأقمشة الكتانية والقطنية والحريرية والصوفية (١٨٩)، يضاف الى ذلك كله أن الرحالة الأوروبيين الذين زاروا مصر فى نهاية عصر المماليك وبداية العصر التركى أشاروا الى وجود كثير من مصانع النسيج

والسجاد في القاهرة ، والى أن بعض الصناع المهرة ولاسيما فى صناعة السجاد كانوا قد نقلوا من مصر الى استانبول فى العصر التركى (١٩٠) ، ولعل ذلك كان فى عملية النقل الكبرى التى جرت على يد السلطان سليم بعدما تم له فتح مصر والقضاء على طومانباى آخر سلاطين المماليك فيها والتى قيل أنها قضت على أكثر من خمسين حرفة وصناعة فى مصر والقاهرة ٠

أما الصباغة وما صاحبها من عمليات خاصة لتلوين الخيوط النسيجية بالألوان المطلوبة فى عملية النسيج ذاتها ، أو لصبغ الثياب المصنعة بألوان تغاير لونها الأصلى فقد كان للقاهرة من مصانعها نصيب ، يدل على ذلك صراحة ما ذكره المقريزى فى معرض كلامه عن حوادث جمادى الآخر سنه (٨٢٧ هـ / ١٤٢٣ م) مشيرا الى أنه ابتدىء فيه بهدم ربع الحلزون تجاه قبو الخرنفش وعوض صاحبه بدلا منه مصمطا تجاه مصبغة الأزرق(١٩١) ٠

ومما لايستبعد ترجيحه فى هذا الصدد أن بعضا من اليهود كانوا يعملون فى مجال هذه الصناعة طبقا لما أشارت اليه وثائق الجنيزة فى العديد من الاشارات الخطية التى حفظتها ، والتى يستفاد منها أن عدد اليهود العاملين فى مجال الصباغة كان يقدر بحوالى ثلاثة وعشرين يهوديا ، وأن الأقمشة المصبوغة كانت تأتى على رأس قوائم السلع التى يتاجرون فيها فى أقطار المحيط الهندى والبحر المتوسط (١٩٢) ٠

٤ ـ صناعة الجلود والدباغة :

كانت الصناعات الجلدية المختلفة ولا سيما صناعات السروج واللجم والخرائط (الجلدية) والقرب والخفاف والأحذية والأحزمة وجلود الكتب ونحوها ، من بين الصناعات التى راجت كثيرا وازدهرت بالقاهرة فى عصورها الاسلامية ولاسيما المتأخرة منها ، يؤيد ذلك ما ذكره المقريزى فى القرن (٩ هـ/١٥ م) عن سوق اللجميين الذى يفهم مما أشار اليه بصدده أنه اشتمل على كثير من اللجم والسروج وغيرها مما كان يصنع من الجلد بدرجة عالية الجودة وكان يحلى فى كثير من الأحيان بالذهب الخالص والفضة الخالصة ، وقد حدد المقريزى أنه يتصل بسوق المهامزيين وتباع فيه آلات اللجم ونحوها مما يتخذ من الجلد ، وأشار الى أن فيه عدة وافرة من الطلائين وصناع الكفت برسم اللجم والركب والمهامين ونحوها وعدة من صناع مياتر السروج وقرابيسها ، وأدرك السروج تعمل فيه ملونة ما بين أصفر وأزرق ، ومنها

ما يعمل سيورا من الجلد البلغارى والأسود وأشار الى أن أحدا لايكاد يركب فرسا بسرج ساذج الا أن يكون من القضاة ومشايخ العلم وأهل الورع ، فلما تسلطن الظاهر برقوق اتخذ سائر الأجناد السروج المغرقة وهى التى جمع قرابيسها من ذهب أو فضة اما مطلية واما ساذجة (١٩٣). وسوق الاخفافيين الذى أنشأه بجوار سوق البندقانيين بعد سنة (٧٨٠ هـ/١٣٧٨ م) الأمير يوسف النوروزى دوادار السلطان الظاهر برقوق ، وخصص للخفاف والأحذية الجلدية التى كانت صناعتها قد وصلت بالمدينة الى درجة ممتازة (١٩٤) حتى أنها كانت تصدر كما ورد فى بعض المراجع العربية الى البلدان الخارجية ولاسيما الشام (١٩٥) .

ويؤيد قيام هذه الصناعة فى القاهرة أيضا ما جاء فى كتاب « وصف مصر » من « أن فن السروجية كان قد وصل بالمدينة الى مدى بعيد فى التطور حتى أن الناس كانوا يصنعون كل ماله صلة بالخيول ، وكذلك النقش على الجلود بدرجة ملفتة للنظر » (١٩٦) .

ولعل فيما يحتفظ به متحف الفن الاسلامى بالقاهرة من مخطوطات وجلود وكتب ورسوم وصور توضيحية ما يؤكد صدق هذه الحقيقة (١٩٧) ، ومع ذلك فقد كانت جلود الكتب هى أهم مشغولات القاهرة الجلدية وخاصة من الناحية الفنية ، لأن فن التجليد كان قد ازدهر على يد المسلمين ازدهارا كبيرا حتى كاد أن يقتصر عليهم ، ولم يقف هذا الفن عند حدود بلدان هذه الأمم (الاسلامية) بل تعداها الى البلدان الأوربية وكان تأثيره هناك جليا وواضحا فيما لا يزال محفوظا لديهم من نماذج هذا الفن حتى اليوم ، وقد انتشرت صناعة التجليد فى مصر منذ بداية القرن (٤ هـ/١٠ م) ، وقد ورد فى ذلك أن أناسا من الحجاز كانوا قد قدموا الى مصر وأنشأوا بالحسينية مدابغ للجلود على نمط جلود الطائف ، وبدار الكتب المصرية نماذج لجلود كتب يرجع بعضها الى أواخر العصر الأيوبى وبعضها الى العصر المملوكى الذى شهدت القاهرة خلاله ازدهارا لم يسبق له مثيل فى هذا المجال (١٩٨).

٥ ـ صناعات الخشب والعظم والعاج :

الواقع أن مالدينا من أدلة مادية ممثلة فى كثير من التحف الخشبية والعظمية والعاجية مما لايزال محفوظا فى المتاحف المختلفة المحلية والأجنبية ، وما لدينا من أدلة تاريخية ممثلة فى المعلومات التى سجلتها لنا المصادر والمراجع العربية والأجنبية ، يثبت بما لايدع مجالا

للشك أن هذه الصناعات كانت من جملة صناعات القاهرة فى عصورها الفاطمية والأيوبية والمملوكية .

ومن المعروف أن التحف الخشبية التى صنعت بالقاهرة خلال العصر الفاطمى المبكر كانت قد سارت على نهج الأساليب الفنية التى سادت فى العصرين الطولونى والاخشيدى ، ونعنى بذلك أنها تمثلت فى المقام الأول أسلوب الحفر المائل أو المشطوف مع نوع من الميل الى الدقة والعمق، ومن أحسن الأمثلة الدالة على ذلك مثلا تلك العروق الخشبية الموجودة تحت قبة المجاز القاطع بجامع الحاكم والتى تزينها فروع نباتية متصلة وأوراق شجر ذات حفر دقيق وعميق ، ومنها أيضا الباب المحفوظ بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة والذى أمر الحاكم بأمر الله بعمله للجامع الأزهر سنة (٤٠٠ هـ/١٠١٠م) وتزخرفه حشوات مستطيلة تشتمل على عناصر نباتية ذات أسلوب فنى يذكر والمثل السابق بالأساليب العباسية الطولونية فى الحفر على الخشب (١٩٩) (أنظر شكل : ٧١) .

ثم بدأت فنون الحفر على الخشب فى العصر الفاطمى تأخذ بعد ذلك أبعادا فنية جديدة ابتعدت من خلالها تدريجيا عن مرحلة التأثر بالأساليب الفنية العباسية الطولونية ، حتى وصلت فى النهاية الى أسلوب فاطمى خالص امتاز بعمق بالغ فى الحفر ، وبدقة متناهية فى تفاصيل عناصره الزخرفية ، وبتخلص تام من أسلوب الحفر المائل أو المشطوف ، وخير الأمثلة الدالة على بواكير هذه المرحلة مثلا منبر جامع أسيوط الذى يرجح أنه عمل كما جاء فى بعض المراجع العربية سنة (٤٧٠ هـ /١٠٧٧ م) وهى السنة التى مر فيها بدر الجمالى على أسيوط وأخضع الثائرين فيها على المستنصر ، ومنبر حرم الخليل بفلسطين الذى عمل فى عهد المستنصر سنة (٤٨٤ هـ/١٠٩١ م) ، ومنها أيضا منبر مسجد دير سانت كاترين الذى يرجع الى عهد الآمر بأحكام الله (٥٠٠ هـ /١١٠٦ م) (٢٠٠) .

ويحتفظ متحف الفن الاسلامى بالقاهرة بنماذج أخرى تعد من أحسن الأمثلة الدالة على قمة ما وصل اليه فن الحفر على الخشب بالقاهرة في العصر الفاطمى ، ومن هذه النماذج باب ذو مصراعين كان في جامع الصالح طلائع بن رزيك الذى أسس سنة (٥٥٥ هـ/١١٦٠) (٢٠١) ، وثلاثة محاريب خشبية متناهية الدقة والتأنق وآية فى الفن والجمال كان أولها فى الجامع الأزهر ، وكان ثانيها فى مشهد السيدة نفيسة ، وكان ثالثها فى مشهد السيدة رقية ، وتتألف زخارف هذه المحاريب

عامة من حشوات مجمعة مزينة بفروع نباتية دقيقة تكون كل سمت منها طبقا نجميا ، وهو عنصر زخرفى شاع استعماله بعد ذلك كثيرا حتى كان من أبرز خصائص الزخرفة المملوكية ، ويعتبر محراب السيدة رقية هذا هو أقدم تحفة مؤرخة ظهر عليها هذا العنصر الزخرفى (٢٠٢) .

يضاف الى تلك الأمثلة جميعا مجموعة من الألواح الخشبية كانت أصلا فى القصر الفاطمى الغربى ، وقامت لجنة حفظ الآثار العربية سنة (١٩٣٢ م) باستخراج بعضها من سقف مارستان قلاوون حيث كان قد أعيد استخدامها فى العصر المملوكى ، وهى محفوظة بالمتحف المشار اليه وتزينها رسوم جميلة من الخط الكوفى المزهر ومن أشكال الانسان والحيوان والطير فى مناظر صيد وموسيقى وطرب مثلث على هذه الألواح بأسلوب واقعى بديع (٢٠٣) .

أما فى العصر الأيوبى فقد شهدت القاهرة بلوغ الاسلوب الفاطمى ذو الحفر العميق المتأنق قمة تطوره ، ومن أجمل التحف الخشبية الدالة على ذلك مما يحتفظ به متحف الفن الاسلامى بالقاهرة تابوت الامام الشافعى الذى صنعه سنة (٥٧٤ هـ/١١٧٨ م) بالقاهرة عبيد النجار المعروف بابن معالى (٢٠٤) ، وتابوت الامام الحسين رضى الله عنه الذى صنع فى ثلاثة جوانب فقط من خشب الساج الهندى وزين بآيات فنية من عناصر نباتية وكتابية بعضها بالخط الكوفى الجميل المحلاة حروفه بزخارف التوريق وبعضها بالخط النسخى الذى بدأ استعماله يشيع منذ أواخر العصر الفاطمى على كافة التحف والآثار (٢٠٥) (أنظر شكل٧٢)، وقد استمر ابداع النجارين فى القاهرة طوال العصر المملوكى ، يؤيد ذلك ما وصلنا من تحف خشبية تتجلى فى الأبواب والشبابيك والمشربيات والمنابر والكراسى والسقوف والكتبيات ودكك المبلغين ونحوها مما لايزال كثيره قائما في الأبنية الدينية والمدنية المختلفة التى تزخر بها مدينة القاهرة، ومما لايزال بعضه محفوظا فى المتاحف المختلفة ولاسيما متحف الفن الاسلامى (٢٠٦) .

وتشهد كل هذه الأمثلة على أن فن التطعيم والتجميع الذى استخدم فيه العظم والعاج والصدف والذى كان شائعا فى شرق البلاد العربية وغربها لم يصل فى هذه البلدان جميعا الى ما وصل اليه على يد النجارين بالقاهرة ابان العصر المملوكى ولاسيما خلال القرنين (٧ ـ ٨هـ/ ١٣ ـ ١٤ م) (٢٠٧) (أنظر شكل : ٧٣ ، ٧٤) .

أما عن صناعة العاج بمدينة المعز خلال العصور الفاطمية والأيوبية والمملوكية . فيبدو انها لم تقتصر فى هذه العصور على ما كان يستخدم منها فى فن تطعيم التحف الخشبية المختلفة مما سبقت الاشارة اليه ، بل كانت الطرائف الكاملة تصنع من هذا العاج مكونة قطعا فنية مستقلة . وقد وصل الينا بعضا من هذه القطع العاجية الفاطمية التى يحتفظ بها متحف الفن الاسلامى بالقاهرة ، ومنها مثلا قطعة عاجية عليها رسم يمثل سيدة فى هودج . وقطعة عليها رسم يشير الى جندى فى يده رمح وترس ، وقطعة عليها رسم يعبر عن صائد بالباز على ظهر جواد (٢٠٨) .

كذلك فقد وصلت الينا بعض العلب العاجية الصغيرة المخرمة التى تنسب الى القاهرة فى العصرين الأيوبى والمملوكى وعليها زخارف نباتية وهندسية وكتابية نسخية ، منها مثلا علبة من العاج المخرم من صناعة القاهرة فى عصر المماليك يحتفظ بها متحف الفن الاسلامى بالقاهرة (٢٠٩) ، وعلبة أخرى فى المتحف البريطانى بلندن (٢١٠) .

يضاف الى هذه الأدلة المادية الثابتة التى تؤكد ازدهار الصناعات الخشبية فى مدينة القاهرة منذ العصر الفاطمى وحتى نهاية العصر المملوكى ، ما جاء فى بطون المصادر العربية ولاسيما ما ذكره المقريزى عند حديثه عن أسواق القاهرة ، فقد أشار من بين هذه الأسواق الى سوق الامشاطيين الذى كانت تباع فيه الامشاط ذات الأشكال والأحجام المختلفة (٢١١) ، وسوق الصنادقيين الذى حوى العديد من الصناديق الخشبية وكان تجاه المدرسة السيوفية وموضعه من جملة المارستان واشتمل على كثير من الصناديق والخزائن والأسرة وغيرها مما يعمل من الخشب (٢١٢) .

٦ ـ صناعة الزجاج والبلور :

اذا كنا قد أسهبنا فى الحديث عن صناعة الزجاج والبلور فى الفسطاط على عهد الفاطميين وأشرنا الى ما كان يعمل فى هذه المدينة من تحف زجاجية وبلورية كانت فى نقائها كما ذكر ناصر خسرو كالزبرجد ، فاننا لانستطيع استبعاد القاهرة من هذا المجال .

ورغم أننا لانملك من الأدلة المادية مايؤيد هذا الرأى صراحة الا أن لدينا فى المصادر التاريخية ما يؤكد ذلك ، ويأتى على رأس هذه الأدلة

ما جاء في وثائق الجنيزة التى أشارت الى حجة مشـــاركة بين بعض المسلمين واليهود تاريخها (٥١٩ هـ / ١١٢٥ م) صـنع بمقتضاها زجاج في مخزن يقع في سـوق النحاسين كان قبل ذلـك دكانا لبيع الأواني النحاسية (٢١٣) ، ثم يأتى بعد وثائق الجنيزة ما ذكره المقريزى عن أسواق القاهرة في القرن (٩ هـ/١٥ م) مشيرا فيه الى سـوق الزجـاجين الذى خصـص للأوانى الزجاجيـة على اختـلاف أشكالهـا وأنواعها (٢١٤) .

ومع ذلك فان لدينا مما يحتفظ به متحف الفن الاسلامى بالقاهرة من عشرات التحف الزجاجية ممثلة في المشكاوات التى يمتلك منهـا المتحف المشار اليه أكبر مجموعة مشكاوات فى العـالم ترجع الى العصر المملوكى مثل مشكاة السلطان الناصر حسن (أنظر شكل : ٧٥ ، ٧٦) الذى قتل سنة (٧٦٢ هـ/١٣٦١ م) (٢١٥) ، ومشكاة السلطان الظاهر برقوق (٧٨٨ هـ/١٣٨٦ م) (٢١٦) وغيرها ، وفى مئـات القطع من الأوانى الزجاجية ذات الزخارف المذهبة ، وذات الأسـلاك الزجاجيـة المضافة والملونة ، وذات الطلاء الميناثى ، وذات البريق المعدنى ، وذات الأختـام المضغوطة ، وذات الزخارف المقطـوعة أو المنحـوتة من القنانى والقماقم والكؤوس والقوارير وغيرها (٢١٧) ، يجعل من الصعب علينا قصر هذا الانتاج الضخم على مسابك الفسطاط وحدها ، وحتى اذا جاز لنا هذا القصر طوال فترة الازدهار التي عاشتها هذه المدينة ، فانه لايجوز بعد اندثارها وانتقال كافة الحرف والصناعات منها الى القاهرة ، ولعل فيما بقى من أسرار هذه الصـناعة بخـان الخليلى بحى الجماليـة ما يؤيد ذلك .

٧ ـ صناعات تعتمد على منتجات زراعية :

مما لاشك فيه أن بعض الصناعات التى اعتمدت على الانتاج الزراعى ولاسيما صـناعات طحن الغلال والورق والسكر والعسـل والزيوت والشموع والصابون ونحوها ، كانت من الصناعات التى مورست فى القاهرة خلال عصورها الاسلامية ، يؤيد ذلك ما جاء عن هذه الصناعات فى المادة التاريخية التى بين أيدينا ، ويأتى على رأس هذه المادة ما ذكره المقريزى فى معرض كلامه عن أحداث شوال سنة (٨٢٠ هـ/١٤١٧ م) حيث يذكر أنه قبض حينذاك على الأمير أقباى عند طاحون باب الفرج من القلعة (٢١٨) ، الأمر الذى يؤكد أن طحن الغلال كان لضرورته الحيويه

بالنسبة لحياة الناس من بين الأنشطة الصناعية بالقاهرة خلال تلك الفترة . ويؤيده أيضا ما أشار اليه ابن دقماق فى القرن (٩ هـ /١٥م) عند حديثه عن شبرا الخيمة من القاهرة بقوله « وبها سوق جامع وطواحين » (٢١٩) ٠

كذلك يذكر المقريزى من أسواق القاهرة سوق الوراقين الذى كانت تباع فيه الأوراق المختلفة (٢٢٠) مما كان يعمل بعضه فى وراقات الفسطاط وبعضه فى وراقات القاهرة ويباع حسب نوعه وجودته فيعود ذلك على خزانة الدولة بكثير من المال (٢٢١) ٠

أما عن صناعة السكر فيبدو أنها كانت قد تقدمت تقدما عظيما فى المدينة خلال العصر المملوكى ولاسيما على عهد الناصر محمد بن قلاوون ، حيث كثر انتاجها كما تذكر بعض المراجع العربية كثرة تشهد بها تلك الكميات الهائلة من السكر التى كانت تستخدم فى المآدب والحفلات (٢٢٢) ، ويبدو أن هذه الصناعة كانت من الصناعات الهامة فى العصر المشار اليه ، وظلت تدر أموالا طائلة للخزانة السلطانية خلال ازدهارها الذى استمر بالقاهرة حتى نهاية القرن(٨هـ/١٤م)(٢٢٣)٠

وبالاضافة الى ذلك كله فاننا لا نستطيع أن نغفل من انتاج القاهرة الصناعى والحرفى صناعة الفخار والخزف كواحدة من أكثر الصناعات شعبية فى تاريخ الشعوب (٢٢٤) ، وصناعة الزيوت ولاسيما الزيت الحار والشيرج وزيت العصفر الذى كان يستخلص من بذور شجيراته ، وقد أشار ابن دقماق فى القرن (٩ هـ/١٥ م) الى هذه الصناعة عندما وصف شبرا الخيمة بقوله « وبها أفران ومعاصر زيت حار وشيرج وغير ذلك » (٢٢٥) كما جاء ذكرها بين الصناعات التى كانت مزدهرة بالمدينة على عهد الحملة الفرنسية على مصر (٢٢٦) ٠

ولا يخفى ماكان لهذه الزيوت من أهمية بالنسبة لحياة الناس بصفة عامة ، اذ كان بعضها يستخدم للاضاءة التى اعتمدت على هذه الزيوت أساسا لأنها كانت الوسيلة الرئيسية المتاحة حينذاك لهذا الغرض ، وكان بعضها الآخر يستخدم فى الطعام ، وهما غرضان أساسيان وكانا يمثلان عصب حياة الناس فى تلك العصور ٠

وفى ختام هذا العرض لأنشطة القاهرة الحرفية والصناعية فانه يمكن القول بأن صناعة شموع متطورة كانت قد راجت فى المدينة كثيرا لحاجة الناس اليها فى الاضاءة التى لم تكن قد عرفت غير الزيوت

والشموع بعد ، يدل على ذلك ما أشـــار اليه المقريزى عند حديثه عن أسواق القاهرة وذكره « لسوق الشماعين » الذى كانت تباع فيه شموع ذات أشكال وأحجام مختلفة مما تفنن الصناع فيه . وكان موقع هــذا السوق ينحصر من الجامع الأقمر الى سوق الدجاجين . وكان يعرف فى الدولة الفاطميــة بســوق القماحين . وقد أدركه المقريزى من الجانبين معمور الحوانيت بالشموع الموكبية والفانوســـية والطوافات ، وكانت حوانيته تظل مفتوحة الى منتصف الليل ، وكان من شــموعه الموكبية ماتزن الواحدة منها عشرة أرطال ، ومن شموعه المزعرية ماهو عجيب مليح الصنعة ، ومن شموعه التى تحمل على العجل ماتزن الواحدة منها القنطار .. كل ذلك برسم ركوب الصبيان لصلاة التراويح فى رمضان (٢٢٧) .

والذى لاشك فيه بعد هذا كله أن تأسيس القاهرة لم يؤثر فقط على أنشطة الفسطاط الحرفية والصناعية ، بل انه سرعان ما اجتذب كافة هذه الأنشطة الى العاصــمة الجديدة ، فكان لذلك أكبر الأثر فى تلاشى أمر الفسطاط واندثارها حتى أصبحت أثرا بعد عين .

٢ ـ حواشي وتعليقات الفصل الثاني
من البـــاب الأول
القـــاهرة

١٤٠ ـ ابن حوقل : المصدر السابق : ص ١٣٨ ·

١٤١ ـ ناصر خسرو : المصدر السابق : ص : ٩٢ وانظر أيضا : الشيخ الأمين عوض الله : الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي : ص : ١٦٠ ·

١٤٢ ـ القزويني : المصدر السابق : ص : ٢٤٠ ·

١٤٣ ـ ياقوت الحموي : المصدر السابق : ج ٤ ص ص ٣٠١ ـ ٣٠٢ ·

١٤٤ ـ ابن دقماق : المصدر السابق : ج ٢ ص ص : ٣٥ ـ ٤٠ · وانظر أيضا نقولا زيادة : المرجع السابق : ص ص ٩٥ ـ ١٠٨ ·

١٤٥ ـ المقريزي : الخطط : ج ٢ ص ١٨ ·

١٤٦ ـ نفس المصدر : ج ٢ : ص ص : ٤١ ـ ٤٢ وانظر أيضا : سعاد ماهر : القاهرة القديمة وأحياؤها : ص : ٢٠ ، الموسوعة العربية الميسرة : ص : ١٣٦٦ ·

١٤٧ ـ راجع في ذلك المقريزي : المصدر السابق : ج ٢ ص ٢٧٣ ، السيوطي : المصدر السابق : ج ٢ ص ٢٣٠ ، وانظر أيضا عبد الرحمن زكي : القاهرة تاريخها وآثارها : ص ص : ١١ ـ ١٢ ، أحمد فكري : العصر الفاطمي : ص ص : ٦ ـ ٧ ، راشد البراوي : المرجع السابق ص ٣٨٢ ، لين بول : المرجـــع السابق ص ص : ١١٢ ـ ١٤٩ ·

١٤٨ ـ المقريزي : المصدر السابق : ج ٣ ص ٤٩ ، فتحية النبراوي : المرجع السابق ص : ٢٥٣ ·

١٤٩ ـ الشيخ الأمين عوض الله : المرجع السابق : ص ١٦ ·

١٥٠ ـ محمد عبد الله عنان : المرجع السابق : ص ص : ٢٠ ـ ٣٠ ·

١٥١ ـ المقريزي : المصدر السابق : ج ٢ ص ٥٠ ·

١٥٢ ـ محمد رمزي : المصدر السابق : ج ١ ص ٣ ، وانظر أيضا راشد البراوي : المرجع السابق : ص ٣٨٢ ·

١٥٣ ـ س· د· جوتاين : المرجع السابق : ص ٨٢ ·

١٥٤ ـ هذا الشمعدان مسجل بالمتحف المشار اليه تحت رقم (١٥١٢٧) وانظر عنه أيضا : محمد مصطفى : دليل موجز متحف الفن الاسلامي : ص ٤٦ ·

١٥٥ ـ أنظر أيضا أنور الرفاعى : المرجع السابق : ص ١٦٩ ٠

١٥٦ ـ هذا المقلم مسجل ضمن محتويات متحف الفن الاسلامى تحت رقم (١٥١١١) وانظر عنه أيضا : محمد مصطفى : المرجع السابق : ص ٤٦ (صورة ٤٤) ٠

١٥٧ ـ هذه الزهرية مسجلة بالمتحف المشار اليه تحت رقم (١٥١٢٥) وانظر عنها أيضا : محمد مصطفى : نفس المرجع : ص ٢٥ (صورة ١٤) ٠

١٥٨ ـ المقريزى : المصدر السابق : جـ ٢ ص ٤٧٨ ٠

١٥٩ ـ نفس المصدر : جـ ٢ ص ٤٦٥ ٠

١٦٠ ـ نفس المصدر : جـ ٢ ص ص : ٤٦٣ ، ٤٧٨ ، السلوك : جـ ١ ق ٣ : ص : ٨٠٥ وانظر أيضا : حسن الباشا : المرجع السابق : ص : ٤١٢ ٠

١٦١ ـ المقريزى : الخطط : جـ ٢ ص ٤٦٤ ٠

١٦٢ ـ نفس المصدر : جـ ٢ ص ص : ٤٧٤ ـ ٤٧٥ ، السلوك : جـ ٤ ق ٢ : ص ص ٤٦٢ ـ ٤٦٩ ٠

١٦٣ ـ المقريزى : الخطط : جـ ٢ ص ص : ٤٦٥ ، ٤٧٥ ٠

١٦٤ ـ نفس المصدر : جـ ٢ ص ٤٦٠ ، وانظر أيضا : خليل ضومط : المرجع السابق : ص ١٧١ ٠

١٦٥ ـ وصف مصر : تأليف علماء الحملة الفرنسية وترجمة زهيـــر الشايب وآخرون ، مجلد ٤ ص ٢٣٨ ، وانظر أيضـــا : خليـل ضومط : المرجع الســـابق : ص ص : ١٧٢ ـ ١٧٣ ٠

١٦٦ ـ راجع فى ذلك مثلا : ابن مماتى : قوانين الدواوين : ص ٣٣١ ، المقريزى : الخطط : جـ ٢ ص ١٢٣ ٠

١٦٧ ـ ابن مماتى : المصدر السابق : ص ٣٣١ ٠

١٦٨ ـ المقريزى : المصدر السابق : ج ٢ ص ١٢٣ ٠

١٦٩ ـ أنظر فى ذلك : سامح عبد الرحمن فهمى : الوحدات النقدية المملوكية : ص ص : ٣١ ـ ٣٢ ٠

١٧٠ ـ نفس المرجع : ص ص : ٢٣٢ ـ ٢٣٣ ٠

١٧١ ـ نفس المرجع : ص : ٢٢٩ ٠

١٧٢ ـ نفس المرجع : ص : ٢٣٠ ٠

١٧٣ ـ ابن سعيد : المصدر السابق : جـ ١ ص ١١ : المقريزى : المصدر السابق : جـ ٢ ص ٨ ٠

١٧٤ ـ مثل القطعة رقم (٣٣١١) ٠ وانظر عنها أيضا : محمد مصطفى : المرجع السابق : ص ٨٢ ٠

١٧٥ ـ مثل القطع أرقام : (١٥٥٥٤) ، (١٥٦٢٦) ، (٧٩٢٤) ٠ أنظر عنها أيضا محمد مصطفى : نفس المرجع : ص ٨٢ ٠

١٧٦ ـ المقريزى : المصدر السابق : جـ ٢ ص ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩ ٠

١٧٧ ـ نفس المصدر : ج ١ ص ٤٣٣ ، وانظر أيضا : محمد جمال الدين سرور : مصر فى عصر الدولة الفاطمية : ص ٢٠٠ ، تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق (لنفس المؤلف) ص ص : ١٣٧ ـ ١٣٨ ٠

١٧٨ ـ المقريزى : الخطط : ج ٢ ص ص : ٢٢٨ ـ ٢٢٩ ٠

١٧٩ ـ المقريزى : نفس المصدر : ج ٢ ص ١٠١ ، أنظر أيضا : خليل شومط : المرجع السابق : ص ١٥٧ ٠

١٨٠ ـ المقريزى السابق : ج ٢ ص ص ٤٧٣ ـ ٤٧٤ ، السلوك : ج ٣ ق ١ : ص ٥٩ ، ج ٤ ق ٣ ص ١١٨٩ ٠

١٨١ ـ ابن دقماق : المصدر السابق : ص ٢٨ ٠

١٨٢ ـ المقريزى : الخطط : ج ٢ ص ٤٦٦ ٠

١٨٣ ـ المقريزى : نفس المصدر : ج ٢ ص ٤٦٥ وانظر أيضا : محمد مصطفى زيادة : تاريخ الاسلام ومصر الاسلامية : ص ١٣٨ ٠

١٨٤ ـ محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون فى مصر : ص : ٣٠٠ ٠

١٨٥ ـ وصف مصر : ج ٤ : ص ص : ١٩٥ ـ ٢١١ ، ٢٣٧ ـ ٢٤٢ ٠

١٨٦ ـ محمد عبد العزيز مرزوق : الناصر محمد بن قلاوون : ص ص : ٣٢٧ ـ ٣٢٩ ٠

١٨٧ ـ المقريزى : المصدر السابق : ج ٢ ص ٤٧١ ، ابن دقماق : المصدر السابق ص ٣١ ٠

١٨٨ ـ زكى محمد حسن : فنون الاسلام : ص : ٤٣٦ ٠

١٨٩ ـ المقريزى : السلوك : ج ٤ ق ٢ ص : ٦٦٥ ٠

١٩٠ ـ س ٠ د ٠ جوتاين : المرجع السابق ص ص : ١٦٨ ـ ١٧٠ ، ١٧٩

١٩١ ـ المقريزى : الخطط : ج ٢ ص ٤٦٥ ، وانظر أيضا : راشد البراوى : المرجع السابق : ص : ٣٨٢ ، محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون فى مصر : ص : ٣٣٠ ٠

١٩٢ ـ المقريزى : المصدر السابق : ج ٢ ص ٤٧٨ ، السلوك : ج ١ ق ١ ص ١٦٥ ٠

١٩٣ ـ راشد البراوى : المرجع السابق : ص ٣٨٢ ٠

١٩٤ ـ وصف مصر : ج ٤ ص ٢٣٨ ٠

١٩٥ ـ هذه القطع محفوظة بالقاعة رقم (١٩) بالمتحف المشار اليه ٠

١٩٦ ـ أنظر أيضا : حسن الباشا : المرجع السابق : ص ص : ٤٥٣ ـ ٤٦٠ ٠

١٩٧ ـ هذا الباب مسجل بالمتحف المشار اليه تحت رقم (٥٥١) أنظر عنه أيضا : محمد مصطفى : المرجع السابق : ص ٤٢ ، زكى محمد حسن : فنون الاسلام : ص : ٤٥٠ ٠

١٩٨ ـ زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين : ص ٢١٤ ٠

١٩٩ ـ رقم سجل (١٠٥) وانظر عنه أيضا : زكى محمد حسن : المرجع السابق ص : ٤٦١ ، محمد مصطفى : المرجع السابق : ص : ٤٢ ٠

٢٠٠ ـ أنظر عن هذه المحاريب أيضا : زكى محمد حسن : فنون الاسلام : ص ٤٥٨ . محمد مصطفى : المرجع السابق : ص : ٤٢ ٠

٢٠١ ـ أنظر عن هذه الألواح : زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين : ص ٢١٤ ، فنون الاسلام : ص : ٤٥٥ . محمد مصطفى : المرجع السابق : ص ٤٤ ، الصور أرقام (١٣ ، ٢٤ ، ٣١ ، ٤٦) ٠

٢٠٢ ـ أنظر عن هذا التابوت أيضـــا : زكى محمد حسن : فنون الاسلام : ص ٤٦٢ ٠

٢٠٣ ـ أنظر عن هذا التابوت أيضا : زكى محمد حسن : ص ٤٦٢ ، محمـد مصطفى : المرجع السابق : ص ٤٤ (صورة ٢٧) ٠

٢٠٤ ـ فى القاعة رقم (٧) من المتحف المشار اليه ،عرض العـديد من التحف الخشبية المملوكية ولا سيما المنابر والمشربيات . وفى القاعة رقم (٨) عرضت مجموعة من الأخشاب الأخرى التى اشـتملت فى الخزانة رقم (٢) على حشـوات من الخشب والاينوس ، وفى الخزانة رقم (٣) على أدوات منزلية ولعب وأمشاط وحشوات مختلفة من الخشب والعظم والعاج ٠

٢٠٥ ـ أنظر أيضا : زكى محمد حسن : أطلس الفنون الزخرفية : ص ص : ١٣٣ ـ ١٣٧ (الأشكال من ٣٩٩ ـ ٤١٢) ، فنون الاسلام : ص ٤٦٢ ، عفيف بهنسى : المرجع السابق : ص ص : ١٩٧ ـ ١٩٨ ، وصف مصر : جـ ٤ ص ٢٣٨ ٠

٢٠٦ ـ أنظر عن هذه القطع العاجية أيضا : فنون الاسلام : ص ٤٩٨ ٠

٢٠٧ ـ رقم سجل (٥٦٢٠) وأنظر عنها أيضا : زكى محمد حسن : أطلس الفنون الزخرفية ١٤٥ (شكل ٤٣٥) ٠

٢٠٨ ـ انظر عن هذه العلبة أيضــا : زكى محمد حسن : نفس المرجع : ص ١٤٥ (شكل ٤٣٦) ، فنون الاسلام : ص : ٥٠٤ ٠

٢٠٩ ـ المقريزى : الخطط : جـ ٢ ص ٤٦٤ ، السلوك ، جـ ٤ ق ٢ ص ص : ٨٠٣ ، ٨٨٥٠

٢١٠ ـ المقريزى : الخطط : جـ ٢ ص ٤٧٣ ٠

٢١١ ـ س٠ د٠ جوتاين :المرجع السابق : ص ١٦٦ ٠

٢١٢ ـ المقريزى : الخطط : جـ ٢ ص ٤٦٤ ، ابن دقمـاق : المصدر السـابق : ص ٢٩ ٠

٢١٣ ـ أنظر عن هذه المشكاة أيضا : محمد مصطفى : المرجع السابق : ص ٩٥ ، ص ٣٩ (صورة ٣٢) ٠

٢١٤ ـ محمد مصطفى : نفس المرجع : ص ٩٩ ٠

٢١٥ ـ لا زالت أمثلة من كل هذه الأنواع الزجاجية محفوظة بالقاعة رقم (٢١) من المتحف المشار اليه ، أنظر عنها أيضا : محمد مصطفى : نفس المرجع : ص ص : ص ص ٩٥ ـ ١٠١ ٠

٢١٦ ـ المقريزى : السلوك : جـ ٤ ق ١ ص ص : ٤٢٤ ـ ٤٢٥ ٠

٢١٧ ـ ابن دقماق : المصدر السابق : ص ٤٧ ٠

٢١٨ ـ المقريزى : المصدر السابق : جـ ١ ق ١ ص ١٦٥ ·

٢١٩ ـ خليل ضومط : المرجع السابق : ص ١٧٢ ·

٢٢٠ ـ محمد عبد العزيز مرزوق : المرجع السابق : ص ٣٢٨ ·

٢٢١ ـ خليل ضومط : المرجع السابق : ص ص : ١٦٢ ـ ١٦٣ ·

٢٢٢ ـ حسن الباشا : المرجع السابق : ص ٣٦٢ ·

٢٢٣ ـ ابن دقماق : المصدر السابق : ص ٤٧

٢٢٤ ـ لقد وردت هذه الحقيقة فى الفصل الذى كتبه مسيو (Girar, B.S.) فى كتاب « وصف مصر » عن الجوانب الزراعية المصرية على عهد الحملة الفرنسية على مصر ، وقد ترجم يوسف نحاس وكامل مطران هذا الجزء الى العربية ونشراه سنة (١٩٤٢ م) تحت عنوان : الأحوال الزراعية فى القطر المصرى على عهد الحملة الفرنسية ، راجع ص ٦٥ من هذه الترجمة ·

٢٢٥ ـ المقريزى : الخطط : جـ ٢ ص ٤٦٢ . نحل عبر النحل : (لنفس المؤلف) : ص ٨٨ ·

الفصل الثالث

ضواحي العاصمة

تتكون ضواحي العاصمة التى سنتحدث عنها فى هذا الفصل كمراكز صناعية من جزيرة الروضة وعين شمس (المطرية) والمقس ، بالاضافة الى بعض المراكز الفرعية الصغيرة مثل الجزيرة الوسطى وبولاق وقصر ابن العينى ، وسنحاول فيما يلى عرض الأنشطة الحرفية والصناعية لكل واحدة من هذه الضواحى ٠

١ ـ جزيرة الروضة :

جزيرة الروضة كما حددها الاصطخرى فى النصف الأول من القرن (٤ هـ / ١٠ م) هى « جزيرة يعبر من الفسطاط اليها على جسر فى سفن ، ويعبر من هذه الجزيرة الى الجانب الآخر على جسر آخر الى أبنية ومساكن على الشط الآخر يقال لها الجيزة » (٢٢٨) كذلك فقد حدد ناصر خسرو موقع جزيرة الروضة فى القرن (٥ هـ / ١١ م) بأنه امام مدينة مصر فى قلب النيل ، وقال ان فيها مسجد تحيط به الأشجار الغناء ويربط مصر بها جسر مكون من ثلاثين قطعة خشبية فى شكل زوارق » (٢٢٩) ، وأشار الادريسى فى القرن (٥ ـ ٦ هـ / ١١ ـ ١٢ م) الى أنها تقابل مصر (أى الفسطاط) وبها المبانى والمتنزهات ودار المقياس (٢٣٠) ٠ ونسبها كل من القزوينى وياقوت فى القرن (٧ هـ / ١٢ م) الى الفسطاط فقال الأول « وبالفسطاط محلة تسمى الجزيرة لأن النيل اذا زاد أحاط الماء بها وحال بينها وبين معظم الفسطاط فاستقلت هى بنفسها وبها أسواق وجامع وبساتين وهى من متنزهات مصر » (٢٣١) وقال الثانى « وهى محلة من محال الفسطاط وانما سميت الجزيرة لأن النيل اذا فاض أحاط بها الماء وحال بينها وبين معظم الفسطاط واستقلت بنفسها وبها أسواق وجامع ومنبر وهى من متنزهات مصر » (٢٣٢) وذكر ابن بطوطة فى القرن (٨ هـ / ١٤ م) أنها على ضفة النيل مما يواجه مصر وهى مكان النزهة والتفرج وبها البساتين الكثيرة الحسنة (٢٣٣) ٠ ووصفها

ابن دقماق فى القرن (٩ هـ / ١٥ م) بأنها جزيرة فى وسط البحر والبحر دائر عليها من جميع جهاتها وهي بين الفسطاط والجيزة وبطرفها الجنوبى دار المنياس (٢٢٤) .

اما السيوطى فقد بين فى القرن (٩هـ / ١٥م) انها جزيرة بين مدن مصر والقاهرة والجيزة . عرفت أول الاسلام بالجزيرة وبجزيرة مصر ، ثم قيل لها جزيرة الحصن ، الى أن عرفت أخيرا بجزيرة الروضة ، وهو الاسم الذى ظلت تعرف به حتى اليوم . وأضاف السيوطى الى ذلك قوله بأنها لم تزل متنزها ملوكيا ومسكنا للناس الى أن زالت الدولة الاخشيدية والكافورية وقدمت الدولة العبيدية فتحسنت أحوال الجزيرة حتى صارت مدينة عامرة بها وال وقاض وبستان نزه أنشأه فى شمالها سنة (٤٩٠ هـ/ ١٠٩٦ م) الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالى سماه الروضة ، ومنذ ذلك الحين ظلت الجزيرة كلها تعرف بجزيرة الروضة (٢٣٥) . كذلك فقد أشار المقريزى فى نفس القرن المشار اليه الى أنه لما تسلطن الملك الصالح نجم الدين أيوب أنشأ بها قلعة واتخذها سرير ملك ، فعرفت من ثم بقلعة الروضة وبقلعة الجزيرة وبقلعة المقياس وبالقلعة الصالحية ، وكان الشروع فى حفر أساسات هذه القلعة يوم الأربعاء الخامس من شعبان سنة ثمان وثلاثين وستمائة (١٢٤٠م) ولم تزل القلعة المشار اليها عامرة حتى زالت دولة بنى أيوب ، فلما ملك السلطان المعز ايبك أمر بهدمها وعمر فيها مدرسته المعروفة بالمعزية فطمع فى القلعة من له جاه وأخذ جماعة منها عدة سقوف وشبابيك وغير ذلك ، فلما صارت مملكة مصر الى السلطان الظاهر بيبرس اهتم بعمارة قلعة الروضة من جديد ورسم للأمير جمال الدين موسى بن يغمور أن يتولى هذه العمارة حتى يعيد القلعة الى ما كانت عليه فأصلح بعض ما كان قد تهدم منها (٢٣٦) .

ولم تكن جزيرة الروضة منذ العصر الاسلامى فى مصر أهم مركز لصناعة السفن فقط وانما كانت من أقدم المراكز التى ولدت فيها قوة المسلمين البحرية(٢٣٧)، ويبدو أن عناية المسلمين ببناء هذه القوة من السفن والأساطيل كانت قد بدأت بعد فراغهم من أمر تحصين سواحل البحر المتوسط التى خضعت لسلطانهم ، وبعد أن أقاموا المحارس والمناظر والمواقيد على هذه السواحل ، وقد جاء فى ذلك أنه لما كانت سنة (٤٩ هـ/ ٦٦٩ م) هاجم الروم سواحل الشام وكانت دور الصناعة اذ ذاك بمصر فقط فأمر معاوية بن أبى سفيان بانشاء دار للصناعة فى عكا .

ثم ازدهرت صناعة السفن بعد ذلك على عهد الوليد بن عبد الملك فى كل من شمال أفريقية ومصر ، فقد أمر هذا الخليفة حسان بن النعمان

عامله على افريقية ببناء دار للصناعة فى تونس فانشأها حسان وجهزها بالعدة والسلاح ، أما فى مصر فتدل أوراق البردى التى عثر عليها فى كوم أشقاو وترجع الى عهد الخليفة المشار اليه أن صناعة السفن كانت تجرى بهمة ونشاط فى دور الصناعة المصرية بجزيرة الروضة والقلزم والاسكندرية ، وتروى بعض تلك الأوراق طبقا لما جاء فى بعض المراجع العربية . أن قرة بن شريك عامله على مصر كان كثيرا ما يطلب من صاحب كورة أشقاو أن يرسل اليه عمالا وصناعا وفلاحين للعمل فى دور الصناعة والمساهمة فى اعداد الأسطول (٢٣٨) .

وعلى ذلك فانه يمكن القول فى ثقة واطمئنان طبقا لما ذكره كل من المقريزى وابن دقماق فى القرن (٩هـ / ١٥م) وما أكده السيوطى فى القرن (١٠هـ / ١٦م) أن دار الصناعة بجزيرة الروضة كانت قد أنشئت فى أوائل النصف الثانى من القرن الأول الهجرى / السابع الميلادى ، وقد ورد فى ذلك أن أول صناعة عملت بأرض مصر هى التى بنيت بجزيرة الروضة سنة أربع وخمسين من الهجرة (٦٧٣ م) على يد مسلمة بن مخلد والى مصر من قبل معاوية ، وكان سبب ذلك المباشر هو غزو الروم للبرلس سنة (٥٣هـ / ٦٧٢م) وقتل الكثير من أهلها وعلى رأسهم وردان مولى عمرو بن العاص (٢٣٩) .

واستمرت هذه الصناعة بالجزيرة الى أيام الاخشيد الذى أمر سنة (٣٢٥هـ / ٩٣٦ م) بنقلها من الجزيرة الى ساحل مصر بالفسطاط ، وكان سبب هذا التحويل كما يروى المقريزى وابن دقماق أن يحكم التركى وعلى بن بدر ونظيف النوشرى وعلى المغربى لما خرجوا على الأخشيد وهزموا سفنه بقيادة صاعد بن الكلكم فى الفيوم وأحرقوها نزلوا بالجزيرة وملكوا صناعتها ، فوكب الأخشيد فى جيشه لمحاربتهم وسار حتى وقف قبالتهم على الساحل عند دار خديجة ابنة الفتح بن خاقان زوجة أحمد بن طولون عندما كان أميرا ، ولكنه لم يستطع النزول اليهم فكره ذلك وقال « صناعة يحول الماء بينها وبين صاحبها ما هى بصناعة ، أعملوا الصناعة ها هنا » فلما رحل المتمردون الى الاسكندرية ورجع الاخشيد الى دار امارته أمر بالصناعة فحولت الى موضعها المشار اليه بالفسطاط (٢٤٠) .

وكان هجوم البيزنطيين على دمياط سنة (٢٣٨ هـ / ٨٥٢ م) على عهد الخليفة العباسى المتوكل ، والحاقهم الكثير من الدمار والتخريب بالمدينة وسبيهم النساء والأطفال من أهم العوامل التى ساعدت على اضطراد التقدم فى صناعة الجزيرة ، فقد أمر هذا الخليفة عنبسة بن اسحاق عامله على مصر بالتوسع فى بناء قاعدة بحرية قوية تســـاعد على ردع هؤلاء البيزنطيين وتحمى شواطىء الدولة فأمر عنبسة بزيادة بناء الشوانى .

ثم جاءت الأحداث السياسية فى مصر بعد ذلك وأضافت بعدا جديدا لضرورة الاهتمام بالأسطول ودور الصناعة ، فقد قامت فيها سنة (٢٥٤ هـ / ٨٧٨ م) على يد أحمد بن طولون ولاية استقلت ولو اسميا عن الخلافة العباسية فى بغداد ، وكان لزاما على ابن طولون من ثم أن يدعم قوته البحرية لدفع محاولات الخلافة التى قد تحدث لاسترداد مصر ، فاهتم بشئون الأسطول وجدد دار الصناعة بالروضة وقام بتوسعتها وتحسينها وعمل الأحواض اللازمة لها (٢٤١) ، وقد سميت صناعة الجزيرة هذه بعدة أسماء منها بالاضافة الى التسمية المشار اليها ـ صناعة الروضة وصناعة الجسر (٢٤٢) ٠

وظلت هذه الدار منذ انشائها مركزا لصناعة سفن الاسطول المختلفة كالسميريات التى استخدمت فى العصر العباسى واستمر استخدامها طوال العصر الفاطمى ٠ والشوانى أو الاغربة التى اشتملت على الأبراج والقلاع وكانت تتسع لمائة وخمسين رجلا ، والحراقات التى حوت مرامى للمنجنيقات لقذف النيران على الأعداء وحرق سفنهم ، والطرادات التى جهزت لحمل الخيول والدواب ، والشلنديات أو المسطحات التى استخدمت لنقل السلع وكافة المؤن ، والبطسات ذات الطوابق المتعددة والقلوع الكثيرة التى كانت تتسع لسبعمائة جندى ، بالاضافة الى السفن النيلية المختلفة مثل العشاريات والعلابيات والحمائم والسنابك وقوارب الخدمة والمراكب الطيارة ونحوها (٢٤٣) ٠

وظل الحال بصناعة الجزيرة على ذلك حتى سنة (٣٢٥ هـ / ٩٣٦ م) حين أمر الاخشيد كما أشرنا بتحويل بناء السفن من الجزيرة الى ساحل مصر (الفسطاط) واتخاذ دار خديجة ابنة الفتح بن خاقان زوجة أحمد ابن طولون مقرا لهذه الصناعة ، فكان تنظيمها فى هذه الدار ـ بالاضافة الى موقف الاخشيد ممن خالفوه وخرجوا عليه فيما سبقت الاشارة اليه ـ لأنها كانت على شاطىء النيل مباشرة ولها درج يؤدى الى مياهه (٢٤٤) ٠

واعتبارا من السنة المشار اليها ، ظلت السفن ـ فى غالب الظن ـ تبنى فى دار الصناعة بالجزيرة تارة وفى دار الصناعة بالفسطاط تارة أخرى ، حتى كان عصر الخليفة الفاطمى الآمر بأحكام الله فأمر وزيره المأمون بن البطائحى سنة (٥١٦ هـ / ١١٢٢ م) بنقل عمارة المراكب الحربية من الصناعة التى بجزيرة الروضة الى الصناعة القديمة بساحل مصر فنقلها ، وكان لزاما عليه من ثم أن يبنى فى الصناعة الأخيرة منظرة للخليفة ، يستعرض منها سفن الاسطول فى يوم الاسطول (٢٤٥) ٠

ومعنى ذلك أن السفن الحربية ظلت تصنع فى الجزيرة الى جانب السفن النيلية حتى عصر الآمر الفاطمى (٤٩٥ ـ ٥١٩ هـ / ١١٠١ ـ

١١٢٥ م) ثم أصبحت بعد ذلك دارا لصناعة السفن النيلية والتجارية فقط، وبذلك اختصت صناعة مصر ببناء السفن الحربية من الشوانى والشلنديات ونحوها بينما اختصت صناعة الجزيرة ببناء السفن النيلية أو التجارية من العشاريات والعلابيات والحمائم وغير ذلك (٢٤٦) ٠

فلمـا جاء عصر الأيوبيين واتخذ الصـالح نجم الدين من جزيرة الروضة مقرا لحكمه وبنى فيهـا قلعته ـ كمـا أسلفنا ـ زادت العنـاية بصناعة الروضة من جديد وأفرد للأسطول ديوان خاص سمى « ديوان الأسطول » فعادت الجزيرة دارا للصناعة تبنى فيها الحراريق والشلنديات ونحوها حتى سنة (٧٠٠ هـ / ١٣٠٠ م) بينما ظلت تبنى فى دار الصناعة بالفسطاط الشوانى وغيرها من المراكب النيلية أو الديوانية (٢٤٧) ٠

وبعد سقوط الدولة الأيوبية قلت العناية بجزيرة الروضة وخربت قلعتها ودار صناعتها وأهمل الجسر الذى يربط بينها وبين مدينة مصر ، فلما كان عصر السلطان الظاهر بيبرس عادت العناية الى دار الصناعة بالجزيرة من جديد ، وصدر مرسوم ينظم تجارة الأخشاب أو (أعواد العمل) كما كانت تسمى تأمينا لما تحتاجه دار الصناعة من هذه الأعواد لبناء الأسطول الذى أمر به ، بل أكثر من ذلك أنه كان يذهب الى الدار بنفسه ليشرف على اعداد الشوانى التى أمر بصناعتها حتى أنهى رجال الدار باشرافه بناء أسطول قوامه أربعون سفينة ، واستمرت عناية المماليك بعد ذلك بصناعة الروضـة حتى نهـاية دولتهم وبـداية عصر الدولة العثمانية (٢٤٨) ٠

وطبقا لما لدينا من معلومات تاريخية لم يذكرها فيما نعلم غير المقريزى فانه يمكن القول أن الأمير جركس الخليلى كان قد أنشأ بجزيرة الروضة فى شعبان سنة (٧٨٤ هـ /١٣٨٢ م) طاحون غلال مائية جعلها فى مركب على بسطة المقياس يديرها الماء برسم طحن الغلال دقيقا (٢٤٩) ، وكان ذلك أمرا غريبا فى حينه جعل الناس يأتون من كل فج لرؤيتها ، وكانت الحبوب منذ القرن (٤ هـ / ١٠ م) تطحن فى مطاحن اما مائية واما هوائية ، ويبدو أن قصب السبق فى مضمـار الأرحـاء (الطواحين) المائية كانت لأهل البصرة بعد أن استفادوا كثيرا من حركة الماء فى أنهارهم أثناء مده وجزره ، فعمدوا الى أرحية أقاموها على أفواه هذه الأنهار يديرها الماء أثنـاء حركتـه خروجـا ودخولا واستغنوا بذلك عن الدواب فى ادارة الطواحين الا فى الجهات التى ليس بها أنهار ٠

وما وصلنا فى بعض المصـادر والمراجع العربية من وصف لهذه الطواحين المائية يبين أن كل واحدة منها كانت تسمى عربة ، وكانت تصنع

من الخشب والحديد الذى لا يمازجه شيء من الحجر و لجص . وتربط فى وسط الماء بسلاسل من حديد ، وبكل عربة من هذه العربات حجران يطحن كل منهما خمسين وقرا فى كل يوم ، وكانت أكبر الارحاء فى بغداد على نهر دجلة ويقال لها « البطريق » لأنها كانت تشتمل على مائة حجر تغل فى كل سنة مائة ألف ألف درهم (٢٥٠) . وعلى ذلك فانه يمكن القول أن نشاط جزيرة الروضة الصناعى لم يقتصر على صناعة السفن فقط وانما شمل أيضا طحن الغلال كواحدة من الصناعات التى قامت على الانتاج الزراعى .

٢ ـ عين شمس (المطرية) :

أشار البلاذرى فى القرن (٣ هـ / ٩ م) الى عين شمس بقوله أنها « بلدة بمصر قريبة من الفسطاط » (٢٥١) وذكرها كل من ابن حوقل والاصطخرى فى القرن (٤ هـ / ١٠ م) فقال الأول « وبالفسطاط قرية تعرف بعين شمس .. لها نبت يزرع كالقضبان يسمى البلسم يتخذ منه دهن البلسان لا يعرف بمكان من الأرض الا هناك ويؤكل لحاء هـذه القضبان فيكون له طعم مالح وفيه حرارة وحروفة لذيذة » (٢٥٢) وقال الثانى « وعين شمس ومنف هما قريتان قد خربتا ، وعين شمس من شمالى الفسطاط ومنف من جنوبيه ويقال انهما كانتا مسكنين لفرعون ، وحوالى الفسطاط (يقصد فى عين شمس) زرع ينبت مثل القضبان يسـمى البلسـان يتخذ منه دهن البلسـان ولا يعرف بمكان فى الدنيـا الا هناك » (٢٥٣) وأضاف المسبحى فى القرن (٤ ـ ٥ هـ / ١٠ ـ ١١ م) أنها « من أشهر المدن القديمة كان موقعها فى الشمال الشرقى للقاهرة فى الموضـع المعروف بالمطرية وكان بهـا بستان يتخذه الخلفـاء الفاطميون للنزهة » (٢٥٤) وأشار اليها الادريسى فى القرن (٥ ـ ٦هـ / ١١ ـ ١٢م) بقوله أنها « أسفل جبل المقطم على مقربة منها مكان يعرف بتنور فرعون وبعين شمس مما يلى الفسطاط ينبت البلسان وهو النبات الذى يستخرج منه دهن البلسان ولا يعرف بمكان من الأرض الا هناك » (٢٥٥) .

أما ياقوت فى القرن (٧ هـ / ١٣ م) فقد قال أن « عين شمس اسم مدينة فرعون موسى بمصر بينها وبين الفسطاط ثلاث فراسخ (الفرسخ ثلاثة أرباع ميل) وكانت مدينة كبيرة وهى قصبة كورة أتريب وبها قدمت زليخا على يوسف القميص » (٢٥٦) وبين القزوينى بعد ياقوت بقليل من الزمن أنها كانت محل سرير فرعون وتقع بالجانب الغربى من النيل قرب الفسطاط ثم كرر ما ذكره ياقوت بقوله « وبها قدمت زليخا على يوسف عليه السلام » (٢٥٧) .

وذكر ابن دقماق فى القرن (٩ هـ / ١٥ م) بالاضافة الى كل هذه الاشارات أنها « كانت فى قديم الزمان عظيمة الطول والعرض متصلة البناء بمصر القديمة حيث مدينة الفسطاط وبها المسلتان العجيبتان وتعرف الآن (أى على عهده) بالحوف الشرقى وبالمطرية وهى كيمان خراب بين بلدتى الخصوص والمطرية » (٢٥٨) أما على باشا مبارك فقد أشار فى القرن (١٣ هـ/١٩ م) الى أن من هذا الاسم بلدتان بمصر احداهما المطرية من ضواحى القاهرة بمديرية القليوبية ويقال لها منية مطر ٠٠ والمطرية غير عين شمس وانما هى بقربها ، وعين شمس مدينة قديمة كانت بقرب المطرية وكانت تسمى هليوبوليس ، وقد بقى لها هذا الاسم حتى سنة (٢٢٦هـ / ٨٤٠ م) ثم سميت بعده باسم عين شمس (٢٥٩) ٠ وأخيرا قال صاحب القاموس الجغرافى أن موقعها بأراضى ناحية المطرية فى الشمال الشرقى للقاهرة على بعد عشرة كيلو مترات منها ، وقد اندثرت هذه المدينة ويعرف موقعها اليوم بتل الحصن وما جاوره من أرض المطرية حيث توجد احدى المسلتين (٢٦٠) ٠

أما المراجع العربية الحديثة فقد فصلت فى ذلك كثيرا ، وجاء فى هذا الصدد ان تلك المدينة ذكرت فى التوراة باسم « أون » ، وانها كانت فى العصر الفرعونى عاصمة دينية وقاعدة للقسم الثالث عشر من أقسام مصر القديمة ، وقد أقيمت على نهد من الأرض يحيط به سور غليظ لا زالت بقاياه قائمة حتى اليوم وسميت حينذاك (بير رع Per. Ra) أى معبد الشمس أو مدينة الشمس ، ثم تحول هذا الاسم بمعناه عند اليونان الى « هليوبوليس » ، ومع ذلك فقد ظل اسمها القديم « أون » باقيا متداولا عند الأقباط حتى القرن الأول الهجرى/السابع الميلادى لأنها كانت لقدسيتها منبعا للديانة ومركزا لدراسة علم اللاهوت والفلسفة ، وفى هذا يقول على باشا مبارك أن أهلها كانوا أعرف الناس بالعلوم وقد تعلم فى مدرستها أودوكس وأفلاطون وغيرهما علم النجوم والفلسفة والتاريخ وغيره (٢٦١)٠

فلما فتح العرب مصر سنة (٢٠ هـ / ٦٤٠ م) اتخذها عمرو بن العاص ــ كما تروى بعض المصادر والمراجع العربية ــ مقرا يتجهز منه لمعاركه المحلية لما كانت تمتاز به من صلاحية الموقع ووفرة المياه التى كانت فى بئر مجاور لها سماها العرب « بئر الشمس » أو « عين الشمس » فغلب اسم البئر من ثم على المدينة وعرفت به ، الى ان غلب على المدينة فى الوقت الحاضر اسم المطرية واختفى من ورائه اسمها القديم (٢٦٢) ٠

هذا عن المدينة اسما وموقعا ، أما فيما يتعلق بها كمركز صناعى فالذى لا شك فيه أنها كانت المركز الهام والوحيد لانتاج دهن البلسان

فى مصر ، يؤيد ذلك ما جاء فى كثير من المصادر التاريخية التى لا يرقى اليها ريب ، وما ورد فى معظم المراجع العربية وغير العربية والمترجمة ، وقد أفاضت المصادر العربية كثيرا فيما أوردته عن صناعة البلسان فى عين شمس واتفق فى ذلك ما ذكره الاصطخرى فى منتصف القرن (٤ هـ / ١٠ م) (٢٦٣) وما ذكره ناصر خسرو فى القرن (٥ هـ / ١١ م) (٢٦٤) والادريسى فى القرنين (٥ ـ ٦ هـ / ١١ ـ ١٢ م) (٢٦٥) وياقوت الحموى فى القرنين (٦ ـ ٧ هـ / ١٢ ـ ١٣ م) (٢٦٦) والقزوينى فى القرن (٧ هـ / ١٣ م) (٢٦٧) وابن دقماق فى القرن (٩ هـ / ١٥ م) (٢٦٨) والسيوطى فى القرنين (٩ ـ ١٠ هـ / ١٥ ـ ١٦ م) (٢٦٩) وابن ظهيرة فى القرن (١٠ هـ / ١٦ م (٢٧٠) ، ومجمل ما ذكره هؤلاء ان شـجر البلسان كان يشبه فى شكله شجر الحناء أو شجر الرمان أول ما ينشأ ، وأنه كان بالمدينة قوم يخرجون ماء هذا الشجر ، يستقطرونه بجد واجتهاد فى آنية لطيفة من زجاج فيحصلون منه فى العام على نحو مائتى رطل بالمصرى ، وأنه كان هناك رجل نصرانى يطبخه ويصفى منه الدهن بصناعة يعرفها ولا يطلع عليها أحدا وقد اجتهد بعض الملوك لكى يعلمهم ذلك فأبى .

كذلك فقد جاء فى هذه المصادر أيضا ان الملك الكامل محمد كان قد استأذن أباه الملك العادل فى أن يزرع شيئا من شجر البلسان فأذن له ، فلما زرعه لم ينجح ولا حصل منه دهن البته ، فسأل أباه ان يجرى لهذا الزرع ساقية من بئر المدينة فأذن له ففعل ونجح الزرع ، فكان ذلك دليلا على خاصية هذا البئر الذى يقال ان المسيح عليه السلام كان قد اغتسل فيه عندما استراحت العائلة المقدسة تحت ظل شجر البلسان بمدينة « أون » خلال رحلة هـذه العـائلة الى مصر هربا من الحاكم الرومانى بفلسطين ، فكانت لمياهه من ثم خاصيتها التى ميزت هذا الشجر بما كان يستخرج منه ، وفى هذا يقول كل من ياقوت والقزوينى أنه ليس فى جميع الدنيا موضع ينبت فيه شجر البلسان وينجح دهنه الا هناك ، وأرض هذا النبات بالمدينة على امتداد البصر طولا وعرضا (٢٧١) .

والواقع ان ما ذكره على باشا مبارك خلال القرن (١٣ هـ / ١٩ م) فى هذا الصدد يعد أكثر تفصيلا ممن سبقه ، ويتضح مما أورده أن المساحة التى كانت تزرع بشجر البلسان فى عين شمس كانت تقدر بنحو سبعة أفدنة ، وان ارتفاع شجرته كان نحوا من ذراع أو أكثر قليلا ، وان هذه الشجرة كانت تشتمل على قشرين الأعلى أحمر خفيف والأسفل أخضر سميك اذا مضغ ظهر فى الفم منه دهنة ورائحة عطرية ويجتنى دهنه عند طلوع الشعرى بأن تشدخ السيقان بعد ازالة أوراقهـا بحجر معين وبطريقة خاصة ، تحتاج الى صناعة بحيث يقطع القشر الأعلى ويشق الأسفل شقا

لا ينفذ الى الخشب لأنه اذا نفذ لا يخرج منه دهن ، ثم تمهل هذه السيقان بعد الشدخ ريثما يسيل على العود لثاها فيجمع بالأصبع مسحا الى قرن يصب فى القوارير الزجاجية حتى تمتلىء ولا يزال كذلك حتى ينتهى جناه وينقطع لثاه ، وكلما كثر الندى فى الجو كان لثاه أكثر وأغزر (ومقدار ما خرج منه سنة (٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م) وهى عام جدب بلغ نيفا وعشرين رطلا) ، ثم تأخذ القوارير وتدفن فى القيظ وتخرج من الدفن وتجعل فى الشمس ثم تتفقد كل يوم لأخذ ما يطفو عليها من الدهن فوق رطوبة مائية ، ثم يعاد الى الشمس ثم يقطف دهنه وهكذا حتى لا يبقى منه شىء ويؤخذ هذا الدهن ويطبخه قيمه فى الخفية لا يطلع على طبخه أحد ثم يرفعه الى خزانة الملك (٢٧٢) .

وقد رأى ناصر خسرو شجرة البلسان فى عين شمس عندما زار مصر فى القرن (٥ هـ /١١ م) وقال « ان هذا النوع من الشجر لا يوجد فى أى مكان آخر ، واذا زرع فانه لا يكون بهذه الجودة ، واذا نجح فانه لا ينبت بالدهن ، واذا كبر وحان قطافه فان الناس تجدع أغصانه ويربطون على المكان المقطوع زجاجة تمتلىء بمادة صمغية تتسرب من الأغصان وعندما يتم افراغ تلك المادة فى الأوانى الزجاجية تيبس الشجرة وتحمل أعوادها لتباع فى المدينة ، وهى أعواد سميكة يخرج منها طعام يشبه اللوز ، ثم يضيف (٢٧٣) الى ذلك فى معرض حديثه عن العصر الفاطمى قوله « وكذلك تتوافر فى القصر السلطانى جميع أنواع الأشربة والأدوية وتمنح لكل من يطلبها من الناس وكذلك الدهون والمراهم مثل زيت البلسان وغيره مهما طلب الناس منها فانهم يحصلون عليها دون تأخر أو اعتذار أو مطل » (٢٧٤) .

ولكننا لا نميل الى الأخذ بهذا المعنى الذى جعل مرهم البلسان شيئا يعطى لكل الناس مهما طلبوا منه ، لأن هذا الدهن لأهميته وفاعليته فى علاج المبرودين والمقروحين كان عادة ما يمنح على سبيل الهدايا القيمة الى ضيوف الدولة ، وهو الأمر الذى كان ــ على ما يبدو ــ سببا فى احتكار الدولة لصناعته طوال العصور الفاطمية والأيوبية والمملوكية ، ليس هذا فقط بل لقد أحاطت هذه الدول موضعه بسور متين وأناطت حراسته ولا سيما وقت حصاده برجال الشرطة وأحيانا ما عهدت بهذه الحراسة الى الأسرى المسيحيين (٢٧٥) .

وفى ذلك أيضا يقول على باشا مبارك « ويخرج لعصر البلسان أوان ادراكه من قبل السلطان من يتولى ذلك ويحفظه،ويحمل الى الخزانة السلطانية ثم ينقل الى قلاع الشام والمارستانات لمعالجة المبرودين ، ولا يؤخذ منه شىء الا من خزانة السلطان بعد أخذ مرسوم بذلك ، وللملوك النصارى

من الحبشة والروم والفرنج فيه غلو عظيم وهم يتهادونه من صاحب مصر ويسمونه « دهن الميرون » (٢٧٦) .

ومهما يكن من أمر فالواضح من تلك المصادر العربية كلها أن عين شمس كانت قبل الفتح العربى لمصر مركزا هاما لصناعة دهن البلسان ، يؤيد ذلك أيضا ما ورد فى تاريخ البطاركة من أن أمينا على استخراج دهن البلسان أو الميرون كان بالمطرية على أيام البطريرك غبريال بن تريك ، وأن هذا الأمين الذى كان واحدا من رهبان دير الأب حلوش كان قد سعى برهبان الدير ـ طبقا لما أشار اليه ابن المقفع ـ عند الامام الحافظ (٢٧٧) فاذا كان معنى ذلك بما لا يقبل الشك أن غبريال بن تريك هذا كان معاصرا لعهد الخليفة الفاطمى الحافظ لدين الله (٥٢٥ ـ ٥٤٣ هـ / ١١٣٠ ـ ١١٣٨ م) ، فانه يمكن القول ان صناعة البلسان لم تكن قد أنشئت خلال عهد الحافظ لأول مرة ، بل لا بد أن يكون انشاؤها قد سبق هذا التاريخ الى الوراء كثيرا منذ العصر البيزنطى ، بل ربما كان هذا النوع من الدهن هو ما استخدمه المسيح عليه السلام فى علاج المرضى ممن أشار اليهم القرآن الكريم بقوله « وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيى الموتى باذن الله » (٢٧٨) .

من ذلك كله يتضح أن صناعة مرهم البلسان كانت قد مورست فى عين شمس منذ العصر البيزنطى وظلت تمارس فيها خلال العصر الاسلامى حتى القرن (١٠ هـ / ١٦ م) طبقا لما أشار اليه السيوطى (٢٧٩) . مرورا بتأكيد استمراريتها خلال هذا العصر فى القرن (٧ هـ / ١٣ م) طبقا لما ذكره ابن مماتى (٢٨٠) .

٣ ـ المقس :

المقس كما حددتها المصادر والمراجع العربية هى « أم دنين » (Tendunyas) وكانت تقع على شاطىء النيل تجاه القاهرة الى الشمال من حصن بابيلون على البر الغربى للخليج ، فلما انحسر عنها ماء النيل بعد سنة (٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م) ، وظهرت جزيرة الفيل تقلص النيل عند سور القاهرة الذى كان ينتهى عند المقس ، والمعروف أن النيل كان يجرى حينذاك بجوار حصن بابيلون ودير أبى سيفين فكان مجراه بهذا شرق المجرى الحالى بكثير وكان بعد مروره بمنطقة الكبش يتجه شمالا حتى المقس ، فكانت المقس بذلك هى ميناء القاهرة النهرى منذ الفتح العربى لمصر حتى القرن (٦ هـ / ١٢ م) .

وموقع المقس اليوم هو محطة باب الحديد وشارع كلوت بك الى حديقة الأزبكية فى المنطقة الواقعة بين جامع المقس (أولاد عنان حاليا)

بشارع رمسيس حتى شارع قنطرةالبركة (نجيب الريحانى الآن) ويشمل ذلك مدخل شارع الجمهورية من جهة شارع رمسيس والمبانى الواقعة على جانبيه حتى الدرب الابراهيمى (٢٨١) .

والواقع أن « أم دنين » كانت قبل الاسلام واحدة من المدن المصرية الهامة . يدل على ذلك ما أورده كل من ياقوت فى القرن (٧ هـ / ١٣ م) وابن تغرى بردى فى القرن (٩ هـ / ١٥ م) من أنها كانت تشتمل قبل بناء الفسطاط على حصن حاصره عمرو بن العاص وقاتل أهله قتالا شديدا حتى فتحه الله له سنة (٢٠ هـ / ٦٤٠ م) فكان هذا الفتح بمثابة قاعدة اتخذها العرب على النيل تركوا فيها حامية لهم وانطلقوا منها بالسفن عبر النهر لمتابعة الفتح (٢٨٢) ، ويذكر أن سبب تسمية المقس بهذا الاسم يرجع الى أنها كانت فى العصر الاسلامى مقرا لصاحب المكس أو العاشر الذى كان يأخذ عشر أموال القوم من بائعى السلع فى الأسواق مكسا أو جباية للدولة فقلبت الكاف فى كلمة المكس قافا وقيل المقس (٢٨٣) .

أما فيما يتعلق بالمقس كمركز صناعى فان ما لدينا من مادة تاريخية مؤكدة تثبت بما لا يدع مجالا للشك أنها كانت منذ العصر الفاطمى أحد المراكز الهامة لصناعة السفن ، وقد جاء فى ذلك ــ طبقا لما ذكره المقريزى ــ أن المعز لدين الله الفاطمى هو الذى أنشأ دار الصناعة بالمقس وبنى فيها ستمائة مركب لم ير مثلها فى البحر على ميناء ، وعندما تم بناء هذه السفن ركب فى شوال سنة (٣٦٢ هـ / ١٩٧٢ م) الى المدينة ليشرف بنفسه على الاسطول وقرأ عليه وعوذه (٢٨٤) .

ويغلب على الظن أن سبب انشاء هذا الاسطول يرجع الى ان الروم كانوا قد هددوا سواحل الشام التى كانت فى حوذة العبيديين ، واستولوا على بعض منها مثل حلب وأنطاكية فأمر المعز بانشاء دار للصناعة بالمقس قريبا من مدينتهم القاهرة لبناء الاسطول الذى يرد به على غارات هؤلاء الروم ويؤمن بواسطته حدود الدولة الساحلية (٢٨٥) فلما تولى الحاكم بأمر الله أقام الى جوار دار الصناعة هـذه مسجدا سمى بجامع المقس فعمرت المنطقة وأمها الناس حتى أصبحت بعد ذلك من أهم ثغور القاهرة (٢٨٦) ، وفى عهد العزيز بالله جددت هذه الدار وأمر من فيها سنة (٣٨٦ هـ / ٩٩٦ م) ببناء أسطول ضخم للهجوم على قواعد الروم المجاورة للشام ، ولكن ما كادت دار صناعة المقس ان تفرغ من بناء هذا الأسطول حتى شب حريق هائل أتى على معظم قطعه التى كانت قد بنيت ، واتهم الخليفة تجار الروم وعملاءهم فى مدينة أمالقى بتدبير الحادث فاعترفوا بجريمتهم وغادروا البلاد مطرودين (٢٨٧) .

وكان من جملة مناظر الفاطميين منظرة بجوار جامع المقس على النيل الأعظم أعدت لنزول الخليفة بها عند تجهيز الأسطول للغزو فيحضر اليها رؤساء الشوانى مجهزة بأنواع العدد والسلاح ويلعبون بها فى النيل أمامه . وقد خربت هذه المنظره وصار موقعها فى الدولة الأيوبية برجا عرف بقلعة المقس فلما جدد الوزير شمس الدين بن على جامع المقس سنة (٧٧٠ هـ /١٣٦٨ م) هدم هذا البرج وجعل مكانه حديقة شرقى الجامع (٢٨٨) .

وظلت المقس ثغرا من أهم ثغور القاهرة كما ظلت دار صناعتها عامرة عاملة حتى بداية العصر الأيوبى فى أواخر القرن (٦ هـ /١٢ م) عندما ما سجله ابن عبد الحكم فى القرنين (٢ ــ ٣ هـ / ٨ ــ ٩ م) بقوله « كان ينتهى عندها ، وهنا امتلأت المنطقة بالرمال وأخذت الجزر تزداد فيها سنة بعد أخرى وسميت هذه المنطقة باسم بولاق التى ما أن تكونت حتى اتجهت العناية الى تعميرها منذ ولاية الناصر محمد بن قلاوون الثالثة (٧٠٩ ــ ٧٤١ هـ / ١٣٠٩ ــ ١٣٤٠ م) حتى صارت بولاق ثغر القاهرة بدلا من المقس (٢٨٩) .

وآخر ما يمكن الاشارة اليه بالنسبة للمقس كمركز صناعى هو ما سجله ابن عبد الحكم فى القرنين (٢ ــ ٣ هـ / ٨ ــ ٩ م) بقوله كان لقريات من مصر منهن أم دنين وبلهيب عهد ، وان عمر بن الخطاب لما سمع بذلك كتب الى عمرو بن العاص يأمره أن يخيرهم فان دخلوا الاسلام فذلك وان كرهوا فارددهم الى قراهم » (٢٩٠) ، ومعنى ذلك أن « أم دنين » كانت دارا يسكنها القبط وربما كان ذلك سببا يدعونا الى القول بأن صناعة نسيج كانت تمارس فيها رغم أننا نفتقر الى الأدلة الكافية لاثبات ذلك ، ولكن هذا القول ينبع مما نعرفه من أن صناعة النسيج فى مصر بشكل عام كانت قد انتشرت فى البلدان التى يسكنها هؤلاء الأقباط ، ولعل فيما فرضه عمرو بن العاص عليهم استيفاء لحاجة المسلمين من السراويل والجبب والقمصان القبطية والبرنسات ونحوها ، دليلا على أن كل هذه الأنواع من الثياب كانت تصنع فى الكثير من البلدان التى قطنوها ولا سيما ما كان منها مجاورا للعاصمة التى اتخذها العرب بعد الفتح (الفسطاط) .

٤ ــ مراكز أخرى بالقاهرة :

قبل أن ننهى الحديث فى هذا الفصل عن المراكز الصناعية بضواحى العاصمة ، لا بد لنا من الاشارة الى بعض المراكز الفرعية الصغيرة بالقاهرة ونعنى بذلك بولاق والجزيرة الوسطى وقصر ابن العينى .

وقد أشار السيوطى الى بولاق فى معرض سرده لحوادث سنة (٧٥٧ هـ / ١٣٥٦ م) وذكره لهبوب عاصفة شديدة فى هذه السنة أغرقت نحو ثلاثمائة مركب عند ساحل بولاق (٢٩١) وقد سبقت الاشارة الى أن هذه الضاحية كانت قد أصبحت بعد انحسار النيل عن المقس ثغرا هاما بالقاهرة ودارا لصناعة السفن منذ أواسط القرن (٨ هـ / ١٤ م) وازدهرت هذه الدار خلال عصر المماليك الشراكسة بدليل ما ورد على لسان ابن اياس من ان السلطان الغورى كان قد توجه فى صفر سنة (٩٢٧ هـ / ١٥٢٠ م) الى مدينة طرة لاستعراض المركب الكبير الذى سمى بالغليون والذى كان قد عمر فى بولاق ، فلما تم بنــاؤه زينوه بالصناجق والطوارق والمكاحل وتوجهوا به الى طره حيث عرضوه على السلطان فى البحر (٢٩٢) ، واستمرت دار الصناعة فى بولاق عامرة الى ما بعد انتهاء دولة المماليك بوقت طويل ٠

أما الجزيرة الوسطى أو جزيرة أروى فكانت تقع فى وسط النيل بين الروضة وبر الجيزة وبر القاهرة وبولاق ، وتعرف هذه الجزيرة اليوم بالزمالك ، وكان انحسار الماء عنها سنة (٧٠٠ هـ / ١٣٠٠ م) (٢٩٣) ، وقد أنشأ سلاطين المماليك بهذه الجزيرة دارا للصناعة ، يدل على ذلك ما ذكره ابن اياس من ان السلطان اينال (٨٥٧ ـ ٨٦٥ هـ / ١٤٥٣ ـ ١٤٦٠ م) كان قد شرع فى عمارة أغربة بالجزيرة الوسطى عندما رسم بتجريد حملة الى جزيرة قبرص ، فلما انتهت عمارة هذه الأغربة نزل السلطان بنفسه من القلعة وتوجه الى تلك الجزيرة واستعرض ما تم بناؤه فيهـا (٢٩٤) ٠

أما قصر ابن العينى فقد أنشأه سنة (٨٧٠ هـ / ١٤٦٥ م) المقر الشهابى أحمد بن العينى ، وبذلك نسب اليه وقيل قصر ابن العينى ، ثم اختصرت التسمية وقيل قصر العينى أو القصر العينى ، ويروى ابن اياس أنه فى ذى القعدة سنة (٨٧١ هـ / ١٤٦٦ م) ركب السلطان الظاهر خشقدم من القلعة وشق مصر العتيقة الى أن وصل الى شاطىء البحر فنزل فى الحراقة وانحدر الى قصر ابن العينى الذى أنشأه فى منشأة المهرانى على النيل تجاه آخر الروضة فأقام بها الى آخر النهار ، ثم يضيف فى حوادث سنة (٩٢٨ هـ / ١٥٢١ م) أن والى القاهرة كان قد توجه نحو قصر ابن العينى وكشف على المراكب التى أنشأها هناك واستعجل الصناع فى سرعة العمل (٢٩٥) ٠

وبعد ، فليس بغريب أن تؤسس كل هذه الدور فى مصر لصناعة السفن ، ومن المعروف أنه كان للمصريين بوجه عام وللأقباط قبل الفتح

العربى بوجه خاص يد طولى فى هذا المجال فكانت هناك عائلات قبطية كثيرة اختصت باتقان فنون هذه الصناعة مثل سد الثغرات واستخدام المسامير أو الحبال وطلاء الزفت والقطران والنقش بمختلف الألوان ونحو ذلك ، لهذا كان الأقباط هم عماد الدور التى أقامها المسلمون فى كل من مصر والشام وبلاد المغرب ٠

٣ ـ حواشي وتعليقات الفصل الثالث
من الباب الأول
ضواحي العاصمة

٢٢٦ ـ الاصطخرى : المصدر السابق : ص ٤٩ .

٢٣٧ ـ ناصر خسرو : المصدر السابق : ص‌ص : ١٠٩ ـ ١١٤ وأنظر أيضا محمد رمزى : المرجع السابق : ج ٣ ق ٢ ص ١٩ .

٢٢٨ ـ الادريسى : المصدر السابق : ص ١٤٤ .

٢٢٩ ـ القزوينى : المصدر السابق : ص ٢٣٧ .

٢٣٠ ـ ياقوت الحموى : المصدر السابق : ج ٢ ص ١٣٩ .

٢٣١ ـ ابن بطوطة : المصدر السابق : ص ٣٧ .

٢٣٢ ـ ابن دقماق : المصدر السابق : ج ٢ ص ص : ١٠٩ ـ ١٢٠ .

٢٣٣ ـ السيوطى : المصدر السابق : ج ٢ ص ص : ٣٧٧ ـ ٣٨٦ .

٢٣٤ ـ راجع فى ذلك : المقريزى : الخطط : ج ٢ ص ص : ١٢ ـ ١٣ ، ٦٠٩ وانظر أيضا : السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق : ج ١ ص ٢١٧ .

٢٣٥ ـ لمعلومات أكثر تفصيلا عن البحرية الاسلامية أنظر :

Fahmy (A. H.) : Muslim Sea power in the Eastern Mediterranean from the seventh to the tenth century A. D. (1st. ed., Cairo 1966).

وأنظر أيضا : جورجى زيدان : المرجع السابق : ج ١ ص ١٦١ .

٢٣٦ ـ محمد عبد العزيز مرزوق : تاريخ الحضارة المصرية : ج ٢ ص ٣٧٤ .

٢٣٧ ـ المقريزى : الخطط : ج ٢ ص ٦١٥ ، ابن دقماق : المصدر السابق : ج ١ ص ١٢ ، السيوطى : المصدر السابق : ج ٢ ص ٣٧٨ . وأنظر أيضا : سعاد ماهر : البحرية فى مصر الاسلامية : ص ٣١٥ ، عبد الرحمن زكى : الفسطاط وضاحيتاها العسكر والقطائع : ص ٣٠ ، أبو زيد شلبى : المرجع السابق : ص ١٦٦ ، على حسنى الخربوطلى : المرجع السابق : ص ٦٢ .

٢٣٨ ـ المقريزى : المصدر السابق : ج ٢ ص ٦١٥ وما بعدها ، ابن دقماق : المصدر السابق : ج ١ ص ١٢ وأنظر أيضا : عبد الرحمن زكى : المرجع السابق : ص ٣١ .

٢٣٩ ـ لمعلومات أكثر تفصيلا فى ذلك أنظر :

Fahmy (A. H.) : Muslim naval in the Eastern Mediterranean from the seventh to the tenth century A.D. (1st. ed. Cairo 1966);
Kubiak (W. B.) : The Byzantine attack on Damietta in 853. A.D. (Byzantion, vol. xl, 1970. pp. 45-66).

وأنظر أيضا : جورجى زيدان : المرجع السابق : ج ١ ص ١٦١ .

٢٤٠ ـ سعاد ماهر : المرجع السابق : ص ٣١٣ ، أبو زيد شلبى : المرجع السابق : ص ١٦٦ ٠

٢٤١ ـ راجع أيضا : المسبحى : أخبار مصر : ج ١ ص ١٠ ح ١ ، القلقشندى : صبح الأعشى : ج ٣ ص ٣٣٥ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة : ج ٤ ٠ ص ٩٩ ٠

٢٤٢ ـ حورية عبد السلام : النظم الحربية فى مصر زمن الفاطميين : ص ص ٧٩ ـ ٨٤ ، أبو زيد شلبى : المرجع السابق : ص ١٦٩ ، السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق : ج ١ ص ص : ١٣١ ـ ١٣٩ ٠

٢٤٣ ـ المقريزى : المصدر السابق : ج ٢ ص ١٨ ، ابن دقماق · المصدر السابق : ج ١ ص ١٢ ٠

٢٤٤ ـ المقريزى : المصدر السابق : ج ٢ ص ١٨ ، السيوطى : المصدر السابق : ج ٢ ص ٣٧٩ ٠

٢٤٥ ـ ابن مماتى : المصدر السابق : ص ٣٤٠ ، المقريزى : المصدر السابق : ج ٢ ص ١٨ ، السيوطى : المصدر السابق : ج ٢ ص ٢٢٩ وأنظر أيضا : جورجى زيدان : المرجع السابق : ج ١ ص ١٦١ ٠

٢٤٦ ـ المقريزى : المصدر السابق : ج ٢ ص ٨ وانظر أيضا : جورجى زيدان : المرجع السابق : ج ١ ص ١٥٩ ، السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق : ج ١ ص ٢١٨٠

٢٤٧ ـ المقريزى : السلوك : ج ٣ ق ٢ ص ٤٧٢ ، وأنظر أيضا : جورجى زيدان : المرجع السابق : ج ١ ص ١٥٩ ، أبو زيد شلبى : المرجع السابق : ص ١٦٨ ٠

٢٤٨ ـ راجع فى ذلك : المقدسى : المصدر السابق : ص ٤٠٨ وأنظر أيضا : أدم متز : المرجع السابق : ج ٢ ص ص : ٣٦٣ ـ ٣٦٤ ، أبو زيد شلبى : المرجع السابق : ص : ٣٠٨ ٠

٢٤٩ ـ البلاذرى : المصدر السابق : ج ٣ ص ٧٥٤ ٠

٢٥٠ ـ ابن حوقل : المصدر السابق : ص ١٥٠ وأنظر أيضا : على باشا مبارك · الخطط التوفيقية الجديدة : ج ١٥ ص ٥٢ ٠

٢٥١ ـ الاصطخرى : المصدر السابق : ص ٥٤ ٠

٢٥٢ ـ المسبحى : أخبار مصر : ج ١ ص ٩ ح ١ ٠

٢٥٣ ـ الادريسى : المصدر السابق : ص ص : ١٤١ ، ١٤٥ ٠

٢٥٤ ـ ياقوت : المصدر السابق : ج ٤ ص ص : ١٧٨ ـ ١٧٩ وأنظر أيضا : عبد العال الشامى : مدن مصر وقراها عند ياقوت : ص ٤٧ ٠

٢٥٥ ـ القزوينى : المصدر السابق : ص ص : ٢٢٤ ـ ٢٢٥ ٠

٢٥٦ ـ ابن دقماق : المصدر السابق : ج ٢ ص ص : ٤٣ ـ ٤٤ ٠

٢٥٧ ـ على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١٥ ص ص : ٤٧ ـ ٥١ ٠

٢٥٨ ـ محمد رمزى : المرجع السابق : ج ١ ص ٣٣٩ وأنظر أيضا : قاموس جغرافى للقطر المصرى : ص ٧٤٣ ، الموسوعة العربية الميسرة : ص ١٧١٣ ٠

٢٥٩ ـ على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١٥ ص : ٤٨ ٠

٢٦٠ ـ راجع : الكندى : المصدر السابق : ص ٥٢ ، ياقوت : المصدر السابق ج ١ ص ٢٨٣ وأنظر أيضا : بتلر : المرجع السابق : ص ص : ٢٠٠ ـ ٢٠١ ، محمود عكوش : المرجع السابق : ص ص : ٥٢ ـ ٥٣ ٠

٢٦١ ـ الاصطخرى : المصدر السابق : ص ٥٤ ٠

٢٦٢ ـ ناصر خسرو : المصدر السابق : ص ص : ١٠٣ ـ ١٠٤ ٠

٢٦٣ ـ الادريسى : المصدر السابق : ص : ١٤١ ٠

٢٦٤ ـ ياقوت الحموى : المصدر السابق : ج ٥ ص ١٤٩ وانظر أيضا : عبد العال الشامى : المرجع السابق : ص ص : ٣٦ ـ ٣٧ ٠

٢٦٥ ـ القزوينى : المصدر السابق : ص ص : ٢٢٤ ـ ٢٢٥ ٠

٢٦٦ ـ ابن دقماق : المصدر السابق : ج ٢ ص ص : ٤٣ ـ ٤٤ ٠

٢٦٧ ـ السيوطى : المصدر السابق : ج ٢ ص : ٢٣١ ٠

٢٦٨ ـ ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص : ١٣٣ ٠

٢٦٩ ـ ياقوت : المصدر السابق : ج ٥ ص ١٤٩ وأنظر أيضا : عبد العال الشامى : المرجع السابق ص ص : ٣٦ ـ ٣٧ ، القــزوينى : المصدر السابق : ص ص : ٢٧١ ـ ٢٧٢ ٠

٢٧٠ ـ على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١٥ ص : ٥٣ ٠

٢٧١ ـ ناصر خسرو : المصدر السابق : ص : ١١٤ ٠

٢٧٢ ـ نفس المصدر : ص ١١٤ ٠

٢٧٣ ـ أنظر أيضا : راشد البراوى : المرجع السابق : ص ٣٨٤ ، سعاد ماهر القاهرة القديمة وأحياؤها : ص ص : ١٢٧ ـ ١٢٨ ٠

٢٧٤ ـ على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١٥ ص ٥٣ ٠

٢٧٥ ـ ساويرس : تاريخ البطاركة : مجلد ٣ ج ١ ص ص : ٣٥ ، ٤١ ٠

٢٧٦ ـ سورة آل عمران : آية : ٤٩ ٠

٢٧٧ ـ السيوطى : المصدر السابق : ج ٢ ص ٢٣١ ٠

٢٧٨ ـ ابن مماتى : المصدر السابق : ص ٨١ وأنظر أيضا : راشد البراوى : المرجع السابق : ص ٣٨٤ ٠

٢٧٩ ـ راجع فى ذلك المسبحى : المصدر السابق : ج ١ ص ٢٠ ح ٤ ، القلقشندى : المصدر السابق : ج ٣ ص ٣٥٧ ، السخاوى : الذيل على رفع الاصر : ص ٢١٥ ٠ وأنظر أيضا : محمد رمزى : المرجع السابق ج ١ ص ١١٤ ، بتلر : المرجع السابق : ص ١٩٢ ٠

٢٨٠ ـ راجع : ياقوت : المصدر السابق : ج ١ ص ٢٥١ ، عبد العال الشامى : المرجع السابق : ص ٥٦ ، ابن تغرى بردى : المصدر السابق : ج ٤ ص ٥٣ وأنظر أيضا : بتلر : المرجع السابق : ص ١٩٤ ٠

٢٨١ ـ راجع فى ذلك : المقريزى : المصدر السابق : ج ٢ ص ٥٠٧ وأنظر أيضا :

عبد العال الشامي : المرجع السابق ص ٥٦ ، المسبحي : المصدر السابق : ج ١ ص ٣٠ ح ٤ .

٢٨٢ ـ المقريزي : الخطط : ج ٢ ص ٥٠٧ وراجع أيضا : اتعاظ الحنفا (تحقيق الشيال) ص ١٣٩ .

٢٨٣ ـ أبو زيد شلبي : المرجع السابق : ص ص : ١٦٧ ـ ١٦٨ ، جورجي زيدان : المرجع السابق : ج ١ ص ١٦١ .

٢٨٤ ـ راجع في ذلك : المقريزي : الخطط : ج ٢ ص ٥٠٢ ، السلوك : مجلد ١ ق ١ ص ٧٤ ح ٧ وأنظر أيضا : سعاد ماهر : القاهرة القديمة وأحياؤها : ص ٦٧ .

٢٨٥ ـ راجع : المقريزي : الخطط : ج ٢ ص ٢٥٧ وأنظر أيضا : سعاد ماهر : البحرية في مصر الاسلامية : ص : ٣١٧ ، السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق : ج ١ ص ٩١ .

٢٨٦ ـ راجع : المقريزي : الخطط : ج ٢ ص ٢٥٧ وأنظر أيضا : السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق : ج ١ ص ص : ٢٢٢ ـ ٢٢٣ ، سعاد ماهر : القاهرة القديمة وأحياؤها : ص ٦٧ .

٢٨٧ ـ راجع في ذلك : المقريزي : الخطط : ج ٢ ص ص : ١٨٥ ـ ١٨٦ وأنظر أيضا : سعاد ماهر : ص ص ٦٧ ـ ٦٨ ، عبد الرحمن زكي : القاهرة (تاريخها وآثارها) ص ص : ٢٣٦ ـ ٢٣٧ ، السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق : ج ١ ص ص : ٢٢٢ ـ ٢٢٣ .

٢٨٨ ـ راجع في ذلك : ابن عبد الحكيم : فتوح مصر واخبارها ، ص ٧٨ .

٢٨٩ ـ السيوطي : المصدر السابق : ج ٢ ص ١٨٠ وأنظر أيضا : قاموس جغرافي للقطر المصري : ص ١٤٩ .

٢٩٠ ـ ياقوت : المصدر السابق : ج ٥ ص ١٧٥ ، ابن اياس : بدائع الزهور : ج ٣ ، ص ٣٠٣ وأنظر أيضا : السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق : ج ١ ص ٢٢٣ .

٢٩١ ـ راجع في ذلك : ياقوت : المصدر السابق : ج ٥ ص ١٧٥ ، المقريزي : الخطط : ج ٢ ص ٥٠٧ وأنظر أيضا : السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق : ج ١ ص ٢٢٤ ، عبد الرحمن زكي : موسوعة مدينة القاهرة : ص ٦٤ .

٢٩٢ ـ ابن اياس : المصدر السابق : ج ٢ ص ٦٣ .

٢٩٣ ـ نفس المصدر : ج ٣ ص ٣٠٢ .

الباب الثانى

مراكز الوجه البحرى

مما لا شك فيه أن مراكز الصناعة فى الوجه البحرى كانت قد لعبت دورا هاما وأساسيا فى تشكيل البنية الاجتماعية للتجمعات الحضرية المصرية فى العصور الاسلامية بشكل عام ، وفى محيط أقاليمها المحلية بشكل خاص ، لأن هذه المراكز كانت قد أخذت بالفعل دور القيادة الصناعى والحرفى والتجارى ، ومن ثم دور القيادة الحضارى لهذه الأقاليم بسبب الكثير من الأنشطة الصناعية والحرفية والتجارية التى تطلبتها الصناعات والحرف التى مورست فيها ٠

فمن هذه المراكز لم يخرج العديد من الانتاج الصناعى والحرفى ليفى بحاجة الأسواق الاقليمية فقط ، وانما ليمد الأسواق المصرية الأخرى بما كان روادها فى حاجة اليه ، ليس هذا فقط ، بل ان انتاج هذه المراكز ذو الجودة العالية مثل منسوجات تنيس وتونة ودبيق ودمياط وشطا وغيرها كان يصدر الى مختلف الأسواق الأجنبية حاملا معه شهادة التفوق الصناعى المصرى الى هذه الأسواق من ناحية ، وجالبا الكثير من العملات الأجنبية لتدعيم الاقتصاد الوطنى من ناحية أخرى ٠

وأهم من هذا وذاك أن مصر نتيجة لما صنعته هذه المراكز كانت قد عرفت بين دول العالم المعاصر (حينذاك) كدولة صناعية متقدمة اعتمد عليها فى تلبية كثير من متطلبات هذه الدول ، وفى هذا ما يكفى لالقاء الضوء على أهمية الدور الذى لعبته هذه المراكز فى حياة المجتمع المصرى خلال عصوره الاسلامية ٠

والواقع أن حديثنا عن مراكز الصناعة فى الوجه البحرى ينقسم الى ثلاثة فصول يخصص الأول منها لمراكز غرب الدلتا ، ويخصص الثانى

لمراكز وسط الدلتا ويخصص الثالث لمراكز شرق الدلتا وسنحاول فى هذا الحديث ابراز الدور الصناعى والحرفى لكل مركز من هذه المراكز معتمدين فى ذلك ـ كما حدث فى الباب الأول ـ على ما عثر عليه فى أى منها من مخلفات أثرية فى المقام الأول وعلى ما كتب عنها فى المصادر العربية فى المقام الثانى وعلى ما ورد بشأنها فى المراجع الحديثة فى المقام الثالث ٠

الفصل الأول

غرب الدلتا

انحصرت مراكز الصناعة فى غرب الدلتا خلال العصور الاسلامية بصفة أساسية فى اقليمى الاسكندرية والبحيرة ، ونعنى بذلك مدينة الاسكندرية ذاتها ثم مدينة دمنهور وتوابعها وهى بلقطر وترنوط (الطرانة) ورشيد وادكو ٠

١ ــ الاسكندرية :

الاسكندرية هى عاصمة الاقليم الحضارى القديم المعروف بذات الاسم ومقره الادارى (٢٩٦) ، وقد جاء ذكرها فى كثير من المصادر العربية بدءا من مصادر القرن (٢ هـ / ٨ م) حتى مصادر القرن (١٠ هـ / ١٦ م) ٠ وأفاضت علينا هذه المصادر طوال ثمانية قرون من عمر الزمن بمعلومات وافرة عن المدينة وكل ما يحيط بها ، من ذلك مثلا ما أشار اليه ابن عبد الحكم فى القرن (٢ ــ ٣هـ /٨ ــ ٩م) بقوله أن الذى بنى الاسكندرية هو ذو القرنين الرومى واسمه الاسكندر وبه سميت الاسكندرية ، وبين أنها كانت تتألف حينذاك من ثلاث مدن تجاور بعضها بعضا هى : منه وهى موضع المنارة وماوالاها ، والاسكندرية وهى موضع قصبة الاسكندرية اليوم ، نقيطة (التى لم يحددها) ، وأضاف أنه كان على كل واحدة منهن سور علاوة على سور من خلف ذلك على الثلاث (٢٩٧) ، ورغم ما أفادنا به ابن عبد الحكم من معلومات قيمة عن الاسكندرية ، الا أنه قد خلط فى التسمية بين ذى القرنين الملك العربى اليمنى الحميرى وبين الاسكندر الأكبر ابن فليبس المقدونى بانى الاسكندرية الذى لم يتسم بذى القرنين طبقا لما أجمع عليه المؤرخون ، أولا لأن ذو القرنين العربى هو الصعب بن ذى مراثد بن الحارث بن وائل بن حمير بن سبأ بن قحطان ، وكان ملكا عربيا من ملوك حمير تجبر بعد ما ولى الملك ثم تواضع لله واجتمع بالخضر ، وهو الذى جاء ذكره فى القرآن الكريم فى قوله تعالى « ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا ، انا مكنا له فى الأرض وآتيناه من كل شىء سببا فاتبع سببا حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا

ياذا القرنين اما ان تعذب واما أن تتخذ فيهم حسنا » (٢٩٨) ، وثانيا لأن حرف ذى يدل على صفة لم تعرفها الا الأسماء العربية ، ومن ثم فقد جانب التوفيق ابن عبد الحكم عندما نعت الاسكندر المقدونى بذى القرنين (٢٩٩) ·

كذلك فقد أشار البلاذرى الى الاسكندرية فى القرن (٣هـ /٩م) وقال أنها « على ساحل بحر الشام افتتحها العرب سنة عشرين من الهجرة » (٣٠٠) . وقال الكندى فى القرنين (٣ ــ ٤ هـ / ٩ ــ ١٠ م) « أن الناس أجمعوا على أنه ليس فى الدنيا مدينة على ثلاث طبقات غيرها » (٣٠١) ، كما ذكرها فى القرن (٤هـ /١٠م) كل من ابن حوقل والمسعودى والاصطخرى فقال الأول أنها « مدينة على بحر الروم رسومها بينة وآثار أهلها ظاهرة تنطق عن ملك وقدرة وتفصح عن عظة وعبرة كبيرة الحجارة جليلة العمارة » (٣٠٢) ، وقال الثانى أن الاسكندر « حشد لها الصناع من البلاد وخط الأساس وجعل طولها وعرضها أميالا وحشد اليها العمد من الرخام الذى أتت به المراكب من جزيرة صقلية وبلاد افريقية وأقريطش وغيرها » (٣٠٣) ، أما الثالث فقد قال أنها مدينة على شط البحر كثيرة الرخام والعمد وبها منارة وقد أسست فى الماء من صخر رفيع (٣٠٤) ·

وجاء ناصر خسرو والادريسى فى القرنين (٥ ــ ٦ هـ / ١١ ــ ١٢ م) فحدد الأول موقعها على ساحل بحر الروم وحافة النيل كما حدد المسافة بينها وبين القاهرة بثلاثين فرسخا وقال ان السفن تنقل كثيرا من الفواكه من مينائها الى مدينة القاهرة (٣٠٥) ، وقال الثانى أنها « مدينة بناها الاسكندر وبه سميت وهى على نحر البحر الملح وبها آثار عجيبة ورسوم قائمة تشهد لبانيها بالملك والقدرة · وهى قاعدة من قواعد مصر » (٣٠٦) ، وذكر القزوينى فى القرن (٧هـ / ١٣م) أنها « مدينة مشهورة بمصر على ساحل البحر » (٣٠٧) ، وقد زارها ابن بطوطة فى جمادى الآخرة سنة (٧٢٦ هـ /ابريل سنة ١٣٢٦ م) ووصفها بالثغر المحروس والقطر المأنوس كما وصف أبوابها ومرساها والمنارة وعمود السوارى ، وتكلم كثيرا عن علمائها وأوليائها وكل خصائصها (٣٠٨) ·

وأوضح المقريزى فى القرنين (٨ ــ ٩ هـ / ١٤ ــ ١٥ م) أن الاسكندرية من أعظم مدائن الدنيا وأقدمها وقد بنيت غير مرة كانت أولها بعد الطوفان فى زمن مصرايم بن بيصر بن نوح ، وقد سميت (حينذاك) باسم رقودة ، ثم بنيت بعد ذلك مرتين (لم يحددهما) الا أنه قال فلما كانت أيام اليونانيين جددها الاسكندر بن فيليب المقدونى فانتقل تخت المملكة من مدينة منف اليها فصارت دار المملكة بمصر حتى قدم عمرو

ابن العاص بجيوش المسلمين وفتح مصر فانتقل تخت الملك من الاسكندرية الى الفسطاط (٣٠٩) . ومع أننا نجد فيما ذكره المقريزى عن الاسكندرية فى القرن (٩هـ /١٥م) تطابقا كبيرا مع ما ذكره ابن عبد الحكم عن المدينة فى القرنين (٢ ـ ٣ هـ / ٨ ـ ٩ م) فيما عدا تسمية أولهما لمنة التى ذكرها ثانيهما بمنيعة واشارته الى أنه كان يحيط بها سبعة حصون وسبعة خنادق (٣١٠) ، الا أننا نجد اختلافا ظاهرا بين ما ذكره نفس المؤرخ وما أورده المسعودى فى القرن (٤ هـ / ٢٠ م) وهو اختلاف يفهم منه أن ما ذكره المسعودى يعنى أن المدينة كانت قد أنشئت لأول مرة على عهد الاسكندر بينما يفهم مما ذكره المقريزى أن الاسكندرجدد بناءها فقط ولم ينشئها لأول مرة . أما ابن دقماق فقد أوضح فى القرن (٩ هـ / ١٥ م) أنه « لم يكن بالديار المصرية مثل الاسكندرية ولا ما يقاربها فى الحسن واتقان البناء » (٣١١) ، وأخيرا أورد ابن ظهيرة فى القرن (١٠ هـ /١٦م) نقلا عن المقريزى أن الاسكندرية هى « ثانى مدينة باقليم مصر وهى ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد » (٣١٢) .

وأضافت بعض الكتب الحديثة الى ما ورد فى المصادر العربية عن مدينة الاسكندرية ما مؤداه أنها كانت قد أنشئت خلال حملة الاسكندر على مصر سنة ٣٣١ ق.م ، وان الذى وضع تخطيطها طبقا لأحدث قواعد تخطيط المدن حينذاك هو المهندس الروديسى دينوكراتس وكانت المدينة مستطيلة الشكل تشقها شوارع تتقاطع عموديا بعضها على بعض (٣١٣) . وقد اختير للمدينة موقعا عند الطرف الشرقى للساحل الافريقى فوق كتلة من الرمال ربطت القارة بجزيرة فاروس القديمة وجعلتها تلامس البحر المتوسط فى الشمال وبحيرة ماريوتيس فى الجنوب (٣١٤) .

وقد عرفت الاسكندرية منذ عصرى اليونان والرومان كمركز صناعى هام مورست فيه كافة الصناعات التى عرفت فى العالم القديم ولا سيما صناعات الفخار والخزف والنسيج والزجاج والمعادن وسك العملة وغيرها ، وقد ورد فى ذلك أيضا أن الاغريق كانوا قد ساهموا كثيرا فى حياة مصر الاقتصادية بادخالهم نشاط العبيد بالاسكندرية فى الصناعة ، اذ كان يعيش منهم فى المدينة وقتذاك ما يقرب من مائتى ألف عبد عملوا فى كثير من مصانعها وساعدوا على كثرة انتاجها (٣١٥) .

وبعد هذا العرض الموجز عن مدينة الاسكندرية قبل الفتح الاسلامى العربى لمصر (تاريخا وموقعا) نأتى الى الحديث عنها كمركز صناعى اسلامى نشطت فيه صناعات النسيج والزجاج وسك العملة وبناء السفن والخزف والجلود ، بالاضافة الى مجموعة أخرى من الصناعات التى اعتمدت على

منتجات زراعية مثل السكر والنبيذ والصابون والحصير وغيرها . وسنوضح فيما يلى موقف كل واحدة من هذه الصناعات التى عرفتها المدينة فى عصورها الاسلامية بعد أن فتحها عمرو بن العاص اثر حصار طويل دام ــ كما يقول المقريزى ــ خمسة أشهر قبل موت هرقل وتسعة أشهر بعده ، وكان هذا الفتح يوم الجمعة مستهل المحرم سنة احدى وعشرين من الهجرة النبوية (٣١٦) ٠

١ ــ صناعة النسيج :

من المعروف أن صناعة النسيج كانت من أكثر الصناعات ازدهارا فى الاسكندرية خلال عصورها القديمة ، ولعل نسيج البوليميتا (Polymita) الذى أخرجته مصانع المدينة فى العصر البطلمى والذى قيل أنه كان يضارع فى عظمته ورقته نسيج نيسوت (Nissut) الملكى الفرعونى هو خير الشواهد المؤيدة لذلك (٣١٧) ٠ ومن الثابت أن المدينة كانت تشتمل حينذاك على ثلاثة أنواع من المناسج ، أولها مناسج الدولة الرسمية ونعنى بها مناسج الملكة كليوباترا ، وثانيها مناسج المعابد (جريا على العادة الفرعونية القديمة) ، وثالثها المناسج الأهلية التى كان الناس يمتلكونها ، والتى كانت منذ عصر بطليموس السابع خاضعة لاشراف الدولة مما يدل على أن نظام الاحتكار السلعى كان قائما خلال هذا العصر (٣١٨) ٠

وقد حافظت الاسكندرية على تقاليدها الصناعية النسيجية فى العصر البيزنطى فقد ورد أنها كانت فى هذا العصر أحد المراكز الهامة لصناعة المنسوجات الكتانية (٣١٩) ، ورغم قلة المعلومات التى لدينا فى هــذا الصدد فانه من المؤكد أن الصناعة كانت قد استمرت فى المدينة بعدما أصبحت المسيحية هى الديانة الرسمية للدولة الرومانية ، يؤيد ذلك أن الاسكندرية كانت ولا تزال واحدة من أهم مدن الوجه البحري حيث تكثر زراعة الكتان من ناحية ، وأن المنسوجات الكتانية كانت ضربا من أهم ضروب المنسوجات القبطية من ناحية أخرى ، ولا يعقل والحال هذه أن تتوقف صناعة النسيج فيهــا لمجرد انتقــال الدولة من الوثنية فتتوقف المناسج ويسرح الصناع ولا يجد منتجوا المواد الخام من يبيعون لهم هذا المواد ٠

أما فى العصر الاسلامى فقد ذاعت شهرة المدينة كثيرا فى مضمار صناعة النسيج ، حيث أنتجت دور طرازها المنسوجات الكتانية والقطنية والصوفية والحريرية ، وكان من هــذه المنسوجات : المنسوج والمطبوع

والمطرز والمخرم والمذهب (٣٢٠) ، يدل على ذلك أيضا ما ورد فى المصادر العربية خاصا بهذه الصناعة . فقد ذكر ابن عبد الحكم فى القرنين (٢ ـ ٣ هـ /٨ ـ ٩م) أن الاسكندر هو أول من عمل الوشى بالمدينة ، وقد ظل هذا الوشى يعمل فيها خلال العصر الاسلامى (٣٢١) ، وجاء السيوطى في القرن (١٠هـ/١٦م) ليثبت أن هذا الوشى كان على درجة من الجودة حتى أنه كان يقوم مقام وشى الكوفة (٣٢٢) ، وفصل ابن ظهيرة ذلك في القرن المشار اليه بقوله « وبها مناسج الكتان والغلائل والمعتب الذى يحمل الى الآفاق » (٣٢٣) .

وقد كانت الأقمشة الكتانية أكثر منسوجات الاسكندرية فى العصر الاسلامى شهرة على الاطلاق ، يؤيد ذلك ما أشار اليه ابن تغرى بردى على لسان ابن حجر العسقلانى فى القرن (٦ هـ / ١٢ م) الذى عبر عن علو مكانة أقمشة الاسكندرية ببيتين من الشعر قال فيهما :

اسكندرية كم ذا يسموا قماشك عزا
فطمت نفسى عنها فلست أطلب بزا (٣٢٤)

ويؤيده أيضا ما ذكره ياقوت الحموى فى القرن (٧هـ/١٣م) (٣٢٥) ، وما ذكره كل من القلقشندى (٣٢٦) والمقريزى (٣٢٧) فى القرنين (٨ ـ ٩ هـ /١٤ ـ ١٥ م) ، ويفهم مما ذكره هؤلاء المؤرخين أن هذه المنسوجات كانت على أنواع منها ما كان عاديا رخيصا لعامة الناس سمى بالتيل ، ومنها ما كان رقيقا غاليا للقادرين منهم سمى بالشرب بيع الدرهم منه بدرهم فضة ، وفى ذلك يقول المقريزى « وفى ثياب الاسكندرية ما يباع الكتان منه اذا عمل ثيابا يقال لها الشرب كل زنة درهم بدرهم فضة ، وما يدخل فى الطراز فيباع بنظير وزنه مرات عديدة » (٣٢٨) .

وما بين أيدينا من أدلة مادية يؤكد أن شهرة الاسكندرية فى صناعة النسيج خلال العصر الاسلامى كانت قد ذاعت منذ العصر العباسى فى القرن الثالث الهجرى/ التاسع الميلادى بما لا يبعد كثيرا عن أصولها القديمة فى العصور التى سبقت الاسلام ولا سيما فى العصر البيزنطى ، ويحتفظ متحف الفن الاسلامى بالقاهرة من هذه الأدلة المادية بخمس قطع كتانية من انتاج الاسكندرية ترجع كلها الى العصر العباسى ، منها ثلاث قطع مؤرخة واثنتان غير مؤرختين ، وأولى هذه القطع المؤرخة باسم المهدى بالله وتقول كتاباتها بعد الديباجة المعروفة « .. مما عمل بالاسكندرية على يد محمد بن هلال سنة (ست) وخمسين ومائتين » (٣٢٩) ، وثانيتهما باسم المعتمد على الله وتقول كتاباتها بعد المقدمة المألوفة « .. مما عمل بالاسكندرية سنة ستين ومائتين » (٣٣٠) ، أما الثالثة فليس فيها اسم

الخليفة وتقول كتاباتها بعد البسملة والديباجة «٠٠ مما عمل بالاسكندرية سنة احدا ثمانين مائتين (Sic) (٣٣١) أما الأخريين غير المؤرخين فهما باسم الخليفة العباسى المعتمد على الله (٣٣٢) ٠

كذلك تحتفظ بعض المجموعات الخاصة ببعض من أقمشة الاسكندرية الكتانية التى ترجع الى العصر العباسى ، فهناك مثلا قطعتان أخريان باسم المعتمد على الله احداهما بمجموعة نهمان يرجع تاريخها الى سنة (٢٦٣ هـ / ٨٧٦ م) وتقول كتابتها بعد البسملة والديباجة « ٠٠ مما عمل بطراز الاسكندرية سنة ثلث ستين مئتين » (٣٣٣) (Sic) ، والثانية فى مجموعة تانو يرجع تاريخها الى سنة (٢٧٢ هـ / ٨٨٥ م) (أنظر شكل : ٧٧) وتقول كتابتها بعد البسملة والديباجة « مما عمل بالاسكندرية سنة اثنين مائتين (Sic) (٣٣٤) ، ولا شك أن هذه القطع وغيرها كانت من أهم الأسباب التى دعت بعض الباحثين الى اعتبار الاسكندرية من بين أهم مراكز صناعة المنسوجات القطنية والكتانية فى مصر منذ عصر الاخشيديين (٣٣٥) ٠

ثم ازدادت أهمية المدينة كمركـز صـناعى فى العصرين الفـاطمى والأيوبى ، وظلت دار طرازها التى كانت قد أنشئت على ما قيل خارج باب البحر تواصل انتاجها الوافر ولا سيما من الأقمشة الكتانية والحريرية رغم تعرضها للحريق خلال الغزوة القبرصية حتى تعطلت تماما فى عصر برسباى على أثر الوباء الكبير الذى حدث بالمدينـة سنة (٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م) (٣٣٦) ٠

أما فى العصر المملوكى فقد اختصت الاسكندرية بانتاج كثير من الأقمشة الممتازة مثل السقلاطون (٣٣٧) والشرب (٣٣٨) والمنمر (٣٣٩) والمفرج (٣٤٠) والطرد وحش (٣٤١) وغيرها (٣٤٢) ٠ ومع ذلك فقد كانت المنسوجات الحريرية هى أبرز أنواع الأقمشـة التى أنتجتهـا مصـانع الاسكندرية فى العصر المملوكى ، ساعدها على ذلك أن موقع المدينة كميناء على البحر المتوسط جعل الحصول على المادة الخام اللازمة لهذه الصناعة والتى كان يؤتى بها من الشام وصقلية وافريقية أمرا سهلا وميسورا ، وكانت عائدات المصانع فى العصر المشار اليه تعود الى الديوان السلطانى بوافر الأموال حتى قيل أن مدخولهـا السـنوى كان يزيد على ألـف دينار (٣٤٣) ٠ وأخيرا فقد جاء فى الدراسة التى أعدها مسيو أوليفيير (Olivier) (وهو أحد علماء الحملة الفرنسية ٠ على مصر) أن الاسكندرية كانت على عهد هذه الحملة تضم مائتى نول لصناعة المنسوجات الحريرية الخفيفة التى كانت تعمل لملابس الطبقـة الميسـورة من أهلهـا من كلا الجنسين ، أربعمائة نول لصناعة الأقمشة التيلية (الكتانية الخشنة)

لابناء الطبقة الشعبية ، وخمسين نولا لصناعة المنسوجات الصوفية الخشنة لملابس العربان بالصحراء (٣٤٤) .

٢ ـ صناعة الزجاج والبلور :

عرفت الاسكندرية منذ عصور ما قبل الاسلام بصناعة الزجاج والفسيفساء الزجاجية وقد تطورت فيها هاتين الصناعتين كثيرا خلال عصرى البطالمة والرومان ، ولدينا من الأدلة المادية مما يحتفظ به المتحف اليونانى الرومانى مما عثر عليه فى حفائر منطقة القبارى بالمدينة العديد من القطع الزجاجية والفيسيفسائية (٣٤٥) . وقد انتشرت صناعة هذا النوع من الزجاج بالاسكندرية خلال الفترة المشار اليها كامتداد لما كان قد عرف عنه قبل ذلك فى طيبة فى عصر الدولة الحديثة ، وطريقة عمله هى أن تغطى قطعة من زجاج بلون ما بطبقة أو طبقتين من زجاج متعددة الألوان ، ثم تبسط شرائح زجاجية تظهر بشكل وريدات عندما تجف ، أو تعمل من عيدان زجاجية ملونة تجمع بعضها الى بعض فى حزم ، ثم تصهر فى فرن خاص حتى تصير كتلة واحدة ، ثم تقطع فى شرائح تبدو بتعريقات اونية شتى ، تصنع منها التحف الزجاجية المختلفة (٣٤٦) ، ولعل فيما عرف عند مؤرخى الفنون الاسلامية بزجاج المليفيورى (أو زجاج الألف زهرة) مما كان يصنع فى الاسكندرية منذ العصر البطلمى هو خير دليل على ما نالته صناعة الزجاج فى المدينة من رعاية ، وعلى ما وصلت اليه من جودة واتقان (٣٤٧) .

وقد حافظت الاسكندرية على تقاليدها الصناعية فى مجال صناعة الزجاج طوال العصور الاسلامية ، فكانت تصنع فيها الأوانى المختلفة والقوازير والأختام ونحوها حتى غدت المدينة مركزا من بين أهم مراكز هذه الصناعة فى تلك العصور (٣٤٨) ، وبذلك لم تفقد الاسكندرية كل ما كان لها من خطير الشأن فى هذا الميدان فى عصور ما قبل الاسلام على الرغم من أن الفسطاط كانت ـ كما سبق القول ـ قد انتزعت منها القيادة فيه (٣٤٩) .

والواقع أن معلوماتنا عن صناعة الزجاج فى الاسكندرية لم تنحصر فيما جاء عن هذه الصناعة فيما سبقت الاشارة اليه من الكتب والمراجع العربية ، بل لقد أكدتها أدلة مادية كثيرة تتمثل فيما كشفت عنه الحفائر الأثرية بمنطقة كوم الدكة من كميات القطع البلورية والزجاجية الكثيرة المزينة بزخارف التذهيب والتمويه على غرار ما كان متبعا فى مشكاوات وأوانى العصر المملوكى الزجاجية (٣٥٠) .

٣ ـ سك العملة :

كان من الطبيعى الا تكفى دار واحدة للضرب بالقاهرة لسك ما تحتاجه الدولة الاسلامية فى مصر من العملات المعدنية المختلفة من الدنانير والدراهم والفلوس ، ونظرا الى أن الاسكندرية كانت فى عصور ما قبل الاسلام ولا سيما في العصرين اليوناني والروماني واحدة من العواصم العالمية ذات الشأن أنشئت فيها فى العصر البطلمى دار للضرب ، فقد كان من الطبيعى أن تبنى فى المدينة خلال العصر الاسلامى دار أخرى تكمل ما تقوم به دار القاهرة ٠

ولدينا من المصادر التاريخية ما يؤيد هذه الحقيقة ، فقد أشار ابن مماتى (٦٠٦ هـ /١٠٢٩ م) الى ذلك بقوله « المستمر الآن فى الديار المصرية داران : دار بالقاهرة المحروسة ودار بالاسكندرية حماها الله » (٣٥١) ، كذلك فقد ذكر المقريزى فى القرن (٩هـ /١٥م) أن الاسكندرية كانت احدى دور ثلاث لضرب النقود فى مصر أولاها فى قوص وثانيتها فى القاهرة وثالثتها فى الاسكندرية (٣٥٢) ، وطبيعيا أن تكون وظيفة هذه الدار هى سبك ما يحمل اليها من الذهب والفضة والنحاس لعمل الدنانير والدارهم والفلوس ، وكان أهل الاسكندرية على عهد المقريزى (٧٦٦ هـ ـ ٨٤٥هـ /١٣٦٤ ـ ١٤٤٢ م) يتعاملون بنوع من الدراهم الفضية التى يدخل فى سبكها النحاس ، وظلوا يتعاملون بها حتى ضربت فيها الفلوس النحاسية الخالصة على عهد الظاهر برقوق فى العصر المملوكى (٣٥٣) ٠

أما ما بين أيدينا من أدلة مادية تقطع بصحة ما جاء فى المصادر التاريخية المشار اليها عن دار الضرب بالاسكندرية فهى كثيرة وتنحصر فى العديد من قطع الدنانير الذهبية والدراهم الفضية والفلوس النحاسية التى ترجع الى العصر المملوكى بشكل خاص ، ومنها مثلا دينار باسم السلطان المعز عز الدين أيبك (٦٤٨ ـ ٦٥٥ هـ / ١٢٥٠ ـ ١٢٥٧ م) على هامشه كتابة تقول « ٠٠٠ باسكندريه سنة أربع وخمسين وستمائة » (٣٥٤) ٠ ودينار آخر باسم الملك المنصور نور الدين على بن الملك المعز أيبك على عهد الامام المستعصم بالله أبو أحمد عبد الله يرجع تاريخه الى سنة (٦٥٥ هـ /١٢٥٧ م) (٣٥٥) ، ودينار ثالث باسم السلطان الظاهر بيبرس يرجع تاريخه الى سنة (٦٥٨ هـ / ١٢٥٩ م) (٣٥٦) ، وكان أحيانا ما ينقش على ما ضرب في المدينة من دنانير عبارة « ضرب ثغر الاسكندرية » وقد وردت هذه العبارة فيما ضرب بالدار

من دنانير باسم المنصور قلاوون (٣٥٧) ، كذلك فقد ضربت بذات الدار عملات أخرى غير الدنانير من الدراهم والفلوس ، ولدينا من ذلك مثلا درهم باسم السلطان المشار اليه ضرب بالاسكندرية سنة (٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م) (٣٥٨) .

٤ ـ بناء السفن :

كانت الاسكندرية منذ الفتح العربى لمصر بفضل خبرة الصناع الأقباط ومهارتهم واحدة من أهم دور بناء السفن فى مصر ، وتولى الأسطول المصرى الذى بنى فى المدينة عبء العمليات العسكرية فى المغرب وفى جزر البحر المتوسط حتى تمكنت دار الصناعة التى أنشئت فى تونس بأمر معاوية بن أبى سفيان من انتاج ما يكفيها من السفن (٣٥٩) ، وقد أشار ابن خلدون فى القرنين (٨ ـ ٩ هـ /١٤ ـ ١٥ م) الى ما يؤيد ذلك من أن العرب كانوا قد اعتمدوا فى بناء السفن والأساطيل أول أمرهم على أبناء الأمم التى خضعت لسلطانهم ممن كان لهم دراية بالبحر وثقافته (٣٦٠) ، وكانت مصر بطبيعة الحال من أولى تلك الأمم التى حذق أبناؤها (من الأقباط) كافة فنون صناعة السفن مما سبقت الاشارة اليه عند الحديث عن دور الصناعة فى كل من الروضة والفسطاط ، ومنذ أن دخلت مصر فى حوذة الخلافة العباسية حرص ولاة بنى العباس على مواصلة الاهتمام بدار صناعة الاسكندرية ، يدل على ذلك أن المدينة خلال العصر الطولونى كانت قد أصبحت أكبر قاعدة بحرية فى مصر ، وقد ساعدها على تبوأ هذه المكانة أنها كانت أكبر أسواق العالم حينذاك وأكثر ثغوره ازدحاما بحركة التجارة الواردة اليها اما من البحر الأحمر عن طريق القلزم واما من خليج تراجان الى مدينة منف على نهر النيل ومنها الى ميناء الاسكندرية لتصدر الى جميع موانى البحر المتوسط (٣٦١) .

ولما دخلت مصر فى حوذة العبيديين اهتم خلفاؤهم بأمر الاسطول ، وبذلوا جل عنايتهم فى سبيل تقويته وتطويره والنهوض به ، ودعموا من أجل هذا الهدف دور الصناعة المختلفة التى عرفت فى عهدهم ومن أهمها دار صناعة الروضة والمقس والاسكندرية ودمياط (٣٦٢) .

أما فى العصرين الأيوبى والمملوكى فقد ذكر ابن مماتى فى القرن (٧ هـ /١٣ م) أن صناعة العمائر أو صناعة الانشاء بمصر كانت على عهده فى ثلاث مدن هى مصر (الفسطاط) والاسكندرية ودمياط ، وأضاف بأن لكل واحدة من هذه الصناعات مستخدمون يستدعون ما تحتاج اليه (٣٦٣) ، وقد استمر الاهتمام ببناء السفن فى الاسكندرية طوال

العصر المملوكي . ويذكر في ذلك أن المدينة كانت قد حوت خلال هذا العصر داران للصناعة احداهما شرقية والأخرى غربية وأنشىء فى هاتين الدارين عدد كبير من السفن والطرائد ولا سيما فى عصر المماليك الشراكسة (٣٦٤) .

ثم ظلت دار الصناعة بالاسكندرية ـ على ما يبدو ـ عامرة عاملة بعد الفتح العثمانى لمصر على يد السلطان سليم سنة (٩٢٣ هـ/١٥١٧ م) . يدل على ذلك ما ورد فى وصف مصر من أنه قد بنيت فى الاسكندرية خلال العصر التركى بعض سفن الكرافيل أو الفرقاطات الحربية التركية التى كانت تشتمل على ثلاثة أو أربعة صوار وكانت تزود بأربعين أو خمسين مدفعا ، وبعض السفن التجارية الكبرى التى كانت تقوم بتجارة الشط بين رشيد ودمياط (٣٦٥) .

٥ ـ صناعات أخرى متفرقة :

بالاضافة الى ما سبقت الاشارة اليه مما كان يمارس فى الاسكندرية من صناعات النسيج والزجاج وسك العملة وبناء السفن ، فقد عرفت المدينة خلال العصر الاسلامى أنواعا أخرى من الصناعات والحرف ولا سيما صناعة السكر والنبيذ والصابون والحصير والفخار والجلود .

(أ)صناعة السكر والنبيذ والحصير والصابون :

لسنا بالنسبة لصناعة السكر فى حاجة الى تكرار القول بأن معاصر القصب ومن ثم صناعة السكر والعسل الاسود ، كانت قد انتشرت خلال العصر الاسلامى ولا سيما المتأخر منه فى كثير من المراكز فى الوجهين البحرى والقبلى لتفى بحاجة الدولة التى تنامت باضطراد من هذه الصناعة، ولم يكن غريبا أن تكون الاسكندرية واحدة من بين هذه المراكز (٣٦٦) .

أما صناعة الخمور فقد ذكرها فيما أشار اليه السيوطى فى القرنين (٩ ـ ١٠ هـ/١٥ ـ ١٦ م) بقوله « فى سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة أمر الحاكم بقطع جميع الكروم التى بديار مصر والصعيد والاسكندرية ودمياط ، فلم يبق بها كرم احترازا من عصر الخمر » (٣٦٧) ، وكانت هذه الصناعة من الصناعات الواسعة الانتشار فى مصر عامة والاسكندرية خاصة فيما قبل العصر الاسلامى (٣٦٨) ، ولم يكن غريبا أن تستمر خلال العصر المشار اليه ولو بقدر أقل كثيرا مما كان عليه الحال قبله لا سيما وأن المدينة كانت مسرحا لكثير من الطوائف غير المسلمة حتى وقت قريب . أما بالنسبة لصناعتى الحصير والصابون فقد أشار ابن ظهيرة الى أولاهما

فى القرن (١٠هـ /١٦م) حيث قال أنه كان بالاسكندرية عدة مناسج للحصر السامانى والعبدانى (٣٦٩) . وجاء الحديث عن الثانية فى وصف مصر حيث ذكر أن المدينة كانت تضم على عهد الحملة الفرنسية على مصر ثلاثين مصنعا للصابون جلبت الزيوت اللازمة لهـا من جزيرة كريت وسورية (٣٧٠) ٠

(ب) صناعتا الفخار والجلود :

أسفرت الحفائر التى قامت بها كلية الآداب بجامعة الاسكندرية فى منطقة كوم الدكة منذ عام (١٩٤٨) عن العثور على كميات هائلة من الخزف الفاطمى ذو البريق المعدنى والفخار المطلى المملوكى وبعض الكتل الزجاجية المختلفة من الأفران ، وكل ذلك لا يدع مجالا للشك فى قيام هذه الصناعة بالمدينة خلال العصور المشار اليها (٣٧١) ، ليس هذا فقط بل لقد عثر فى كوم الشقافة على مجموعة أخرى من القطع الفخارية الملونة التى تحمل فى مجملها زخارف ذات رسوم أدمية وأشكال طيور وأسماك وعناصر نباتية تقوم على أرضية من العناصر الهندسية (٣٧٢) ٠

وأخيرا فقد جاء فى « وصف مصر » أنه يصنع فى الاسكندرية الجلد المراكشى الأحمر وهو جلد ثمين بالغ الجودة وتحظى مصنوعاته باقبال كبير ليس فى أسواق القاهرة ومدن مصر الأخرى فقط وانما فى الأسواق الافريقية أيضا (٣٧٣) ٠

٢ ـ البحـيرة :

بعد الحديث عن الاسكندرية كأول مركز من مراكز غرب الدلتا ، نأتى الى الحديث عن ثانى هذه المراكز وهو قصبة البحيرة ٠٠ وهى محافظة بمصر فى غرب الدلتا عاصمتها دمنهور ، وقد عرفت بهذا الاسم منذ بداية العصر الاسلامى ، وكانت كورة صغيرة ثم ضمت اليها كل الكور الواقعة غربى فرع رشيد ٠ وهى ليست كما قال ياقوت فى القرن (٧ هـ /١٣م) بحيرة ماء وانما هى كورة معروفة من نواحى الاسكندرية بمصر تشتمل على قرى كثير ودخل واسع (٣٧٤) ، ولم تقتصر أنشطة البحيرة الحرفية والصناعية على مدينة دمنهور كعاصمة للاقليم فقط وانما شـملت مدنا أخرى بهذا الاقليم هى بلقطر وترنوط ورشيد وادكو ، وسنوضح فيما يلى الموقف الصناعى لكل مركز من هذه المراكز ٠

(أ) مدينة دمنهور (الوحش) :

هي قصبة الاقليم الزراعي الذي يعرف اليوم باسم محافظة البحيرة التي يغلب على الظن أن النسبة في تسميتها بالبحيرة ترجع الى بحيرتها الشهيرة المسماة ببحيرة مريوط (٣٧٥) . كان اسمها في العصر اليوناني « هرموبوليس بارفا » ثم عرفت في العصر البيزنطي باسم تمنهور ومنه اسمها العربي الحالي ، وقد وصفها ياقوت في القرن (٧ هـ /١٣ م) بأنها بلدة متوسطة في الصغر والكبر بينها وبين الاسكندرية يوم واحد في طريق مصر وفيها أسواق حافلة وفنادق (٣٧٦) ، وأشار اليها ابن بطوطة في القرن (٨ هـ / ١٤ م) فقال بأنها « مدينة كبيرة جبايتها كثيرة ومحاسنها أثيرة أم مدن البحيرة بأسرها وقطبها الذي عليه مدار أمرها » (٣٧٧) ، وذكر ابن دقماق في القرن (٩ هـ / ١٥ م) أنها « مدينة قديمة عامرة بها جامع ومدارس وحمامات وفنادق وقياسر وهي قاعدة البحيرة وبها مقام نائب الوجه البحري ويطلق عليه ملك الأمراء » (٣٧٨) ، أما على باشا مبارك فقد فصل كثيرا في ذلك في القرن (١٣ هـ / ١٩ م) وقال أنها سميت بدمنهور الوحش لأنه كان بقريتها محلا سمي بذلك ، وكانت هذه المدينة تسمى قديما « تيم أنهور » وظلت عامرة حتى آخر القرن (٧ هـ / ١٣ م) لانها كانت قد تهدمت أثر زلزال سنة (٧٠٢ هـ / ١٣٠٢م) ثم جدد السلطان برقوق أسوارها سنة (٧٩٢ هـ/١٣٨٩م)(٣٧٩) .

وقد عرفت المدينة منذ العصر البيزنطي كمركز صناعي مورست فيه صناعات الفخار والزجاج والرسوم المائية على الجص (الفريسكو) ، يدل على ذلك أن قطعا أثرية عديدة من الفريسكات والزجاج والفخار المصقول وغير المصقول تم اكتشافها في منطقة القلايا (٣٨٠) ، ومن المؤكد أيضا أن صناعة النبيذ كانت من بين أنشطة هذا الاقليم وخاصة في الأديرة المسيحية التي انتشرت فيه بكثرة مثل دير السريان ودير الأنبا سمعان ودير الأنبا بيشوى ودير أبي مقار وغيرها ، وقبل هذه الأديرة في المواقع السكنية لمنطقة القلايا المشار اليها ، ونحن نعرف أن معاصر النبيذ كانت واحدة من أبرز سمات الأديرة المسيحية في مصر ويحتفظ المتحف اليوناني الروماني بالاسكندرية ببقايا واحدة من هذه المعاصر عثر عليها في أحد المواقع بالأقليم .

أما في العصر الاسلامي فان صناعات هذا الاقليم لم تقتصر على مدينة دمنهور وحدها وانما شملت منه مدنا أخرى انحصرت كما قلنا في بلقطر وترنوط ورشيد وادكو ، وقد أشار ياقوت الحموي الى أن مدينة دمنهور كانت في القرن (٧ هـ /١٣ م) مركزا من مراكز صناعة النسيج وتنسب اليها الثياب الدمنهورية التي كانت تحمل الى مختلف الجهات (٣٨١) ،

ويفهم من اشارة ياقوت هذه أن منسوجات المدينة كانت ذات خصائص معينة وعلى درجة عالية من الجودة والا لما نسبت فى تسميتها الى المدينة التى صنعت فيها . وهو أمر ورد كثيرا فى مراكز متطورة شتى كدبيق وتنيس وشطا فقيل لمنسوجاتها الدبيقى والتنيسى والشطوى ، وهكذا يؤيد ما أشار اليه ياقوت كمصدر هام من المصادر العربية ما ورد عن هذا المركز فى بعض المراجع العربية الحديثة التى أفادت أن الاسكندرية ودمنهور كانتا قد ورثتا عظمة تنيس ودمياط فى عالم الصناعة منذ العصر الفاطمى وحتى العصر المملوكى عندما دمرت المدينتين خلال المعارك التى دارت مع البيزنطيين (٣٨٢) ، وان صح ذلك فانه يمكن القول أن دمنهور كانت قد شملت بعد السنة التى دمرت فيها دمياط وهى سنة (٤٦٧ هـ / ١٠٧٤ م) مناسج للطراز بنوعيه العام والخاص ، ويمكن لهذين الطرازين أن يكونا قد استمرا فيها حتى نهاية العصر المملوكى ، يؤيد ذلك أولا ما ذكره ياقوت فيما سبقت الاشارة اليه ، ويؤيده ثانيا أن أنواعا عديدة من المنسوجات ذات الجودة العالية لا زالت تصنع حتى اليوم فى كفر الدوار وهى مدينة بالاقليم على حدوده مع محافظة الاسكندرية .

(ب) بلقطـــر :

يبدو أن اشارة المراجع المذكورة الى العظمة التى ورثتهـا دمنهور والاسكندرية عن تنيس ودمياط فى مجال صناعة النسيج ، لم يكن يقصد بها فقط المدينة ذاتها وانما قصدت بها أيضا مدن أخرى بالاقليم مثل بلقطر وترنوط ورشيد كما أشرنا ، ولدينا من المعلومات التاريخية التى وردت فى بعض المصادر والمراجع العربيـة رغم قلتها ما يؤيد ذلك ، فبلقطر مثلا هى ناحية تابعة لمركز أبو حمص محافظة البحيرة وهى بذلك واحدة من الأعمال البحرية التى قصبتها دمنهور (٣٨٣) ، وقد جاء ذكرها على لسان ابن دقماق فى القرن (٩ هـ/ ١٥ م) حين قال « وبها يعمل الطراز من الصوف وهى العبى التى لا يعمل مثلها فى الدنيا من الأكسية والسرويات والكنابيش والعبى والعرقيات ما تبلغ قيمة العباءة الواحدة مئتين دراهم » (٣٨٤) .

(جـ) ترنـــوط :

هى احدى قرى مركز كوم حمادة بمحافظة البحيرة ، وقد عرفت فى عصر الفراعنة باسم « بررانوت » وفى عصر اليونان والرومان باسم « ترنوتيس» وفى العصر البيزنطى باسم « ترنوت » (Ternut) أو ترنوط ، وتسمى أيضا جزيرة بنى نصر ، وكانت من مدن مركز كفر الزيات وتلا ومنوف ثم حرف اسمها فى القرن (٧ هـ / ١٣ م) الى الطرانة ولا زالت تعرف

بهذا الاسم حتى اليوم (٣٨٥) ، وقد وصفها الادريسى فى القرنين (٥ ــ ٦ هـ /١١ ــ ١٢ م) بأنها مدينة صغيرة متحضرة لها سوق وتجار وقياسر (٣٨٦) ، وأشار اليها ياقوت فى القرن (٧ هـ /١٣ م) فقال انها « قرية بين مصر والاسكندرية ٠٠ كبيرة جامعة على النيل فيها أسواق ومسجد وجامع وكنيسة خراب » (٣٨٧) ٠

ورغم أننا لا نملك كثيرا من المعلومات فيما يختص بترنوط كمركز صناعى فاننا لا نستطيع تجاهلها وقد أشير اليها فى بعض المصادر والمراجع العربية على أنها كانت واحدة من البلدان التى عرفت بصناعة التعدين والسكر ، وما جاء فى هذا الصدد أشار اليه الادريسى فى القرنين (٥ ــ ٦ هـ /١١ ــ ١٢ م) بقوله « وبمدينة ترنوط معدن النطرون الجيد ومنها يحمل الى جميع البلاد » (٣٨٨) ، كما أشار اليها ياقوت فى القرن (٧ هـ / ١٣ م) وقال « وبها معاصر للسكر وبساتين وأكثر فواكه الاسكندرية منها » (٣٨٩) ، ثم جاء البكرى فى القرن (١١ هـ /١٧ م) وأيد ما أشار اليه ياقوت قبله فيما يختص بصناعة السكر حيث قال ان هذه الصناعات كانت منتشرة فى أنحاء مختلفة من البلاد منها « الفسطاط والمنيا والفيوم وترنوط » (٣٩٠) ، وتصديق ذلك أو نفيه أمر يجب ألا يكون بمنأى عن حقيقتين أولاهما ما كان عليه حال هذه الصناعة بشكل خاص فى العصر الاسلامى المتأخر ولا سيما فى عصر المماليك الذى لم يعرف عصر أكثر منه استهلاكا للسكر ، وثانيتهما أن اشارتى ياقوت والبكرى باعتبار أن ترنوط كانت مركزا من مراكز صناعة السكر هى اشارة لا يمكن اغفالها أو عدم الاهتمام بها لا سيما وأنها لاثنين ممن تركوا لنا الكثير من المعرفة فى المصادر العربية التى يعتمد عليها ٠

(د) رشيد :

وأخيرا نأتى الى الحديث عن ثغر رشيد كواحد من مراكز الصناعة بقصبة البحيرة التى بين أيدينا ، وقد ذكرها ابن حوقل فى القرن (٤ هـ/ ١٠ م) بقوله « مدينة على النيل قريبة من مصب فوهته الى البحر وتعرف هذه الفوهة وهى المدخل من البحر بالأشتوم ، وكانت بها أسواق صالحة وحمام ، وبها نخيل كثيرة وارتفاع واسع وضريبة على ما يحمل من الاسكندرية ويحمل اليها من متاع البحر الى سائر أسباب التجارة » (٣٩١)، ثم أشار اليها الادريسى فى القرنين (٥ ــ ٦ هـ /١١ ــ ١٢ م) بقوله « وهى مدينة متحضرة وبها سوق وتجارة وفعلة ٠٠ وبها نخيل كثير وأنواع من الغلات الرطبة » (٣٩٢) كما ذكرها ياقوت فى القرن (٧ هـ/ ١٣ م) فقال « بليدة على ساحل البحر والنيل قرب الاسكندرية خرج

منها جماعة من المحدثين منهم عبد الوارث بن ابراهيم الرشيدى قاضيها وغيره » (٣٩٣) وأشار اليها ابن دقماق فى القرن (٩ هـ /١٥ م) حين قال « وبلدته (أى بلدة ثغر رشيد) عند مجمع البحر وبها البرزخ المذكور فى القرآن » (٣٩٤) وقد فصل على باشا مبارك فى ذلك كثيرا حين قال فى القرن (١٣ هـ /١٩ م) أن رشيد بلدة غرب النيل الغربى عند مصبه فى البحر شرقى الاسكندرية ، وأشار الى انها كانت قد بدأت فى الظهور فى خلافة المتوكل على الله العباسى ، وظلت قرية صغيرة فى موقعها حتى القرن (٧ هـ /١٣ م) ، وعندما حكمت الدولة العثمانية الديار المصرية بطل رسو المراكب كلية من مدينة فوة وقامت محلها فى ذلك مدينة رشيد ، وأخذت المدينة بعد ذلك فى التقدم حتى بلغت سنة (١١٩١ هـ/١٧٧٧ م) أعظم درجة (٣٩٥) .

وقد عرفت مدينة رشيد ولا سيما فى العصر الاسلامى الوسيط المتأخر بممارسة العديد من الصناعات مثل النسيج والمعادن والمجوهرات والفخار والخزف والقفف والأقفاص ونحوها ، وما لدينا من معلومات تاريخية فى هذا الصدد تنحصر أساسا فيما ورد بكتابى ، وصف مصر والخطط التوفيقية حيث قيل أن مدينة رشيد تشتمل على مناسج عديدة لصنع الأقمشة الكتانية والقطنية الخشنة ، وأقمشة يختلط فيها الكتان مع القطن ، وأقمشة كتانية ذات خطوط من الحرير الأبيض كانت تستخدم بصفة خاصة فى عمل قمصان النساء وجميع أنواع الملبوسات والمطرزات والطرابيش ، ويجلب الكتان اللازم لمناسج هذه المدينة من محافظتى الغربية والمنوفية ، كما يجلب القطن من قصبتى دمنهور والمنصورة ، أما الحرير فكانوا يجلبونه من الشام (٣٩٦) ، ليس هذا فقط بل لقد قيل أن أفضل أقمشة قلوع السفن هو ما كان يصنع فى رشيد (٣٩٧) .

كذلك فقد مورست فى رشيد صناعة المعادن وصياغة المجوهرات كحرف يدوية ذات انتشار واسع ، فكانت تصنع فى المدينة مختلف الأوانى النحاسية من الصوانى والمواقد والطشوت ونحوها ، كما كانت تصاغ فيها أنواع شتى من المجوهرات ذات الصبغة الفنية المحلية (٣٩٨) .

ويضاف الى هذه وتلك صناعة الفخار والخزف ولا سيما صناعة الارجيلات (البايب) التى كانت تعمل فى المدينة بكميات كبيرة ، وكانت كل واحدة منها تتكون من جزأين هما الجسم واليد ، وكثيرا ما كانت ترسم عليهما قبل الجفاف بعض العناصر الزخرفية التى تنم عن ذوق راق فى بعض الحالات ، وقد تطلى هذه العناصر أحيانا بماء الذهب لتصبح القطعة أكثر جمالا (٣٩٩) وجاذبية ، وفى الحفائر التى أجريتها بنفسى فى

الجبانة العثمانية بالمدينة خلال عام (١٩٦٨م) عثر على الكثير من هذه الارجيلات المصنوعة من الفخار المطلى والمزينة بالعناصر الزخرفية المختلفة من نباتية وهندسية ، وفى هذا ما يكفى للتدليل على صدق ما جاءت به المعلومات التاريخية المشار اليها ٠

كذلك كانت تصنع فى رشيد من جذوع النخل وسعفه ققف وأقفاص على يد صناع مهرة يخيطون الأولى بسرعة فائقة بواسطة أحبال ليفية رقيقة ، ويدخلون ضلوع الثانية بعضها فى بعض بواسطة ثقوب يحدثونها فيها بمثاقب خاصة ، وكانت هذه وتلك تستخدم فى تغليف البضائع المختلفة ونقل الحبوب والأرز (٤٠٠) ، وقد أضاف على باشا مبارك الى هذه الصناعات جميعا بعض الصناعات الأخرى مثل الورق وآلات الموسيقى والدباغة والشموع والعسل والروائح والعقاقير (٤٠١) ٠

(هـ) ادكـــو :

ادكو هى آخر المطاف بالنسبة لمراكز غرب الدلتا ، وهى ناحية بمركز رشيد محافظة البحيرة (٤٠٢) لا تتوافر لدينا معلومات تاريخية كافية عنها من الناحية الصناعية ، فلا المكتشفات الأثرية ولا المصادر التاريخية قد أوصلت الينا حتى الآن ما يمكن أن يضىء لنا السبيل فى هذا المجال ، وما ورد فقط هو بعض اشارات عربية حديثة تقول انها كانت منذ القرن (٧ هـ / ١٣ م) مركزا من مراكز صناعة المنسوجات الحريرية فى مصر (٤٠٣) ، ويبدو أن ذلك كان أمرا ممكنا لأن الحصول على المادة الخام اللازمة لهذه الصناعة بالنسبة لادكو كان سهلا وميسورا عن طريق بحيرتها المعروفة اما من ميناء الاسكندرية التى كانت أيضا مركزا لهذه الصناعة ـ كما قلنا ـ واما من ميناء رشيد الواقع على شاطىء فرع النيل المسمى بذات الاسم لأنهــا كانت تقع بين الميناءين ، ونظرا لأن صناعة المنسوجات الحريرية كانت رائجة فى العصر المملوكى ، وان كميات كبيرة من منتجات هذه الصناعة كانت تطلبها أسواق الدولة المختلفة ، وان كثيرا من المدن فى طول البلاد وعرضها قد شهدت انتاج هذا النوع من النسيج ، فانه من المرجح ان ادكو ـ طبقا للأسباب المشار اليها ـ كانت واحدة من المدن التى اشتملت على مناسج للمنسوجات الحريرية ٠

حواشي وتعليقات الفصل الأول من الباب الثاني
غرب الدلتا

٢٩٤ ــ محمد رمزي : المرجع السابق : مجلد ١ ج ٢ ص ٥ وانظر أيضا : قاموس جغرافي للقطر المصري : ص ٨١ ، الموسوعة العربية الميسرة : ص ١٥٢ .

٢٩٥ ــ ابن عبد الحكم : المصدر السابق : ص ص : ٣٢ ــ ٣٨ وراجع أيضا : ياقوت : المصدر السابق : ج ١ ص ١٨٢ .

٢٩٦ ــ سورة الكهف : الآيات : ٨٣ ــ ٨٦ .

٢٩٧ ــ راجع عن ذي القرنين أيضا : الكندي : المصدر السابق : ص ٣٣ ، الادريسي : المصدر السابق : ص ص : ٥٢ ــ ٥٤ ، المقريزي : الخطط : ج ١ ص ص : ٢٧٤ ، ٢٨٤ .

٢٩٨ ــ البلاذري : المصدر السابق : ج ٣ ص ص : ٦٨٦ ــ ٦٨٧ .

٢٩٩ ــ الكندي : المصدر السابق : ص ص : ٣٣ ، ٦٦ .

٣٠٠ ــ ابن حوقل : المصدر السابق : ص ١٤١ .

٣٠١ ــ المسعودي : مروج الذهب : ج ١ ص ص : ٢٧٠ ــ ٢٧١ .

٣٠٢ ــ الاصطخري : المصدر السابق : ص ٥١ .

٣٠٣ ــ ناصر خسرو : المصدر السابق : ص ٨٩ .

٣٠٤ ــ الادريسي : المصدر السابق : ص ص ١٣٨ ــ ١٤١ .

٣٠٥ ــ القزويني : المصدر السابق : ص ص : ١٤٣ ــ ١٤٧ .

٣٠٦ ــ ابن بطوطة : المصدر السابق : ص ص : ٢٠ ــ ٢٩ وانظر أيضا عن وصف الاسكندرية عند الفتح العربي لها بكل ما فيها من عمائر وأبنية قديمة وعجائب شتى ما ذكره بتلر في كتابه : فتح العرب لمصر : ص ص : ٣١٩ ــ ٣٤٧ .

٣٠٧ ــ المقريزي : الخطط : ج ١ ص ٢٦٨ .

٣٠٨ ــ نفس المصدر : ج ٢ ص ٢٧٦ .

٣٠٩ ــ ابن دقماق : المصدر السابق : ج ٢ ص ص : ١١٦ ــ ١٢٦ وانظر أيضا : علي باشا مبارك : المرجع السابق : ج ٨ ص ٥٩ .

٣١٠ ــ ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص ص : ٥٧ ــ ٧٠ ، المقريزي : الخطط : ج ١ ص ١١٧ .

٣١١ ــ محمد عبد العزيز مرزوق : تاريخ الحضارة المصرية : ج٢ ص ص:١٨ ــ ١٩ .

٣١٢ ـ وصف مصر : جـ ٣ ص ص : ٢٩٥ ـ ٢٩٧ ٠

٣١٣ ـ محمد عبد العزيز مرزوق : المرجع السابق : جـ ٢ ص ٤٢ وانظر أيضا ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الاسكندرية وحضارتها : ص ص : ٥٢٥ ـ ٥٣١ ٠

٣١٤ ـ المقريزى : الخطط : جـ ١ ص ٣٠٧ ٠

٣١٥ ـ محمد عبد العزيز مرزوق : تاريخ صناعة النسيج فى الاسكندرية على عهد البطالمة ص : ٦ ٠

٣١٦ ـ نفس المرجع : ص ص : ٩ ـ ١١ وانظر أيضا : زكى الرشيدى وآخرين : تطور الصناعات فى مصر : جـ ١ ص ٢١٢ ٠

٣١٧ ـ رؤوف حبيب : المرجع السابق : ص ٥٣ وانظر أيضا : مصطفى حسين : المرجع السابق : ص ٣٥ ٠

٣١٨ ـ زكى حسن : فنون الاسلام : ص ٣٤٧ ، سعاد ماهر : النسيج الاسلامى : ص : ٤٢ وانظر أيضا : مصطفى حسين : المرجع السابق : ص ص : ٤٦ ـ ٤٩ ، خليل ضومط : المرجع السابق : ص ١٥٦ ٠

٣١٩ ـ ابن عبد الحكم : المصدر السابق : ص ٣٦ ٠

٣٢٠ ـ الكوفة هى مدينة عراقية نالت شهرة واسعة فى مجال صناعة النسيج حتى قيل لنوع من انتاجها « الكوفية » نسبة اليهـــــا ٠ راجع أيضا : السيوطى : جـ ٢ ص : ٢٢٩ ٠

٣٢١ ـ ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص ص : ٥٧ ـ ٥٩ ٠

٣٢٢ ـ راجع فى ذلك : ابن تغرى بردى : المصدر السابق : جـ ٥ ق ١ : ص ٢٨٨ ٠

٣٢٣ ـ ياقوت الحموى : المصدر السابق : جـ ٢ ص ٥٤٦ ٠

٣٢٤ ـ القلقشندى : المصدر السابق : جـ ٣ ص ٤٠٤ ٠

٣٢٥ ـ المقريزى : الخطط : جـ ١ ص ٣٦٥ ٠

٣٢٦ ـ راجع : المقريزى : نفس المصدر : جـ ١ ص ٣٦٥ وانظر أيضا عن صناعة النسيج فى الاسكندرية فى العصر الاسلامى : محمد عبد العزيز مرزوق : تاريخ الحضارة المصرية : جـ ٢ ص ص : ٣٧٢ ـ ٣٧٦ ، أبوزيد شلبى : المرجع السابق : ص ٣٠٦ أدم متز: المرجع السابق : جـ ٢ ص ٣٥٢ ، محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون فى مصر : ص ٢٩٧ ٠

٣٢٧ ـ مقاسات هذه القطعة (١٦ر X ٧٠رم) وكتابتها بالخط الكوفى البسيط وهى مسجلة بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة تحت رقم (٧٠٨٦) ٠ انظر عنها أيضا :

Reper. Chrono. d'epigraph Arab : Tome : p. 15. No. 614.

٣٢٨ ـ طول هذه القطعة (٢٩رم) وكتابتها بالخط الكوفى البسيط وهى مسجلة بالمتحف المشار اليه تحت رقم (٩٣٨٩) ٠ انظر عنها أيضا :

Reper. Chrono. d'epigraph. Arab : Tome 2, p. 173, No. 646.

٣٢٩ ـ طول هذه القطعة (١٨رم) وكتابتها بالخط الكوفى البسيط وهى مسجلة بالمتحف المشار اليه تحت رقم (١٠٤٧٩) ٠ انظر عنها أيضا :

Reper. Chrono. d'epigraph. Arab : Tome 2, p. 260, No. 778.

٣٣٠ ـ الأولى مسجلة بالمتحف السابق تحت رقم (١ / ٤٣٢٤) وهى من الكتان ومقاساتها (١٧ر × ٤٠ رم) وكتابتها بالخط الكوفى البسيط انظر عنها أيضا :

Reper Chrono. d'epigraph. Arab : Tome : 2, p. 251, No. 762.

ليس هذا فقط بل ان هناك قطعة سادسة من الكتان طولها ١٢ارم يحتفظ بها متحف الفن الاسلامى تحت رقم ١٠٤٨٤ تقول كتابتها انها عملت « .. باسكندرية سنة تسعين مائتين » راجع عنها أيضا :

Repe . Chrono d'epigraph. Arab : Tome : 3, p. 22, No. 837.

٣٣١ ـ طول هذه القطعة (١٨ارم) وكتابتها بالخط الكوفى البسيط . انظر عنها أيضا .

Reper. Chrono. d'epigraph. Arab . Tome : 2, p. 187, No .667.

٣٣٢ ـ طول هذه القطعة (١٤ارم) وكتابتها بالخط الكوفى البسيط انظر عنها أيضا : زكي حسن : أطلس الفنون الزخرفية : ص ١٩٣ شكل ٥٨٥ .

٣٣٣ ـ انظر أيضا : سيده اسماعيل كاشف : المرجع السابق : ص ٢٩٧ .

٣٣٤ ـ انظر أيضا : السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الاسكندرية وحضارتها : ص ص : ٤٩٦ ـ ٤٩٧ ، زكي حسن : كنوز الفاطميين : ص ١١٦ ، الفنون الاسلامية : ص ٢٥٠ ، ص٠ د٠ جوتاين : المرجع السابق : ص ١٨٠ ، السيد الباز العرينى : مصر فى عصر الأيوبيين : ص ص : ١٩٧ ـ ٢٠٠ ، راشد البراوى : المرجع السابق : ص ٣٨٢ .

٣٣٥ ـ السقلاطون هو نوع من النسيج كان يصنع من الحرير ويطرز بخيوط من الذهب ، وكان معروفا فى بلاد اليونان ، ثم انتقلت صناعته الى البلاد العربية ومنهـا الاسكندرية .

٣٣٦ ـ الشرب : نوع من نسيج الكتان الرقيق كانت تعمل منه القمصان الداخلية وشيشان العمائم وخمر النساء .

٣٣٧ ـ المنمر : نسيج حريرى كان يزدان برسوم مخططة أو مرقشة تشبه جلد النمر راجع : المقريزى : الخطط : ج ٣ ص ١٥٩ ، القلقشندى : المصـــدر السابق ج ٤ ص ٥٣ .

٣٣٨ ـ المفرج : نسيج رقيق تتداخل فيه خيوط الذهب ، كانت تصنع منه الطرح والكلوتات المزركشة .

٣٣٩ ـ الطرد وحش : هو النسيج الذى كان يزين فى مناظر صيد تشتمل على وحوش يطاردها الصيادون .

٣٤٠ ـ راجع أيضا عن هذه الأنواع : السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الاسكندرية وحضارتها : ص ص : ٥٢٦ ـ ٥٢٨ ، على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١٠ ص ص : ٩٠ ـ ٩٢ .

٣٤١ ـ خليل ضومط : المرجع السابق : ص ص : ١٥٦ ـ ١٦٢ .

٣٤٢ ـ وصف مصر : ج ٣ ص ٣١٣ .

٣٤٣ ـ فى الخزانة (أ) بالقاعة رقم (١٠) من المتحف المشار اليه بعض قطع الزجاج اليونانى الرومانى الملون ، وبعض قطع القسيفساء الزجاجية مثل القطعة المسجلة تحت رقم (٣٦٩٦) . انظر أيضا : هنرى رياض : دليل آثار الاسكندرية : ص ص : ٣٨ ـ ٧٩ ، محمد عبد العزيز مرزوق : المرجع السابق : ج ٢ ص ٦٠١ .

٣٤٤ ـ انظر أيضا . هنرى رياض : المرجع السابق : ص ٧٩ ، نعمت علام : فنون الشرق الأوسط فى العصور الاسلامية : ص ٤٣ . محمد عبد العزيز مرزوق : المرجـع السابق : ج ٢ ص ٦٠١ .

٣٤٥ ـ محمد عبد العزيز مرزوق : نفس المرجع : جـ ٢، ص ٦٠١ ·

٣٤٦ ـ انظر أيضا : زكي حسن : فنون الاسلام : ص ص : ٥٨٦ ـ ٥٨٧ ، توفيق عبد الجواد : المرجع السابق : جـ ٣ ص ٢٢٤ ، محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون في مصر : ص ص : ٣٠٨ ـ ٣٠٩ ·

٣٤٧ ـ انظر أيضا :زكي حسن : كنوز الفاطميين : ص ١٨١ ·

٣٤٨ ـ انظر أيضا : السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق : ص : ٥٣١ ·

٣٤٩ ـ ابن مماتى : المصدر السابق : ص ٣٣١ ·

٣٥٠ ـ المقريزى : الخطط : جـ ١ ص ١٩٥ وانظر أيضا : نعمت علام : فنون الشرق الأوسط فى الفترات الهلنستية : ص ٣٤ ·

٣٥١ ـ انظر أيضا : السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق : ص ص : ٤٩٢ ـ ٤٩٣ ·

٣٥٢ ـ راجع : سامح عبد الرحمن فهمى : المرجع السابق : ص ص : ٣٤ ـ ٣٥ رقم ٥ ·

٣٥٣ ـ نفس المرجع : ص ص : ٣٨ ـ ٣٩ ·

٣٥٤ ـ نفس المرجع : ص ٥٤ ·

٣٥٥ ـ انظر مثلا : نفس المرجع : ص : ١١٣ دينار رقم (١٤٣) ، ص ١١٤ دينار رقم (١٤٤) ·

٣٥٦ ـ نفس المرجع : ص ١٠٨ ·

٣٥٧ ـ انظر أيضا : السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق جـ ١ ص ص ٤٤ ـ ٤٦ ، ص ص : ٨٨ ـ ٩٣ ·

٣٥٨ ـ ابن خلدون : المقدمة : ص ص : ١٩٩ ـ ٢٠٣ ·

٣٥٩ ـ انظر أيضا : سعاد ماهر : البحرية فى مصر الاسلامية : ص ص ٣١١ ـ٣١٨ ·

٣٦٠ ـ انظر أيضا : جورجى زيدان : المرجع السابق : جـ ١ ص ١٥٩ ، راشد البراوى :المرجع السابق : ص ص : ١٥٩ ، ٣٨٢ ·

٣٦١ ـ ابن مماتى : المصدر السابق : ص ٣٤٠ ·

٣٦٢ ـ السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق : ص ص : ٤٩٤ ـ ٤٩٧ ، خليل ضوءط : المرجع السابق : ص ص : ١٦٨ ـ ١٧٠ ·

٣٦٣ ـ وصف مصر : جـ ٣ ص ٣١١ ·

٣٦٤ ـ انظر أيضا : خليل ضومط : المرجع السابق : ص ص : ١٦٢ ـ ١٦٧ ·

٣٦٥ ـ السيوطى : المصدر السابق : جـ ٢ ص ٢٨١ ·

٣٦٦ ـ راشد البراوى : المرجع السابق : ص ص : ١٨٣ ـ ١٨٤ ، ٣٨٢ ·

٣٦٧ ـ ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص ص : ٥٧ ـ ٦٠ ·

٣٦٨ ـ وصف مصر : جـ ٣ ص ٣٠ ·

٣٦٩ ـ انظر أيضا : السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق : ص ص : ٥٢٩ ـ ٥٣١ ·

٣٧٠ ـ يحتفظ المتحف اليونانى الرومانى بالاسكندرية بهذه المجموعة فى الخزانة (ب) بالقاعة رقم (١) · انظر عنها أيضا : هنرى رياض : المرجع السابق : ص ١٩٣ ·

٣٧١ ـ وصف مصر : جـ ٣ ص ٣٠ ·

٣٧٢ ـ ياقوت : المصدر السابق : جـ ١ ص ٣٥١ وانظر أيضا : الموسوعة العربية الميسرة : ص : ٣٣١ ·

٣٧٣ ـ انظر أيضا : محمد رمزى : المرجع السابق : جـ ٢ ق ٢ ص ٢٨٤ ·

٣٧٤ ـ ياقوت : المصدر السابق : جـ ٢ ص ٤٧٢ وانظر أيضا : الموسوعة العربية الميسرة : ص ٨٠٣ ، عبد العال الشامى : المرجع السابق : ص ٥٠ ·

٣٧٥ ـ ابن بطوطة : الرحلة : ص ٣٩ ·

٣٧٦ ـ ابن دقماق : المصدر السابق : جـ ٢ ص ١٠١ وانظر أيضا : قاموس جغرافى للقطر المصرى : ص ٣٨٦ ·

٣٧٧ ـ على باشا مبارك : المرجع السابق : جـ ١١ ص ٢٢ ·

٣٧٨ ـ القلايا موقع أثرى قبطى فى الصحراء الغربية يقع أساسا ضمن امتدادات مراكز أبو المطامير ، حوش عيسى ، الدلنجات وتقوم بأعمال الحفر فيه بعثتان احداهما فرنسية والأخرى سويسرية ، وقد حفظت بعض هذه القطع فى المتحف القبطى بمصر القديمة عقب عمليات القسمة التى كانت تتم في نهاية كل موسم بين هيئة الآثار المصرية وبين كل من البعثتين المشار اليهما ، وقد مثلت هيئة الآثار المصرية مع البعثة السويسرية فى هذا الموقع على مدار أربعة مواسم متتالية · انظر أيضا : محمود ابراهيم : الخزف الاسلامى فى مصر : ص ص : ٨٨ ـ ٩٠ ·

٣٧٩ ـ عبد العال الشامى : المرجع السابق : ص ٢٢ ، على باشا مبارك : المرجع السابق : جـ ١١ ص ٣٢ ·

٣٨٠ ـ زكى الرشيدى وآخرين : المرجع السابق : جـ ١ ص ٢١٧ ·

٣٨١ ـ راجع : ياقوت : المصدر السابق : جـ ١ ص ٤٨٩ وانظر أيضا : قاموس جغرافى للقطر المصرى : ص ١٣٨ ·

٣٨٢ ـ ابن دقماق : المصدر السابق : جـ ٢ ص ١٠٥ ·

٣٨٣ ـ محمود عكوش : المرجع السابق : ص ١٢٨ ح ١ ، محمد رمزى : المرجع السابق : جـ ٢ ص ٣٣١ ·

٣٨٤ ـ الادريسى : المصدر السابق : ص ١٦٠ ·

٣٨٥ ـ ياقوت : المصدر السابق : جـ ٢ ص ٢٧ ·

٣٨٦ ـ الادريسى : المصدر السابق : ص ١٦٠ ·

٣٨٧ ـ ياقوت : المصدر السابق : جـ ٢ ص ٢٧ ·

٣٨٨ ـ راجع : البكرى : المغرب فى حلى بلاد أفريقية والمغرب : ص ٢ وانظر أيضا : راشد البراوى : المرجع السابق : ص ١٧٨ ·

٣٨٩ ـ ابن حوقل : المصدر السابق : ص ص : ١٣١ ـ ١٣٢ وانظر أيضا : الموسوعة العربية الميسرة : ص ٨٦٩ ·

٣٩٠ ـ الادريسى : المصدر السابق : ص ١٦٢ ·

٣٩١ ـ باووت : المصدر السابق : جـ ٣ ص ٤٥ ٠

٣٩٢ ـ ابن دوماق : المصدر السابق : جـ ٢ ص ص : ١١٣ ـ ١١٤ وانظر أيضا : قاموس جغرافي للقطر المصرى : ص ٣٠٧ ٠

٣٩٣ ـ على باشا مبارك : المرجع السابق : جـ ١١ ص ٧٥ ٠

٣٩٤ ـ وصف مصر : جـ ٤ ص ٢٠٨ ، الخطط التوفيقية : جـ ١١ ص ٧٥ ٠

٣٩٥ ـ وصف مصر : جـ ٤ ص ٢١٠ ٠

٣٩٦ ـ نفس المرجع : جـ ٣ ص ص ٢٢١ ـ ٢٦٧ ٠

٣٩٧ ـ نفس المرجع : جـ ٣ ص ص ٢٥٣ ـ ٢٥٤ ، على باشا مبارك : الخطط التوفيقية : جـ ١١ ص ٧٦ ٠

٣٩٨ ـ وصف مصر : جـ ٣ ص ص : ٢٥٥ ـ ٢٥٦ ٠

٣٩٩ ـ على باشا مبارك : المرجع السابق : جـ ١١١ ص ٧٦ ٠

٤٠٠ ـ محمد رمزى : المرجع السابق : مجلد ٢ جـ ٢ ص ٢٩٨ وانظر أيضا : قاموس جغرافي للقطر المصرى : ص ٧٦ ، الموسوعة العربية الميسرة : ص ١٠٠ ٠

٤٠١ ـ حسين الرفاعى : أحدث الصناعات فى مصر : ص ١٠ ٠

الفصل الثانى

وسط الدلتا

الواقع أن ما لدينا من معلومات تاريخية عن مراكز الصناعة المصرية فى وسـط الدلتا خلال العصور الاسلامية يحصر هذه المراكز فى ثلاث محافظات هى المنوفية والغربية ودمياط ، وسنحاول فيما يلى عرض الموقف الصناعى والحرفى لكل مركز من هذه المراكز معتمدين فى ذلك أيضا على ما عثر عليه فى أى منها من مخلفات أثرية (ان وجدت) وعلى ما ورد عنه فى المصادر العربية وما جاء بصدده فى المراجع الحديثة ·

أولا : محافظة المنوفية

تقع محافظة المنوفية فى جنوب الدلتا بين فرعى دميـاط ورشـيد وعاصمتها الحالية شبين الكوم ، وقد عرفت باسم محافظة المنوفية فى عهد الدولة الفاطمية نسبة الى منوف التى كانت عاصمة لها حتى سنة (١٨٢٦م) قبل نقل العاصمة الى شبين الكوم ـ وتشير المصادر الأثرية والتاريخية التى بين أيدينا الى أن الصناعة بمحافظة المنوفية خلال العصور المشـار اليها كانت تنحصر فقط فى مدينتى أشمون ومنوف ·

١ ـ أشـمون :

أشمون قرية مصرية قديمة ذكرها الادريسى فى القرنين (٥ ـ ٦ هـ/ ١١ ـ ١٢ م) باسم « اشمن جريش » وقال انها « مدينة صغيرة كثيرة العمارات والبساتين والجنات » (٤٠٤) وأشـار اليهـا ياقوت فى القرن (٧ هـ /١٣ م) فقال « أشموم » بضم الميم اسم لبلدتين بمصر يقال لاحداهما « أشموم طناح » وهى قرب دميـاط من الدقهلية ، وللأخرى « أشموم الجريسات بالمنوفية » (٤٠٥) · وحدد على باشا مبارك موقعها فى القرن (١٣ هـ /١٩ م) بقوله انها « قرية من أعمال المنوفية وهى رأس مركز واقعة على الشاطىء الشرقى لبحر رشيد بقرب أم دينار وحولها

سور من الأجر » (٤٠٦) وذكرها صاحب القاموس الجغرافى نقلا عن تاريخ (دفتر المساحة) سنة (١٨١٣ م) باسم أشمون جريس لمجاورتها لناحية بيذا الاسم تمييزا لها عن أشمون الرمان التى بمركز دكرنس (٤٠٧) ٠

أما فيما يختص بمدينة أشمون كمركز صناعى فانه طبقا لما لدينا من الأدلة التاريخية وبعض الشواهد الأثرية يمكن القول أن المدينة كانت مركزا لبعض الصناعات والحرف ولا سيما صناعات النسيج والزيوت والفخار ، وقد جاء فى غير واحد من الكتب العربية المنشورة أن هذه المدينة كانت خلال العصر البيزنطى مركزا من مراكز صناعة المنسوجات الكتانية (٤٠٨) ، ورغم أننا لا نملك أدلة كافية لنفى أو تأييد هذا الرأى الا أننا لا نستبعد ذلك لعدة أسباب منها أن الاقليم بشكل عام هو أحد الأقاليم الخصبة بالدلتا حيث تكثر زراعة الكتان وتكثر من ثم المادة الخام اللازمة لصناعة المنسوجات الكتانية ، ومنها أن هذا النوع من النسيج كان أكثر أنواع المنسوجات القبطية صنعا ، ومنها أن صناعة النسيج خلال الفترة المشار اليها كانت من أكثر الصناعات شعبية فى مصر وانتشرت مصانعها فى كثير من البلاد المصرية بالوجهين البحرى والقبلى ولا سيما فى المناطق التى يكثر بها الأقباط ٠

ورغم أننا لا نستطيع أن نثبت موقف هذه المدينة فيما يختص بصناعة النسيج فى العصر الاسلامى خاصة وأن ما لدينا من الأدلة لا يكفى للقطع برأى فى هذا الشأن لأنه لا المكتشفات الأثرية ولا المصادر التاريخية تعطى معلومات واضحة أو محددة عن هذا الموقف الا أننا لا نستطيع أيضا أن ننفى هذا الاحتمال خاصة وقد ورد فيما نشره جروهمان من أوراق البردى العربية أن مدينتى أشمون وانصنى كان بهما طراز له متوكل ، يؤيد ذلك قطعة من البردى الأصفر الجيد مقاسها (١ر٨ × ٥ر١٠) سم عليها كتابة من خمسة أسطر تقول بعد البسملة « قبض حسين بن يحنس من رماح بن يوسف المتوكل بطراز أشمون وانصنى ٠٠ » (٤٠٩) ، وعلى ذلك فانه يمكن القول أن معلومات أكثر وضوحا أو تحديدا لا زالت متوقعة عن هذه المدينة من الدراسات الأثرية فى المستقبل طالما أن تحقيقات علمية منتظمة ومرتبة لمواقع العصور الوسطى الأثرية فى مصر لم تزل غير قائمة بعد ٠

ويغلب على الظن أن نشاطات مدينة أشمون الصناعية والحرفية فى العصر الاسلامى لم تقتصر على صناعة النسيج فقط وانما كانت تمارس فيها أنشطة أخرى ولا سيما فى مجال صناعة الزيوت ، ولدينا من المصادر التاريخية ما يؤيد ذلك ، من ذلك مثلا ما أشار اليه الكندى فى القرن (٤ هـ / ١٠ م) بقوله أن من بين « فضائل مصر المليخة التى أرضعت

عندها مريم عيسى بأشمون فخرج من هذه المبخة الزيت » (٤١٠) ويفهم من ذلك أن صناعة مراهم أو دهون كانت على ما يبدو من بين صناعات المدينة على غرار ما سبقت الاشارة اليه لمرهم البلســان فى عين شمس (المطرية) ٠

هذا عن الأدلة التاريخية التى وردت فى المصادر والمراجع العربية فيما يختص بصناعات أشمون ، أما عن الأدلة المادية أو الشواهد الأثرية ، فقد أسفرت الحفائر التى لم تنشر بعد والتى أجريت معظمها سنة (١٩٧٢م) أثر العثور مصادفة على كثير من العملات الذهبية الفاطمية فى تل العمرى بالمدينة ، عن العثور على كميات وافرة من الفخار والزجاج يرجع بعضها الى العصر البيزنطى وبعضها الى العصر الاسلامى ، وفى هذا ما يؤكد قيام هاتين الصناعتين فى المدينة خلال العصور المشار اليها ، وليس ذلك بغريب ونحن نعرف أن صناعتى الفخار والزجاج كانتا من أقدم الصناعات التى لازمت حضارة الانسان على ظهر الأرض ، وأولاهما واحدة من أهم المقاييس التى يمكن أن تقيم من خلالها هذه الحضارة ٠

٢ ـ منــوف :

منوف هى احدى مراكز محافظة المنوفية تبعد عن شبين الكوم بثلاثة عشر كيلو مترا تقريبــا (٤١١) ، وقد أشار اليها ابن حوقل فى القرن (٤ هـ / ١٠ م) فقال انها « مدينة كبيرة عظيمة واسعة الغلات والخيرات والكتان وبها وال وحاكم وحمامات وجامع وأســواق حسنة وكور عدة برسمها » (٤١٢) وذكرها الادريسى فى القرنين (٥ ـ ٦ هـ /١١ ـ ١٢م) فقال « وهى قرية عامرة ولها اقليم معمور وبها غلات وخير كثير » (٤١٣) وهنا نجد اختلافا بين ما ذكره ابن حوقل الذى سماها بالمدينة وما ذكره الادريسى الذى سماها بالقرية وأيده فى ذلك ياقوت فى القرن (٧ هـ / ١٣ م) الذى وصفها بقوله انهــا « من قرى مصر القريبة لهــا ذكر فى الفتوح ، وهى أســـفل الأرض من بطن الريف يقــال لكورتهـــا الآن المنوفية » (٤١٤) وفى هذا ما يدل على تغير حالها من مدينة الى قرية ومن تحضر الى بداوة ٠

والواقع أنه ليس لدينا معلومات عن هذه المدينــة كمركز صناعى لا فى الشواهد الأثرية ولا فى المصادر التاريخية باستثناء ابن حوقل الذى لم يزد على قوله انها « واسعة الغلات والخيرات والكتان » ولذلك فان كل ما نعرفه عنها فى هذا الصدد جاء فى بعض المراجع الحديثة ولا سيما فى القرنين (١٢ ـ ١٣ هـ / ١٨ ـ ١٩ م) ، فقد اشتهرت المدينة خلال هذه

الفترة ببعض الصناعات والحرف · ولا سيما صناعات النسيج والحصير والفخار والزيوت ، يؤيد ذلك ما جاء فى « وصف مصر » من أنه « تصنع فى منوف أقمشة كتانية مختلفة منها الأقمشة البيضـاء ذات اللحمات الضيقة ، والأقمشة الناصعة البياض ذات البراسل (المتيت) ، والأقمشة الخشنة التى تستخدم فى صنع أغطية الفرش والخيام » (٤١٥) وقد ساعد على انتشار هذه الصناعة فى المدينة ما كان يحصل عليه بكميات وافرة من ألياف الكتان الذى انتشرت زراعته بالاقليم من ناحية ، وما كانت تقوم به النســاء اللائى كن عمــاد هــذه الصناعة ـ على ما يبدو ـ من ناحية أخرى ·

كذلك فقد جاء فى الكتاب المشار اليه أن مدينة منوف كانت تمتاز بين كل مدن الدلتا بجمال الحصر التى تصنع فيها ، وأن الطلب على هذه الحصر كان شديدا فى كل أنحاء مصر ، وكان ذلك سببا كافيا فى أن هذه الصناعة لم تقتصر على المدينة وحدها وانما انتشرت أيضا فى عدد كبير من القرى المحيطة بها ، والجزء الأكبر من حصر منوف وما جاورها يرسل الى القاهرة وبولاق ، ويستخدم بعضه سكان هاتين المدينتين ، ويصدر بعضه الآخر الى القسطنطينية وأزمير وجزر الأرخبيل وفلسطين ودمشق وغيرها ، وقد قدرت دراسة صناعات هذه المدينة التى أجراها علماء الحملة الفرنسية عدد الصناع العاملين فى هذا المجال ما بين ستمائة الى سبعمائة صانع (٤١٦) ·

أما عن صناعتى الفخار والزيوت فقد جاء ذكر الأولى فى نفس المرجع المشار اليه كواحدة من صناعات المدينة حيث قيل « أن بعض الفخاريات التى تصنع فى منوف وضواحيهــا كانت تتميز بطلاء أزرق يتكون من النطرون ونترات الصودا وأكسيد النحاس » (٤١٧) ، وجاءت الاشـارة الى الثانية فيما ورد فيه من أن أربع عشرة أو خمس عشرة معصرة لاستخراج زيت الكتان كانت منتشرة فى مدينة منوف (٤١٨) · ومن الطبيعى فى بلد تكثر فيه زراعة الكتان وتمارس فيه صناعة أقمشة كتانية أن يشتمل على معاصر للزيت ولا سيما زيت بذر الكتان ·

ثانيا : محافظة الغربية

الغربية محافظة بمصر يقال أنها سميت بهذا الاسم فى عهد الدولة الفاطمية ، وقد ظلت المحلة الكبرى عاصمة لها حتى سنة (١٨٣٦ م) ثم نقلت العاصمة الى طنطا ، والواقع أن ما لدينا من أدلة أثرية وتاريخية عن مراكز الصناعة بمحافظة الغربية لا يشير صراحة الى قصبة الاقليم الحالية

ونعنى بها مدينة طنطا ، وانما يشير الى قصبته القديمة وهى مدينة المحلة الكبرى ، بالاضافة الى ما تشير اليه هذه الأدلة من المدن الأخرى بالاقليم ولا سيما برما وأبيار وسنبو وسنباط وسمنود ، وتتلخص الأنشطة الصناعية والحرفية التى مورست فى هذه المراكز بصفة أساسية فى صناعتى النسيج والزيوت وسنحاول فيما يلى عرض موقف كل مركز من هذه المراكز .

١ ـ مدينة طنطا وضواحيها :

أوردت المصادر التاريخية مدينة طنطا بمسميات مختلفة تعارضت كثيرا فى جزئياتها والتقت بشكل عام فى جوهرها ، فقد أشار اليها ابن حوقل مثلا فى القرن (٤ هـ /١٠ م) بقوله « ومن منوف الى طنتا ضيعة جليلة حسنة عظيمة الأهل لها جامع وحمامات وبها ضياع برسمها وعامل ذو عدة وعتاد » (٤١٩) وأشار اليها الادريسى فى القرنين (٥ ـ ٦ هـ / ١١ ـ ١٢ م) باسم « طنطة » حيث قال « ومن مليج نازلا الى طنطة فى جهة الغرب وهى مدينة متحضرة صغيرة لكنها ذات سوق وأرزاق وأهلها فى رفاهة وخصب » (٤٢٠) وذكرها فى القرن (٧ هـ / ١٣ م) كل من ابن مماتى وياقوت فسماها الأول « طندتا » (٤٢١) وسماها الثانى « طنتثنا » وقال كأنه مركب مضاف طنت الى ثنا وهى من كورة الغربية بينها وبين المحلة ثمانية أميال » (٤٢٢) وسماها السخاوى فى القرنين (٩ ـ ١٠ هـ / ١٥ ـ ١٦ م) باسم طنتداء (٤٢٣) وأوردها الجبرتى فى القرنين (١٢ ـ ١٣ هـ / ١٨ ـ ١٩ م) باسم « طنتدا » بدون الهمزة الواردة فى تسمية السخاوى (٤٢٤) ، وفى العصر العثمانى حذفت الدال من طنتدا لتسهيل النطق فصارت طنتا ثم فخمت التاء لتوافق ذوق العامة فصارت « طنطا » وهو الاسم الذى وردت به أخيرا فى الخطط التوفيقية (٤٢٥) وكذلك فى القاموس الجغرافى نقلا عن تاريخ سنة (١٨١٣ م) (٤٢٦) ، وذاعت شهرتها كثيرا بعد أن دفن فيها ولى الله أحمد البدوى المتوفى سنة (٦٧٥ هـ /١٢٧٦ م) .

والواقع أن ما لدينا من معلومات تاريخية عن مدينة طنطا وضواحيها من الناحية الصناعية والحرفية فى العصور الاسلامية لا تسمح لنا باعتبار هذه النواحى من المراكز الصناعية ذات الأهمية الكبيرة خلال العصور المشار اليها ، لأن ما ورد فى هذا الصدد ينحصر فقط فيما جاء عنها فى كتاب وصف مصر بما يشير الى ما كان عليه حالها الصناعى والحرفى على أحسن تقدير فى القرنين (١٢ ـ ١٣ هـ /١٨ ـ ١٩ م) وما جاء فى الكتاب المشار اليه يوضح أن صناعة منسوجات كتانية كانت تمارس فى

المدينة وضواحيها خلال الفترة المشار اليها ، وتنتج من خلالها أقمشة سادة ذات لحمات ضيقة وأخرى زرقاء ذات مربعات وثالثة تسمى « كركة » أو « كركا » وهى قماش أزرق كان يصدر الى سورية عن طريق دمياط بالاضافة الى أقمشة التغليف الخشنة (٤٢٧) ، ومع ذلك فان الاشارة الى تصدير قماش الكركة المشار اليه مما كان يصنع فى المدينة الى سورية يجب الا تمر علينا بغير وقفة ، لأن عملية التصدير هذه لم تكن لتتم لولا أن المنتج كان على درجة من الجودة أهلته لكى ينتقى لهذا الغرض ، ولدينا من الأدلة على ذلك كثيرا مما كان ينتج فى المراكز الأخرى ذائعة الصيت ويصدر الى الأسواق الخارجية فى سورية وغيرها ولا سيما الدبيقى والتنيسى والدمياطى والشطوى وغيرها .

أما برما ومحلة مرحوم فهما ناحيتان واقعتان بمركز طنطا ولا يبعدان عنه الا بمسافة كيلو مترين أو ثلاثة (٤٢٨) ، وقد أشار ابن حوقل الى أولاهما فى القرن (٤ هـ/١٠م) وسماها محلة المرحوم وقال انها مدينة بها سلطان وفيها شحنة من خيل راجل وبها جامع وحمام وأسواق » (٤٢٩) وفى هذا ما يكفى للوقوف على قدر هذه المحلة بين البلدان المصرية فى العصر الاسلامى ، ثم أشار اليها المحبى فى القرن (١٢ هـ / ١٨ م) وقال ان « منها الشيخ ابراهيم بن عطاء بن على بن محمد الشافعى المرحومى » (٤٣٠) وفى هذا ما يفسر لنا تسميتها بمحلة مرحوم ثم جاءت فى الخطط التوفيقية على أنها من مركز أبيار وتنسب الى ابن المرحوم ومن أحفاده أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن ابن المرحوم (٤٣١) .

أما فيما يتعلق بهاتين المدينتين من الناحية الصناعية والحرفية فاننا لا نملك الا ما أشير اليه فى كتاب « وصف مصر » حيث قيل أن صناعة الاقمشة الكتانية كانت تنتشر فى كل القرى المجاورة لطنطا وبشكل جزئى فى محلة مرحوم وبرما (٤٣٢) ، والواقع أن ما يفهم من هذه الاشارات انما يعنى أن مدينة طنطا وتوابعها كانت تشتمل على بعض الانوال الاهلية التى أنتجت باستثناء النوع الذى كان يصدر الى سورية أنواعا شعبية من الأقمشة الكتانية ، وهو أمر لا يمكن استبعاده لعدة أسباب منها أن الأقليم أصلا هو أحد الاقاليم الزراعية الخصبة حيث تكثر زراعة الكتان ومنه تؤخذ مادة هذه الاقمشة الخام ، ومنها أن انتشار الانوال الأهلية فى البلاد المصرية كان أمرا عاديا وشائعا فى مصر منذ العصر البيزنطى ، يضاف الى هذه وتلك أن حاجة الاسواق المحلية لابد انها لعبت دورا هاما وأساسيا فى تواجد الصناعة فى تلك النواحى .

٢ ـ المحلة الكبرى وضواحيها : ـ

المحلة الكبرى كما أشار اليها الادريسى فى القرنين (٥ ـ ٦ هـ/١١ ـ ١٢ م) هى « مدينة كبيرة ذات اسواق عامرة وتجارات قائمة وخيرات شاملة » (٤٣٣) ، وكما ذكرها ياقوت فى القرن (٧ هـ / ١٣ م) هى مدينة مشهورة بالديار المصرية سماها محلة شرقيون وقال « وهى المحلة الكبرى وهى ذات جنبين أحدهما سندفا والآخر شرقيون » (٤٣٤) ومع ذلك فقد ذكرها صاحب القاموس الجغرافى بقوله انها « مدينة مصرية قديمة اسمها القبطى » « دقلا » ولذلك سميت بعد الفتح العربى لمصر بمحلة دقلا أحيانا ، وبمحلة شرقيون أحيانا أخرى ، ثم عرفت أخيرا بالمحلة الكبرى لأنها أكبر البلاد المسماة باسم المحلة بمصر » (٤٣٥) ·

وجاء ابن بطوطة فى القرن (٨ هـ/١٤ م) وأشار فى رحلته المشهورة الى أن المحلة الكبرى « مدينة جليلة المقدار ، حسنة الآثار ، كثير أهلها جامع بالمحاسن شملها » (٤٣٦) وذكر ابن دقماق فى القرن (٩ هـ /١٥م) أنها « مدينة كبيرة يشقها النيل وهى قصبة اقليم الغربية من الديار المصرية عرفت ولايتها قديما بالوزارة الصغيرة » (٤٣٧) أما على باشا مبارك فقد أشار فى القرن (١٣ هـ / ١٩ م) الى انها على ترعة الملاح وهى فرع من فروع بحر شبين وقال « ان أكثر أبنيتها بالآجر المتين على طبقتين وثلاثة وأربعة وبها قصور مشيدة بالبياض النفيس ومناظر حسنة بشبابيك الخرط والزجاج ومفروشة بالبلاط والرخام ·· وفيها أرباب حرف كثيرون من جميع الصنائع » (٤٣٨) وقد ظلت المدينة عاصمة لمحافظة الغربية حتى سنة (١٨٣٦ م) ثم قلت أهميتها بعد نقل العاصمة الى مدينة طنطا ثم عادت لها شهرتها مرة أخرى بعد انشاء مصانع الغزل والنسيج فيها سنة (١٩٣٠ م) وصارت المركز الرئيسى لصناعة المنسوجات القطنية فى مصر ·

وهكذا نرى أن ما لدينا من أدلة تاريخية كافية لأى استقراء علمى يشير الى أن مدينة المحلة الكبرى كانت على الاقل منذ القرن (٩ هـ/١٥م) مركزا هاما من مراكز صناعة النسيج فى مصر ، يؤكد ذلك أولا ما ذكره ابن دقماق فى القرن (٩ هـ/١٥ م) من أنها كانت « تشتمل على اسواق وجوامع وقياسر وبزازين » (٤٣٩) والمعروف أن البز هو الثياب الرفيعة من الكتان ، ويؤكده ثانيا ما ذكره ابن ظهيرة فى القرن (١٠ هـ/١٦ م) بقوله أن المراد بقوله تعالى « وأبعث فى المدائن حاشرين » هى مدن المحلة الكبرى ، بنابوصير ، سمنود ، وأنه « كان فى هذه المدن من الكتان الذى يحمل الى بلاد الاسلام والكفر وأقاصى الدنيا ما لا يحصر » (٤٤٠)

ولسنا فى حاجة الى ذكر ما لمثل هذه المصادر التاريخية ذات الثقة من أهمية فى أية دراسة أثرية ، ويؤكده ثالثا ما جاء فى وثائق جنيزة القاهرة التى نشرها جوتاين من أنه فى سؤال رفع الى ابن ميمون (وهو كما اشرنا) ابراهيم الناقد رئيس التجمع اليهودى فى مصر الذى توفى سنة (٦١٠ هـ/١٢٠٤ م) نجد الاشارة الى شركة لصناعة الحرير بالمحلة الكبرى قام أصحابها بافتتاح فرع لها بالقرب من محل يتبع شركة مماثلة فى الفسطاط ، وخوفا من المنافسة وافقت الشركة التى بالفسطاط على أن تقبل أحد عمال شركة حرير المحلة للعمل عندهما مقابل أن يذهب أحد أعضائها الى المحلة ويلتحق هناك بشركاتها (٤٤١) .

وقد حافظت المدينة على تقاليدها الصناعية النسيجية حتى أيام الحملة الفرنسية على مصر ، يؤيد ذلك ما ذكره علماء هذه الحملة تفصيلا عن مصانع النسيج فى تلك المدينة ، وقد ورد فى هذا الصدد أنه ليس لمصانع الحرير بالمحلة الكبرى مثيل فى أية مدينة مصرية أخرى ، ويأتى هذا الحرير من سورية على هيئة شرانق الى دمياط ، وهناك تفك خيوطه لتلف فى بكرات ويصبح عندئذ أصفر اللون تشوبه بعض الشوائب ، ثم يبيض فى المحلة الكبرى وتغلى البكرات فى النطرون وتحل خيوطها وتوضع فى شلات تضرب فوق حجارة مسطحة ثم تغمر بالمياه ويعطى هذا التجهيز الحرير لونا أبيض ، أما خيوط الحرير الملونة التى كانت تعمل بالمحلة الكبرى فكانت على ألوان مختلفة أهمها بالاضافة الى الاخضر والبرتقالى والأزرق الاسود والاحمر والاصفر ، وكانوا يحصلون على اللون الاسود من نبات النيلة ، وعلى اللون الأحمر من دودة القرمز ، وعلى اللون الأصفر من شجيرات البليخة التى كانت تزرع فى اقليم الشرقية (٤٤٢) ، وقد أدى ذلك بالطبع الى قيام مصانع أخرى بالمدينة لصباغة الحرير ، ويبدو أن صناعة الاقمشة الحريرية كانت تتركز فى المحلة الكبرى دون سائر مراكز الدلتا ، حيث كانت تعمل بها من هذه الأقمشة الستائر والاغطية والمفارش المطرزة بخيوط الذهب والفضة وكذا الأحزمة واليشامك (البراقع) السوداء الخاصة بالنساء ومناديل الرأس والشيلان ونحو ذلك مما كان يحمل بعضه الى كافة الاسواق المحلية المصرية ، ويصدر بعضه الثانى الى بلاد الشام عن طريق دمياط ، وبعضه الثالث الى القسطنطينية عن طريق ثغرى رشيد والاسكندرية (٤٤٣) .

ولم تقتصر صناعة المحلة الكبرى خلال الفترة المشار اليها على المنسوجات الحريرية وانما صنع فيها أيضا نوع من التفتاز الاسود استخدمته نساء الطبقة العليا من المجتمع كنقاب لتغطية الوجه ، بالاضافة الى بعض المنسوجات القطنية والكتانية الخشنة ولا سيما الاتيال الزاهية

التى استخدمت بكثرة فى عمل القمصان وكـــذا المناشف الكتانية ذات الألوان المختلفة التى كانت أصواف بعضها تطرز بالحرير (٤٤٤) ٠

أما ضـــاحيتي المحلة الكبرى التي وردت بشأنهما بعض المعلومات التاريخية الدالة على قيام بعض الصناعات والحرف فيهما فهما ســـندفا وبنابوصير ، وقد جاء ذكر موقع أولاهما فيما أشار اليـــه الادريسى فى القرنين (٥ ـ ٦ هـ / ١١ ـ ١٢ م) الذى سماها سندفة وقال انها « من سمنود فى البرية جهه الغرب تقابلها صنهور وهى مدينة جليلة كثيرة الفواكه والنعم » (٤٤٥) كذلك جاء ذكرها فيما أشار اليه ياقوت فى القرن (٧ هـ/١٣ م) بقوله انها « بليدة من نواحى مصر وتعد أحـــد جانبى المحلة الكبرى » (٤٤٦) ، وما أشـــار اليه عـــلى باشـــا مبـــارك فى القرن (١٣ هـ / ١٩ م) بقوله ان سندفا هى « قرية من ناحيـــة الســـمنودية بمديرية الغربية بلصق المحلة الكبرى من الجهة الجنوبية لا يفصلهما الا الخليج » (٤٤٧) أما ذكر صناعتها فلم تشر اليه الا بعض المراجع العربية بقولها انها كانت خلال العصر الفاطمى مركزا من مراكز صناعة الزيوت فى الاقليم (٤٤٨) ، وهو احتمال يرجحه أن الاقليم بكامله هو احد الأقاليم الزراعية التى تكثر فيها زراعة الكتان وبذره كما نعلم هو أحد المصادر الرئيسية لهذه الصناعة ٠

أما الثانية فهى مدينة مصرية قديمـــة ذكرها ياقوت فى القـــرن (٧ هـ / ١٣ م) بكورة بنا وقال انها تقع جنوب بوصـــير بنحـــو فرسخين (٤٤٩) ، وكانت تابعة لمركز المحلة الكبرى على الشاطىء الغربى لبحر دمياط ، فلما أنشىء مركز سمنود سنة (١٩٣٥ م) انتقلت تبعيتها اليه لقربها منه (٤٥٠) ، وقد أشار ابن ظهيرة فى القرن (٩ هـ/١٥ م) الى هذه المدينة وقال انه « كانت تصنع فيهـــا الأقمشة الكتانية الرفيعة التى كانت تحمل الى كافة بلاد الاسلام والكفر وأقاصى الدنيا » (٤٥١) ٠

٣ ـ مراكز أخرى متفرقة بالاقليم :

بالاضافة الى مدينتى طنطا والمحلة الكبرى وضواحيهما كانت هناك باقليم الغربية مراكز صناعية أخرى أهمها أبيار وسنبو وسنباط وسمنود ودميرة ٠

(أ) أبيـــار : ـ

أبيار كما وردت فى الخطط التوفيقية « بلدة قديمـــة من مديرية الغربيـــة بقســـم محلة منوف واقعة على بحر يوسف شرقى كفر الزيات

أبنيتها من الآجر واللبن فيها غرف كثيرة وقصور مشيدة وفيها مساجد بمنارات ومنابر وكانت من المدن العظيمه العامرة بالايمان والاكابر ومنها الشيخ محمد بن علي بن احمد الابياري الذى ناب عن الصدر المناوى بالقاهرة كما كانت محل تخت القضاء ومركز حكومة يتبعها نحو مائة وخمسين بلدا » (٤٥٢) وقد أشار اليها في القرن (٧هـ/١٣ م) كل من القزوينى وياقوت فقال الأول « مدينة بقرب الاسكندرية بها معدن النطرون والنطرون نوع من البورق يستعمل فى الأدوية » (٤٥٣) ، وقال الثانى « أبيار جمع البئر اسم قرية بجزيرة بنى نصر بين مصر والاسكندرية ينسب اليها أبو الحسن على بن اسماعيل الابيارى توفى (٥١٨ هـ / ١١٢٤ م) » (٤٥٤) وقد وصفها ابن بطوطة فى القرن (٨ هـ / ١٤ م) بأنها « قديمة البناء أرجة الأرجاء كثيرة المساجد ذات حسن زائد وهى بمقربة من النحرارية يفصل بينهما النيل ، ثم قال وتصنع بأبيار ثياب حسان تعلو قيمتها بالشام والعراق ومصر وغيرها ، ومن الغريب قرب النحرارية منها والثياب التى تصنع بها غير معتبرة ولا مستحسنة عند أهلها » (٤٥٥) ونحن لا نرى فى ذلك وجه غرابة لو أخذنا فى أعتبارنا وفرة المنسوجات الممتازة التى كانت تنتجها مراكز الوجه البحرى الهامة مثل تنيس ودمياط ودبيق وشطا وغيرها ، ولا بد أن أهل النحرارية كانوا قادرين على الحصول على هذه المنسوجات ، مما جعلهم يعزفون عن شراء منسوجات أبيار التى ساء حظها بوجودها بين كثير من أنواع المنسوجات التى تبزها مما كانت تنتجه المراكز المشار اليها .

أما ابن دقماق فقد حدد موقعها فى القرن (٩ هـ /١٥ م) على أنه فى طرف جزيرةبنى نصر واشترك بذلك مع ما أشار اليه ياقوت فى القرن (٧هـ/١٣م) إلا أنه أشار الى أن بها أسواق وقياسر وحمامات وجوامع وبها تجار قاطنون ثم قال « ويعمل بها القماش الابيارى والمحرر الذى يفوق القماش الاسكندرانى ، وتعمل بها الابراد الغربية يباع البرد الكتان منها بما يزيد على المائة درهم » (٤٥٦) والواقع أن ما ذكره ابن دقماق فى هذا الصدد على جانب كبير من الأهمية لأن وجود التجار القاطنين بها انما يعنى وفرة انتاج كانت تقتضى تواجد هؤلاء التجار فى المدينة بصفة دائمة ، لأن انتاجها كان يكفى على ما يبدو تجارتهم المتصلة من ناحية ، ولأن تسمية بعض انتاجها بالابيارى انما يعنى أنه كان على قدر من الدقة والجودة وبعض المميزات الخاصة حتى أنه نسب فى تسميته الى المركز الذى أنتجه من ناحية أخرى ، ولأن تفوق قماشها على أقمشة الاسكندرية وزيادة سعر بردها الواحد على المائة درهم انما يعنى بغير شك أن هذه الاقمشة وتلك البرد كانت على درجة عالية من

الذوق والاتقان من ناحية ثالثة ، وقد حافظت المدينة على تقاليدها الصناعية حتى القرنين (١٢ ـ ١٣ هـ/١٨ ـ ١٩ م) يدل على ذلك ما جاء فى وصف مصر من أن صناعة المنسوجات القطنية والكتانية كانت تنتشر فى كل القرى المجاورة لطنطا ولا سيما فى محلة مرحوم وبرما وأبيار وبسيون وغيرها (٤٥٧) .

كذلك فقد أورد على باشا مبارك أن بأبيار معمــــل دجاج وأنول ومصابغ نيلة وفى هذا ما يدل على أن الصباغة كانت من بين أنشطة هذه المدينة الصناعية خلال القرن (١٣هـ/١٩ م) (٤٥٨) .

(ب) سنبو : ـ

يقال لها ســـــنبو الكبرى وهى ناحيـــــة بمركز زفتى محافظـة الغربية (٤٥٩) ، أشار اليها ياقوت فى القرن (٧ هـ/١٣ م) بقوله « ومنها الكنابيش الفائقة التى لا يعلوها شيء ، والاكسية الصنبوية (ربما كـان يعنى السنبوية) وهى أجود ما يعمل هناك » (٤٦٠) ولسنا فى حاجة الى تكرار القول هنا بالنسبة لما أشار اليه ياقوت فيما يختص بصفة النسبة فى تسمية أكسيتها التى لولا تميزها لما نسبت الى المركز الذى أنتجها .

(جـ) ســـــنباط : ـ

سنباط ناحية بذات المركز المشار اليه (زفتى) على بعد كيلو مترين منه (٤٦١) ، وقد ذكرها الادريسى فى القرنين (٥ ـ ٦هـ/١١ ـ ١٢م) فقال « ومن بلوس الى سنباط (بالضم) ومزارعها كتان وفيها سوق عامرة وتجارات وأرباح» (٤٦٢) وأشار اليها ياقوت في القرن (٧هـ /١٣م) على أنهـا سنباط (بالفتح) وقال كذا تقول العوام ويقال لها أيضـا سنبوطية ووصفها ببليد حسن (٤٦٣) ، أما على باشا مبارك فقد قال فى خططه « قرية من مديرية الغربية بمركز زفتا فى غربى ترعة الساحل وفى جنوب العجيزية واليها ينسب عبد الحق محمد بن عبد العـال الشرف ابن الشمس السنباطى وغيره (٤٦٤) ، واشار اليها ياقوت أيضا ضمن ما أورده من مـــدن مصر وقراها وقال انهـــا اشـــتهرت بالقمـــاش السنباطى (٤٦٥) ، وكأنه بهذا يريد أن يقول لنا أن أنواعا معينة مـن الأقمشة ذات مواصفات خاصة كانت تنتج فى سنباط .

(د) سمنود

سمنود هى آخر ما نذكره من المراكز الصناعية بمحافظة الغربيـة، وكانت تسمى فى العصر القديم « سبنترت » أى (الأرض المقدسة) لأن

هذه الكلمة تتكون من مقطعين أولهما « سب » ومعناه (الأرض) وثانيهما « نترت » ومعناه (المقدسة) ، ثم حرفها اليونان الى « سبنوتس » وأخيرا سماها العرب سمنود ، وقد أشار اليها الادريسى فى القرنين (٥ ـ ٦هـ/ ١١ ـ ١٢) فقال « مدينة كثيرة الداخل والخارج عامرة آهلة وبها مرافق وأسعار رخيصة » (٤٦٦) كما أشار اليها ابن ظهيرة فى القرن (١٠ هـ / ١٦ م) وقال ٠٠ انها احدى المدن التى جاء ذكرها فى القرآن الكريم فى قوله تعالى « وابعث فى المدائن حاشرين » (٤٦٧) وأنه يعمل فيها الكتان الذى يحمل الى كافة بلاد الاسلام والكفر واقاصى الدنيا (٤٦٨) ، ومعنى ذلك أن المدينة كانت منذ القرن (١٠هـ/١٦ م) مركزا لصناعة المنسوجات الكتانية ، وظلت محافظة على تقاليدها الصناعية فى هذا المجال حتى القرنين (١٢ ـ ١٣ هـ/١٨ ـ ١٩) يدل على ذلك ما جاء في وصف مصر من « أن الاقمشة الفاتحة التى تحمل على حافتها أربعة أو خمسة خطوط منسوجة فى البرسل والتى تستخدم فى الملابس البيضاء والزرقاء ، فهى الأقمشة الكتانية التى تصنع بكميات كبيرة فى سمنود ، حيث يدور فى مجالها ما يقرب من ثلاثمائة نول » (٤٦٩) ٠

ثالثا : محافظة دمياط

١ ـ مدينة دمياط :

دمياط محافظة تقع شرق النيل بمصر على الضفة الشرقية لفرع النيل المسمى باسمها ، الى الشرق منها بحيرة المنزلة وهى عاصمة محافظتها ومقرها الادارى (٤٧٠) ، ذكرها كل من ابن حوقل والمسعودى فى القرن (٤ هـ / ١٠ م) بطرفى نقيض فأشار اليها الأول مع تنيس بقوله « وهما جزيرتان من الماء المالح والعذب لا زرع فيهما ولا ضرع بهما وفيهما يتخذ ويعمل رفيع الكتان وثياب الشرب » (٤٧١) وقال الثانى انها كانت أرضا لم يكن بمصر مثلها استواء وطيب تربة وتراوة ، وكانت جنانا ونخلا وشجرا ومزارع ولم يكن بمصر كورة تشبهها الا الفيوم »(٤٧٢) واتفق المقدسى فى نفس الفترة أيضا مع ما ذهب اليه المسعودى فقال بانها « أطيب وأرحب وأحسن بناء وأوسع ماء وأحذق صناعا وأرفع بزا وأنظف عملا وأجود حماما وأوثق جدارات من تنيس » (٤٧٣) ٠

أما القزوينى وياقوت فقد أشارا اليها فى القرن (٧ هـ / ١٣ م)فقال أولهما دمياط (بالكسر) مدينة قديمة بين تنيس ومصر عند زاوية التقاء بحر الروم بالنيل وهى مخصوصة بالهواء الطيب ، وتعد من ثغور الاسلام عندها يصب ماء النيل فى البحر وعرض النيل هناك نحو مائة ذراع ،

وعليه من جانبيه برجان بينهما سلسلة حديد عليها جرس لا يدخل مركب فى البحر ولا يخـرج الا بأذن ، وعلى سـورها مدارس ورباطات كثيرة » (٤٧٤) وقال ثانيهما « مدينة قديمة بين تنيس ومصر على زاوية بحر الروم والملح والنيل ، مخصوصـة بالهواء الطيب ·· وهى ثغر من ثغور الاسلام » (٤٧٥) ·

وذكر ابن بطوطة فى القرن (٨هـ/١٤م) أنها على شاطىء النيل وشجر الموز بها كثير ، ومنها يحمل ثمره الى مصر فى المراكب ، وقال ان غنمها سائمة هملة بالليل والنهار ، ولهذا يقال فى دمياط : « سورها حلوى وكلابها غنم » (٤٧٦) كذلك فقد أشار اليها المقريزى فى القـرن (٩ هـ / ١٥ م) وقال انها كورة من كور أرض مصر بينها وبين تنيس اثنا عشر فرسخا سميت بدمياط من ولد اشمن بن مصرايم بن بيصر بن حام ابن نوح عليه السلام ، ثم حكى قصة فتح العرب لها فقال انه لما قدم المسلمون الى أرض مصر كان على دمياط رجل من أخوال المقوقس يقال له الهاموك ، فلما افتتح عمرو بن العاص مصر امتنع الهاموك بدميـاط واستعد للقتال ، فأنفذ اليه عمرو المقداد بن الأسود فى طائفة من المسلمين فحاربهم الهاموك وقتل ابنه فى الحرب فعاد الى دمياط وجمع أصحابه وشاورهم فى الامر وكان فيهم حكيم قال له : ايها الملك ان جوهرة العقل لا قيمة لها وما استغنى بها أحد الا هدته ، وهؤلاء العرب لم تردهم راية ، وقد فتحوا البلاد ، ولسنا بأشد من جيوش الشام ، والرأى أن تعقـد مع القوم صلحا ، فغضب الهاموك منه وقتله وكان له ابن عاقل ودار ملاصقة للسور فخرج الى المسلمين فى الليـل ودلهم على عورات المدينـة فاستولى المسلمون عليها (٤٧٧) ··

ومازالت دمياط بيد المسلمين الى أن بدأت هجمات الروم المتكررة عليها تجلب لها الدمار والتخريب ، فقد نازلها هؤلاء الروم مثلا سـنة (٩٠ هـ / ٧٠٨ م) وأسروا خالد بن كيسان وكان على البحر هناك ، ثم هاجموها مرة أخرى خلال عصر الامويين فى خلافة هشام بن عبد الملك سنة (١٢١ هـ / ٧٣٨ م) ، وأغاروا عليها مرة ثالثة سنة بضع ومائتين أثناء الفتنة بين الأمين والمأمون ، ثم مرة رابعة في خلافة المتوكل على الله العباسى وامارة عنبسة بن اسحاق وكان ذلك فى يوم عرفة سنة (٢٣٨هـ/ ٨٥٣ م) فملكوها وما فيها فنفر اليهم عنبسة يوم النحر فى جيشه فلم يدركهم ، ولذلك أمر المتوكل ببناء حصن دمياط فابتدىء لثلاث خلون من رمضان سنة (٢٣٩ هـ /٨٥٣ م) وأنشأ عنبسة من حينئذ الاسطول بمصر ·

ولم تتوقف غارات الفرنج على دمياط عند هذا الحد وانما اغاروا عليها بعد ذلك للمرة الخامسة سنة (٣٥٧هـ/٩٦٧م) بعد موت كافور الاخشيد

ثم مرة سادسة سنة (٥٥٠ هـ / ١١٥٥ م) فى خلافة الفائز ووزارة طلائع ابن رزيك ، ثم مرة سابعة سنة (٥٦٥هـ/١١٦٦م) فى وزارة الناصر صلاح الدين ، ثم مرة ثامنة سنة (٦١٥هـ/١٢١٨م) فى سلطنة الملك العادل بن أبى بكر بن أيوب(٤٧٨) ، وفى عصر الملك الكامل محمد أشار القزوينى الى أن الفرنج اتخذوا مركبا بعلو سور دمياط وشحنوه بالرجال والسلاح وأجروه فى البحر الى أن وصل بسور دمياط فوثبوا من المركب الى السور وفتحوا دمياط بهذه الحيلة (٤٧٩) ، فلما استبد الظاهر بيبرس البندقدارى بمملكة مصر بعد قتل المظفر قطز ، أخرج سنة (٦٥٩هـ/١٢٦٠م) عدة من الحجارين لردم فم بحر دمياط حتى ضاق وتعذر دخول المراكب منه ، وكان ذلك خوفا من هجوم الروم عليها مرة أخرى ، ثم أوقع هؤلاء الحجارون الهدم فى اسوارها حتى خربت كلها ومحيت آثارها ولم يبق منها سوى الجامع (٤٨٠) ، وكانت دمياط كغيرها من الاقاليم القاصية (كرشيد والاسكندرية وقوص) محلا لنفى بعض أرباب الجرائم كما حدث مثلا للظاهر تمريغا الذى نفى اليها لما خلع فى سادس رجب سنة (٨٧٢ هـ / ١٤٦٧ م) (٤٨١) ٠

هذا عن مدينة دمياط كموقع وتاريخ ، أما عن دمياط كمركز صناعى فالواقع أن ما لدينا من معلومات تاريخية وأدلة مادية يكفى لان نقول في ثقة واطمئنان أن المدينة كانت مركزا هاما من مراكز الصناعة فى مصر فى العصر الاسلامى ، وقد عرفت فى هذا العصر بممارسة بعض الصناعات الهامة ولا سيما النسيج والصباغة وبناء السفن ، بالاضافة الى بعض الصناعات الأخرى التى اعتمدت على الانتاج الزراعى مثل السكر والحلوى والخمور ٠

(أ) صناعة النسيج :

تؤكد لنا المصادر التاريخية والأدلة المادية أن دمياط كانت مركزا من أهم مراكز صناعة النسيج فى مصر منذ القرن (٣ هـ / ٩ م) وحتى عصر مجىء الحملة الفرنسية فى القرن (١٢ هـ / ١٨ م) ، ولدينا من هذه المصادر مثلا ما ذكره اليعقوبى فى القرن (٣ هـ / ٩ م) بقوله « ومن دمياط المنسوجات الصفاق الدبيقية والثياب الشروب والقصب » (٤٨٢) والمعروف أن الصفاق والشروب هى أقمشة الكتان ، أما الدبيقية فقد نسبها اليعقوبى على ما يبدو خطأ الى دمياط لأنها كانت فى دبيق وليس فى دمياط كما هو واضح من تسميتها ، اللهم الا اذا كانت دبيق تابعة فى هذا الوقت الى دمياط فنسب انتاجها الى اسم الكورة دون أن ينسبه

الى اسم المركز الذى صنع فيه ، ولدينا أيضا ما أشـــار اليه فى القرن (٤ هـ / ١٠ م) كل من المقدسى والكندى فقال الأول انيا « أحذق صناعا وأرفع بزا » (٤٨٣) وقال الثانى انه « ليس فى الدنيا طراز يبلغ الثوب الساذج منه (أى الذى لا ذهب فيه) مائة دينـــار غير ثوب تنيس ودمياط » (٤٨٤) وهو أمر كرره الادريسى من بعدهما فى القرن (٦ هـ / ١٠٢ م) بالنص الا أنه زاد عليه قوله ان أصول كل هذه المنسوجات التى تنسج فى دمياط من الكتان وقال انه يعمل بدميـاط من غريب الثياب الدبيقية وغيرها ما يقـارب التنيسية (٤٨٥) ومن هـذا يتضح اتفاق ما ذكره الادريسى فى القرن (٦ هـ / ١٢ م) مع ما ذكره اليعقوبى فى القرن (٣ هـ / ٩ م) بشأن المنسوجات الدبيقية ، ولدينا أيضا ما سجله ناصر خسرو فى رحلته المشهورة فى القرن (٥ هـ / ١١ م) من أن القصب لم يكن يصنع الا فى دمياط (٤٨٦) ٠

ثم جاء ياقوت والقزوينى وابن مماتى وابن عبد الظاهر فى القرن (٧ هـ / ١٣ م) وقال الأول « ومن غريب أمر تنيس ودمياط أن الحاكة بيا الذين يعملون هذه الثياب الرفيعة قبط وأكثرهم يأكل ولا يغسـل يده ثم يعود الى تلك الثياب الرفيعة الجليلة القدر » (٤٨٧) وأضاف الثانى الى ما ذكره الأول أنهم « ينشطون بها ويعملون فى غزلها ٠٠ وأن فى قبليها على الخليج غرفا تعرف بالمعامل يستأجرها الحاكة لعمـــل ثياب الشرب فيها ٠٠٠ وتبلغ قيمة الثوب الأبيض بدميـــاط وليس فيه ذهب ثلاثمائة دينار ، ولا تشارك تنيس فى شىء من عملها ، ولا يعمل بدمياط مصبوغ ولا بتنيس أبيض ، وهما حاضرتا البحر ، وبها الفرش القلمونى من كل لون » (٤٨٨) وقال الثالث ان الفرش المطرزة بالقصب لم تكن تصنع الا فى دمياط (٤٨٩) ، وقال الرابع انها « مخصوصة الهواء وعمر الشرب الفائق » (٤٩٠) ووصفه لشرب الكتان الدمياطى بالفائق يغنى عن الحديث عن الجودة التى كان عليها ٠

بعد ذلك بقرن من الزمان يأتى المقريزى فى القرنين (٨ ــ ٩ هـ / ١٤ ــ ١٥ م) ويفصل كثيرا فى بعض ما كان يعمل بدمياط من أنواع المنسوجات فيقول انه كان « يصنع للخليفة فيها ثوب يقال له البدنة لا يدخل فيه من الغزل سدى ولحمة غير أوقيتين وينسج باقيه بالذهب بصناعة محكمة لا تحوج الى تفصيل ولا خياطة ، وتبلغ قيمته ألف دينار ، وليس فى الدنيا طراز ثوب كتان يبلغ الثوب منه وهو ساذج بغير ذهب مائة دينار عينا غير طراز تنيس ودمياط » (٤٩١) ٠ ثم يأتى بعد ذلك أيضا فى القرنين (٩ ــ ١٠ هـ / ١٥ ــ ١٦ م) كل من ابن دقماق والسيوطى وابن ظهيرة فيقول الأول (وقد وقع فى نفس الخطأ الذى وقع فيه اليعقوبى)

« وبدمياط يعمل غريب الثياب الدبيقية وغيرهـا وما يقـارب التنيسية والطراز الدمياطى مشهور فى الأرض » (٤٩٢) ويؤكد الثانى استمرار صناعة كل هذه المنسوجات فى المدينة حتى عصره (٤٩٣) ، ويفصـــل الثالث بقوله ان « من بين منسوجات دمياط القلمونى (وهو ضرب من الثياب يظهر للرائى بألوان مختلفة) والمناشف (الفوط) وطراز الصعيد من الصوف والمطارح (جمع مطرح وهو المفرش) والشفــاف والستور والمقاطع والخيم والبسط والبراقع وغيرها » (٤٩٤) ، وفى موضــع آخر يقول : « ويبلغ الثوب الأبيض من انتاجها وليس فيه ذهب ثلاث مئين دينار ولا يعمل بدمياط مصبوغ ولا بتنيس أبيض » (٤٩٥) .

أما ما جاء فى المراجع العربية الحديثة عن منسوجات دميــاط فهو كثير أقدمه ما ذكر عن صناعــة القطــن والكتــان فى المدينــة خــلال عصر الاخشيديين فى القرن (٣ هـ / ٩ م) (٤٩٦) ويظهر أن صاحبة هذا الرأى قد بنته ــ على ما يبدو ــ على ما ذكره المقدسى فى القرن (٤هـ / ١٠م) وهو على أية حال رأى غير مستبعد لأســباب كثيرة لا داعى لاعادة القول فيها ، وأوسطه ما ورد عن منسوجات المدينة من الأنــواع المشار اليهــا خلال العصرين الفاطمى والأيوبى ، وقيـــه أن دمياط فى العصر الفاطمى كانت تعادل تنيس فى شهرتها ، وأنه كانت تعمل فيها كافة أنواع النسيج الفاخر الذى استعملت فيه خيوط الذهب (٤٩٧) .

أما فى العصر الأيوبى فقد جرى تشييد عمائر فخمة على النيل خارج المدينة استأجر النساجون حجرات طوابقها العلوية ومارسوا فيها صناعة المنسوجات ،ولا يعرف على وجه اليقين ما اذا كانت الحكومة أو بعض الناس هم الذين قاموا بتأجير هذه الحجرات ، ومع ذلك فالراجح أن هؤلاء هم السماسرة الذين خصتهم الدولة بممارسة هذه العملية فكانوا بذلك الفئة الوحيدة من الوسطاء بين الحكومة والصناع ، ويؤيد ذلك أيضــا أنهم هم الذين أمدوا مصانع النسيج بما كانت فى حاجة اليه من المواد الخام ، وكان المتبع فى هذه الصناعة هو اثبات التزام كل صانع بما قرر له من المواد الخام ، فاذا توفر منها شىء جرى استقطاعه من الثمن المدفوع له ، واذا تم نسج الثياب تولى تجهيزها فئة أخرى من الصناع ، فيقوم واحد بطيها وثان بلفها وثالث بوضعها فى الأسفاط والصناديق ورابع بحزمها ثم يجرى شحن هذه الثياب فى مراكب توجه الى حيث يتم بيعها . (٤٩٨)

كذلك فقد جاء فى وصف مصر أنه تمارس فى دمياط حرفة تصنيع الكتــان والقطن والحرير ، وأن هذه المدينة بصفة خاصة تقوم بصنع أقمشة كتانية ذات حواف حريرية ملونة كنوع من الزينة (٤٩٩) ، وقد

ساعد دمياط على تبوئها هذه المكانة الممتازة فى صناعة المنسوجات بشكل عام وفرة المواد الخام ولا سيما الكتان والقطن فى المناطق الزراعية المحيطة بها ، كما ساعد موقعها القريب من الشام وميناؤها البحرى فى سهولة الحصول على ما يلزمها من الحرير الذى كانت تأتى شرائقه من سوريا وتلف فى دمياط ثم ترسل بعضها الى المحلة الكبرى (٥٠٠) .

هذا عن صناعة الكتان فى دمياط وما ورد بشأنها فى المصادر العربية، أما المراجع الحديثة فكلهـا يتفق على أن دمياط كانت مركزا لهـذه الصناعة منذ العصر البيزنطى وحتى العصر المملوكى مرورا بعصور الاخشيديين والفاطميين والأيوبيين (٥٠١) ، أما فى عصر المماليك فقد ورد أن أهل دمياط كانوا قد مهروا فى عمل الفرش القلمونية المطرزة والملونة وكذا الأقمشة الرقيقة من الكتان الأبيض (٥٠٢) ، وظل الأمر بالنسبة لهذه الصناعة مستمرا حتى أيام الحملة الفرنسية ، لأن ما جاء فى وصف مصر يشير الى أن دمياط وضواحيها كانت تشتمل على ثلاثمائة نول تعمل فى صنع الشيلان الكتانية بالاضـافة الى خمسين نولا أخرى لصناعة الأقمشة الكتانية المسماه بحواشي (٥٠٣) .

ولا تقتصر أدلة صناعة المنسوجات الكتانية فى دمياط على ما أشير اليه من معلومات تاريخية وردت فى الكثير من المصادر والمراجع العربية، وانما هناك من الادلة المادية مما تحتفظ به المتاحف والمجموعات الخاصة ما يكفى لتأكيد هذه المعلومات بغير شك ، ومن ذلك مثلا ثلاث قطع كتانية عملت في طراز العامة بالمدينة أولاها في متحف بناكى في أثينا تقول كتابتها الكوفية بعد البسملة والديباجة « .. مما عمل فى طراز العامة بدمياط على يدى بشر الخادم مولى أمير المؤمنين سنة ست وتسعين ومائتين » (٥٠٤) وثانيتها فى مجموعة أبيمايور (Abemayor) باسم الحاكم بأمر الله الفاطمى وتقول كتابتها الكوفية البسيطة بعد البسملة والديباجة « .. بعمله فى طراز العامة بدمياط سنة أحد عشر وأربعمائة » (٥٠٥) (Sic) أما الثالثة فهى غير مؤرخة ومحفوظة فى مجموعة الزبيرج (Elsberg) باسم المطيع لله وتقول كتابتها بعد البسـملة والديباجة « .. بعمله فى طراز العامة بدمياط سنة .. » (٥٠٦) .

كذلك فمن بين منسوجات دميـاط الكتانية هناك قطعتان أخريان عملتا فى طراز الخاصة بالمدينة أولاهما باسم الامام الراضى بالله العباسى وهى لا زالت محفوظة فى مجموعة تانو (Tano) وتقول كتابتها بعد البسملة والديباجة « .. بعمله فى طراز الخاصة بدمياط سنة عشرين تلثمائة » (٥٠٧) (Sic) أما الثانيـة فهى مـلاءة محفوظة فى كنيسـة

سانت آن بمدينة آبت (Apt) جنوبى فرنسا وهى منسوجة من كتــان رقيق جداً طولها (١٠ر٣) م وعرضها (٥٠ر١) م تزين الشريطين الخارجيين منها جامات تحف بها كتابات دقيقة زرقاء تقول انها عملت « فى طراز الخاصة بدمياط سنة تسع وثمانين وأربعمائة » على عهد الخليفة المستعلى بالله الفــاطمى بوزارة الأفضــل شــاهنشاه ابن أمير الجيــوش بدر الجمالى (٥٠٨) .

وعلاوة على هذه القطع المشار اليها هناك قطع كتانية أخرى باسـم الامام الفاطمى المكتفى بالله وامارة الأمير هرون بن خمارويه يحتفظ بها متحف الفن الاسلامى بالقاهرة تحت رقم (٩٢٩٣) (انظر شكل : ٧٨) طولها (٨٥ر١) م وعرضها (٧٥ر١) م تقول كتابتها الكوفية البسيطة بعد البسملة والديباجة « .. بعمله فى طراز دمياط على يدى محمد بن خلف سنة تسع وثمانين ومائتين » (٥٠٩) وهى بذلك لم تحدد فى أى الطرازين عملت هــذه القطعة فى دميــاط ، ولدينا من الأدلة المادية ــ كمــا رأينا ــ ما يؤكد أنهما كانا يعملان جنبا الى جنب فى المدينة (انظر أيضا شكل : ٧٩) ، أما عن صناعة خيوط القصب النسيجية فى دميــاط فقد أشارت اليها كثير من المصادر والمراجع العربية ، واتفقت هذه جميعا على ان هذه الصناعة كانت تمارس فى المدينة منذ القرن (٣هـ/٩م) تقريبا وحتى القرن (٩هـ/١٥م) وما بعده ، يدل على ذلك ما ذكره اليعقوبى فى القرن (٣هـ/٩م) حين قال « وتعمل بدمياط الثياب الصفاق والثيــاب الشروب والقصب » (٥١٠) وقد أكد كل من المقدسى وابن مماتى استمرارية هذه الصناعة فى المدينة خلال الفترة من القرن (٤هـ/١٠م) حتى القرن (٧ هـ / ١٣ م) حين قال الأول « ومن دمياط القصب » (١١) وحيث أشار الثانى الى أنه « ليس فى طراز مصر ذهب غير برد تنيس ودمياط » (٥١٢) أما ابن ظهيرة فقد حدد لنا ذلك فى القرن (١٠هـ/١٦م) حين قال « وبها (أى بدمياط) يعمل القصب البلخى من كل لون ، لا تشارك تنيس فى شىء منه ، ويبلغ الثوب الأبيض منه وليس فيه ذهب ثلاث مئة دينار »(٥١٣). والقصب كما عرفته بعض المراجع العربية الحديثة هو عبارة عن قمــاش من التيل الأبيض وربما كان نوعا من الدانتلا (٥١٤) .

على أن صناعة النسيج فى دمياط لم تقتصر على انتاج المنسوجات الكتانية والقصب وانما شاركت مصانع المدينة فى انتاج كميات كبيرة من الأقمشة الحريرية التى كانت على ما يبدو على درجة عالية من الجودة وذات خصائص مميزة حتى قيل لها الحرير الدمياطى (٥١٥) . ويغلب على الظن أن هذه الصناعة كانت قد اســتمرت فى المدينة حتى القرنين (١٢ ــ ١٣هـ / ١٨ ــ ١٩م) لأن ما ورد فى « وصف مصر » يقول « وقد

ادى القرب من سورية التى يرد منها الحرير المستخدم فى دمياط والمحله الكبرى والقاهرة الى أن يتركز فى هذه المدن صناعة الأقمشة الحريرية » (٥١٦) ٠

وآخر ما يمكن الاشارة اليه من صناعات دمياط النسيجية والمتعلقة بالنسيجية هى الخمارات (البراقع) وقلوع المراكب والصباغة ، وقد جاء الحديث عن هذه الصناعات أيضا فى كتاب « وصف مصر » الذى أشير فيه الى أنه تصنع فى دمياط أقمشة حريرية تتخذ منها خمارات النساء (البراقع) وغالبا ما كانت هذه الخمارات ذات لون أسود أو قرمزى ، ومن دمياط كانت هذه البراقع تنقل الى كافة أسواق مصر ولا سيما فى محافظتى الغربية والدقهلية (٥١٧) ٠

أما قلوع المراكب فقد ورد فى الكتاب المشار اليه أنها كانت تصنع فى كثير من بلدان الوجه البحرى ولا سيما دمياط والبرلس ورشيد والاسكندرية ، وكان أفضلها جميعا هو ما يصنع فى رشيد ، كذلك فقد كانت الصباغة تمارس فى دمياط على أيام الحملة الفرنسية حيث اشتملت المدينة على مصابغ كانت تعمل بشكل دائم وأكثر الألوان التى مورست فيها هى الأصفر والأخضر والأزرق والأحمر والبرتقالى والقرمزى والبنفسجى (٥١٨) ٠

ب - بناء السفن :

الواقع أن ما لدينا من معلومات تاريخية وردت فى كثير من المصادر والمراجع العربية يؤكد أن دمياط كانت مركزا من أهم مراكز بناء السفن فى مصر الاسلامية ، فقد أشار الكندى فى القرنين (٣ - ٤ هـ / ٩ - ١٠ م) الى أنه فى ولاية عنبسة بن اسحاق الضبى نزلت الروم دمياط يوم عرفة سنة ثمان وثلاثين ومائتين فملكوها وما فيها وقتلوا بها جمعا كثيرا من المسلمين وسبوا النساء والأطفال ، فنفر اليهم عنبسة يوم النحر بجيشه ونفر كثير من الناس فلم يدركوهم ، ومضى الروم الى تنيس فلم يتبعهم (٥١٩) ٠ وكان ذلك سببا من أهم الأسباب التى دعت الى قيام صناعة سفن فى المدينة أشار اليها بعد ذلك ابن مماتى فى القرن (٧هـ / ١٣م) فقال « ان صناعة العمائر وتسمى صناعة الانشاء ثلاث بمصر والاسكندرية ودمياط ولكل واحدة مستخدمون يستدعون ما تحتاج اليه » (٥٢٠) ثم جاء المقريزى فى القرنين (٨ - ٩هـ / ١٤ - ١٥ م) وقال انه كان بميناء دمياط دار صناعة لانشاء السفن يديرها أهل خبرة فى هذا الفن (٥٢١) ٠

أما ما يختص بالمراجع العربية التى أشارت الى دمياط كمركز من مراكز صناعة السفن فهى كثيرة ، ويدل ما ورد فيها على أن المدينة ظلت

نمارس هذه الصناعة خلال العصور الفاطمية والأيوبية والمملوكية ، ومن ذلك مثلا ما ورد من « أن العبيديين بذلوا عنايتهم في انشاء الأساطيل فى الاسكندرية ودمياط ومصر » (٥٢٢) وأن المدينة اشتهرت ببناء السفن لأن خروج الأساطيل للغزو كان ينطلق من دمياط (٥٢٣) ، كذلك فقد ورد أن دار صناعة دمياط كانت تصنع فى العصر الفاطمى الشوانى الحربية والشلنديات والمسطحات (٥٢٤) ، وقد ظلت دار صناعة السـفن فى دمياط تعمل حتى العصر المملوكى رغم الكثير من الصعوبات التى كان من اهمها عدم توفر الأخشاب اللازمة لهذه الصناعة . (٥٢٥)

ومن ذلك يتضح أن دمياط كانت من القواعد البحرية الهـامة فى مصر خلال العصر الاسلامى لوقوعها على البحر المتوسط من جهة ، وعند مصب الفرع الشرقى الذى سمى باسمهـا من جهة أخرى ، ويبدو أن أهمية دمياط البحرية لم تبرز ـ كما أشار الأستاذ الدكتور عبد العزيز سالم ـ الا بعد أن تمكن غزاة البحر الاندلسيون من فتح أقريطش التى أصبحت ترتبط مباشرة بدمياط ، حتى ان هذه الأخيرة كانت تزودهـا بكل ما تحتاج اليـه من أسـلحة وعتاد وسـفن وقلوع ، الى أن فطن البيزنطيون الى حقيقة ما تمثله دمياط بالنسبة لجزيرة أقريطش فوجهوا أساطيلهم لتأديبها كما حدث مثلا سـنة (٢٣٨هـ / ٨٥٢م) وسـنة (٦١٥هـ / ١٢١٨م) وسنة (٦٤١هـ / ١٢٤٣م) وغيرها ، وكان لتلك الأحداث جميعا سببها المباشر فى تدمير المدينة خلال حكم المماليك ابان عهد الملك الأشرف خليل الذى وافقه مماليكه على تنفيذ قرار التدمير لتأمين حدود الدولة أثنـاء معاركهـا الحربية مع الصليبيين وحتى لا تقع فى أيديهم (٥٢٦) .

(جـ) صناعات أخرى تعتمد على منتجات زراعية :

من الطبيعى فى مدينة كدميـاط تقع وسط اقليم زراعى خصب أن تقوم فيها بعض الصناعات والحرف التى تعتمد على الانتاج الزراعى ولا سيما صناعات حفظ الفواكه وعصر الخمور والزيوت ، يدل على ذلك ما ورد عن هذه الصناعات فى بعض المصادر والمراجع العربية ، فقد أشار المقدسى فى القرن (٤ هـ/١٠ م) الى أن انتاج المدينة من الفواكه هو انتاج وافر (٥٢٧)،وهو أمر يدعونا الى الاعتقاد بأن حفظ الفواكه كان احدى صناعات المدينة فى هذه الفترة لا سيما وأنها صناعة لا تحتاج الى كثير من التعقيد ، كذلك فقد أورد ابن ظهيرة فى القرن (١٠هـ / ١٦م) (أى فى العصر المملوكى) ما نصه « ولقد أخبرنى من أثق به من أهلها (أى من أهل دمياط) أن الفدان منها من القصب يخرج منه من السكر قنطارا

بالفوى وهو مئة قنطار بالمصرى وربما يزيد » (٥٢٨) . وفى هذا ما يشير صراحة الى الكم الهائل الذى كانت تنتجه دمياط من هذه الصناعة ، ولنا فى ذلك بالاضافة الى ما نعرفه عن الاستخدامات الهائلة للسكر فى العصر المملوكى أن نكتفى بهذا القدر من انتاجية فدان القصب ولا نجرى وراء تقصى كم من الأفدنة كانت تزرع قصبا فى دمياط لنعرف ولو على وجه التقريب هذا الكم .

أما عن صناعتى الحلوى والخمور فى المدينة فقد أشار ابن بطوطة في القرن (٨ هـ / ١٤ م) الى أولاهما حين قال ان « سورها حلوى وكلابها غنم » (٥٢٩) ، وأشار السيوطى فى القرنين (٩ ـ ١٠ هـ / ١٥ ـ ١٦م) الى ثانيتهما ضمنا عندما قال « وفى سنه ثلاث وتسعين (أى ٤٩٣هـ/ ١٠٩٩م) أمر الحاكم بقطع جميع الكروم التى بديار مصر والصعيد والاسكندرية ودمياط فلم يبق بها كرم احترازا من عصر الخمر » (٥٣٠) ، كذلك فقد أشار على باشا مبارك فى القرن (١٣هـ / ١٩م) أنه كان يصنع فى دمياط أنواع من العقاقير بكثرة وبها فاخورات للأوانى وحجارة الدخان ونحوها (٥٣١) .

٢ ـ شطا :

أفاضت علينا المصادر والمراجع العربية كثيرا فيما يتعلق بموقع شطا وتاريخها ، وهى كما ذكرها اليعقوبى فى القرن (٣هـ / ٩م) (ولم يحدد) « بلدة على ساحل البحر » (٥٣٢) ، وأضاف البلاذرى فى نفس القرن أنها كانت « على ثلاثة أميال من دمياط وقد زال أثرها » (٥٣٣) ، وحدد موقعها المقدسى فى القرن (٤ هـ /١٠ م) فقال انها « قرية بين المدينتين (يقصد دمياط وتنيس) على البحيرة (يقصد بحيرة تنيس) يسكنها القبط » (٥٣٤) وأشار ابن حوقل فى نفس القرن الى أنها كانت من جزائر تنيس ، وأنها أوذيت كثيرا بما فعله أبو الفرج بن كلس وزير العزيز الذى استأصل خيرات صناعتها بالنوائب والكلف والمغارم والسخر الدائمة للصناع حتى أنه جعل جزية على جميع الداخلين والخارجين الى تنيس (٥٣٥) ، وفى القرن (٧ هـ / ١٣ م) قال القزوينى انها « على ضفة البحر بقرب دمياط » (٥٣٦) وقال ياقوت انها « بليدة بمصر على بعد ثلاثة أميال من دمياط على ضفة البحر المالح » (٥٣٧) .

وعند المقريزى فى القرنين (٨ ـ ٩ هـ / ١٤ ـ ١٥م) أنها مدينة عند تنيس ودمياط عرفت بشطا بن الهاموك الذى لحق بالمسلمين وقت الفتح وأسلم ودلهم على عورات المدينة التى كان عليها أبوه الهاموك من

قبل المقوقس (٥٣٨) ، ورغم ما اعترض به بتلر من أن هذا الاشتقاق الذى أورده المقريزى خاصا بتسميتها • لا حقيقة له لأن مدينة شطا كانت تعرف بهذا الاسم قبل أن يغزو العرب مصر بزمن طويل (٥٣٩) الا أنه لم يدعم هذا الاعتراض بما يجعل الأخذ به أمرا ممكنا أو مقبولا ، وعلى أية حال فان القاموس الجغرافى وهو أهم المراجع العربية فى هذا الصدد يوضح أن شطا بلدة يسكنها القبط وهى على بعد ثلاثة أميال من دمياط على البحر الملح وكانت من توابع غيط النصارى ثم أصبحت قائمة بذاتها (٥٤٠) •

هذا بالنسبة لشطا كموقع وتاريخ ، أما عن صناعاتها فانها فى الواقع تنحصر فى صناعة النسيج فقط ، ولدينا من المصادر التاريخية والمراجع العربية والأدلة المادية ما يؤكد بما لا يدع مجالا للشك أنها كانت مركزا من أهم مراكز صناعة النسيج فى مصر الاسلامية منذ القرن (٣هـ / ٩م) وحتى القرن (٩هـ / ١٥م) ، يدل على ذلك ما ذكره اليعقوبى فى القرن (٣هـ / ٩م) حين قال « وتعمل بها الثياب الشروب الشطوية » (٥٤١) وما أشار اليه المقدسى فى القرن (٤ هـ / ١٠م) من أنه « يسكنها القبط واليها ينسب البز الشطوى » (٥٤٢) وما أورده ابن حوقل فى القرن المشار اليه حين قال « ويعمل فيها رفيع الثياب الشطوى مما كان حمله يبلغ (على عهده) من عشرين ألف الى ثلاثين ألف دينار » (٥٤٣) كذلك لدينا ما ذكره الأدريسى فى القرن (٦ هـ / ١٢ م) الذى قال انه « يعمل بها الرفيع من أجناس الثياب التى لا تقارب التنيسى ولا الدمياطى » (٥٤٤) •

ثم يأتى القزوينى وياقوت بعد ذلك فى القرن (٧هـ / ١٣م) فيقول الأول « وتنسب اليها الثياب الشطوية ويعمل بها الشرب الرفيع الذى تبلغ قيمة الثوب منه ثلاثمائة درهم ولا ذهب فيه » (٥٤٥) ويشير الثانى الى أنه « تعمل بها الثياب الشطوية الرفيعة التى يبلغ ثمن الثوب منها ألف درهم ولا ذهب فيه » (٥٤٦) وفى هذا ما يكفى للوقوف على مدى الاختلاف الذى يحدث أحيانا بين المؤرخين ، فنرى مؤرخين متعاصرين تقريبا يقدر أولهما ثمن الثوب الشرب الشطوى الذى لا ذهب فيه بثلاثمائة درهم ، ويقدره الثانى بألف ، ونحن فى ذلك لا نستطيع أن نحدد أى المؤرخين أصدق الا اذا كان كل منهما أراد أن يفخم فى قيمة هذه الثياب لا أن يثمنها فأتى التفخيم من كليهما متفقا مع ما يحسبه تقديرا لا تحديدا • أما المقريزى وابن ظهيرة فقد أخبرنا أولهما فى القرنين (٨ ـ ٩ هـ / ١٤ ـ ١٥ م) أنه كانت « تعمل بها كسوة الكعبة » (٥٤٧) وأكد ثانيهما فى القرن (١٠هـ / ١٦م)

قول سابقيه من المؤرخين من أنه « تنسب اليها الثياب الشطوية وتعمل بهـا كسوة الكعبة الرفيعة » (٥٤٨) . ويبدو أن شهرة هـذه المدينـة وما تميزت به منسوجاتها من خصائص فنية انفردت بها عن منسوجات غيرها كانت سببا فى تسمية بعض ما أنتجته من المنسوجات باسمهـا فقيل له « الشرب الشطوية والبز الشطوى » وكلاهما كـان يصنع فى المدينة منذ القرنين (٣ ـ ٤هـ / ٩ ـ ١٠م) (٥٤٩) .

وباستفاضة أخرى فيما يتعلق بشـطا كمركز هـام من مراكز صناعة النسيج فى مصر الاسلامية ، وردت المعلومات الوافرة فى كثير من المراجع العربية مؤيدة لأهمية المدينة فى هـذا المجال منـذ العصر البيزنطى وحتى العصر المملوكى ، يدل على ذلك مثلا ما جاء به القاموس الجغرافى متفقا مع ما ذكرته المصـادر العربية من أنهـا كانت بلدة يسكنها القبط لأن فى هذا ما يعنى أنها كانت مركزا من مراكز صناعة النسيج قبل الفتح العربى لمصر ، وقد سبق لنا تكرار القول بأن هذه الصناعة فى العصر الاسلامى المبكر كانت تمارس فى المناطق التى يكثر فيها الأقباط وقد جاء ذكرها بالفعل كمركز من مراكز المنسـوجات الكتانية فى هذه الفترة (٥٥٠) .

ثم وردت بعد ذلك المعلومات الدالة على أنها كانت مركزا هامـا من مراكز صـناعة المنسـوجات القطنية والكتانيـة فى عصر الاخشيديين (٥٥١) ، وظلت على هذا الحال أيضا فى عصر الفاطميين ، وكانت كسوة الكعبة تصـنع فيها خلال هذين العصرين ، يؤيد ذلك وتؤكده قطعة من نسيج الكتان عليها كتابة كوفية بسيطة تقول « بسم الله بركة من الله لعبد الله هرون أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ممـا أمر الفضل بن الربيع مولى أمير المؤمنين بصـنعته فى طراز شطا كسـوة الكعبة سنة أحدى وتسعين ومـائة » (٥٥٢) ولنا فى ذلك أن نقـدر الكيف الذى وصلت اليه هـذه الصناعة فى المركز الذى بين أيدينا ، لأن كسوة الكعبة كانت تعمل من أنفس المواد وأغلاهـا ، وبأحسن الأيادى المدربة وأمهرها (٥٥٣) .

وقد ظلت مصانع شطا (الخاصة والعامة) عامرة عاملة حتى عصر المماليك الذى أنتجت فيه بكثرة (بالاضافة الى المنسوجات القطنيـة والكتانية) المنسوجات الحريرية التى عرفت بالكمخة والتى كانت تصنع فى كثير من المراكز التى عرفت فى هذا العصر (٥٥٤) .

وأخيرا فان لدينا من الأدلة المادية مما عمل فى طراز شطا مما لا زالت تحتفظ به المتاحف المختلفـة والمجموعات الخاصـة ما يكفى للوقوف على

اهمية موقع هذا المركز على خريطة مراكز مصر الصناعية فى العصر الاسلامى ، ومن هذه الأدلة ثلاث قطع كتانية يحتفظ بها متحف الفن الاسلامى بالقاهرة أولاها تبلغ (١٩رم) طولا وتقول كتابتها بعد البسملة والديباجة « ... بعمله فى طراز الخاصة بشطا سنة سبع وثمانين وثلثمائة » (٥٥٥) آما ثانيتها فهى باسم الحاكم بأمر الله الفاطمى وطولها (٥٠رم) وتقول كتابتها الكوفية البسيطة بعد البسملة والديباجة « ... مما أمر بعمله فى طراز الخاصة بشطا سنة أربع وتسعين وثلثمائة » (٥٥٦) . وتبلغ ثالثتها (٣١رم) طولا وتقول كتابتها « ... مما أمر بعمله فى طراز العامة بشطا سنة سبع وتسعين وثلثمائة » (٥٥٧) .

وهناك مما نسج فى شطا بالاضافة الى قطع متحف الفن الاسلامى ، قطعتان أخريان احداهما باسم الامام العباسى المطيع لله ويحتفظ بها متحف برلين ، وتقول كتابتها الكوفية البسيطة بعد البسملة والديباجة « ... بعمله فى طراز العامة بشطا على يدى فائز مولى أمير المؤمنين » (٥٥٨) والأخرى فى متحف بناكى فى أثينا ويبلغ طولها (٤٦رم) وتقول كتابتها الكوفية بعد البسملة والديباجة « .. مما أمر بعمله فى طراز العامة بشطا سنة سبع وثمنين وثلثمئة » (٥٥٩) .

أما مجموعة تانو (Tano) ففيها آربع قطع أخرى نسجت فى شطا الأولى باسم الراضى بالله العباس ووزارة سليمان بن الحسن طولها (٦٦رم) وعليها سطر من كتابة كوفية بسيطة يقول بعد البسملة والديباجة « .. بعمله بشطا على يد بكير سنة خمس وعشرين وثلثمئة » (٥٦٠) والثانية باسم المطيع لله طولها (٤٧رم) وعليها سطر من كتابة كوفية بسيطة يقول بعد البسملة والديباجة « .. بعمله بشطا على يدى فائز سنة ثمان وثلثين وثلثمئة » (٥٦١) والثالثة طولها (٢٨رم) وعليها سطر من كتابة كوفية بسيطة تقول بعد البسملة والديباجة « ... بشطا على يدى فائز مولى أمير المؤمنين .. سنة سبع وخمسين وثلثمئة » (٥٦٢) والرابعة طولها (١٠رم) وعليها سطران من كتابة كوفية بسيطة تقول بعد البسملة والديباجة « .... فى طراز الخاصة بشطا على يدى فائز مولى أمير المؤمنين » (٥٦٣) .

٣ ـ بورة (كفر البطيخ)

أشار اليعقوبى الى بورة فى القرن (٣ هـ/٩ م) فقال انها « حصن على ساحل البحر من عمل دمياط » (٥٦٤) وأشار اليها الادريسى فى القرن

(٦ هـ/١٢ م) فقال « ومن فارسكور الى بورة وهى قرية جامعة ذات زراعات وغلات وجنات وبساتين وخيرات » (٥٦٥) كذلك فقد أشار اليها ياقوت فى القرن (٧ هـ /١٣ م) فقال انها « مدينة على ساحل بحر مصر قرب دميـــاط شـــهدت واقعة للجلودى القائد ســـنة (٢١٤ هـ / ٧٢٩ م) » (٥٦٦) .

أما المقريزى في القرن (٩هـ/١٥م) فقد قال انها « بين تنيس ودمياط وينسب اليها بنو البورى الذين كانوا بالقاهرة والاســـكندرية ، وقد هاجمها الروم سنة (٦١٠ هـ/١٢١٣ م) (٥٦٧) ، ثم أشار محمد رمزى الى أن بورة هو الاسم القديم لهذه القرية وأنها حصن على ساحل البحر من عمل دمياط يقال لها اليوم كفر البطيخ وتقابل منزلة العادلية التى بها السلطان (٥٦٨) ، (نسبة الى العادل محمد بن أبى بكر بن أيوب).

هذا عن بورة من ناحية الموقع والتاريخ ، أما من الناحية الحرفية والصناعية فالواقع أن لدينا من المعلومات التاريخية والأدلة المادية ما يكفى ــ رغم قلته ــ الى القول فى ثقة واطمئنان أنهـــا كانت مركزا من مراكز صناعة النسيج والقراطيس فى مصر الاسلامية منذ القرن (٣ هـ/٩ م) وحتى القرن (٧ هـ/١٣ م) وما بعده ، يؤيد ذلك أولا ما أشار اليه اليعقوبى فى القرن المشار اليه من أنه « تعمل بها الثيـــاب » (٥٦٩) ، ويؤيده ثانيا ما ذكره ياقوت فى القرن (٧ هـ / ١٣ م) من أنه « تنسب اليها العمائم البورية » (٥٧٠) ، ويؤكده فوق هذا وذاك قطعة من نسيج الكتان باسم الامام الحاكم بأمر الله الفاطمى لازالت محفوظة فى مجموعة أبيمايور (Abemayor) طولها (٦٥ر م) وعليها كتابة كوفية بســيطة فى سطرين تقول بعد البسملة والديباجة الفاطمية المطولة بنسب الامام مع دعوات وتبريكات له ولآبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين « ... مما أمر بعمله فى طراز العامة ببورة سنة سبع وأربعمائة لا اله الا الله » (٥٧١) .

أما عن صناعة القراطيس فى بورة فيؤيدها أولا ما ذكره اليعقوبى فى الفترة المشار اليها حين قال مكملا للحديث عن موقعها « وتعمل بها القراطيس » (٥٧٢) ويؤيدها ثانيا ما أشار اليه محمد رمزى حين قال « وبها مصنع للورق » (٥٧٣) ولو أن الأمر قد التبس عليه ــ على مايبدو ــ فخلط بين القراطيس والورق ظنا منه بأن كلاهما واحد مع أن القراطيس ــ كما هو معروف ــ كانت تعمل من أوراق نبات البشنين (البردى) التى كانت تنمو بكثرة فى مستنقعات الدلتا والفيوم ، وقد ظلت مصر بواسطة صناعها من الأقباط تحتكر هذه الصناعة فى العالم القديم طوال عصر

الولاة عربيـــا وحتى القرن (٤ هـ/١٠ م) عندما عطلتهـا كواغيـد سمرقند (٥٧٤) ٠

٤ ـ مراكز فرعية أخرى :

الواقع أن مراكز الصناعة فى اقليم دميـاط لم تنحصر فى العصر الاسلامى فقط فيما سبقت الاشارة اليه من مراكز هذا الاقليم ممثلة فى مدينة دمياط ذاتها ثم فى شطا وبورة ، وانما كانت هناك بعض المراكز الفرعية الأخرى ممثلة فى دميرة وأبوان ودقهلة ووسيمة ٠

(أ) دميرة :

دميرة هى قرية صغيرة على الحدود بين اقليمى الدقهلية ودميـاط غرب الخليج ، ذكرها ياقوت فى القرن (٧ هـ / ١٣ م) بقوله انها « قرية كبيرة بمصر قرب دمياط ينسب اليها أبو تراب عبد الوهاب بن خلف الدميرى وهما دميرتان احداهما تقابل الأخرى على شاطىء النيل فى طريق من يريد دمياط » (٥٧٥) ومالدينا من معلومات تاريخية عنها يوضح رغم قلته أنها كانت منذ العصر البيزنطى مركزا من مراكز صناعة المنسوجات الكتانية والحريرية ، وقد وردت اشـــارات كثيرة الى ذلك فى كثير من المراجع العربية (٥٧٦) ، والذى لاشك فيه أنها لم تحافظ على تقاليدها الصناعية النسيجية هذه فى العصر الاسلامى فقط بل ان هذه الصناعة كانت تمارس فيها بأحسن مما كانت تمارس به فى العصر الســابق ، وقد أيدت ذلك بعض المصادر العربية مثل ابن حوقل الذى أشار فى القرن (٤ هـ / ١٠ م) الى أنها كانت « احدى جزر تنيس وتعمـل بها الثياب الرقيقة مما كان يصنع فى الجزيرة » (٥٧٧) ومثـل الادريسى الذى أشار فى القرن (٦ هـ/ ١٢ م) الى أنه « يعمــل بها الرفيع من أجناس الثياب وهى حسنة يتجهز بها الى كثير من البلاد وبها صـناع كثيرة وتجار قاصدون وبيع وشراء » وفى موضع آخر يقول ان بها « طراز للخاصة وطراز للعامة وترسم بها الثياب والشروب » (٥٧٨) كما أيدته بعض المراجع العربية الحديثة أيضا (٥٧٩) ٠ ومع ذلك فالذى لاشك فيه فيما يختص بهذا المركز من الناحية الحرفية والصناعية رغم ذلك كله ، أنه لا المصادر التاريخيـــة ولا المكتشفات الأثرية تعطى معلومات كاملة ومؤكدة عنه فى هذا المجال وهو أمر جعل معرفتنـــا عنه مبتورة وغير متكاملة ، ومن ثم فان معلومات تاريخية مؤكدة أو شواهد من مكتشفات أثرية محققة لازالت منتظرة بالنسبة له فى المستقبل ٠

(ب) أبـوان :

الواقع أن معرفتنـا عن هذا المركز تنحصر فقط فيمـا ذكره ياقوت الرومى فى القرن (٧ هـ /١٣ م) حين قال ان « أبوان مدينة كانت قرب دمياط من أرض مصر كان أهلها نصارى يعمل فيها الشرب الفائق فينسب اليها فيقال له بونى على غير لفظه ويضاف اليهـا عمل فيقال لجميعـه الأبوانية » (٥٨٠) وقد تنـاول ياقوت (فيما ذكره عن هذه المدينـة) موقعها وأهميتها الاقتصـادية بالنسـبة لصناعة النسيج وأشـار الى أن سكانها كانوا من المتمرسين فى مجال هذه الصناعة ، ليس هذا فقط بل لقد قال ان التقسيم الادارى المصرى فى عصره قد جعلها كورة بالاقاليم . وتأكيد ياقوت فيما أشار اليه فى هذا الصدد على أن أهلها نصارى وأنهم كانوا من المتمرسين فى مجال هذه الصناعة يجعل من هذه المعلومة أمرا يصعب الشك فيه .

(جـ) دقهلة :

الدقهلية محافظة بمصر فى شرق الدلتا عاصمتها الحالية المنصورة ، وقد عرفت بهـذا الاسم نسبة الى عاصمتهـا القديمـة دقهلة ثم عرفت بالمنصورة كما قيل فى عهد الدولة الفاطمية ، وقد نقلت عاصمتها الى أشمون الرمان سنة (١٥٢٧م) ثم الى المنصـورة سنة (١٨٢٦) ، ذكرها ياقوت بقوله انها « بلدة بمصر على شعبة من النيل بينها وبين دمياط أربعة فراسخ (أى ما يعادل ثلاثة أميال) ذات سوق وعمارة وتضاف اليها كورة فيقال كورة دقهلة » (٥٨١) ، وقد نسبت اليها هذه التسمية منذ الفتح العربى لمصر ، ويعرف مكانهـا اليوم طبقا لما أشـار اليـه محمد رمزى باسم « عزبة الكاشف » (٥٨٢) ويفهم مما أورده ابن ظهيرة فى القرن (١٠ هـ/١٦ م) خاصـا بكورة دقهلة أنها كانت مركزا من مراكز صناعة القراطيس والطوامير التى كانت تعمل ـ كما أشرنا ـ من نبات البردى وكانت « تحمل منها الى أقاصى بلاد الاسلام والكفر »(٥٨٣)، مما يدل على أنها كانت ذات جودة عالية أهلتها لكى تكون من بين صادرات مصر الهامة فى هذا العصر .

(د) وسـيمة :

اذا أردنا أن نتكلم عن وسيمة كموقع وتسمية ، فاننا يمكن أن نقول انها هى آخر ما نذكره من مراكز الصناعة فى اقليم دمياط ، وكانت

تقع كما أشار اليعقوبي في القرن (٣ هـ/٩ م) « على ساحل البحر قريبا من بورة وتعمل بها القراطيس » (٥٨٤) أما بعض المراجع الحديثة فقد أشارت الى أنها كانت تسمى « أخينو » وتقع على ساحل البحر غربي فرع رشيد ثم قيل وسيمة (٥٨٥) ، أما اذا أردنا أن نتكلم عنها كمركز صناعي فاننا يمكن أن نقول انها كانت خلال العصر الاسلامي مركزا من مراكز صناعة القراطيس ، يدل على ذلك ماورد في كل من المصادر والمراجع المشار اليها ، والواقع أننا لو وضعنا في اعتبارنا أهمية ما أشار اليه اليعقوبي كواحد من المصادر العربية الموثوق بها ، وأضفنا اليه أن هذا النوع من الصناعة كان واحدا مما أنتجته بورة المجاورة لها ، علاوة على شهرة مصر الواسعة أصلا في صناعة القراطيس والطوامير منذ العصور القديمة وحتى عصر احلال الورق محل البردى ، فانه يمكن تصديق ماذكره اليعقوبي والأخذ به ، كذلك يبدو أن وسيمة كانت قد عرفت أيضا بصناعة الحلوى ، وربما يدل على ذلك أنه لا زال يصنع في دمياط في الوقت الحاضر نوع من تلك الحلوى يطلق عليه لفظ « بسيمة » وقد يكون أصل تسميته مشتقا من اسم المركز الذى بين أيدينا « وسيمة » جريا على ما كان متبعا في النسيج ثم تحولت التسمية بمرور الزمن من « وسيمة » الى « بسيمة » فبقى الاسم بذلك قائما دون كثير من فرق بين التسميتين يذكر .

١ ـ حواشي وتعليقات الفصل الثاني من الباب الثاني وسـط الدلتـا

٤٠٢ ـ الادريسي : المصدر السابق : ص ص : ١٥٩ ـ ١٦٠ .

٤٠٣ ـ ياقوت الحموى : المصدر السابق : ج ١ ص : ٣٠٠ .

٤٠٤ ـ على باشا مبارك : المرجع : ج ٣ ص : ٧ .

٤٠٥ ـ محمد رمزى : المرجع السابق : ج ٢ ص ١٥٧ وانظر أيضا : قاموس جغرافي للقطر المصرى : ص ٩٠ ، الموسوعة العربية الميسرة : ص : ١٧٦٣ .

٤٠٦ ـ رؤوف حبيب : المرجع السابق : ص : ٥٣ .

٤٠٧ ـ أوراق البردى العربية (تأليف : أدولف جروهمان وترجمة حسن ابراهيم حسن وآخرون) : ج ٢ ص ٣٦ وانظر أيضا : سعاد ماهر : النسيج الاسلامى : ص ٤٢ ، الفن القبطى : ص ٤٥ .

٤٠٨ ـ الكندى : المصدر السابق : ص : ٦٦ .

٤٠٩ ـ قاموس جغرافي للقطر المصرى : ص : ٧٦٣ .

٤١٠ ـ ابن حوقل : المصدر السابق : ص ١٣٣ .

٤١١ ـ الادريسي : المصدر السابق : ص : ١٥٨ .

٤١٢ ـ ياقوت الحموى : المصدر السابق : ج ٥ ص : ٢١٦ .

٤١٣ ـ وصف مصر : ج ٤ ص : ٢٠٣ .

٤١٤ ـ نفس المرجع : ج ١ ص : ٢١٢ ، ج ٤ ص : ٢١٤ .

٤١٥ ـ نفس المرجع : ج ٤ ص : ١٩٣ .

٤١٦ ـ نفس المرجع : ج ٤ ص : ٢١٨ .

٤١٧ ـ ابن حوقل : المصدر السابق : ص : ١٣٣ .

٤١٨ ـ الادريسي : المصدر السابق : ص : ١٣٥ .

٤١٩ ـ ابن مماتي : المصدر السابق : ص : ١٢٧ .

٤٢٠ ـ ياقوت الحموى : المصدر السابق : ج ٤ ص : ٤٣ .

٤٢١ ـ السخاوى : الضوء اللامع : ج ٧ ص : ١٧٣ .

٤٢٢ ـ الجبرتي : عجائب الآثار : ج ٢ ص : ٧٧ .

٤٢٣ ـ على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١٣ ص ص : ٤٥ ـ ٥١ .

٤٢٤ ـ محمد رمزى : المرجع السابق : جـ ٢ ص ق ١٠٢ وانظر أيضا : الموسوعة العربية الميسرة : ص : ١٢٥٣ .

٤٢٥ ـ وصف مصر : جـ ٤ ص ص : ٢٠٤ ـ ٢٠٥ .

٤٢٦ ـ قاموس جغرافى للقطر المصرى : ص : ١٢٦ .

٤٢٧ ـ ابن حوقل : المصدر السابق : ص : ١٣٣ .

٤٢٨ ـ المسبحى : خلاصة الأثر : جـ ١ ص : ٣١ .

٤٢٩ ـ على باشا مبارك : المرجع السابق : جـ ١٥ ص ص : ٣٤ ـ ٣٥ .

٤٣٠ ـ وصف مصر : جـ ٤ ص : ٢٠٤ .

٤٣١ ـ الادريسى : المصدر السابق : ص ص : ١٥٨ ـ ١٥٩ .

٤٣٢ ـ ياقوت : المصدر السابق : جـ ٥ ص : ٦٣ .

٤٣٣ ـ محمد رمزى : المرجع السابق : جـ ٢ ق ٢ ص : ١٦ .

٤٣٤ ـ ابن بطوطة : المصدر السابق : ص : ٣١ .

٤٣٥ ـ ابن دقماق : المصدر السابق : جـ ٢ ص ٨٢ وانظر أيضا : قاموس جغرافى للقطر المصرى : ص : ٦٥٥ ، وصف مصر : جـ ٣ ص ص : ٩٣ ـ ٤٩ .

٤٣٦ ـ على باشا مبارك : المرجع السابق : جـ ١٥ ص ص : ١٨ ـ ٢٥ وانظر أيضا : الموسوعة العربية الميسرة : ص : ١٦٥٧ .

٤٣٧ ـ ابن دقماق : المصدر السابق : جـ ٢ ص : ٨٣ .

٤٣٨ ـ ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص : ٥٦ .

٤٣٩ ـ س. د. جوتابن : المرجع السابق : ص : ١٨٠ .

٤٤٠ ـ وصف مصر : جـ ١ ص : ٢٥١ ، جـ ٣ ص ص : ٦١ ـ ١١٤ ، جـ ٤ ص : ١٩٥ .

٤٤١ ـ نفس المرجع : جـ ٤ ص ص : ٢٠٦ ـ ٢٠٧ وانظر أيضا : حسين الرفاعى : المرجع السابق : ص : ١٠ .

٤٤٢ ـ وصف مصر : جـ ٣ ص : ٩٤ وانظر أيضا : حسين الرفاعى : المرجع السابق : ص ١٠ .

٤٤٣ ـ الادريسى : المصدر السابق : ص ص : ١٥ ، ١٥٩ .

٤٤٤ ـ ياقوت : المصدر السابق : جـ ٣ ص : ٢٦٨ .

٤٤٥ ـ على باشا مبارك : المرجع السابق : جـ ١٣ ص : ٥٨ .

٤٤٦ ـ راشد البراوى : المرجع السابق : ص : ٣٨٤ .

٤٤٧ ـ ياقوت : المصدر السابق : جـ ١ ص : ٧٣٨ وانظر أيضـــا : على باشا مبارك : المرجع السابق : جـ ١٠ ص : ١١ .

٤٤٨ ـ محمد رمزى : المرجع السابق : جـ ٢ ق ٢ ص : ٦٩ .

٤٤٩ ـ ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص : ٥٦ .

٤٥٠ ـ على باشا مبارك : المرجع السابق : جـ ٨ ص ص : ٢٨ ـ ٣١ وانظر أيضا : قاموس جغرافى للقطر المصرى : ص : ٤٨ .

٤٥١ ــ القزوينى : المصدر السابق : ص : ٥٥ ٠

٤٥٢ ــ ياقوت : المصدر السابق : جـ ١ ص : ٨٥ ٠

٤٥٣ ــ ابن بطوطة : المصدر السابق : ص : ٣١ ٠

٤٥٤ ــ ابن دقماق : المصدر السابق : جـ ٢ ص : ٩٩ ٠

٤٥٥ ــ وصف مصر : جـ ٤ ص : ٢٠٤ ٠

٤٥٦ ــ على باشا مبارك : المرجع السابق : جـ ٨ ص : ٢٩ ٠

٤٥٧ ــ قاموس جغرافى للقطر المصرى : ص : ٣٥٨ ٠

٤٥٨ ــ ياقوت : المصدر السابق : جـ ٣ ص : ٢٦١ وراجع أيضا : عبد العال الشامى : المرجع السابق : ص : ٢٢ ٠

٤٥٩ ــ قاموس جغرافى للقطر المصرى : ص : ٣٥٧ ٠

٤٦٠ ــ الادريسى : المصدر السابق : ص ص : ١٥٣ ــ ١٤٥ ٠

٤٦١ ــ ياقوت : المصدر السابق : جـ ٣ ص : ٢٦١ ٠

٤٦٢ ــ على باشا مبارك : المرجع السابق : جـ ١٢ ص : ٥٢ ٠

٤٦٣ ــ عبد العال الشامى : المرجع السابق : ص : ٥١ ٠

٤٦٤ ــ الادريسى : المصدر السابق : ص ص : ١٥٥ ــ ١٥٦ ٠

٤٦٥ ــ سورة الشعراء : آية : ٣٦ ٠

٤٦٦ ــ ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص : ٥٦ ٠

٤٦٧ ــ وصف مصر : جـ ٤ ص : ٢٠٥ ٠

٤٦٨ ــ على باشا مبارك : المرجع السابق : جـ ١١ ص : ٥٧ ٠

٤٦٩ ــ ابن حوقل : المصدر السابق : ص : ١٤٣ ٠

٤٧٠ ــ المسعودى : المصدر السابق : ص : ٣٤٨ ٠

٤٧١ ــ المقدسى : المصدر السابق : ص : ٢٠٢ ٠

٤٧٢ ــ القزوينى : المصدر السابق : ص ص : ١٩٣ ــ ١٩٤ ٠

٤٧٣ ــ ياقوت : المصدر السابق : جـ ٢ ص ص : ٧٢ ٤ــ ٤٧٣ ٠

٤٧٤ ــ ابن بطوطة : المصدر السابق : ص : ٣٣ ٠

٤٧٥ ــ المقريزى : الخطط : جـ ١ ص ص : ٣٩٩ ــ ٤٢٢ ٠

٤٧٦ ــ نفس المصدر : جـ ١ ص ص : ٣٩٩ ــ ٤٢٢ ٠

٤٧٧ ــ القزوينى : المصدر السابق : ص : ١٩٤ ٠

٤٧٨ ــ لمعلومات أكثر تفصيلا فى تاريخ دمياط وما وقع بين المسلمين والبيزنطيين فيها من معارك أدت فى النهاية الى تخريبها : راجع : المقريزى : السلوك : جـ ١ ق ١ ص ٧٤ ، ابن دقماق : المصدر السابق : قسم ٢ ص ص : ٨٠ ــ ٨٢ ، السيوطى : المصدر السابق : جـ ٢ ص ص : ٣٥ ــ ٣٦ ، ٤٥ ، ابن عبد الظاهر : تشريف الأيام والعصور : ص : ٣٥ ح ٤ ، وانظر أيضا : على باشا مبارك : المرجع السابق : جـ ١١ ص ص : =

= ٣٦ ـ ٤٧ ، الفريد بتلر : المرجع السابق : ص : ٣٠٣ محمد رمزى : المرجع السابق . مجلد ١ ج ٢ ص ٨ ، الموسوعة العربية الميسرة : ص : ٨٠٣ .

٤٧٩ ـ انظر أيضا : على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١١ ص : ٤٨ .

٤٨٠ ـ اليعقوبى : المصدر السابق : ص : ٣٣٨ .

٤٨١ ـ المقدسى : المصدر السابق : ص : ٢٠٢ .

٤٨٢ ـ الكندى : المصدر السابق : ص ص : ٩ ، ٦٨ .

٤٨٣ ـ الادريسى : المصدر السابق : ص : ١٥٦ .

٤٨٤ ـ ناصر خسرو : المصدر السابق (تحقيق تراث الانسانية مجلد ١ ج ٨) ص : ٦٤٨ .

٤٨٥ ـ ياقوت : المصدر السابق : ج ٢ ص ص : ٤٧٢ ـ ٤٧٣ .

٤٨٦ ـ القزوينى : المصدر السابق : ص ص : ١٩٣ ـ ١٩٤ .

٤٨٧ ـ ابن مماتى : المصدر السابق : ص : ٨١ .

٤٨٨ ـ ابن عبد الظاهر : المصدر السابق : ص ٣٥ ، ٤٢ .

٤٨٩ ـ المقريزى : الخطط : ج ١ ص : ٣٩٩ وما بعدها وانظر أيضا : على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١١ ص : ٤٨ .

٤٩٠ ـ ابن دقماق : المصدر السابق : ج ٢ ص : ٨٢ .

٤٩١ ـ السيوطى : المصدر السابق : ج ٢ ص : ٢٢٩ .

٤٩٢ ـ ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص : ١٣١ .

٤٩٣ ـ نفس المصدر : ص : ٥٤ .

٤٩٤ ـ سيده كاشف : المرجع السابق : ص : ٢٩٧ .

٤٩٥ ـ زكى حسن : كنوز الفاطميين : ص : ١١٦ ، راشد البراوى : المرجع السابق : ص : ٣٨٢ ، آدم متز : المرجع السابق : ج ٢ ص : ٣٥١ ، السيد الباز العرينى : مصر فى عصر الأيوبيين : ص ص : ١٩٩ ـ ٢٠٠ ، م. س. ديماند : المرجع السابق : ص : ٢٥٠ .

٤٩٦ ـ راجع فى ذلك : ابن مماتى : المصدر السابق : ص : ٣٣٠ وانظر أيضا : محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق : ص ص : ١٣٥ ـ ١٣٦ ، حسين الرفاعى : المرجع السابق : ص : ١٠ ، مصطفى حسين : المرجع السابق : ص : ٤٩ .

٤٩٧ ـ وصف مصر : ج ٤ ص : ٢٠٨ .

٤٩٨ ـ انظر أيضا : سعاد ماهر : النسيج الاسلامى : ص : ٤٢ ، زكى حسن : فنون الاسلام : ص : ٣٤٧ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ البحرية الاسلامية ج ١ ص : ١٦٥ .

٤٩٩ ـ انظر أيضا : رؤوف حبيب : المرجع السابق : ص ٥٣ ، سعاد ماهر : الفن القبطى : ص : ٤٥ ، محمد جمال الدين سرور : مصر فى عصر الدولة الفاطمية : ص : ٢٠٠ ، راشد البراوى : المرجع السابق : ص ٣٨٢ ، السيد الباز العرينى : مصر فى عصر الأيوبيين : ص ص : ١٩٧ ـ ٢٠٠ ، م. س. ديماند : المرجع السابق : ص : ٢٥٠ .

٥٠٠ ـ محمد جمال الدين سرور : دولة بني قلاوون في مصر : ص ص : ٢٩٧ ـ ٢٩٦ ، تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق لنفس المؤلف : ص ص : ١٣٥ ـ ١٣٦ ، عبد الله حسين : المرجع السابق : ص : ٣٩ ، خليل ضومط : المرجع السابق : ص ص : ١٨٩ ـ ١٩١ ·

٥٠١ ـ وصف مصر : ج ٤ ص : ٢٠٩ ·

٥٠٢ ـ انظر عنها أيضا :

Reper, Chrono d'épigraph-Arabe : Tome ; 3, pp. 48-9. No. 883.

٥٠٣ ـ انظر عنها أيضا : Ibid., Tom 6, pp. 126-7. No. 2223.

٥٠٤ ـ انظر عنها أيضا : Ibid, Tome : 5, p. 77, No. 1782.

ليس هذا فقط بل ان هناك ثلاث قطع كتانية أخرى من صناعة دمياط ، اثنتان في متحف الفن الاسلامي بالقاهرة أولاهما تحت رقم (١٣٠١٥) تقول كتابتها انها عملت « ·· في طراز الخاصة بدمياط سنة سبع وثمانين وثلثمئة » وثانيتهما تحت رقم (١٠١٢٣) طولها (٣٣رم) تقول كتابتها انها عملت « ·· في طراز العامة بدمياط سنة خمس عشر وأربعمائة ·· » وواحدة أخرى في متحف بناكي في أثينا مقاسها (٥٠ر × ٧رم) باسم المستنصر بالله تقول كتابتها انها عملت « ·· في طراز الخاصة بدمياط سنة ثمان وسبعين وأربعمائة » راجع عن هذه القطعة أيضا :

Reper, Chrono, D'epigraph. Arabe : Tome ; 6. p. 226. No. 2056 A. Tome. 6, pp. 182-3 No. 2338, Tome. 7. p. 231 No. 2753.

٥٠٥ ـ انظر عنها أيضا : Ibid., Tome : 4, p. 71, No. 1349.

٥٠٦ ـ انظر أيضا : زكي محمد حسن : فنون الاسلام : ص ص : ٣٥٣ ـ ٣٥٦ ، كنوز الفاطميين : ص ص : ١٢٩ ـ ١٣٠ ·

٥٠٧ ـ انظر عنها أيضا :

Reper, Chrono, d'èpigraph. Arab ; Tome : 3, pp. 15-6. No. 825.

٥٠٨ ـ اليعقوبي : المصدر السابق : ص ٣٣٨ ·

٥٠٩ ـ المقدسي : المصدر السابق : ص : ٢٠٣ ·

٥١٠ ـ ابن مماتي : المصدر السابق : ص : ٨١ ·

٥١١ ـ ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص : ٤٥ ·

٥١٢ ـ انظر أيضا : تاريخ الحضارة المصرية : ج ٢ ص ص : ٣٧٢ ـ ٣٧٦ ، محمد جمال الدين سرور : دولة بني قلاوون في مصر ص : ٢٩٥ ، آدم متز : المرجع السابق : ج ٢ ص : ٢٩٨ ·

٥١٣ ـ انظر أيضا : عبد الله حسين : المرجع السابق : ص : ٣٩ ، مصطفى حسين : المرجع السابق : ص : ٤٦ ·

٥١٤ ـ وصف مصر : ج ٤ ص ص : ١٩٥ ـ ٢١١ ، على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١١ ص : ٥٢ ·

٥١٥ ـ وصف مصر ج ٤ ص ص : ٢٠٩ ـ ٢١٠ .

٥١٦ ـ نفس المرجع : ج ٤ ص : ٢٠٨ .

٥١٧ ـ الكندى : ولاة مصر : ص : ٢٢٧ .

٥١٨ ـ ابن مماتى : المصدر السابق : ص : ٣٤٠ وانظر أيضا : راشد البراوى : المرجع السابق : ص : ٣٨٢ .

٥١٩ ـ المقريزى : الخطط : ج ٢ ص ١٩٥ وانظر أيضا : سعاد ماهر : البحرية فى مصر الاسلامية : ص : ٣١٨ .

٥٢٠ ـ جورجى زيدان : المرجع السابق : ج ١ ص : ١٥٩ .

٥٢١ ـ انظر أيضا : راشد البراوى : المرجع السابق : ص : ٣٨٢ .

٥٢٢ ـ السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق : ج ١ ص ص : ٨٨ ـ ٩٣ .

٥٢٣ ـ انظر أيضا : خليل ضومط : المرجع السابق : ص ص : ١٦٨ ـ ١٦٩ .

٥٢٤ ـ راجع : ابن عبد الظاهر : المصدر السابق : ص ٣٥ ح ٤ ، وانظر أيضا : السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق : ج ١ ص ص : ٤٦ ـ ٤٩ .
Kubiak (W. B.) : op. cit., (Byzantion) vol. XI 1970, pp. 45-66.

٥٢٥ ـ المقدسى : المصدر السابق : ص : ٢٠٢ .

٥٢٦ ـ ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص ٥٤ وانظر أيضا : خليل ضومط : المرجع السابق : ص ص : ١٦٢ ـ ١٦٧ .

٥٢٧ ـ ابن بطوطة : المصدر السابق : ص : ٣٣ .

٥٢٨ ـ السيوطى : المصدر السابق : ج ٢ ص : ٢٨١ .

٥٢٩ ـ على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١١ ص : ٥٢ .

٥٣٠ ـ اليعقوبى : المصدر السابق : ص : ٣٣٨ .

٥٣١ ـ البلاذرى : المصدر السابق : قسم ٣ ص : ٧٤٠ .

٥٣٢ ـ المقدسى : المصدر السابق : ص : ٢٠٢ .

٥٣٣ ـ ابن حوقل : المصدر السابق : ص : ١٤٦ .

٥٣٤ ـ القزوينى : المصدر السابق : ص : ٢٠٩ .

٥٣٥ ـ ياقوت : المصدر السابق : ج ٣ ص ص : ٣٤٢ ـ ٣٤٣ ، عبد العال الشامى : المرجع السابق : ص : ٤٩ راجع أيضا : ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص ٥٦ ح ٤ .

٥٣٦ ـ المقريزى : الخطط : ج ١ ص ٤٢٢ وانظر أيضا : على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١٢ ص ص : ١٢٩ ـ ١٣٠ ، محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون فى مصر : ص : ٢٩٥ ح ١ .

٥٣٧ ـ الفريد بتلر : المرجع السابق : ص ص : ٣٠٧ ـ ٣٠٨ .

٥٣٨ ـ محمد رمزى : المرجع السابق : ج ١ ق ٢ ص : ٢٤٣ وانظر أيضا : راشد البراوى : المرجع السابق : ص : ٣٨٢ .

٥٣٩ ـ اليعقوبى : المصدر السابق : ص : ٣٣٨ .

٥٤٠ ـ المقدسي : المصدر السابق : ص : ٢٠٢ .

٥٤١ ـ ابن حوقل : المصدر السابق : ص : ١٤٦ .

٥٤٢ ـ الادريسي : المصدر السابق : ص : ١٥٦ .

٥٤٣ ـ القزويني : المصدر السابق : ص : ٢٠٩ .

٥٤٤ ـ ياقوت : المصدر السابق : ج ٣ ص ص : ٣٤٢ ـ ٣٤٣ ، عبد العال الشامي : المرجع السابق : ص : ٢٢ .

٥٤٥ ـ المقريزي : الخطط : ج ١ ص : ٢٢٦ .

٥٤٦ ـ ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص : ٥٦ ح ٤ .

٥٤٧ ـ راجع في ذلك : اليعقوبي : المصدر السابق : ص : ٣٣٢ ، المقدسي : المصدر السابق : ص : ٢٠٢ .

٥٤٨ ـ انظر أيضا : رؤوف حبيب : المرجع السابق : ص : ٥٣ ، سعاد ماهر : الفن القبطي : ص : ٤٥ ، محمد عبد العزيز مرزوق : تاريخ الحضارة المصرية : ج ٢ ص ص : ٣٧٢ ـ ٣٧٦ .

٥٤٩ ـ سيده كاشف : المرجع السابق : ص : ٢٩٧ .

٥٥٠ ـ راجع في ذلك :

Reper. Chrono. d'epigraph. Arab Tome : 1, p. 63, No. 80.

المقريزي : الخطط : ج ١ ص : ٤٢٢ ، انظر أيضا : علي باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١٢ ص : ١٣٠ .

٥٥١ ـ انظر أيضا : زكي محمد حسن : كنوز الفاطميين : ص : ١١٦ ، فنون الاسلام (لنفس المؤلف) : ص : ٣٤٧ ، محمد جمال الدين سرور : مصر في عصر الدولة الفاطمية : ص : ٢٠٠ ، تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق (لنفس المؤلف) : ص : ١٣٦ ، راشد البراوي : المرجع السابق : ص : ٣٨٢ ، سعاد ماهر : النسيج الاسلامي : ص : ٤٢ .

٥٥٢ ـ انظر أيضا : محمد جمال الدين سرور : دولة بني قلاوون في مصر ص : ٢٩٥ ، مصطفى حسين : المرجع السابق : ص ص : ٢٨ ، ٤٩ .

٥٥٣ ـ هذه القطعة مسجلة تحت رقم (١١٦٧٦) ، راجع عنها أيضا :

Reper. Chrono. d'epigraph. Arab. Tome 5, p. 25 No. 1648.

٥٥٤ ـ هذه القطعة مسجلة تحت رقم (١١٢٤٥) ، راجع عنها أيضا :

Ibid ; Tome : 6, p. 48, No. 2095.

٥٥٥ ـ هذه القطعة مسجلة تحت رقم (١٠٥٥٥) ، راجع عنها أيضا :

Ibid., Tome : 6, p. 61, No. 2116.

٥٥٦ ـ هذه القطعة مسجلة بالمتحف المشار اليـــه تحت رقم (٥٥٥٩) ، راجع عنها أيضا :

Ibid., Tome : 5, p. 23, No. 1644.

٥٥٧ ـ راجع عنها أيضا :

Ibid : Tome : 5, p. 25, No. 1848.

٥٥٨ ـ راجع عنها أيضا :

Ibid · Tome : 4, p. 34, No. 1271.

٥٥٩ ـ راجع عنها أيضا : Ibid., Tome : 4, p. 118, No. 1442.

٥٦٠ ـ راجع عنها : Ibid., Tome 5, p. 20, No. 1639.

وانظر أيضا : زكى محمد حسن : الاطلس : ص : ١٩٣ (شكل ٥٨٤) ، سيده كاشف : المرجع السابق :ص : ٢٩٨ .

٥٦١ ـ راجع عنها أيضا :
Reper. Chrono. d'epigraph. Arab : Tome : 5, p. 25, No. 1648.

٥٦٢ ـ اليعقوبى : المصدر السابق : ص : ٣٣٨ .

٥٦٣ ـ الادريسى : المصدر السابق : ص : ١٥٧ .

٥٦٤ ـ ياقوت : المصدر السابق : جـ ١ ص : ٥٠٦ وانظر أيضا : عبد العال الشامى : المرجع السابق : ص : ٢٥ .

٥٦٥ ـ المقريزى : الخطط : جـ ١ ص : ٣٩٩ .

٥٦٦ ـ محمد رمزى : المرجع السابق : جـ ٢ ق ٢ ص : ٧٨ وانظر أيضا : قاموس جغرافى للقطر المصرى : ص : ٤٨ .

٥٦٧ ـ اليعقوبى : المصدر السابق : ص : ٣٣٨ .

٥٦٨ ـ عبد العال الشامى : المرجع السابق : ص : ٢٢ .

٥٦٩ ـ راجع عنها أيضا :
Reper. Chrono. d'epigraph. Arab : Tome : 6, pp. 107-8, No. 2195.

٥٧٠ ـ اليعقوبى : المصدر السابق : ص : ٣٣٨ .

٥٧١ ـ محمد رمزى : المرجع السابق : جـ ٢ ق ٢ ص : ٧٨ .

٥٧٢ ـ انظر أيضا : محمد عبد العزيز مرزوق : تاريخ الحضارة المصرية : جـ ٢ ص : ٣٧٥ .

٥٧٣ ـ ياقوت : المصدر السابق : جـ ٢ ص : ٤٧٢ .

٥٧٤ ـ انظر مثلا : رؤوف حبيب : المرجع لسابق : ص : ٥٣ ، سعاد ماهر : الفن القبطى : ص : ٤٥ ، محمد عبد العزيز مرزوق : الحضارة المصرية : جـ ٢ ص : ٣٧٢ .

٥٧٥ ـ ابن حوقل : المصدر السابق : ص : ١٤٦ .

٣٧٦ ـ الادريسى : المصدر السابق : ص ص : ١٥٦ ، ١٥٩ .

٥٧٧ ـ مثل : سعاد ماهر : النسيج الاسلامى : ص ٤٢ ، مصطفى حسين : المرجع السابق : ص ٤٩ .

٥٧٨ ـ ياقوت : المصدر السابق : جـ ١ ص : ٨٠ وانظر أيضا : عبد العال الشامى : المرجع السابق : ص ص : ٢١ ، ٤٨ .

٥٧٩ ـ ياقوت : المصدر السابق : جـ ٢ ص : ٥٨١ .

٥٨٠ ـ محمد رمزى : المرجع السابق : جـ ١ ق ٢ ص : ٢٤٢ ، انظر أيضا : الموسوعة العربية الميسرة : ص : ٧٩٨ .
المصدر السابق : ص ٣٨٢ .

٥٨١ ـ راجع فى ذلك : ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص ص : ٥٦ ـ ٥٧ .

٥٨٢ ـ اليعقوبى : المصدر السابق : ص : ٣٣٨ .

٥٨٣ ـ محمد عبد العزيز مرزوق : تاريخ الحضارة المصرية : جـ ٢ ص : ٣٧٥ .

الفصل الثالث

شرق الدلتا

انحصرت مراكز الصناعة فى شرق الدلتا خلال العصور الاسلامية فى ثلاث محافظات هى : القليوبية والشرقية والدقهلية ٠

أولا : محافظة القليوبية

القليوبية محافظة فى جنوب الدلتا عاصمتها بنها ، استحدثت فى عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وكانت عاصمتها قليوب حتى سنة (١٨٥٠ م) ، والواقع أن ما لدينا من معلومات أثرية وتاريخية عن مراكز الصناعة فى محافظة القليوبية يحصر هذه المراكز فى مدينتين اثنتين هما بنها وأتريب ٠

١ ـ مدينة بنهـا :

مدينة بشمال مصر على الجانب الشرقى لفرع دمياط وهى عاصمة محافظة القليوبية منذ سنة (١٨٥٠ م) قتل فيها عباس الأول خديو مصر سنة (١٨٥٤ م) وقد أشارت المصادر العربية الى هذه المدينة بتسميتين مختلفتين هما « بنها العسل » ، « منية بنة » ، من ذلك مثلا ما ورد تعليقا على ما ذكره المسبحى فى القرنين (٤ ـ ٥ هـ / ١٠ ـ ١١ م) من أنها تعرف « ببنهـا العسـل » وهى احـدى قـرى مركز بنهـا بمحافظـة القليوبية (٥٩٦) ٠ ومنه ما أورده الادريسى فى القرن (٦ هـ / ١٢ م) الذى سماها « منية بنة » وقال « وهى منية جليلة كثيرة الأشجار والعمارات والفواكة » (٥٨٧) لذلك فقد ذكرها ياقوت فى القرن (٧ هـ /١٣ م) بقوله انها على شعبة من النيل وضـبط تسميتها بالكسر فقال بنهـا واعترض على تسميتها بالفتح (بنهـا) (٥٨٨) ، وأوردها ابن دقماق فى القرن (٩ هـ / ١٥) بنفس التسمية وقال ان « عبرتها (١٤٫٠٠٠) دينار ومساحتها (١٠٫٨) فدان » ولم يزد (٥٨٩) ٠ ثم جاءت أخيرا فى القواميس الجغرافية على أنها محل مديرية القليوبية وعاصمة هذا الاقليم ومقره الادارى (٥٩٠) وينطابق هذا مع ما ذكره على باشا مبارك فى القرن

(١٣ هـ /١٩ م) من أنها هى رأس مديرية القليوبية وتقع على الشاطىء الشرقى لبحر دمياط فى غربى آثار مدينة أتريب (٥٩١) ٠

هذا عن مدينة بنها من الناحية التاريخية كموقع وتسمية طبقا لما جاء فى المصادر والمراجع العربية ، أما فيما يتعلق بها من الناحية الصناعية فالواقع أنه ليست لدينا معلومات كافية عنها حتى الآن من هذه الناحية . وكل ما أشير اليه فى هذا الصدد جاء بعضه فى قليل من المصادر العربية خاصا بالعصر الاسلامى ، وبعضه الآخر فيما ندر من المراجع العربية أيضا خاصا بالعصر البيزنطى ، ويبدو من ذلك أن المدينة كانت قد عرفت فى العصر البيزنطى بصناعة الأقمشة الشعبية ولا سيما المنسوجات التيلية الخشنة التى كانت تصنع من الكتان (٥٩٢) ٠ وليس بجديد علينا القول أن صناعة النسيج في العصر المشار اليه كانت قد أصبحت من الصناعات الشعبية التى انتشرت فى كثير من مدن مصر بالوجهين البحرى والقبلى ، ومن ثم فانه من الممكن أن تكون هذه الصناعة قد مورست فى المدينة التى بين أيدينا أبان تلك الفترة ، تمشيا مع ما قيل من أنها لم تحتفظ بتقاليدها الصناعية النسيجية القبطية طوال العصر الاسلامى فقط ، بل ان هذه التقاليد كانت لازالت قائمة فيها حتى وقت قريب (٥٩٣) ، ومع ذلك فاننا لازلنا نفتقر الى الأدلة الكافية لاثبات هذا الرأى من الناحيتين التاريخية والأثرية ٠

أما فى العصر الاسلامى فلدينا من المصادر العربية ما يوضح أنها كانت على ما يبدو مركزا هاما لصناعة العسل ، يؤيد ذلك ما أشار اليه كل من الكندى فى القرن (٤ هـ / ١٠ م) وياقوت فى القرن (٧ هـ /١٣م) عندما اتفق ما ذكره كل منهما على أن الرسول صلى الله عليه وسلم سأل عن العسل الذى أرسل اليه ضمن هدية المقوقس ردا على رسالته التى كان قد بعث بها اليه يدعوه فيها الى الاسلام ، فقال من أين هذا فقيل له من قرية بمصر يقال لها بنها فقال (صلوات الله وسلامه عليه) « اللهم بارك فى بنها وفى عسلها » (٥٩٤) ولعل فى هذا ما يجلى لنا شيئين أولهما سبب تسميتها « ببنها العسل » وثانيهما أن هذه الصناعة كانت تمارس فى المدينة بدرجة من الجودة قبل القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى ، لأنه كان من الضرورى أن تتناسب الهدية التى أرسلها المقوقس مع قدر كل من المهدى والمهدى اليه ، ولولا جودتها وامتيازها لما كانت قد أهديت أصلا ٠

وقد أكد على باشا مبارك استمرارية هذه الصناعة بالمدينة خلال القرن (١٣ هـ/١٩ م) حين قال « وهى الى الآن (أى الى عصره هو) فيها

بقايا من خلايا النحل وكذلك القرى القريبة مثل مرصفا وكفر النصارى » (٥٩٥) الا أنه أضاف الى ذلك قوله « وبها أرحية تديرها حيوانات (لطحن الغلال) ووابورات لحلج القطن ومعاصر للزيت ، وفيها أرباب حرف كثيرة » (٥٩٦) وهو قول يثبت لنا أن طحن الغلال وحلج القطن واستخراج الزيت كانت من بين أنشطة المدينة فى العصر الاسلامى المتأخر ٠

٢ ـ مدينة أتريب :

مدينة أتريب من المدن القديمة ، وقد جاء ذكرها فى كثير من المصادر العربية ، من ذلك مثلا ما ذكره الادريسى فى القرن (٦ هـ /١٢ م) حين قال بأنها « قرية لها سوق عامرة وهى تجاور « منية بنة » (٥٩٧) (بنها العسل) ومنه ما أشار اليه ياقوت فى القرن (٧ هـ /١٣ م) حين قال انها « اسم كورة فى شرقى مصر سميت بأتريب بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام » (٥٩٨) ومنه ما أورده المقريزى فى القرنين (٨ ـ ٩ هـ /١٤ ـ ١٥ م) حين قال « ان الذى بناها هو أتريب بن قبطيم بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام متفقا فى ذلك مع ما أشار اليه ياقوت الا أنه أضاف أنها كانت تبلغ اثنى عشر ميلا طولا وأنه كان لها اثنى عشر بابا وجعل في شارعها الأعظم ثلاث قباب عالية على أعمدة بعضها فوق بعض ، كما كان فى كل ناحية منها ملعب ومجالس ومتنزهات وشق فى غربها نهرا عقدت عليه قناطر وجعل من فوقها مجالس متصلة ، وأنها كانت من جملة كور أسفل الأرض (الوجه البحرى) ، ومن جملة المدائن التى جمع فرعون منها السحرة لموسى عليه السلام(٥٩٩)، كذلك فقد أشار اليها ابن دقماق فى القرن (٩ هـ / ١٥ م) بقوله « انها من المدن القديمة عبرتها (٣٠٠٠) دينار ومساحتها (٨٤٠) فدانا » (٦٠٠) وذكرها على باشا مبارك فى القرن (١٣ هـ /١٩ م) بقوله ان « أتريب كورة بمصر ٠٠ كانت قديما من المدائن العظيمة على الشاطىء الشرقى للنيل بقرب مدينة بنها ويقال لها أيضا أتريب ٠٠ وكانت قاعدة اقليم به مائة قرية وثمانية ، وكان فيها كرسى أسقفية ودار لاقامة الحاكم » (٦٠١) ٠

أما فيما يختص بمدينة أتريب كمركز صناعى فالواقع أنه ليست لدينا معلومات كافية عنها فى هذا الصدد ، وكل ما نعرفه فى ذلك جاء فى بعض المراجع العربية التى تتحدث عن العصر الفاطمى ، وأشارت الى أنه عثر على كثير من بقايا تحف زجاجية فى كوم أتريب (٦٠٢) ٠ ونحن من جانبنا لا نستطيع أن ننفى هذا القول ، خاصة ونحن نعرف أن صناعة

الزجاج في مصر كانت من الصناعات التي مورست منذ العصر الفرعوني وظلت مستمرة في العصرين اليوناني والروماني ومن ثم في العصرين البيزنطي والاسلامي ، ولما كانت أتريب منذ القدم (طبقا لما أشارت اليه المصادر والمراجع السالفة الذكر) واحدة من كور الوجه البحري ومدينة من مدائنه العظيمة فاننا لانستبعد قيام هذه الصناعة وغيرها من الصناعات التي عرفت عن مثيلاتها من المدائن في العصر الاسلامي ٠

ثانيا : محافظة الشرقية

كانت كورة الشرقية في العصر الاسلامي من أكثر كور مصر السفلى ازدهارا من الناحية الصناعية فقد مورست الصناعات فيها خلال هذا العصر في أربعة مراكز هامة هي تنيس وتونه وبلبيس والفرما ٠

١ - تنيس :

لم تحظ مدينة اسلامية مما كتبه المؤرخون والرحالة مثلما حظيت تنيس ، فأفاض علينا هؤلاء وأولئك من المعلومات التاريخية والجغرافية والصناعية والحرفية ما جعل معرفتنا عن هذه المدينة أوفى المعرفة على الاطلاق ، وقد توالت هذه المعلومات منذ القرن (٣ هـ /٩ م) وظلت تتوالى حتى بعد أن خربت المدينة بأمر من الملك الكامل محمد في القرن (٧ هـ / ١٣ م) بل والى القرن (١٠ هـ / ١٦ م) وما بعده وقد أشارت معظم المصادر العربية الى موقع تنيس وفصلت فيه كثيرا ، من ذلك مثلا ما ذكره البلاذري في القرن (٣ هـ /٩ م) بقوله انها « جزيرة قريبة من البحر في مصر بين الفرما ودمياط في بحيرة المنزلة » (٦٠٣) ومنه أيضا ما ذكره في القرن (٤ هـ /١٠ م) كل من الاصطخري والمسعودي وابن حوقل فقال الأول في سياق حديثه عن بحيرة تنيس ان فيها « مدنا مثل الجزائر تطيف البحيرة بها فلا طريق اليها الا في السفن ، ومن مشاهير تلك المدن تنيس ودمياط وهما مدينتان لا زرع بهما ولا ضرع » (٦٠٤) وقال الثاني بنقيض ما ذكره الأول انها كانت « أرضا لم يكن بمصر مثلها استواء وطيب تربة ٠٠ وكانت جنانا ونخلا وكرما وشجرا ومزارع ، ولم يكن بمصر كورة يقال أنها تشبهها الا الفيوم » (٦٠٥) وقال الثالث مؤيدا الثاني « ومن الفرما الى تنيس في البحيرة دون الثلاثة فراسخ (الفرسخ ثلاثة أرباع الميل) وهي مدينة كثيرة الرطب جيدة صالحة الفاكهة كثيرتها » (٦٠٦) ومنه ما أشار اليه المسبحي في القرن (٥ هـ / ١١ م) من أنه في مستهل جمادى الآخرة سنة (٤١٤ هـ / ١٠٢٣ م) خلع على أبي الفرج بن مالك بن سعيد ثوبا وعمامة مذهبان ، وحمل على بغلة بسرج ولجام ، وقلد قضاء تنيس وسار اليها » (٦٠٧) وأنه في مستهل

المحرم سنة (٤٤٩ هـ /١٠٥٧ م) قبض المنصور على وزيره الحسن بن على بن عبد الرحمن اليازوري وسيره (منفيا) الى تنيس هو ونساءه وأولاده وحاشيته وظل معتقلا بها حتى الثانى والعشرين من صفر حيث أخرج ليلا وضربت رقبته فى سفل دار الامارة بها (٦٠٨) ، والواقع أن ما أشار اليه المسبحى مما كان لتنيس من قضاء ودار امارة يوضح لنا كثيرا الأهمية التى كانت عليها هذه المدينة على عهد الدولة الفاطمية فى مصر ، وهو أمر لا غرابة فيه اذا ما قيس بدورها الصناعى الذى مارسته فى مجال صناعة النسيج بالذات على عهد هذه الدولة .

أما ناصر خسرو الذى زار مصر فى القرن (٥ هـ /١١ م) أيضا فقد وصف تنيس من واقع مشاهدته الشخصية فقال فى موضع من هذا الوصف انها « جزيرة مزدحمة ذات أسواق عديدة وفيها مسجدان وما يقرب من عشرة آلاف حانوت » (٦٠٩) وأشار فى موضع آخر الى « أنه سمع أن أحد سلاطين رومية كان قد بعث رسولا الى سلطان مصر طالبا منه أن يعطيه مدينة تنيس مقابل مائة مدينة من مدن الروم ولكنه أبى ذلك ، وكان الذى أغرى سلطان رومية بهذا الطلب الغريب هو اعجابه بمنسوجات مدينة تنيس وخاصة نسيجها الطاووسى (٦١٠) ، ثم أضاف الى ذلك فى موضع ثالث أن الخزانة السلطانية كانت ترسل كل تكاليف النسيج الخاص بالسلطان ولا تظلم أحدا حقه وأن ذلك بعكس ما رأى فى أماكن أخرى من العسف والظلم والطغيان من قبل مآمير السلطنة (٦١١) .

كذلك فقد فصل ياقوت فى القرنين (٦ - ٩هـ /١٢ - ١٣ م) من أمر تنيس كثيرا حيث قال بأنها جزيرة فى بحر مصر قريبة من البر ما بين الفرما ودمياط وزاد معرفتنا عن سورها وتسميتها بقوله أنه قرأ فى بعض التواريخ أن سور تنيس ابتدىء فى بنيانه فى شهر ربيع الأول سنة « ٢٣٠ هـ / ديسمبر ٨٤٤ م) وكان والى مصر يومئذ عيسى بن منصور الخراسانى فى أيام الواثق بن المعتصم وفرغ منه فى سنة (٢٣٩ هـ / ٩٠٥ م) فى ولاية عنبسة بن اسحاق فى أيام المتوكل وسميت تنيس باسم بنت دلوكة الملكة وهى العجوز صاحبة حائط العجوز بمصر .. وكانت ذات حدائق وبساتين .. ولما فتحت مصر سنة (٢٠ هـ /٦٤٠ م) كانت تنيس حينئذ خصاصا من قصب (٦١٢) .

وجاء القزوينى فى القرنين (٧ - ٨ هـ /١٣ - ١٤ م) فقال انها جزيرة بين الفرما ودمياط فى وسط بحيرة منفردة عن البحر الأعظم .. بينها وبينه بر مستطيل أوله قرب الفرما .. والبحيرة مقدار ابلاغ يوم فى عرض نصف يوم ماؤها أكثر السنة ملحا لدخول ماء البحر اليه عند

هبوب الشمال ، فاذا انصرف النيل عند دخول الشتاء وهبوب الرياح الغربية خلت البحيرة وخلا سيف البحر الملح (٦١٣) ٠

أما المقريزى فقد أثرى معرفتنا عن تنيس فى القرنين (٨ ــ ٩ هـ / ١٤ ــ ١٥ م) بقوله انها بلدة من بلاد مصر فى وسط الماء وهى من كورة الخليج سميت بتنيس بن حام بن نوح ويقال بناها قليمون من ولد أتريب بن قبطيم أحد ملوك القبط فى القديم ويقال ان الجنتين اللتين ذكرهما الله تعالى فى كتابه العزيز بقوله « واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا » (٦١٤) ، كانت لأخوين من بيت الملك (قليمون) أقطعهما ذلك الموضع (٦١٥) ٠

وجاء ابن دقماق فى القرن (٩ هـ /١٥ م) وأشار الى تنيس فقال انها مدينة قديمة سميت باسم تنيس بن حام بن نوح وقيل تنيس أخو دمياط وهى كورة الريف (٦١٦) ، وهنا نجد اختلافا بين ما ذكره ياقوت فى القرنين (٦ ــ ٧ هـ /١٢ ــ ١٣ م) من جهة ، وبين ما ذكره كل من المقريزى وابن دقماق فى القرنين (٨ ــ ٩ هـ/١٤ ــ ١٥ م) من جهة أخرى ، لأن الأول نسب تسميتها الى تنيس بنت دلوكة صاحبة حائط العجوز ، بينما نسبها الآخران الى تنيس بن حام بن نوح ، الا أن تردد كل منهما فى الاستدراك على ما اتفقا عليه ممثلا فى استدراك الأول على تنيس بن حام بقليمون بن أتريب ، واستدراك الثانى عليه بتنيس أخو دمياط ، جعلنا فى حيرة من القطع برأى فى هذا الصدد ، وهو أمر لا يعنينا على كل حال فى المقام الأول اذا ماقيس بالهدف الحقيقى لهذه الدراسة ، وفى حاشية على ما ذكره ابن تغرى بردى فى نفس القرن المشار اليه قيل انها « مدينة قديمة كانت قائمة فى جزيرة صغيرة شمال شرق بحيرة المنزلة » (٦١٧) وفى حاشية أخرى على ما ذكره ابن ظهيرة فى القرن (١٠ هـ /١٦ م) عرفت تنيس بأنها « بليدة من بلاد مصر فى وسط الماء وهى كورة الخليج » (٦١٨) وجزيرة فى بحر مصر قريبة من البر بين الفرما ودمياط والفرما فى شرقيها (٦١٩) ٠

وظلت تنيس قائمة عامرة عاملة حتى توالت عليها هجمات متكررة من الفرنج استهدفت الاستيلاء عليها وتخريبها ، مثلما حدث سنة (٥٧١ هـ /١١٧٥ م) عندما أغاروا عليها بأربعين سفينة حربية من شوانى صقلية وحاصروها يومين واقلعوا ، وما حدث سنة (٥٧٣ هـ / ١١٧٧ م) عندما هاجموها بأربعين سفينة أخرى وقاتلوا أهلها حتى دخلوها والقوا فيها النار ثم رحلوا عنها وقد امتلأت أيديهم ــ طبقا لما ذكره المقريزى ــ بالغنائم والأسرى ، وما حدث سنة (٥٧٧ هـ /١١٨١ م)

عندما طرقوا ساحلها وأخذوا مركبا للتجار منها (٦٢١) ، وكان من نتيجة هذه الهجمات أن كتب باخلاء تنيس سنة (٥٨٨ هـ /١١٩٢ م) ونقل أهلها الى دمياط فاخليت فى صفر من الذرارى والأثقال ولم يبق بها سوى المقاتلة فى قلعتها ، وفى شوال سنة (٦٢٤ هـ /١٢٢٦ م) أمر الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب بهدم مدينة تنيس فاستمرت (منذ ذلك التاريخ) خرابا ولم يبق منها الا رسومها فى وسط البحيرة (٦٢٢) ، ثم هجم الماء من البحر بعد ذلك على بعض المواقع ببحيرة تنيس فأغرق ما كان في قرارها من القرى وأبقى ما كان منها على ارتفاع من الأرض مثل تونة وبورة وغير ذلك (٦٢٣) .

والى جانب الوفرة الهائلة من المعلومات المسجلة التى حظيت بها مدينة تنيس فى المصادر العربية ، فانهـا قد حظيت بوفرة مماثلة فى المراجع الحديثة حيث أسهبت هذه المراجع كثيرا فى الحديث عن الجزيرة تاريخا وموقعا ، من ذلك مثلا ما ذكره صاحب القاموس الجغرافى بقوله انها « من المدن القديمة التى اندثرت ، وكانت جزيرة يحيط بها البحر من جميع الجهات ، ولا تزال آثارها موجودة الى اليوم ببحيرة المنزلة فى الجنوب الغربى لمدينة بورسعيد على بعد تسعة كيلو مترات منها » (٦٢٤) .

كذلك فقد فصل بتلر فى تاريخ المدينة كثيرا وقال انها كانت على جزيرة فسيحة تصل اليها من الجنوب ترعة بحر الروم التى كانت على ما يبدو بقية فرع النيل التنيسى الذى كان يبلغ الصالحية ، وكان الاتصال عن طريق الماء بينها وبين الفرما أى على الأدلى بينها وبين الطينة وهى ثغر الفرما على ساحل البحر سهلا وميسورا ، ثم أشار الى أن المدينة كانت تحتفظ حتى القرن (١٠ هـ /١٦ م) ببعض الآثار القديمة سوى ما كان بها من المساجد ذات المآذن العالية وعدتها مائة وستون مسجدا ، وما كان بها من الكنائس وعدتها اثنتان وسبعون كنيسة (٦٢٥) .

أما كتاب وصف مصر فقد جاء فيه أن تنيس كانت مدينة بالغة الاتساع يحيط بها سور تعلوه أبراج وحصون ، وبه آبار تمتلىء بالمياه ، وأنه لم يبق من هذه المدينة على عهد الحملة الفرنسية الا أنقاض حمامات وأطلال بعض القباب المبنية بحذق بالغ والمغطاة جدرانها بطبقة ملاطية صلبة ، بالاضافة الى أنقاض كهف مستطيل من الجرانيت الأحمر (٦٢٦) .

هذا عن موقع وتاريخ مدينة تنيس كما جاء فى المصادر والمراجع العربية ، أما عن تنيس كمركز صناعى فالذى لا شك فيه أنها كانت من أبرز مراكز الصناعة فى مصر الاسلامية شهرة على الاطلاق ، وقـد

ساعدها على ذلك عوامل شتى منها أن المدينة كانت موطنا لكثير من الصناع المهرة من الأقباط ، وأنها كانت تقع بين حقول القطن والكتان الخصبة المنتشرة فى الوجه البحرى مما مكنها من الحصول على المواد الخام اللازمة لهذه الصناعة فى سهولة ويسر ، ومنها أن بحيرتها الشهيرة كانت عونا لها ليس فقط فى الحصول السهل على المواد الخام بل أيضا فى التسويق الأسهل لما كانت تنتجه من منسوجات فى الأقاليم الأخرى (٦٢٧) ، يضاف الى ذلك كله أن صناع النسيج فى تنيس لم يحصلوا على الأجور العالية لقاء ما كانوا ينتجون من منسوجات بالغة الجودة فى طراز الخاصة فقط ، بل كانوا يشجعون تشجيعا كبيرا فى هذا الصدد ، يدل على ذلك ما ذكره ناصر خسرو حين قال « انه سمع أن واحدا من الصناع فى طراز الخاصة بتنيس صنع عمامة للسلطان كانت من الجودة لدرجة أنه أمر له بمبلغ خمسمائة دينار مكافأة له ، وأضاف أنه رأى هذه العمامة وقيل له ان ثمنها كان يوازى أربعمائة دينار » (٦٢٨) ورغم أننا لسنا فى حاجة الى تحقيق هذه القصة فانه من الممكن القول انها تعكس على الأقل حقيقة أن صناع تنيس كانوا يكافأون على مهارتهم واجادتهم من السلاطين أنفسهم، والواقع أنه قد مورست فى تنيس أنشطة حرفية وصناعية شتى انحصرت فى صناعات النسيج والزجاج والمعادن والفخار والخزف ، بالاضافة الى بعض الصناعات التى اعتمدت على الانتاج الزراعى مثل طحن الغلال والزيوت والفقاع والأدوية ونحو ذلك .

١ ـ صناعة النسيج :

سجلت لنا المصادر العربية كثيرا من المعلومات التاريخية عن صناعة النسيج فى تنيس منذ العصر العباسى فى القرن (٣ هـ /٩ م) وحتى العصر المملوكى فى القرن (٩ هـ /١٥ م) ، فقد جاء فيما ذكره اليعقوبى فى القرن (٣ هـ /٩ م) أنه تعمل بتنيس الثياب الرفيعة الصفاق والرقاق من القصب والبرد والمخمل والوشى وأصناف الثياب (٦٢٩) ، وفيما ذكره فى القرن (٤ هـ /١٠ م) كل من الاصطخرى وابن حوقل حيث قال الأول « وبها يتخذ المرتفع من ثياب مصر » (٦٣٠) وقال الثانى فى جزء من حديثه انه « يعمل بها رفيع الكتان وثياب الشرب والمصبغات من الحلل التنيسية التى ليس فى جميع الأرض ما يدانيها فى القيمة والحسن والنعمة والترف والرقة والدقة وربما بلغت الحلة من ثيابها مائتى دينار اذا كان فيها ذهب وقد بلغ مالا ذهب فيه منها مائة دينار » (٦٣١) وقال فى جزء آخر ان الحمل من ثيابها المصدر الى العراق كان يبلغ على عهده من عشرين ألف الى ثلاثين ألف دينار الى أن انقطع ذلك التصدير بالمغاربة واختص بقطعه أبو الفرج بن كلس وزير العزيز الفاطمى الذى استأصله على حد

قول ابن حوقل بالنوائب والكلف والمغارم والسخر الدائمة للصناع ، حتى أنه جعل جزية على جميع الداخلين والخارجين الى تنيس (٦٣٢) ، كذلك فقد أشار الكندى فى النصف الثانى من القرن (٤ هـ /١٠ م) الى أنه « ليس فى الدنيا طراز يبلغ الثوب الساذج منه (الذى لا ذهب فيه) مائة دينار الا ثوب تنيس ودمياط ويقال انه ليس فى الدنيا منزل الا وفيه من ثوب تنيس ولو خرقة » (٦٣٣) ، وفى فترة معاصرة للكندى تقريبا قال المقدسى « ومن تنيس لا دمياط الثياب الملونة التى كانت تصدر لكثير من بلدان العالم فى الشرق والغرب » (٦٣٤) ٠

أما ناصر خسرو الذى زار مصر فى القرن (٥ هـ /١١ م) فقد قال فى موضع من حديثه انه رأى « فى أسواق تنيس عمائم تنسج من القصب وعصائب كثيرة كانت النسوة تستعملنه على رؤوسهن وأنه لم يجد مثل هذه العمائم المقصبة ذات الألوان البهيجة فى أى مكان غير تنيس » (٦٣٥)، وأضاف الى ذلك أن « فى المدينة دور للنسيج السلطانى لا يباع منها لأحد من الناس لأنها من جملة الخاصة السلطانية ، حتى أن حد ملوك فارس أرسل عشرين ألف دينار لشراء واحدة من هذه الثياب (السلطانية) وظل رسله فى تنيس يحاولون ذلك دون طائل » (٦٣٦) ٠ ثم أشار فى موضــع ثالث الى أنهم « ينسجون فى تنيس نسجا يعرف بالطاووسى (البوقلمون) وهو نسيج تتخلله خيوط ذهبية تتلون خلال النهار (فى ضوء الشمس) بألوان مختلفة زاهية ، ويحمل هذا النسيج الطاووسى الذى لا نظير له من تنيس الى مختلف أنحـاء المعمورة على أنه من أندر التحف (٦٣٧) ، ليس هذا فقط بل انه أشار فى موضع رابع الى أنه رأى فى المناسج التابعة لخاصة السلطان « فى تنيس مصانع متخصصـة فى نسج أستار هوادج الجمال ولبود سروج الخيل الخاصة بالسلطان ، وأن الغـالب فى ذلك النسـيج هو الخيوط المسـتعملة فى النسـيج الطاووسى »(٦٣٨)، ولم يكن غريبا على مصانع تنيس انتاج كل هذه الأنواع الفاخرة العالية الجودة وهى التى اشتهرت بحذاق النساجين الذين لا مثيل لهم فى أى مكان فى العالم طبقا لما ذكره ناصر خسرو فيما سبقت الاشارة اليه من أن صانعا بهذه المدينة نسج عمامة للسلطان فأمر له بخمسمائة دينار ذهبى مغربى رغم أن قيمة هذه العمامة لم تكن تزيد فى نظره عن ألفى دينار ذهبى مغربى (٦٣٩) ٠

أما الادريسى فى القرنـين (٥ ـ ٦ هـ /١١ ـ ١٢ م) فقد قال « وبمدينة تنيس ودميـاط يتخذ رفيع الثيـاب من الدبيقى والشروب والمصبغات من الحلل التنيسية التى ليس فى جميع الأرض ما يدانيها فى الحسن والقيمة وربما بلغ الثوب من ثيابها اذا كان مذهبا ألف دينار

ونحو ذلك وما لم يكن فيه ذهب المائة والمائتين ونحوه وأصولهـــا من الكتان » (٦٤٠) ، ثم جاء ياقوت وابن مماتى والقزوينى فيما بين القرنين (٦ ـ ٨ هـ /١٢ ـ ١٤ م) فقال أولهم « أنه تعمل بها الثياب الملونة والفرش البوقلمون » (٦٤١) وأكد ثانيهم ما ذكره ابن حوقل فى القرن (٤ هـ /١٠ م) من أنه « ليس فى الدنيا طراز يبلغ الثوب منه مائة دينار ولا ذهب فيه غير برد تنيس الذى يطرز بخيوط القصب » (٦٤٢) وأشار ثالثهم الى أنه « يجلب منها الثياب النفيسة الملونة والفرش الحسن وثياب البوقلمون » (٦٤٣) ٠

كذلك فقد ذكر المقريزى فى القرنين (٨ ـ ٩ هـ /١٤ ـ ١٥ م) أن أهل تنيس مياسير أصحاب ثراء وأكثرهم حاكة ، وبها تحاك ثياب الشروب التى لا يصنع مثلها فى الدنيا ، وأكد ما ذكره ناصر خسرو من أنه يصنع فيها للخليفة ثوب يقال له البدنة لا يدخل فيه من الغزل سداة ولحمة غير أوقيتين وينسج باقيه بالذهب بصناعة محكمة لا تحوج الى تفصيل ولا خياطة تبلغ قيمته ألف دينار ، وأنه ليس فى الدنيار طراز ثوب كتان يبلغ الثوب منه وهو ساذج (بغير ذهب) مائة دينار عينا غير طراز تنيس ودمياط » (٦٤٤) وأشار بعد ذلك كله نقلا عن الفاكهى الى أن الكعبة كسيت على عهد المهدى من طراز تنيس وكان نص ما كتب على هذه الكسوة بعد البسملة واسم الخليفة « ٠٠ مما أمر به اسماعيــل ابن ابراهيم أن يصنع فى طراز تنيس على يد الحاكم بن عبيدة سنة اثنتين وستين ومائة » (٦٤٥) ٠

كذلك فقد ذكر ابن دقمــاق فى القرن (٩ هـ /١٥ م) نقــلا عن الادريسى أنه « يتخذ بمدينتى تنيس ودمياط رفيع الثياب من الشرب والمقصبات التى ليس فى جميع الأرض ما يدانيها فى الحسن والقيمة وربما بلغ الثوب الواحد من ثيابها اذا كان مذهبا ألف دينار ونحو ذلك وما لم يكن فيه ذهب يساوى المائة دينــار والمائتين ونحوهــا وأصولهــا من الكتان » (٦٤٦) ٠

أما السيوطى وابن ظهيرة فى القرن (١٠ هـ /١٦ م) فقد أشار كل منهما أيضا الى منسوجات تنيس فقال الأول « ويجلب من مصر البز الأبيض من الدبيقى وغيره الذى يعمل بدمياط وتنيس والاسكندرية»(٦٤٧)، وقال الثانى فى فصل كور مصر المشهورة أن منها تنيس « وبها ثيــاب الكتان الدبيقى والمقصور والشفاف والاردية وأصناف المناديل والمناشف الفاخرة للابدان والأرجل والمخاد والفرش القلمونى والمطرز ويبلغ الثوب

المقصور منها خمسمائة دينار ولا يعلم فى بلد ثوب يبلغ مئتى دينار فما فوقها وليس فيه ذهب الا بمصر » (٦٤٨) .

ومما أشارت اليه المصادر العربية عن منسوجات تنيس اعتبارا من القرن (٣ هـ /٩ م) وحتى القرن (١٠ هـ /١٦ م) يتضح لنا أن دور الطراز بالمدينة انتجت القصب وهو نسيج رقيق جدا من الكتان كان يعمل للعمائم منذ القرن (٣ هـ /٩م) طبقا لما أشار اليه اليعقوبى ، وأن هذا النوع من النسيج ظل يعمل فيها خلال القرن (٥ هـ / ١١ م) طبقا لما أشار اليه ناصر خسرو وحتى القرن (٩ هـ /١٥ م) طبقا لما أشار اليه ابن دقماق .

كما أنتجت هذه الدور ثياب الشرب وهى نوع رقيق من الحرير أو الكتان الفاخر اعتبارا من القرن (٤ هـ / ١٠ م) طبقا لما أشار اليه ابن حوقل ، وأن هذه المنسوجات ظلت تعمل فيها خلال القرنين (٨ ـ ٩ هـ / ١٤ ـ ١٥ م) طبقا لما أشار اليه كل من المقريزى وابن دقماق ، وانتجت البدنة السلطانية التى أشار اليها كل من ناصر خسرو والمقريزى فيما سبق ذكره ، والتى كانت تعمل من خيوط الذهب ولا يدخل فيها من نسيج الكتان الا قدر أوقيتين .

بالاضافة الى القصب والشروب والبدنة انتجت دور الطراز فى تنيس البرد (وهى ثياب الكتان الرفيع) اعتبارا من القرن (٣ هـ / ٩ م) طبقا لما أشار اليه اليعقوبى ، وظلت هذه البرد تنتج فيها خلال القرن (٤ هـ / ١٠ م) طبقا لما أشار اليه ابن حوقل وحتى القرن (١٠ هـ / ١٦ م) طبقا لما أشار اليه ابن ظهيرة ، وكان من هذه البرد على ما يبدو المعلم والمطرز .

كذلك فقد انتجت هذه الدور نسيج المخمل من الفرش وهو نوع من الأقمشة الوبرية اعتبارا من القرن (٣ هـ /٩ م) طبقا لما أشار اليه اليعقوبى ، وأن هذه المنسوجات ذات الخمل أو ذات الوبر ظلت تنتج فى المدينة خلال القرن (٥ هـ /١١ م) طبقا لما أشار اليه ناصر خسرو ، وخلال القرن (٨ هـ /١٤ م) طبقا لما أشار اليه القزوينى ، وحتى القرن (١٠ هـ /١٦ م) طبقا لما أشار اليه ابن ظهيرة :

كذلك فقد أنتجت مصانع النسيج فى تنيس بالاضافة الى القصب والشرب والبدنة والبرد والمخمل والوشى ، الثياب المصبوغة اعتبارا من القرن (٤ هـ /١٠ م) طبقا لما أشار اليه كل من ابن حوقل والمقدسى ، وان هذه الثياب ظلت تعمل فى المدينة خلال القرن (٨ هـ/١٤ م) طبقا

لما أشار اليه القزوينى ، وحتى القرن (١٠ هـ /١٦ م) طبقا لما أشار اليه ابن ظهيرة الذى أوضح بأنه تعمل فيها المناديل والمناشف والمخاد ونحوهـا .

أما البز الأبيض فلم يشر الى انتاجه فى تنيس غير السيوطى فى القرن (١٠ هـ /١٦ م) رغم أن كل المصادر العربية قد اتفقت « على انه ليس فى دمياط ملون ولا فى تنيس أبيض » وهذا معناه أن دمياط اختصت دون تنيس بانتاج الأقمشة البيضاء كما اختصت تنيس دون دمياط بانتاج الأقمشة الملونة التى بلغت القمة وامتيـاز الجودة وحسن الذوق حتى أن كسوة الكعبة كانت تصنع منها .

أما ما جاء عن منسوجات تنيس فى المراجع العربية فهو كثير أيضا ومنه ما يتحدث عن هذه المنسوجات فى العصر الاسلامى بصفة عامة ، ومنه ما يتحدث عنهـا فى عصورهـا التاريخية المتعاقبة بدءا من العصر البيزنطى وحتى العصر المملوكى .

وقد أشارت المراجع التى تحدثت عن منسـوجات تنيس فى العصر الاسلامى بصفة عامة الى أن المدينة كانت واحدة من أبرز مراكز صناعة النسيج فى مصر ، تحاك فيها المنسوجات الكتانية الرفيعة التى عرفت فى المصادر العربية باسم الثياب الشروب (٦٤٩) ، وكذا المنسوجـات الحريرية والقطنية والقصب الملون والبوقلمون الذى قيل انه كان ينسج فى بـلاد اليونان ثم نقلت صناعته الى مصر فصـار يعمل فى تنيس وغيره (٦٥٠) ، وذكر بتلر أن ثوبا صنع للخليفة فى تنيس من عرض واحد ثمنه ألف دينار من خيوط الذهب المخلوطة باليسـير من دقيق الكتان (٦٥١) ، وهو يقصد بذلك بدنة الخليفة التى أشار اليها المقريزى وقال انه لم يكن يدخل فى نسجها سداة ولحمه غير أوقيتين من الخيوط الكتانية وينسج باقيها بخيوط الذهب ، ولم يكن يسمح بعملها الا فى تنيس رغم ما أخطأته بعض المراجع التى عرفت هذه البدنة على أنها « نوع من النسيج كانت تصنع منه كسوة السروج وأغطية المحاف الملكية (٦٥٢) .

وأشار صاحب كتاب الكعبة والكسوة الى أن خلفاء بنى العباس كانوا قد « بحثوا عن خير من يحسنون صناعة النسيج والحياكة فوجدوا تنيس المدينة المصرية التى اشتهرت فى المنسوجات الثمينة الرائعة شهرة عظيمة فوقع اختيارهم عليها وصنعوا بها الكسوة الفاخرة من الحرير الاسود على أيدى أمهر الحاكة والنساجين » (٦٥٣) ، وكذلك فقد أشارت بعض هذه المراجع الى ما ذكره ناصر خسرو من قبل من أن تنيس كانت تشتمل على خمسة آلاف نول (٦٥٤) ، وفى الدراسة التى أعدها مسيو أندريوس عن

المنزلة على عهد الحملة الفرنسية على مصر أشير الى أنه كان يوجد بالمنزلة مصانع للأقمشة الحريرية وأقمشة القلوع وبعض المصابغ (٦٥٥) ، وفى هذا ما يشير صراحة الى أن بعضا مما كان ينسج فى تنيس خلال تاريخها المبكر كان لا يزال ينسج فيها حتى عهد الحملة الفرنسية ٠

أما المراجع التى تحدثت عن منسوجات تنيس بترتيب تاريخى فمنها ما أورد المدينة على أنها كانت مركزا من مراكز صناعة المنسوجات الكتانية ذات الجودة العالية خلال العصر البيزنطى ، وأرجعت ذلك الى أن الفن القبطى بصفة عامة كان فنا شعبيا لا يخضع لرقابة الحكومة وقيودها ومن ثم فقد انتشرت مصانع نسجه فى طول البلاد وعرضها وكانت تنيس احدى هذه البلاد خاصة وأنها كانت من البلدان التى سكنها الأقباط (٦٥٦) ، يدل على ذلك ما ذكره آدم متز من أن أجرة النساج اليومية فى أوائل القرن (٣ هـ / ٩ م) كانت لا تتعدى نصف درهم وهو سبب شكاية أهل تنيس للبطريرك ديونيسيوس التلمخرى عندما مر ببلدهم فى ذلك العصر (٦٥٧) ٠

أما فى العصر الاسلامى فقد أشارت بعض هذه المراجع الى أن القطن والكتان كانا ينسجان فى تنيس خلال عصر الاخشيديين (٦٥٨) ، يؤيد ذلك ما ذكره م ٠ س ٠ ديماند من أنه وجدت بسامرا قطعة نسيج كتانية ترجع الى القرن (٣ هـ /٩ م) عليها كتابة مطرزة بالحرير الأحمر تقول انها صنعت بمدينة تنيس (٦٥٩) ، وأوردت بعض المراجع الأخرى أن تنيس كانت فى العصر الفاطمى أهم مراكز صناعة النسيج فى مصر شهرة على الاطلاق ، يدل على ذلك ما كان يصنع فيها من البدنة السلطانية وكسوة الكعبة والقصب الملون ونحوه مما سبقت الاشارة اليه ، ويدل عليه أيضا ما ورد من أن الضرائب التى كانت تحصل منها خلال هذا العصر كانت تبلغ ألف دينار في اليوم الواحد ، وأن وظيفة صاحب الطراز خلاله كان لا يتولاها الا أحد كبار المقربين (٦٦٠) ، أما فى العصرين الأيوبى والمملوكى فقد ذكرت بعض المراجع الأخرى أن المنسوجات الحريرية والكتانية الملونة كانت تصنع فى تنيس خلال عصر الأيوبيين ، وأن هذه المنسوجات كانت تصدر الى أوربا وآسيا ولا سيما المنسوجات الحريرية الموشاة بخيوط الذهب (٦٦١) ، ويبدو أن انتاج هذه الأنواع من المنسوجات كان قد استمر فى تنيس وما جاورها من المدن خلال العصر المملوكى فصنعت فيها المنسوجات الحريرية التى كانت تتمتع بخصائص فنية عالية حتى أنها عرفت بالحرير التنيسى (٦٦٢) ٠

وبعد هذا العرض لما لدينا من معلومات عن مدينة تنيس من الناحيتين التاريخية والصناعية النسيجية ، وهى المعلومات التى استقيناها من

كثير من المصادر والمراجع العربية فان ما بين أيدينا من أدلة مادية ثابتة مما أنتجته دور الطراز في تنيس ممثلة في قطع النسيج التي لا زالت محفوظة في كثير من المتاحف المحلية والخارجية ، وكذا في كثير من المجموعات الأثرية الخاصة ، يجعل مما ورد في المصادر والمراجع عن صناعة النسيج في تنيس أمر لا ريب فيه ولا خلاف عليه ٠

ويأتي في مقدمة هذه المتاحف بطبيعة الحال متحف الفن الاسلامي بالقاهرة الذي يحتفظ بخمس قطع كتانية من منسوجات تنيس تنحصر تواريخها بين سنتي (٢٧٨ هـ/٨٩١ م) ، (٤١٢ هـ/١٠٢١ م) وعلى هذه القطع الخمس كتابات كوفية بسيطة في سطر أو سطرين تثبت أنها صنعت في هذه المدينة ، أولاها وثانيتها قطعتان باسم المعتمد على الله العباسي وامارة خمارويه بن أحمد بن طولون تقول كتابات الأولى انها صنعت في « طراز تنيس (ولم تحدد) على يد محمد بن خلف سنة ثمان وسبعين ومائتين » (٦٦٣) وتقول كتابات الثانية انها صنعت في « طراز العامة بتنيس على يد ٠٠٠٠ (ولم تكمل) (٦٦٤) وثالثتها باسم المعتضد بالله العباسي وامارة أبي موسى هارون بن خمارويه وتقول كتاباتها انها عملت في « طراز تنيس (ولم تحدد) على يد محمد بن خلف سنة سبعة وثمنين ومائتين (٦٦٥) (sic) (انظر شكل : ٨١) ورابعتها باسم المكتفي بالله العباسي وامارة العباس بن الحسن وتقول كتاباتها انها « عملت في طراز العامة بتنيس سنة ثلث وتسعين ومائتين (انظر شكل ٨٢) » (٦٦٦) ، وخامستها باسم الظاهر لاعزاز دين الله الفاطمي وتقول كتابتها انها « عملت في طراز العامة بتنيس سنة اثنى عشر وأربعمائة » (٦٦٧) ٠

وفي متحف بناكي في أثينا قطعتان أخريان من منسوجات تنيس باسم المقتدر بالله العباسي أولاهما بامارة علي بن عيسى وتقول كتاباتها انها « صنعت في طراز الخاصة بتنيس على يد شفيع مولى أمير المؤمنين سنة أربعة وثلثمئة » (٦٦٨) ، وثانيتها بوزارة حامد بن العباس وتقول كتاباتها انها « صنعت في طراز العامة بتنيس سنة ثمان وثلثمئة » (٦٦٩) ٠ وفي متحف برلين قطعة أخرى من نسيج تنيس باسم المعتمد على الله العباسي وتقول كتاباتها « مما عمل بتنيس (ولم تحدد) على يدي بدر مولى أمير المؤمنين » (٦٧٠) ٠

أما بقايا منسوجات تنيس في المجموعات الخاصة فمنها قطعتان في مجموعة أبيمايور (Abemayor) أولاهما باسم المعتضد بالله العباسي وامارة هارون بن خمارويه تقول كتاباتها انها « صنعت في طراز تنيس (ولم تحدد) على يدي عبيد الله بن سليمان سنة ثمنة وثمنين

ومائتين » (٦٧١) (Sic) وثانيتهما قطعتان باسم الحاكم بأمر الله الفاطمى تقول كتاباتهـا انهـا عملت فى طراز العـامة بتنيس سـنة عشر وأربعمائة (٦٧٢) •

ومنها أيضـا قطعتان فى مجموعة تانو (Tono) أولاهما باسم المعتضد بالله العباسى وامارة هارون بن خمـارويه تقول كتاباتها أنهـا « عملت فى طراز تنيس (ولم تحدد) على يدى عمر بن شاهين سنة خمس وثمانين ومائتين » (٦٧٣) وثانيتهما باسم العزيز بالله الفاطمى وتقـول كتاباتها انها « عملت فى طراز الخاصة بتنيس سـنة ثمـان وسبعين وثلثمائة » (٦٧٤) •

ومنها كذلك قطعتان غير محددتى المكان باسم المهدى تقول كتابات الأولى انها « صنعت فى طراز تنيس (ولم تحدد) كسوة الكعبة على يدى الخطاب بن مسلمة سنة تسع وخمسين ومائة »(٦٧٥) ، وتقول كتابات الثانية أنها « عملت فى طراز تنيس على يدى الحكم بن عبيدة سنة اثنين وستين ومائة » (٦٧٦) •

والواقع أنه رغم كثرة عدد القطع المنسوبة الى المركز الواحد الا أنه يمكن الاستفادة منها فى جوانب عدة ، منها معرفة أسماء الخلفاء والسلاطين الذين عملت لهم هذه المراكز ، ومعرفة أسماء المشرفين على دور الطراز من الأمراء والوزراء ، وأسماء النساج الذين قاموا بعمل هذه القطع الفاخرة من النسيج ، وفوق هذا وذاك معرفة تواريخ استمرارية العمل فى هذه المراكزالصناعية أو على الأقل تواريخ ازدهارها ومرحلة الغزارة فى انتاجها •

٢ ـ صناعات أخرى غير النسيج فى تنيس :

قلنا ان صناعات تنيس لم تقتصر على صناعة النسيج فقط ، وانما شملت بعضـا من الصناعات الأخرى مثل صناعات الزجاج والمعـادن والفخار ، بالاضافة الى بعض الصناعات التى كانت تعتمـد على المنتجات الزراعية ، ومع أنه ليست لدينا معلومات وافرة عن هذه الصناعات بالقدر الذى كانت عليه معلوماتنا عن صناعة النسيج ، فاننا سنحاول فيما يلى أن نضىء الطريق بقدر ما أتاحته لنا هذه المعلومات فى مجال كل صناعة من تلك الصناعات •

(أ) صناعة الزجاج :

ان ما لدينا من معلومات عن صناعة الزجاج فى تنيس جاء فى واحد من المصادر العربية وفى مرجعين من المراجع الحديثة ، فيقول المقريزى فى

القرن (٩ هـ / ١٥ م) فى معرض حديثه عن قرية من قرى تنيس يقال لها سمناى « أن قوما كشفوا فيهـا سـنة (٨٢٧ هـ / ١٤٢٣ م) عن غضارات كثيرة من الزجاج مكتوب على بعضها اسم المعز وعلى بعضها اسم العزيز وعلى بعضها اسم الحاكم والظاهر والمستنصر وهو أكثرها » (٦٧٧) ٠

أما عن المرجعين فأولهما ما تركه علماء الحملة الفرنسية فى وصف تنيس بما معناه « أن أطلال المدينة يميزها المرء وسط أنقاض واسعة من الطوب الأحمر والخزف والفخار والقطع الزجاجية من كل لون » (٦٧٨) وثانيهما ما أشار اليه على باشا مبارك من أنه لا يوجد بتنيس (على عهده فى القرن (١٣ هـ / ١٩ م) الا تلول بها كثير من الطوب والزجاج الملون بكل لون » (٦٧٩) ، وعلى ذلك فاننا لا نستطيع من جانبنا رغم أننا لا نملك أدلة مادية أن نشكك فيما أورده المقريزى وأيده على باشا مبارك وأكده علمـاء الحملة الفرنسية من واقع المشـاهدة العينية للتقطات المدينـة السطحية ٠

(ب) صناعات المعـادن :

كما انحصرت معلوماتنا عن صناعة الزجاج فى تنيس فى مصدر واحد ومرجعين حديثين انحصرت معلوماتنا عن صناعة المعادن فيها فى مصدر واحد ومرجعين حديثين أيضا ، فيقول ناصر خسرو فى القرن (٥ هـ / ١١ م) فى احدى الترجمتين الحديثتين لرحلته « وفى المدينة حرف حديدية كثيرة كالمقصات والسكاكين والآلات الزراعية المختلفة » (٦٨٠) ، ويقول فى العرض والتحليل الذى كتب عن هذه الرحلة فى تراث الانسانية انه « رأى مقراضا فى مصر صنع فى تنيس ثمنه خمسة دنانير مغربية يفتح اذا رفع مسماره ويقص اذا أنزل » (٦٨١) ٠

هذا عن المصدر الذى أورد الحديث عن صناعة المعادن فى تنيس أما عن المرجعين فقد جاء فى أولهما أن صناعة السلاح المتخذ من الصلب كانت من الصناعات التى كادت تبلغ فى تنيس مبلغ منسوجاتها (٦٨٢) ، وورد فى ثانيهما أن مصر اشتهرت دائما بأنها اقليم زراعى ، لذلك اتخذت صناعات مادتها الخام من الزراعة ، ومن قبيل ذلك صناعة المنسوجات والزيوت والعطور ٠٠ أما الصناعات التى تقوم على مواد مسـتوردة من الخـارج فكانت قليلـة كالمصنوعات الحـديدية التى تنتجهـا تنيس ودلاص (٦٨٣) ٠

(ج) صناعة الفخار والخزف :

من الغريب أن أحدا ممن تكلموا عن تنيس وصناعاتها فى العصر الاسلامى رغم كثرتهم ــ كما رأينا ــ من القدامى والمحدثين لم يشر الى شيء عن صناعة الفخار والخزف فى المدينة خلال هذا العصر ولا حتى قبله ، ونحن نعرف أن هذه الصناعة على وجه الخصوص كانت من الصناعات التى لا زمت الانسان منذ بواكير عهود استقراره على سطح الأرض ، فكانت لذلك مصدرا من أهم مصادر علماء الآثار فى التعرف على حضارة هذا الانسان ، بل كانت من أهم مقاييسهم التى قاسوا بها ماهية هذه الحضارة .

وكل ما وصلنا عن هذه الصناعة فى تنيس جاء فى مرجعين اثنين أولهما الدراسة التى أجراها علماء الحملة الفرنسية عن الجزيرة والتى ورد فيها أن « أطلال المدينة » تميز وسط أنقاض واسعة من الطوب الأحمر والفخار والخزف » (٦٨٤) ، وثانيهما ما سجله على باشا مبارك فى خططه بقوله « ولا يوجد بها (أى تنيس) الا تلول بها كثير من الطوب وشقاف من الصينى والفخار » (٦٨٥) ووجود هذه الكسر الفخارية والخزفية على سطح أطلال المدينة انما يعنى فى المصطلح الأثرى أنها كانت من بين ملتقطاتها السطحية ، ومثل هذه الملتقطات لا تترك شكا فى أنها كانت من بين صناعات تنيس خلال الفترة التى نتحدث عنها .

(د) صناعات تعتمد على منتجات زراعية :

انحصرت صناعات تنيس التى اعتمدت على منتجات زراعية فى صناعة السكر وعصر الزيوت وطحن الغلال وعمل الفقاع وربما تركيب بعض العقاقير أو العطور ، وقد جاء ذكر معظم هذه الصناعات فى المراجع العربية الحديثة ، ولم يأت عنها فى المصادر العربية الا ما ذكره ناصر خسرو عن الفقاع والعقاقير أو العطور .

وعن صناعات السكر وعصر الزيوت وطحن الغلال تقول المراجع العربية انه كان بتنيس « مائة معصرة للزيت والشيرج والقصب . ومائة وستة وستون طاحونا » (٦٨٦) ووجود هذا العدد الهائل من المعاصر والطواحين فى تنيس لا يعنى الا أن هاتين الصناعتين كانتا من بين أنشطتها الصناعية فى العصر الاسلامى ، أما عن صناعتى الفخار وتركيب العقاقير أو العطور فقد أشار اليهما ناصر خسرو فى القرن (٥ هـ / ١١ م) حيث قال عن الأولى « ويكثر فى أسواقها (أى أسواق تنيس) شراب الشعير

المطبوخ فى الصيف حيث أن الجو شديد الحرارة » (٦٨٧) وأشار الى الثانية ضمنا فيما ذكره عن المدينة بقوله « ورأيت مائة دكان لا تبيع سوى العقاقير الطبية » (٦٨٨) والغالب على الظن فى هذه الحالة اذا صدقنا هذه الرواية أنها كانت عقاقير تركب من مواد طبيعية من أوراق وبذور وجذور بعض النباتات والأعشاب ، الا أن العرض والتحليل الذى قدم لهذه الرحلة فى تراث الانسانية اختلف فى ترجمته لهذه الفقرة مع ما أثبت هنا ، فبدلا من أن يجعلها « مائة دكان لا تبيع سوى العقاقير الطبية » جعلها « مائة حانوت خصصت لبيع العطور » (٦٨٩) ، ونحن ازاء هاتين الترجمتين المختلفتين لا نملك ما يساعدنا على نفى أو اثبات أى منهما ، وما يمكن قوله فى كلتا الحالتين انه من غير المعقول وجود هذا العدد الهائل من الحوانيت لبيع عقاقير أو عطور تأتيها من خارجها ، وانما المقبول عقلا ومنطقا أن تكون هذه أو تلك من صناعة المدينة ذاتها ، وأنها كانت تنتج بكميات وافرة اقتضت تواجد هذا العدد من الحوانيت لبيعها ٠

٢ ـ تونة :

تكلمت المصادر التاريخية عن موقع جزيرة تونة وعن صناعتها النسيجية كثيرا ، فقال البلاذرى فى القرن (٣ هـ / ٩ م) انها جزيرة قرب تنيس ودمياط بمصر كانت فى الجنوب الشرقى من جزيرة تنيس » (٦٩٠) وأشار اليها الادريسى فى القرن (٦ هـ / ١٢ م) بقوله « وبالشرق من تنيس ومع الجنوب قليلا جزيرة تونة وهى فى بحيرة تنيس » (٦٩١) فلم يختلف فى ذلك عما أشار اليه البلاذرى قبله ، الا أنه فى موضع آخر يقول « وتطيف (بحيرة تنيس) بمدن مثل الجزائر هى نبلى وتونة وسمناة ولا طريق الى واحدة منها الا بالسفن » (٦٩٢) والغريب فى الأمر أن نبلى وسمناة هاتين لم يرد لهما ذكر فيما يختص بالصناعات والحرف على الاطلاق رغم ما كان لباقى المدن والقرى والجزر التى جاورت تنيس من شأن فى هذا الصدد ٠

أما ياقوت فى القرن (٧ هـ / ١٣ م) فقد أشار الى أنها « جزيرة قرب تنيس ودمياط من الديار المصرية من فتوح عمرو بن وهب » (٦٩٣) وزاد على باشا مبارك على ذلك فى القرن (١٣ هـ / ١٩ م) قوله انه ينسب اليها عمر بن أحمد التونى وأنها قد غرقت ضمن ما أغرقه البحر من تنيس عندما فاض عليها (٦٩٤) ، أما القاموس الجغرافى ووصف مصر فقد ورد فيهما أنها كانت من أعمال تنيس وأن اسمها كان قد تغير الى الشيخ عبد الله نسبة الى ولى أقيم له ضريح فيها (٦٩٥) ٠

هذا فيما يتعلق بتونة كموقع وتاريخ ، أما فيما يتعلق بها كمركز صناعى فان ما لدينا من معلومات تاريخية وردت فى بعض المصادر وكثير من المراجع العربية بالاضافة الى بعض الأدلة الثابتة تؤكد كلها بما لا يدع مجالا للشك أن هذه الجزيرة كانت مركزا من بين أهم مراكز صناعة النسيج فى مصر الاسلامية منذ القرن (٢ هـ/٨م) وحتى القرن (٥ هـ/١١م) وربما بعد ذلك أيضا ، يدل على ذلك مما ورد عن تونة فى المصادر العربية ما أشار اليه ياقوت فى القرنين (٦ ـ ٧هـ/١٢ ـ ١٣م) حين قال ويضرب المثل بحسن معمول ثيابها وطرزها ، وحين قال نقلا عن محمد بن عمر المطرز البغدادى :

ومعذرين كأن نبت خدودهم ... أشراك ليل فى أديم نهار
يتصيدون قلوبنا بلحاظهم ... كتصيد البازات للأطيار
يا أهل تنيس وتونة قارنوا ... ما بين طرزكم وطرز البارى (٦٩٦)

أما المقريزى فى القرنين (٨ ـ ٩ هـ/١٤ ـ ١٥م) فقد أشار الى أنه من جملة عمل مدينة تنيس قرية يقال لها تونة يعمل بها طراز تنيس ويصنع بها من جملة الطراز كسوة الكعبة أحيانا وأورد فى هذا الصدد ما ذكره الفاكهى عن الكسوة التى عملت فيها سنة (١٩٠هـ /٨٠٥م) على عهد هارون الرشيد (٦٩٧) • ويدل عليه أيضا مما جاء عنها فى المراجع العربية ما ذكره صاحب الكعبة والكسوة نقلا عن المقريزى بقوله « وكانت قرية تونة من أعمال مدينة تنيس مشهورة بما اشتهرت بين مدينة تنيس فكانت الكسوة تصنع بها أيضا » (٦٩٨) وقد يقول قائل أتصنع كسوة الكعبة فى تونة وهى ضاحية تنيس ذات الشهرة التى طبقت الآفاق فى هذا المجال ، والرد على ذلك ينحصر فى أن تجاور المركزين الذى يصل الى حد التلاصق حتى أن الأولى كانت ضاحية للثانية لا بد أنه كان قد أثر الى حد كبير فى مركز الضاحية الصناعى ، كما أن انعزالية الاثنين داخل الجزيرة كانت تجعل من الصعب على أهل الضاحية ممارسة أنشطة تخالف ما كان يمارس فى تنيس ، ومن المعروف أن الكعبة كانت تكسى فى العصر الجاهلى من قباطى مصر ، وكذلك كان الحال فى العصر الاسلامى عندما تولى عمر بن الخطاب وأمر أن تحاك الكسوة فى مصر فاستأثرت مصر بهذا الشرف منذ ذلك الحين حتى ألغى ذلك منذ سنوات قليلة مضت •

وأخيرا يؤكد ما جاء فى المصادر والمراجع عن صناعة النسيج فى جزيرة تونة كثير من الأدلة المادية ممثلة فى كثير من قطع النسيج التى لا زالت محفوظة فى بعض المتاحف والمجموعات الأثرية الخاصة ، وتنحصر هذه الأدلة المادية فى قطعة واحدة باسم هارون الرشيد (١٩٠هـ/٨٠٥م)

(لم يحدد مكان حفظها) عليها كتابة كوفية بسيطة تقول بعد البسملة والدعاء للخليفة « ٠٠ ٠٠ مما أمر به الفضل بن الربيع أن يعمل فى طراز تونة سنة تسعين ومائة » (٦٩٩) وفى ست قطع فاطمية لا زالت محفوظة بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة ، ثلاثتها الأولى باسم الحاكم بأمر الله تاريخ أولاها (٣٨٧هـ/٩٩٧ م) وتقول كتابتها بعد البسملة والديباجة الفاطمية المطولة « مما أمر به فى طراز الخاصة بتونة سنة سبع وثمانين وثلثمئة (٧٠٠) ، وتاريخ ثانيتها (٣٨٩ هـ / ٩٩٨ م) وتقول كتابتها « مما أمر بعمله فى طراز العامة بتونة سنة تسع وثمانين وثلثمئة »(٧٠١) ، وثالثتها بغير تاريخ وتقول كتابتها بعد البسملة والديباجة « بتونة سنة ٠٠ ٠٠ (ولم تحدد (٧٠٢) ، ورابعتها وخامستها بغير أسماء ، تاريخ أولاهما (٣٩٥هـ/١٠٠٤ م) وتقول كتابتها « مما أمر بعمله فى طراز العامة بتونة (سنة) خمس وتسعين وثلثمائة » (٧٠٣) ، وتاريخ ثانيتهما (٣٩٨هـ/١٠٠٧م) وتقول كتابتها « ٠٠ مما أمر بعمله في طراز الخاصة بتونة سنة ثمان وتسعين وثلثمائة » (٧٠٤) وسادستها باسم صفى أمير المؤمنين وخالصته أبو القاسم على بن أحمد وتاريخها (٤٢٧ هـ/ ١٠٣٤ م) وتقول كتابتها « ٠٠٠ فى طراز العامة بتونة سنة سبع وعشرين وأربعمائة » (٧٠٥) .

كذلك يحتفظ متحف بناكى فى أثينا من منسوجات تونة بقطعتين فاطميتين باسم الحاكم بأمر الله تاريخ أولاهما (٣٨٨هـ/٩٩٨ م) وتقول كتابتها « مما أمر بعمله فى طراز العامة بتونا سنة ثمان وثمانين وثلثمئة » (٧٠٦) ، وتاريخ ثانيتهما (٣٩٠هـ/٩٩٩م) وتقول كتابتها « ٠٠ مما أمر بعمله فى طراز العامة بتونة سنة تسعين وثلثمئة » (٧٠٧) .

والى جانب ما يحتفظ به متحف القاهرة ومتحف بناكى من منسوجات تونة فان هناك قطعا أخرى من منسوجات هذا المركز لازالت محفوظة فى بعض المجموعات الأثرية الخاصة ، من ذلك مثلا مجموعة تانو (Tano) وبها أربع قطع فاطمية أولاها بغير اسم خليفة تاريخها (٣٥٥ هـ/٩٦٥م) وتقول كتابتها « ٠٠ مما أمر بعمله فى طراز العامة بتونة سنة خمس وخمسين وثلثمئة » (٧٠٨) ، وثانيتها باسم العزيز بالله وتاريخها (٣٨٦هـ/٩٩٦م) وتقول كتابتها « ٠٠ مما أمر بعمله فى طراز الخاصة بتونة سنة ست وثمانين وثلثمئة » (٧٠٩) وثالثتها ورابعتها باسم الحاكم بأمر الله تاريخ أولاهما هو نفس تاريخ القطعة الثانية وتقول كتابتها « ٠٠ بعمله فى طراز العامة بتونة سنة ست وثمانين وثلثمئة » (٧١٠) وثانيتهما بغير تاريخ وتقول كتابتها « ٠٠ مما أمر بعمله فى طراز الخاصة بتونة » (٧١١) .

وأخيرا فان هناك ثلاث قطع أخرى من منسوجات تونة أولاها فى مجموعة بارتكيولير (Particulière) وهى باسم المطيع لله وتاريخها (٣٥٧ هـ / ٩٦٧ م) وتقول كتابتها « ٠٠ بعملـه فى طراز الخاصـة بتونة سنة سبع وخمسين وثلثمئة » (٧١٢) وثانيتها فى مجموعة أبيمايور (Abemayor) وهى باسم العزيز بالله وتاريخها (٣٩٦ هـ/١٠٠٥ م) وتقول كتابتها « ٠٠ مما أمر بعمله في طراز العامة بتونة سنة ست وتسعين وثلثمئة » (٧١٣) وثالثتها فى مجموعة ماتوسيان (Matossian) وهى باسم الحاكم بأمر الله وتاريخها (٣٩٧هـ/١٠٠٦م) وتقول كتابتها « ٠٠ مما أمر بعمله فى طراز الخاصـــة بتونة ســنة سبع وتســعين وثلثمئة » (٧١٤) ٠

ومن هذه القطع جميعا يتضح لنا بعض الحقائق الهامة منها أولا أن تونة كانت تشتمل على مصانع الطرازين النسيجيين معا ، وأعنى بذلك طراز الخاصة السلطانية وطراز العامة من الناس ٠ ومنها ثانيا أن هذه المصانع رغم أنها كانت قائمة فى المدينة منذ العصر العباسى سنة (١٩٠هـ/ ٨٠٥ م) الا أنها كانت أكثر نشاطا وأغزر انتاجا فى العصر الفاطمى ، ومنها ثالثا أن منسوجاتها كانت على درجة عالية من الجودة والكفاءة أهلتها لكى تنال جزءا من شرف صناعة الكسوة للكعبة الشريفة ، وهو أمر اقتضى أيضا أن يكون صناعها على نفس القدر من الجودة والكفاءة ، لأنه كان من الضرورى أن يتناسب المنتج مع قدر المنتج له ، وهو الكعبة التى تتبوأ اسمى المراتب فى نفوس المسلمين جميعا ٠

وأخيرا فاننا لا نستطيع أن نختم حديثنا عن تونة بغير اشارة الى ما ورد في وصف مصر من أنه كان قد عثر فيها على سطح الأرض على رأس تمثال من العقيق المجزع يبلغ طوله (٣٦) مم وعرضه (٢٨) مم ويمثل رأس انسان من منظور جانبى ينطق بتعابير كثيرة منها عين ثاقبة وملمح شجاع وشفاه لا مبالية ، وقد حمل كل هذا أعضاء البعثة الفرنسية التى عثرت عليه على الظن بأنه ربما يمثل رأس أغسطس الذى استطاع أن يقاوم سحر وجمال كيلوباترا وأن يتغلب على كل الصعاب التى كانت تحول بينه وبين السلطة (٧١٥) ٠ ونحن ازاء هذا لا نستطيع أن نجعل وجود هذا التمثال فى المدينة دليلا على أنه صنع فيها كما أننا لا نستطيع فى نفس الوقت اثبات العكس ٠

٣ ـ الفرمـــا :

لقد ترك لنا المؤرخون العرب معلومات تاريخية وافرة عن الفرما كموقع وتاريـخ ، من ذلك مثلا ما ذكره ابن عبد الحـكم فى القـرنين

(٢ ـ ٣ هـ/٨ ـ ٩م) حين قال ان قبط الفرما كانوا أعوانا لعمرو بن العاص يوم الفتح (٧١٦) ، وما ذكره البلاذرى فى القرن (٣ هـ / ٩م) حين قال بأنها «مدينة قديمة بمصر آثارها باقية» (٧١٧) وما ذكره الكندى فى القرنين (٣ ـ ٤ هـ /٩ ـ ١٠م) حين قال ان فيها أكثر العجائب وأقدم الآثار وأنه كان منها طريق الى جزيرة قبرس فى البر فغلب عليه البحر ، وأن هاجر أم اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليه السلام كانت من قرية نحو الفرما يقال لها أم العرب (٧١٨) .

كذلك فقد ذكرهـا كل من ابن حوقل والاصطخرى فى القرن (٤ هـ/١٠م) بمعلومات تكاد تكون واحدة فيما عدا الاختلاف على أصل جالينوس المدفون بها فقال الأول انها « مدينة صالحة على نحر بحر الروم فى شط بحيرة تنيس وبها قبر جالينوس الرومانى » (٧١٩) وقال الثانى « والفرما على شط البحيرة (يقصد بحيرة تنيس) وهى مدينة صغيرة خصبة وبها قبر جالينوس اليونانى » (٧٢٠) وأشير اليها تعليقا على ما ذكره المسبحى فى القرنين (٤ ـ ٥ هـ/١٠ ـ ١١م) فقيل « هى حد مصر من الشمال الشرقى ، وهى من أقدم الرباطات المصرية ، وكانت على عهد قدماء المصريين حصن مصر من جهة الشرق ، وقد اندثرت هذه المدينة الا أن آثارها لا زالت تعرف حتى اليوم بتل الفرما على بعد ثلاثة كيلو مترات من ساحل البحر المتوسط » (٧٢١) ، وقد وردت هذه المعلومات بالنص أيضـا فيمـا قيل تعليقـا على ما ذكره ابن ظهيرة فى القرن (١٠ هـ / ١٦ م) (٧٢٢) . كذلك فقد ذكرها ياقوت فى القرنين (٦ ـ ٧ هـ / ١٢ ـ ١٣ م)وقال ان « الفرما مدينة قديمة قرب شرقى تنيس على ساحل بحر الروم على يمين القاصد لمصر واسمها أعجمى أحسبه يونانيا » (٧٢٣).

أما المقريزى فقد أشار اليها فى القرنين (٨ ـ ٩ هـ/١٤ ـ ١٥م) حين قال انها مدينة تلقاء مصر سميت باسم آخر أبناء الاسكندر ، وهى قرية أم اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام ، كان المتوكل على الله العباسى قد بنى فيها حصنا على البحر فولى بناءه عنبسة بن اسحاق أمير مصر سنة (٢٣٩هـ /٨٥٣م) عندما بنى حصنى دمياط وتنيس وأنفق فيهما مالا عظيما ، ثم ذكر أنها كانت من فتوح أبرهة بن الصباح حين أنفذه عمرو بن العاص اليها بعد ما تم له فتح عين شمس ، وأوضح بأن الفرنج كانوا نزلوها فى رجب سنة (٥٤٥ هـ/١١٥٠م) وأحرقوها ونهبوا أهلها حتى خربها شاور فى أواخر العصر الفاطمى ، واستمرت المدينة خرابا بعد ذلك لم تعمر (٧٢٤) . وقد وردت هذه المعلومات التى ذكرها المقريزى عن الفرما بالنص ململمة الى جانب ما ذكره كل من البلاذرى وابن حوقل والكندر فيما سجله عنها على باشا مبارك فى القرن (١٣هـ/١٩م) (٧٢٥) .

كذلك فقد ذكر ابن دقماق فى القرن (٩هـ/١٥م) أنها « بلدة قديمة بالرمل بالقرب من قطيا والطينة » (٧٢٦) ، ونحن نعرف أن الطينة كانت الميناء الذى أبحر منه ناصر خسرو فى رحلته الى تنيس .

أما صاحب القاموس الجغرافى فقد ذكــر أن اســمها المصرى القديم « بر آمن » أى مدينة الاله آمون ومنها نقل اسمها القبطى « برما » ومن هذا أتى الاسم العربى « فرما » الذى أضيفت اليه بعد ذلك أداة التعريف فقيل الفرما » (٧٢٧) ، والواقع أن المدينة قد تلاشت من الوجود تماما ، ولكن موقعها لا يزال يعرف فى مكانه حتى اليوم بتل الفرما على بعد ثلاثة كيلو مترات من شاطىء البحر المتوسط .

هذا عن الفرما كموقع وتاريخ أما فيما يتعلق بها كمركز صناعى فقد أمدتنا المصادر والمراجع العربية بمعلومات كافية فى هذا الصدد تثبت أن المدينة كانت فى العصر الاســــلامى مركزا لصناعات النسيج والتمور والحصير والقفف والحبال وربما أيضا استخراج زيت الحيتان وسنتحدث فيما يلى بالتفصيل عن كل واحدة من هذه الصناعات .

١ ـ صناعة النسيج :

لا شك أن مالدينا من مادة تاريخية أوردتها بعض المصادر العربية عن صناعة النسيج فى الفرما يثبت أن هذه الصناعة كانت تمارس فى المدينة منذ العصر البيزنطى ، وأنها ظلت تمارس فيها بعد ذلك فى العصر الاسلامى منذ بواكيره حتى نهاية العصر الفاطمى ، يدل على ذلك ما ذكره المقدسى فى القرن (٤ هـ /١٠ م) بقوله « ومن الفرما القباطى والخمر والفرش والستور وغزل الصوف والكتان والخيش » (٧٢٨) وفى هذا ما يتفق وما ذكره ابن عبد الحكم فى القرنين (٢ ـ ٣ هـ/٨ ـ ٩م) فيما سبقت الاشارة اليه من أن قبط الفرما كانوا عونا لعمرو بن العاص يوم الفتح ، لأن معنى ما ذكره ابن عبد الحكم أن هذه المدينة كانت مقرا للأقباط ، ونحن نعرف ما كان لهؤلاء من فضل على صناعة النسيج المصرية ولا سيما فى العصور الاسلامية المبكرة ، لأننا لو استرجعنا من التاريخ أن « القباطى » كانت منسوجات ابتكرها الأقباط فنسبت اليهم ، وأضفنا اليه أن اسم المدينة ذاتها كان قد تحول فى العصر الاسلامى الى « فرما » من القبطية « برما » أو « برآمن » ، وأن الفرما كانت واحدة من المدن التى جاورت كثيرا من مراكز الصناعة العريقة فى ذات المجال كتنيس وشطا ، وأن المواد الخام اللازمة لها كانت سهلة المنال لكثرة مزارع الكتان فى الاقليم ، أمكننا القول أن ما ذكره المقدسى كان حقيقة لا جدال فيها .

ويبدو أن صناعة النسيج كانت قد ظلت تمارس فى المدينة حتى القرن (١٠ هـ/١٦م) بدليل ما ذكره ابن ظهيرة ضمن صناعاتها وحرفها بقوله « ومن الفرما الكتان » (٧٢٩) وهو ما يعنى ضمنا أن منسوجات كتانية كانت تصنع فى المدينة حتى عصره ، يدل على ذلك أيضا ما أوردته بعض المراجع العربية الحديثة من أن القطن والكتان كانا ينسجان خلال عصرى الاخشيديين والفاطميين فى كثير من مراكز صناعة النسيج ، ولا سيما بالدلتا فى تنيس وشطا ودبيق ودمياط فضلا عن الفرما (٧٣٠) .

٢ ـ صناعات تعتمد على منتجات زراعية :

انحصرت صناعات الفرما التى اعتمدت على منتجات زراعية كما قلنا فى صناعة التمور والحصير والقفف والحبال وربما استخراج زيت الحيتان أيضا ، ويفهم مما أشار اليه المؤرخون العرب فيما يتعلق بصناعة التمور فى الفرما أن هذه الصناعة كانت تمارس فى المدينة منذ القرن (٣ هـ/ ٩م) ، وظلت تمارس فيها حتى القرن (١٠ هـ/١٦م) تقريبا ، يدل على ذلك ما ذكره الكندى فى القرنين (٣ ـ ٤ هـ /٩ ـ ١٠م) بقوله « وبالفرما نخلها العجيب الذى يثمر حين ينقطع البسر والرطب من سائر الدنيا » (٧٣١) ، ويدل عليه أيضا ما ذكره ابن حوقل فى القرن (٤ هـ / ١٠م) من أن « الفرما كثيرة النخل والرطب » (٧٣٢) ، وما ذكره ابن ظهيرة فى القرن (١٠ هـ /١٦م) من أن « بها البسر (وهو التمر قبل أن يرطب) الفرماوى والرطب والتمر » (٧٣٣) .

أما صناعة الحصير فقد جاء ذكرها فيما رواه المقدسى فى القرن (٤ هـ /١٠ م) حين قال « ومن الفرما الحصر العبادانى » (٧٣٤) ، وما ذكره ابن ظهيرة فى القرن (١٠هـ/١٦م) حين قال « وبها الحصر السامانى والعبدانى » (٧٣٥) ، وهذا معناه أن الصناعة التى بين أيدينا ـ رغم اختلاف المصدرين فى تسمية نوعى انتاجها ـ كانت تمارس فى المدينة منذ القرن (٤هـ/١٠م) وحتى القرن (١٠هـ/١٦م) .

وأخيرا فقد ذكر المقدسى فى القرن (٤هـ/١٠م) أن « من الفرما القفاف والحبال من الليف فى غاية الجودة ومنها الحيتان والقند والاشنان والهريسة والنيدة » (٧٣٦) ، وفى هذا ما يعنى أن استخراج زيت الحوت وعمل أنواع الحلوى المشار اليها كان من بين حرف المدينة خلال هذه الفترة .

ثالثا : محافظة الدقهلية

ان ما لدينا من معلومات تاريخية وردت فى كثير من المصادر والمراجع العربية ، وما بين أيدينا من أدلة مادية ممثلة فى بقايا أثرية لا زالت محفوظة

فى بعض المتاحف والمجموعات الأثرية الخاصة ، يتضح أن مراكز الصناعة فى هذا الاقليم كانت تنحصر فى دبيق وبرمبال ، وسنحاول فيما يلى عرض الموقف الصناعى والحرفى لكل مركز من هذين المركزين بقدر ما تمكننا من ذلك المعلومات المتوفرة عنه .

١ – دبيق :

لقد نالت دبيق من اهتمامات المؤرخين العرب حظا وافرا مثل تنيس ودمياط وتونة وغيرها من مراكز الصناعة الهامة فى مصر الاسلامية ، وكان من نتيجة ذلك أن حفظت لنا المصادر العربية كثيرا من المعلومات التاريخية عنها سواء فيما يختص بالمدينة كموقع وتاريخ ، أو فيما يختص بها كمركز من أهم مراكز صناعة النسيج الاسلامى المصرى ، وقد أيدت المراجع العربية الكثيرة هذه المعلومات ، وأكدتها بعض القطع النسيجية التى عملت فى دبيق ولازالت محفوظة حتى الآن فى بعض المتاحف والمجموعات الأثرية الخاصة .

فقد أشارت المصادر العربية بكثير من التفصيل الى دبيق كموقع وتاريخ ، من ذلك مثلا ما قيل تعليقا على ما ذكره المسبحى فى القرنين (٤ – ٥ هـ/١٠ – ١١م) من أنها « بلدة من أعمال دمياط واقعة على بحيرة المنزلة بالقرب من تنيس وقد اندثرت وصار مكانها يعرف بتل دبقو بمركز فاقوس بمحافظة الشرقية (٧٣٧) . ومنه ما أورده ياقوت فى القرن (٧ هـ/١٣ م) بقوله « دبقا » فى موضع ودبقا فى موضع آخر « قرية من قرى مصر قرب تنيس سألت المصريين عنها فقالوا دبيق » (٧٣٨) ومنه أيضا ما ذكره المقريزى وابن دقماق فى القرنين (٨ – ٩هـ/١٤ – ١٥م) فقال الأول انها « قرية من قرى دمياط » (٧٣٩) وقال الثانى ان عبرتها (١٦٠٠) دينار ومساحتها (٣٢٣) فدان (٧٤٠) ، أما صاحب القاموس الجغرافى فقد ذكر نقلا عما قيل تعليقا على ما أشار اليه المسبحى أنها اندثرت « ومكانها يعرف بتل دبقو أو دبجو بالقرب من شاطىء بحيرة المنزلة (تنيس قديما) فى الشمال الشرقى لناحية صان الحجر بمركز فاقوس بمحافظة الشرقية (٧٤١) » .

هذا عن دبيق كموقع وتاريخ ، أما فيما يختص بها كمركز صناعى، فالواقع أن ما لدينا من معلومات تاريخية وردت فى كثير من المصادر والمراجع ، وما بين أيدينا من أدلة مادية تحصر نشاطها فى صناعة النسيج فقط ، وهى صناعة أفاضت المصادر التاريخية فى الحديث عنها كثيرا، ومن ذلك مثلا ما ذكره اليعقوبى فى القرن (٣ هـ/٩م) بقوله « وتعمل

بدمياط الثياب الصفاق الدبيقية (٧٤٣) » ، وهنا لابد من الاشارة الى شيئين : أولهما أن النسبة كما هو واضح من التسمية كان لا بد أن ترجع الى دبيق لا الى دمياط ولكنـه أرجعها الى دمياط بحكم التبعية الادارية فقط ، وثانيهما أن وصفها بالصفاق يعنى أنها كانت رقيقة وذات جودة عالية ، ومنه أيضا ما ورد تعقيبا على ما ذكره المسبحى فى القرنين (٤ ـ ٥هـ/١٠ ـ ١١ م) من أن « الاقمشة الدبيقية التى تنسب الى دبيق كانت توشى بخيوط الحرير والذهب » (٧٤٣) ومنـه ما ذكـره الادريسى فى القرنين (٥ ـ ٦هـ/١١ ـ ١٢م) من أنه « يعمل بدبيـق الرفيع من أجناس الثياب » (٧٤٤) ، ووصف الادريسى لمنسوجات هذه المدينـة بالرفيع من الثيـاب تغنينا لفظته التى انتقاها عن الحديث عن جودتها وعلو مكانتها ، كذلك فقد أشار ياقوت فى القرنين (٦ ـ ٧ هـ / ١٢ ـ ١٣ م) الى منسوجات دبيق وسماها بالدبيقية (٧٤٥) ، مما يعنى أنها كانت ذات مميزات خاصة ميزتها عن غيرها ، وذكرها ابن مماتى فى القرن (٧هـ/١٣م) بقوله « وبمصر الطراز الدبيقى الذى يبلغ ثمـن الثوب منه مائة دينار » (٧٤٦)

أما المقريزى فى القرنين (٨ ـ ٩هـ/١٤ ـ ١٥م) فقد فصل فى ذلك أكثر مما ذكره غيره من المؤرخين فقال « وتنسب الى دبيق الثياب المثقلة والعمائم الشرب الملونة والدبيقى المعلم المذهب ، وكانت العمائم الشرب المذهبة تعمل بها ، ويكون طول كل عمامة منها مائة ذراع ، وفيها رقمات منسوجة بالذهب فتبلغ العمامة من الذهب خمسمائة دينار سوى الحرير والغزل ، وحدثت هذه العمائم فى أيام العزيز بالله سنة (٣٦٥ هـ/ ٩٧٥ م) الى أن مات فى شعبان سنة (٣٨٦ هـ/٩٩٦ م) » (٧٤٧) ومع ذلك فقد خلط السيوطى على ما يبدو فى القرن (١٠هـ/١٦م) حين قال « ويجلب مـن مصر البز الأبيض من الدبيقى » (٧٤٨) ونحن نعـرف مما سبق الحديث عنه فى دمياط أن البز الابيض كان من أهم منتجات دمياط لأنه لم يكن يصنع فيها مصبوغ كما أنه لم يكن يصنع بتنيس أبيض ، ومهما يكن من أمر فقد استمرت صناعة النسيج فى دبيق حتى القرن (١٠هـ/١٦م) طبقا لما ذكره ابن ظهيرة الذى قال « ومنها ما يعمل بمصر من الاثواب الدبيقى الذى تبلغ العمامة منه مائة دينار » (٧٤٩) .

هذا عما ورد عن صناعة النسيج فى دبيق فى المصادر العربية أما ما ورد عنهـا فى المراجع الحديثـة فهو كثير ، ومنه ما جاء دالا على أنها كانت مركزا من مراكز هذه الصناعة منذ العصر البيزنطى ، حيث كانت تصنع فيها خلال هذا العصر المنسوجات الكتانية بصفة خاصة (٧٥٠) ، وعلى الرغم من أنه ليست لدينا الادلة المادية ولا التاريخية الكافية فى

هذا الصدد الا أن ترجيح هذا الرأى ليس بمستبعد ، أولا لأن المدينة كانت تعيش فى تلك الفترة نفس الظواهر التى عاشتها المراكز الصناعية المجاورة ، وثانيا لأن نشاطات دبيق فى مجال صناعة النسيج الاسلامى تذهب فى عمق التاريخ الى بواكير هذا العصر ، وشهرة كهذه فى تلك الفترة لا بد أن أساسا لها كان قد وضع قبل بدء الحكم العربى لمصر على الأقل ·

وعلى ذلك فالذى لاشك فيه أن تقاليد المدينة فيما يتعلق بصناعة النسيج كانت قد ظلت قائمة خلال العصر الاسلامى وأضيفت الى منسوجاتها الكتانية طبقا لما ورد فى كثير من المراجع العربية الحديثة المنسوجات القطنية والحريرية أيضا (٧٥١) ، وقد أيدت بعض هذه المراجع ان القطن والكتان كانا ينسجان فيها منذ عصر الاخشيديين (٧٥٢) ، وأيد بعضها الآخر أن القطن والكتان بالاضافة الى القماش الدبيقى الثقيل جيد النسج كان يصنع فيها فى عصر الفاطميين وكان هذا الأخير يستخدم فى رسم الخرائط حيث كانت تعمل عليه بالاصباغ المشمعة (٧٥٣) ، وكذلك كان الحال فى العصر المملوكى حيث كانت تعمل فيها منسوجات الكتان الدبيقى الثقيل الذى بلغ ثمن الثوب منه مائة دينار ولا ذهب فيه ، الى جانب الأقمشة الحريرية المزركشة والمنسوجات الموشاة بخيوط الحرير والذهب (٧٥٤) ·

وبالاضافة الى ما ورد فى المصادر والمراجع العربية عن صناعة النسيج فى دبيق ، فان لدينا من الادلة المادية الثابتة من قطع النسيج التى لا زالت محفوظة فى بعض المتاحف والمجموعات الأثرية الخاصة ما يؤكد صدق ما ذهبت اليه هذه المصادر وتلك المراجع ، من ذلك مثلا قطعتان بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة أولاهما مؤرخة بسنة (٢٠٨هـ/ ٨٢٣ م) (انظر شكل : ٨٣) وتقول كتابتها الكوفية البسيطة بعد البسملة والديباجة « ·· ·· مما عمل بدبيق سنة ثمان ومائتين » (٧٥٥) ، وثانيتهما مؤرخة بسنة (٣٩١هـ/١٠٠٠م) وهى باسم الحاكم بأمر الله الفاطمى وتقول كتابتها بعد البسملة والديباجة « ···· مما أمر بعمله فى طراز العامة بدبقو سنة احدى وتسعين وثلثمئة » (٧٥٦) ·

وبالاضافة الى قطعتى متحف الفن الاسلامى هناك قطعتان أخريان من منسوجات دبيق تاريخهما (٤٠٣ هـ/١٠١٢ م) لازالتا محفوظتان فى مجموعة تانو (Tano) باسم الحاكم بأمر الله الفاطمى تقول كتاباتهما بعد البسملة والديباجة « ···· مما أمر بعمله فى طراز العامة

بدبير سنة ثلث وأربعمائة » (٧٥٧) ، وفى هذا ما يؤيد صدق ما ذهبنا اليه بالنسبة للتسمية فى القطعة الثانية بمتحف الفن الاسلامى ، ومن هذه القطع يتضح لنا أن مصانع النسيج بالمدينة كانت تعمل منذ سنة (٢٠٨هـ/٨٢٣م) خلال العصر العباسى وظلت قائمة حتى العصر الفاطمى خلال القرنين (٤ ـ ٦هـ/١٠ ـ ١٢ م) وأنها كانت تشتمل ـ على ما يبدو ـ على مصانع الطراز العامة فقط ٠

٢ ـ برنبـــال :

وآخر ما نذكره من مراكز الصـــناعة فى هذا الفصل هو برنبال ، وقد ورد اسـم هذه القرية بصـور مختلفة أهمها برنبال بالنون ، فقد ذكرها على باشا مبارك على هذه الصيغة وقال ان « من هذا الاسم ثلاث قرى كلها فى الوجه البحرى احداها من مديرية الغربية بمركز دســوق (فوه حاليا) على الشاطىء الشرقى لبحر رشيد شمال قرية مطوبس ، وبرنبال الثانية والثالثة كلاهما من مديرية الدقهلية بمركز محلة دمنة (دكرنس حاليا) واقعتان على البحر الصغير احداهما يقال لها برنبال القديمة وهى البحرية والأخرى برنبال الجديدة (٧٥٨) ٠

وقد بحثنا عن هذه البلدة فى المصادر العربية ـ التى أتيح لنـا الاطلاع عليها ـ فلم نجد لها الا ما ذكره الادريسى فى القرنين (٥ ـ ٦هـ/ ١١ ـ ١٢ م) باسم « برنبلين » حيث قال « ومن وبيدة الى برنبلين ٠٠ ثم الى سبسبة ثم الى بحيرة تنيس » (٧٥٩) ، وما ذكــره ياقوت فى القرنين (٦ ـ ٧ هـ /١٢ ـ ١٣ م) باسم « بارنبار » حين قال « بارنبــار هكذا يتلفظ به عوام مصر وتكتب فى الدواوين بيورنبارة وهى بليدة قرب دمياط على خليج أشموم والبسراط (٧٦٠) » ومعنى ذلك أن هذه القرية كانت تتبع كورة دمياط على عهد ياقوت بينما كانت تتبع مديرية الشرقيــة على عهد على باشا مبارك ٠

ومن ذلك يتضح أن برنبال كموقع وتاريخ كانت احدى قرى مركز دكرنس بمديرية الشرقية ، أما فيما يخصها كمركز صناعى فان ما لدينا من معلومات فى هذا الصدد يعد غير كاف الى حد كبير لأننا لم نجد ما يؤيده الا ما أورده عن برمبال (بالميم) ياقوت بقوله انه كان « يعمل فيهـا الشرب الفائق الجيد العريض (٧٦١) » وما ذكره على باشا مبارك عن برنبال (بالنون) حين قال أن برنبال الجديدة هى مسقط رأسه الذى ولد فيه سنة (١٢٣٩هـ/١٨٢٣م) وفيها مسجد ومنزل مشيد لوالده بالاضافة الى معملين للدجاج ومصبغتين وأربعة أنـوال لنسج الصـوف وعشر طواحين (٧٦٢) ٠

ومما ذكره ياقوت فى القرن (٧هـ/١٣م) يمكن القول ان برمبال القديمة كانت فى العصر الاسلامى مركزا لصناعة النسيج الجيــد لأن وصفه له « بالفائق الجيد العريض » يغنى عن الحديث عن جودته وعلو مكانته بحيث لا نستطيع أن نغفل ذكرها فى هذا المجال ، كما أنه يمكن القول أيضا مما ذكره على باشا مبارك فى القرن (١٣هـ/١٩م) ان برنبال الجديدة (والتى كانت بغير شك امتدادا طبيعيا لبرمبال القديمة) كانت مركزا لصناعة النسيج وصباغته بالاضافة الى طحن الغلال ٠

٣ ـ حواشي وتعليقات الفصل الثالث
من الباب الثاني
شرق الدلتــــا

٥٨٤ ـ المسبحي : المصدر السابق : ج ٠ ص : ٥٨ ح ١ ٠

٥٨٥ ـ الادريسي : المصدر السابق : ص : ١٥٢ ٠

٥٨٦ ـ ياقوت : المصدر السابق : ج ١ ص ٥٠١ ٠

٥٨٧ ـ ابن دقماق : المصدر السابق : ج ٢ ص ٤٨ ٠

٥٨٨ ـ محمد رمزي : المرجع السابق : مجلد ١ ج ٢ ص ٢٠ وانظر أيضا : قاموس جغرافي للقطر المصري : ص ١٤١ ، الموسوعة العربية الميسرة : ص ٤١٤ ٠

٥٨٩ ـ علي باشا مبارك : المرجع السابق : ج ٩ ص : ٨٨ ٠

٥٩٠ ـ باهور لبيب : لمحات من الفنون والصناعات : ص ١٢ ٠

٥٩١ ـ نفس المرجع : ص ١٢ ٠

٥٩٢ ـ الكندي : المصدر السابق : ص ٢٨ ، ياقوت : المصدر السابق : ج ١ ص ٥٠١ ٠

٥٩٣ ـ علي باشا مبارك : المرجع السابق : ج ٩ : ص : ٨٨ ٠

٥٩٤ ـ نفس المرجع : ج ٩ ص ٨٨ ٠

٥٩٥ ـ الادريسي :المصدر السابق : ص : ١٥٢ ٠

٥٩٦ ـ ياقوت : المصدر السابق : ج ١ ص ٨٧ ٠

٥٩٧ ـ هذه المدائن هي أرمنت وبنا وبوصير وأنصنا وصان واتريب وصا ٠ راجع أيضا : المقريزي : المصدر السابق : ج ١ ص ٣٢٨ ٠

٥٩٨ ـ ابن دقماق : المصدر السابق : ج ٢ ص ٥١ ٠

٥٩٩ ـ علي باشا مبارك : المرجع السابق : ج ٨ ص : ٣١ ٠

٦٠٠ ـ زكي محمد حسن : كنوز الفاطميين : ص : ١٨١ ٠

٦٠١ ـ البلاذري : المصدر السابق : ج ٣ ص : ٧٠١ ٠

٦٠٢ ـ الاصطخري : المصدر السابق : ص : ٥٣ ٠

٦٠٣ ـ المسعودي : مروج الذهب : ج ١ ص : ٣٤٨ وانظر أيضا : علي باشا مبارك المرجع السابق : ج ١٠ ص : ٤٥ ٠

٦٠٤ ـ ابن حوقل : المصدر السابق : ص : ١٤٩ ٠

٦٠٥ ـ المسبحي : المصدر السابق : ج ١ ص : ١٢٢ ٠

٦٠٦ ـ نفس المصدر : جـ ٢ ص ٨ ·

٦٠٧ ـ ناصر خسرو : سفرنامه (تحقيق تراث الانسانية : مجلد ١ جـ ٨) ص : ٦٤٨ وما بعدها ·

٦٠٨ ـ نفس المصدر : (ترجمة أحمد خالد البدلى) : ص ٨٤ ·

٦٠٩ ـ نفس المصدر : ص ٨٥ ·

٦١٠ ـ ياقوت : المصدر السابق : جـ ٢ ص ص : ٥١ ـ ٥٤ ·

٦١١ ـ القزوينى : المصدر السابق : ص ص : ١٧٦ ـ ١٧٩ ·

٦١٢ ـ سورة الكهف : آية : ٣٢ ·

٦١٣ ـ المقريزى : الخطط : جـ ١ ص : ٣٢٩ وانظر أيضا : على باشا مبارك : المرجع السابق : جـ ١٠ ص : ٤٥ ·

٦١٤ ـ ابن دقماق : المصدر السابق : جـ ٢ ص ص : ٧٨ ـ ٧٩ وراجع أيضا : ادولف جروهمان : المصدر السابق : جـ ١ ص ٢٠٧ ·

٦١٥ ـ ابن تغرى بردى : المنهل الصافى : جـ ٢ ص ٧٠ ح ٣ ·

٦١٦ ـ الكورة هى الصقع أو البقعة التى تقع فيها عدة قرى وهى تقابل المركز فى النظام الادارى الحالى ·

٦١٧ ـ ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص : ٥٣ ح ١ ، ٤ ·

٦١٨ ـ المقريزى : الخطط : جـ ١ ص : ٣٣٧ ·

٦١٩ ـ المقريزى : السلوك : جـ ١ ق ١ ص : ٧٢ ·

٦٢٠ ـ المقريزى : الخطط : جـ ١ ص ٣٣٨ وانظر أيضا : محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق : ص : ١٣٦ ح ٤ ، على باشا مبارك : المرجع السابق : جـ ١٠ ص : ٤٩ ، عبد الرحمن زكى : الفسطاط وضاحيتاها العسكر والقطائع : ص ص : ٤٧ ـ ٤٨ ·

٦٢١ ـ على باشا مبارك : المرجع السابق : جـ ١٠ ص : ٥١ ·

٦٢٢ ـ محمد رمزى : المرجع السابق : ق ١ ص ١٩٧ وانظر أيضا : الموسوعة العربية الميسرة : ص : ١٧٥٣ ·

٦٢٣ ـ الفريد بتلر : المرجع السابق : ص ص : ٣٠٥ ـ ٣٠٧ ·

٦٢٤ ـ وصف مصر : جـ ٣ ص ص : ٤٠ ـ ٤١ وأنظر أيضا : حسين الرفاعى : المرجع السابق : جـ ١ ص ٢١٦ ·

٦٢٥ ـ راشد البراوى : المرجع السابق : ص : ٣٨١ ·

٦٢٦ ـ ناصر خسرو : سفر نامه (تحقيق تراث الانسانية : مجلد ١ جـ ٨) ص : ٦٤٨ ·

٦٢٧ ـ اليعقوبى : كتاب البلدان : ص ص : ٣٣٧ ـ ٣٣٨ ·

٦٢٨ ـ الاصطخرى : المصدر السابق : ص : ٥٢ ·

٦٢٩ ـ ابن حوقل : المصدر السابق : ص : ١٤٣ ·

٦٣٠ ـ نفس المصدر : ص : ١٤٢ وانظر أيضا : على باشا : المرجع السابق : جـ ١٠ ص ٤٦ ، آدم متز : المرجع السابق : جـ ٢ ص ٣٥٣ ·

٦٣١ ــ الكندى : المصدر السابق : ص ص : ٥٣ ، ٦٧ ــ ٦٨ ٠

٦٣٢ ــ المقدسى : أحسن التقاسيم : ص : ٢٠٣ ٠

٦٣٣ ــ ناصر خسرو : المصدر السابق : ص ٨٣ وانظر أيضا : آدم متز : المرجع السابق : جـ ٢ ص ٣٥٣ ٠

٦٣٤ ــ ناصر خسرو : المصدر السابق : ص : ٨٣ ٠

٦٣٥ ــ يبدو من تسمية هذا النوع من النسيج التى وردت فى بعض المصادر باسم « الطاووسى » وفى بعضها الآخر باسم « القلمونى » ، والتى وردت أيضا فى بعض المراجع باسم « البوقلمون » وفى بعضها الآخر باسم « الأبوقلمون » ، أنه كان ذا أصل اغريقى ، ولكننا لا نعرف على وجه اليقين متى قلد أو متى نقلت صناعته الى مصر فمورست فى طراز المركز الذى بين أيدينا وفى غيره من المراكز ٠ راجع أيضا : ناصر خسرو : المصدر السابق : ص ٨٤ ، وأنظر أيضا تحقيق نفس المصدر فى (تراث الانسانية مجلد ١ جـ ٨) ص ص : ٦٤٨ ــ ٦٤٩ ، محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق : ص : ١٣٦ ٠

٦٣٦ ــ ناصر خسرو : المصدر السابق : ص ٨٥ وانظر أيضا تحقيق نفس المصدر فى (تراث الانسانية : مجلد ١ : جـ ٨) ص : ٦٤٩ ٠

٦٣٧ ــ ناصر خسرو : المصدر السابق : ص ٨٤ وانظر أيضا تحقيق نفس المصدر فى تراث الانسانية : مجلد ١ جـ ٨ ص ٦٤٨ ٠

٦٣٨ ــ الادريسى المصدر السابق : ص : ١٥٦ ٠

٦٣٩ ــ ياقوت : المصدر السابق : جـ ٢ ص ص : ٥١ ــ ٥٤ ٠

٦٤٠ ــ ابن مماتى : المصدر السابق : ص : ٨١ ٠

٦٤١ ــ القزوينى : المصدر السابق : ص : ١٧٧ ٠

٦٤٢ ــ المقريزى : الخطط : جـ ١ ص : ٣٣١ ٠

٦٤٣ ــ نفس المصدر : جـ ١ ص ٣٣٨ وأنظر أيضا : على باشا مبارك : المرجع السابق : جـ ١٠ ص : ٤٩ ، أحمد عبد الغفور عطا : الكعبة والكسوة : ص ١٤٦ ٠

٦٤٤ ــ ابن دقماق : المصدر السابق : جـ ٢ ص : ٧٩ ٠

٦٤٥ ــ السيوطى : المصدر السابق : جـ ٢ ص : ٢٢٩ ٠

٦٤٦ ــ ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص : ٥٣ ٠

٦٤٧ ــ زكى محمد حسن : فنون الاسلام : ص ص : ٣٤٧ ، ٣٥٠ ــ ٣٥١ ، سعاد ماهر : النسيج الاسلامى : ص ٤٢ ، مصطفى حسين : المرجع السابق : ص ٤٩ ، عبد الله حسين : المرجع السابق : ص : ٣٩ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ البحرية الاسلامية : جـ ١ ص : ١٦٥ ، محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق : ص : ١٣٦ ، م٠ س٠ ديماند المرجع السابق : ص : ٢٥٠ ٠

٦٤٨ ــ زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين : ص : ١٤٥ ح ٢ وانظر أيضا : محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق : ص : ١٣٦ ح ٥ ، آدم متز : المرجع السابق : جـ ٢ ص ٣٥٤ ٠

٦٤٩ ـ الفريد بتلر : المرجع السابق : ص ٣٠٤ وانظر أيضا : محمد عبد العزيز مرزوق : المرجع السابق : جـ ٢ ص : ٣٧٢ ، أبو زيد شلبى : المرجع السابق : ص : ٣٠٦ ، علي باشا مبارك : المرجع السابق : جـ ١٠ ص : ٤٦ .

٦٥٠ ـ عمر رضا كحالة : المرجع السابق : ص : ٢٥٣ .

٦٥١ ـ أحمد عبد الغفور عطا : الكعبة والكسوة : ص : ١٤٥ ، ويؤيد ذلك بما لا يدع مجالا للشك قطعة من الكتان باسم المقتدر بالله طولها (٣٢رم) يحتفظ بها متحف الفن الاسلامى بالقاهرة تحت رقم (١٠٠٩٦) تقول كتابتها « مما أمر الوزير على بن عيسى بعمله في طراز .... بتنيس على يد شفيع مولى أمير المؤمنين سنة ست عشرة مئة كسوة » . راجع عن هذه القطعة :

Reper .: Tome, 3, p. 171, No. 1108.

٦٥٢ ـ عبد الرحمن زكي : الفسطاط وضاحيتاها : ص ٤٧ ، عمر كحالة : المرجع السابق : ص ٢٥٣ ، م. س. ديماند : المرجع السابق : ص : ٢٥٠ .

٦٥٣ ـ وصف مصر : جـ ٣ ص ص : ١٥ ـ ٤٦ .

٦٥٤ ـ سعاد ماهر : الفن القبطى : ص : ٤٥ وانظر أيضا : رؤوف حبيب : المرجع السابق : ص : ٥٣ .

٦٥٥ ـ آدم متز : المرجع السابق : جـ ٢ ص ص : ٣٥٣ ـ ٣٥٤ .

٦٥٦ ـ سيدة اسماعيل كاشف : المرجع السابق : ص : ٢٩٧ .

٦٥٧ ـ م. س. ديماند : المرجع السابق : ص : ٢٥٠ .

٦٥٨ ـ زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين : ص ص : ١١٤ ـ ١١٦ ، م. س. ديماند : المرجع السابق : ص : ٢٥٠ ، راشد البراوى : المرجع السابق : ص : ٣٨١ ، أنور الرفاعى : المرجع السابق : ص : ١٦٢ ، محمد جمال الدين سرور : مصر فى عصر الدولة الفاطمية : ص : ٢٠٠ .

٦٥٩ ـ السيد الباز العرينى : مصر فى عصر الأيوبيين : ص ص : ١٩٧ ـ ٢٠٠ ، الأيوبيون لنفس المؤلف : ص ص : ١٩٩ ـ ٢٠٠ .

٦٦٠ ـ عبد الله حسين : المرجع السابق : ص : ٣٩ ، وانظر أيضا : محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون فى مصر ص : ٢٩٥ ، خليل ضومط : المرجع السابق : ص ص : ١٥٦ ـ ١٥٧ .

٦٦١ ـ هذه القطعة مسجلة تحت رقم (١٠٢٢٩) وطولها (٣٣رم) راجع عنها أيضا :

Rep. Chrono. D'epigraph. Arab. Tome : 2, pp. 248-9, No. 757.

٦٦٢ ـ هذه القطعة مسجلة تحت رقم (١٠٦١٣) وطولها (٢٨رم) راجع عنها أيضا :

Rep. Chrono D'epigraph, Arab Tome : 2, p.p. 253-4, No. 767.

٦٦٣ ـ هذه القطعة مسجلة تحت رقم (١٠٢٩٢) وطولها (٢٨رم) راجع عنها أيضا :

Rep. Chrono. D'epigraph. Arab. Tome : 3, p. 9, No. 815.

٦٦٤ ـ هذه القطعة مسجلة تحت رقم (١٠٤٧٤) وطولها (١٢رم) راجع عنها أيضا :

Repsr Chrono, d'epigraph Arab Tome . 3, p. 38, No. 863.

٦٦٥ ـ هذه القطعة مسجلة تحت رقم (٩٧٩٦) وطولها (٢٩رم) راجع عنها أيضا :

Reper. Chono, d'ép graph Arab. Tome : 6, p. 173 No. 2324.

ومع ذلك فما تجب الاشارة اليه أن متحف الفن الاسلامى بالقاهرة لا يحتفظ من منسوجات تنيس بما سبق ذكره من قطع نسيجية فقط وانما يحتفظ بثلاث عشرة قطعة أخرى منها قطعة باسم المعتضد بالله طولها (٢٧رم) تحت رقم (١٠١٩٠) تقول كتابتها انها عملت فى طراز تنيس على يد محمد بن علقمة سنة (٢٨٠ هـ) وقطعة باسم المقتدر بالله طولها (٣٢رم) تحت رقم (٩٥٤٩) تقول كتابتها أنها عملت فى طراز تنيس على يد شفيع سنة (٣٠٦ هـ) وقطعة ثالثة (لم تحدد أسماء) تحت رقم (١٠١٢٩) تقول كتابتها انها عملت فى طراز العامة بتنيس سنة (٣٩١ هـ) . راجع عن هذه القطع جميعا :

Reper • Tome : 2, p. 258, No. 774., Tome : 2, p. 266. No. 788, 3. p. 8, No. 813, Tome : 3, pp. 105-6. No. 982, Tome : 3, p. 112. No. 788, Tome : 3, p. 8, No. 813., Tome : 3, pp. 105-6, No. 982, Tome : 3, p. 112, No. 994, Tome : 3, p. 22, No. 1009 A., Tome : 3. p. 134, No 1035, Tome : 3, pp. 138-9, No. 1045., Tome : 175, No. 1116, Tome : 3, p. 186 No. 1135., Tome : 6. p. 39, No. 2081, Tome, 3, p. 149 No. 1067, Tome : 3, p. 159, No. 1086.

٦٦٦ ـ هذه القطة طولها (٥١رم) . راجع عنها أيضا :

R.per. Chrono. d'epigraph, Arab. Tome : 3, p. 102, No. 976.

٦٦٧ ـ هذه القطعة طولها (٤٣رم) راجع عنها أيضا :

Reper. Ch.ono d'epigraph Arab. Tome : 3, p. 128, No. 1023.

ومع ذلك فبالاضافة الى هاتين القطعتين اللتين يحتفظ بهما متحف بناكى فى أثينا هناك قطعتان أخريان بنفس المتحف أولاهما باسم المقتدر بالله العباسى طولها (٤٠رم) تقول كتابتها « .. بعمله فى طراز تنيس على يدى شفيع .. سنة تسع وثلثمئة » وثانيتهما باسم الحاكم بأمر الله الفاطمى طولها (١٧رم) تقول كتابتها « .. بعمله فى طراز الخاصة بتنيس سنة سبع .. » راجع عن هاتين القطعتين أيضا :

Reper : Tome. 3, p. 135. No. 1037. Tome : 5, p. 192. No. 1919 A.

٦٦٨ ـ راجع عنها أيضا :

Reper : Ch.ono. d'epigraph Arab Tome : 2, pp. 254-5, No. 769.

٦٦٩ ـ هذه القطعة طولها (٢٣رم) راجع عنها أيضا :

Reper : chrono, d'epigraph, Arab : Tome : 3, u. 11, No. 818.

٦٧٠ ـ هاتان القطعتان طول احداهما (٣٠ر م) وطول الأخرى (١ م) راجع عنهما أيضا :

Reper : chrono, d épigraph, Arab. Tome : b, p. 118, No. 2212 .

يضاف الى ذلك قطعتان أخريان من صناعة تنيس فى مجموعة نهمان أولاهما باسم المقتدر بالله العباسى وامارة على بن عيسى طولها (٢٩رم) تقول كتابتها انها عملت فى طراز العامة بتنيس على يدى شفيع (ولم تذكر سنة) وثانيتهما باسم الحاكم بأمر الله

الفاطمى طولها (٥٥ر١م) تقول كتابتها انها عملت فى طـراز العـامة بتنيس سنة (٤٠٨ هـ) . راجع عن هاتين القطعتين أيضا :

Ibid., Tome : 3, p. 177 No. 1129, Tome : 6, p. 112, No. 220. :

كذلك هناك قطعة واحدة من منسوجات تنيس فى مجموعة بارتكيولير .(Particulier) (لم تذكر اسما ولا تاريخا) تقول كتابتها « .. مما أمر بعمـله فى طراز الخاصـة بتنيس .. » راجع عن هذه القطعة ..

Ibid., Tome : 6, p. 18, No. 2045.

٦٧١ ـ هذه القطعة طولها (٢٩ر م) راجع عنها أيضا :

Reper : chrono d'epigraph, Arab. Tome : 3, p. 4 no. 805.

٦٧٢ ـ راجع عنها أيضا :

Ibid., Tome : 5, p. 154., No. 1924.

وهناك أيضا فى مجموعة تانو بالاضافة الى ما أشير اليه فيها من قطع تنيس ثلاث قطع أخرى أولاها باسم المعتضد بالله وامارة خمارويه بن أحمد طولها (٣٢ر م) تقول كتابتها انها عملت فى طراز تنيس سنة (٢٨٢ هـ) وثانيتها باسم المقتدر بالله وامارة حامد بن العباس طولها (٣٠ر م) تقول كتابتها أنهـا عملت فى طراز تنيس على يدى شفيع سنة (٣٠٦ هـ) . وثالثتها باسم المقتدر أيضا وامارة على بن عيسى طولها (٤٣ر م) تقول كتابتها انها عملت فى طراز تنيس على يد شفيع سنة نيف وثلاثمائة . راجع عن هذه القطع أيضا :

Ibid., Tome : p. 264, No. 785, Tome : 3, p. 118, No. 1007.
Tome : 3, p. 177, No. 1121.

٦٧٣ راجع عنها أيضا : Ibid : Tome : 1. p. 34, No. 44.

٦٧٤ ـ راجع عنها أيضا : Ibid : Tome : 1 p. 35., No. 45.

ويضاف الى هاتين القطعتين غير محددتى المكان من صناعة تنيس قطعة ثالثة باسم المعتمد على الله العباسى وامارة خمارويه بن أحمد طولها (٢٩ر م) تقول كتابتها انها عملت فى طراز تنيس سنة ٢٧٢ هـ راجع عن هذه القطعة أيضا :

Ibid : Tome : 2, p. 232, no. 731.

٦٧٥ ـ المقريزى : الخطط : جـ ١ ص ١٨١ .

٦٧٦ ـ وصف مصر : جـ ٣ ص ص : ٤٠ ـ ٤١ .

٦٧٧ ـ على باشا مبارك : المرجع السابق : جـ ١٠ ص : ٥٠ .

٦٧٨ ـ ناصر خسرو : المصدر السابق : ص ٥٨ .

٦٧٩ ـ ناصر خسرو : تحقيق نفس المصدر فى تراث الانسانية : مجلد ١ : جـ ٨ ص ٦٤٩ .

٦٨٠ ـ الفريد بتلر : المرجع السابق : ص ص : ٣٠٦ ـ ٣٠٧ .

٦٨١ ـ السيد الباز العرينى : الأيوبيون : ص : ١٩٨ .

٦٨٢ ـ وصف مصر : جـ ٣ : ص ص : ٤٠ ـ ٤١ .

٦٨٣ ـ على باشا مبارك : المرجع السابق : جـ ١٠ ص : ٥٠ .

٦٨٤ ـ عبد الرحمن زكى : الفسطاط وضاحيتاها : ص : ٤٧ ، على باشا مبارك : المرجع السابق : جـ ١٠ ص : ٥٠ ٠

٦٨٥ ـ ناصر خسرو : المصدر السابق : ص : ٨٣ ٠

٦٨٦ ـ نفس المصدر : ص : ٨٣ ٠

٦٨٧ ـ ناصر خسرو : (تحقيق نفس المصدر فى تراث الانسانية : مجلد ١ جـ ٨) ص : ٦٤٨ ٠

٦٨٨ ـ البلاذرى : المصدر السابق : جـ ٣ ص : ٧٠١ ٠

٦٨٩ ـ الادريسى : المصدر السابق : ص : ١٥٤ ٠

٦٩٠ ـ نفس المصدر : ص : ١٥٦ ٠

٦٩١ ـ ياقوت : المصدر السابق : جـ ٢ ص ص : ٦٢ ـ ٦٣ ٠

٦٩٢ ـ على باشا مبارك : المرجع السابق : جـ ١٠ ص : ٥١ ٠

٦٩٣ ـ وصف مصر : جـ ٣ ص : ٢٢ وانظر أيضا : محمد رمزى : المرجع السابق : ق ١ ص ١٩٧ ٠

٦٩٤ ـ ياقوت : المصدر السابق : جـ ٢ ص ص : ٦٢ ـ ٦٣ ٠

٦٩٥ ـ المقريزى : الخطط : جـ ١ ص ٣٩٩ وانظر أيضا : على باشا مبارك : المرجع السابق : جـ ١٠ ص ٥١ ، أحمد عبد الغفور عطا : المرجع السابق : ص : ١٤٦ ، سعاد ماهر : النسيج الاسلامى : ص : ٤٢ ، محمد عبد العزيز مرزوق : المرجع السابق : جـ ٢ ص : ٣٧٢ ٠

٦٩٦ ـ أحمد عبد الغفور عطا : المرجع السابق : ص ١٤٥ وانظر أيضا : راشد البراوى : المرجع السابق : ص ٣٨٢ ، خليل ضومط : المرجع السابق : ص : ١٨٩ ، م ٠ س ٠ ديماند : المرجع السابق : ص : ٢٥٠ ، مصطفى حسين : المرجع السابق : ص : ٤٧ ، عمر كحالة : المرجع السابق : ص : ٢٥٣ ٠

٦٩٧ ـ راجع عنها أيضا :

Reper, chrono d'epigraph, Arab, Tome : 1, pp. 61-2, No, 78.

٦٩٨ ـ هذه القطعة مسجلة تحت رقم (٩٣١٤) وطولها (٣٢رم) وكتابتها من سطرين مزدوجين بالكوفي البسيط ٠ راجع عنها أيضا :

Reper, chrono, d'epigraph Arab Tome : 5, p. 38.

٦٩٩ ـ هذه القطعة مسجلة تحت رقم (١٠٢٩٠) وطولها (٣٨رم) راجع عنها أيضا :

Ibid : Tome : 6, p. 33, No. 2072.

٧٠٠ ـ هذه القطعة مسجلة تحت رقم (٩٧٩٢) وطولها (٤٢رم) راجع عنها أيضا :

Ibid: Tome : 6, p. 129, No. 2228.

٧٠١ ـ هذه القطعة مسجلة تحت رقم (١٢٣٤١) وطولها (٢٩رم) راجع عنها أيضا :

Ibid . Tome : 6, pp. 53-4, No. 2103.

وهناك قطعة أخرى بنفس المتحف تحت رقم (١٢٢٧٠) تقول كتابتها انها عملت « ٠٠ فى طراز العامة بتونة سنة سته وتسعين وثلثمئة » راجع عنها أيضا :

Ibid · Tome, 6, pp. 60-1, No. 2113.

٧٠٢ ـ هذه القطعة مسجلة تحت رقم (١٠١٥٦) وطولها (٣٥رم) راجع عنها أيضا :

Ibid Tome : 7, pp. 64, No. 2121.

٧٠٣ ـ هذه القطعة مسجلة تحت رقم (١٢٨٥٤) وطولها (٣٥رم) راجع عنها أيضا :

Ibid Tome : 7, pp. 12-3, No, 2418.

ليس هذا فقط بل ان هناك ثلاث قطع كتانية أخرى من صناعة تونة بنفس المتحف المشار اليه أولاها تحت رقم (١١٤٧٢) طولها (٥٤ر م) وتقول كتابتها انها عملت فى طراز العامة بتونة سنة سبع وعشرين وأربعمائة » وثانيتهما تحت رقم (١٢٣٧٣) وتقول كتابتها أنها عملت « ٠٠ فى طراز العامة بتونة سنة أربعين وأربعمائة » وثالثتهما تحت رقم (١٠١٤) وتقول كتابتها التي لا تحمل تاريخها انها عملت « ٠٠ فى طراز العامة بتونة ٠٠ » ٠

راجع عن هذه القطع أيضا :

Ibid. : Tome : 7, p. 12, No. 2417, Tome : p. 85, No. 2536, Tome. 5, p. 179, No. 1977

٧٠٤ ـ راجع أيضا :

Ibid Tome : 5, p. 30.

٧٠٥ ـ هذه القطعة طولها (٤٣رم) راجع عنها أيضا :

Ibid Tome : 6, pp. 35-6, No. 2076.

وهناك قطعة أخرى من صناعة تونة فى متحف المتروبوليتان بنيويورك لم نشر اليها فى النص لانها لا تشتمل على تاريخ ولو أنها باسم المستنصر بالله الفاطمى تقول كتابتها انها عملت « ٠٠ فى طراز العامة بتونة ٠٠٠ » ٠

راجع عنها أيضا :

Ibid : Tome : 6, p. 670, No. 2507.

٧٠٦ ـ هذه القطعة طولها (٣١رم) راجع عنها أيضا :

Ibid : Tome 5, p. 10, No. 1621.

٧٠٧ ـ هذه القطعة طولها (٣٢رم) وكتابتها من سطرين بالخط الكوفى البسيط راجع عنها أيضا :

Ibid : Tome 5, p. 172, No. 1957.

٧٠٨ ـ هذه القطعة طولها (٦٠رم) راجع عنها أيضا :

Ibid : Tome : 6, p. 20, No. 2048.

٧٠٩ ـ هذه القطعة طولها (٤٣رم) راجع عنها أيضا :

Ibid Tome : 6, p. 160, No. 2300.

٧١٠ ـ هذه القطعة طولها (٣٨رم) راجع عنها أيضا :

Ibid Tome : 5, p. 20, No. 1640.

٧١١ ـ هذه القطعة طولها (٢٧رم) راجع عنها أيضا :

Ibid : Tome. 6. p. 60, No. 2114.

٧١٢ ـ راجع عنها أيضا :

Ibid: Tome 6, pp. 61-2, No. 2117.

٧١٣ ـ وصف مصر : جـ ٣ ص : ٤١ ٠

٧١٤ ـ ابن عبد الحكم : المصدر السابق : ص : ٥٤ ٠

٧١٥ ـ البلاذرى : المصدر السابق : جـ ٣ ص ص : ٧٥٦ ـ ٧٥٧ ٠

٧١٦ ـ الكندى : المصدر السابق : ص : ٢٦ ٠

٧١٧ ـ ابن حوقل : المصدر السابق : ص ص : ١٣٦ ، ١٤٩ ٠

٧١٨ ـ الاصطخرى : المصدر السابق : ص : ٥٣ ٠

٧١٩ ـ المسبحى : المصدر السابق : جـ ١ ص ٧٦ ح ١ ٠

٧٢٠ ـ ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص : ٥٤ ٠

٧٢١ ـ ياقوت : المصدر السابق : جـ ٤ ص ص : ٢٥٥ ـ ٢٥٦ ٠ وراجع أيضا : عبد العال الشامى : المرجع السابق : ص : ٤٧ ٠

٧٢٢ ـ المقريزى : الخطط : جـ ٢ ص ص : ٣٩٦ ـ ٣٩٨ وانظر أيضا : محمود عكوش : المرجع السابق : ص ص : ٣٠ ـ ٣٢ ٠

٧٢٣ ـ علي باشا مبارك : المرجع السابق : جـ ١٤ ص ص : ٧٣ ـ ٧٥ ٠

٧٢٤ ـ ابن دقماق : المصدر السابق : جـ ٢ ص ٥٣ ٠

٧٢٥ ـ محمد رمزى : المرجع السابق : ق ١ ص ٩١ وانظر أيضا : الفريد بتلر : المرجع السابق : ص ص : ١٨٥ ـ ١٨٦ ، الموسوعة العربية الميسرة : ص : ١٢٩١ ٠

٧٢٦ ـ المقدسى : المصدر السابق : ص : ٢٠٣ ٠

٧٢٧ ـ ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص : ٥٤ ٠

٧٢٨ ـ سيدة كاشف : المرجع السابق : ص : ٢٩٧ وانظر أيضا : زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين : ص : ١١٦ ، فنون الاسلام (لنفس المؤلف) ص : ٣٤٧ ٠

٧٢٩ ـ الكندى : المصدر السابق : ص ص : ٥٢ ـ ٥٣ ٠

٧٣٠ ـ ابن حوقل : المصدر السابق : ص : ١٣٦ ٠

٧٣١ ـ ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص : ٥٤ ٠

٧٣٢ ـ المقدسى : المصدر السابق : ص : ٢٠٣ ٠

٧٣٣ ـ ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص ٥٤ ٠

٧٣٤ ـ المقدسى : المصدر السابق : ص : ٢٠٣ ٠

٧٣٥ ـ المسبحى : المصدر السابق : جـ ١ ص ٦ ح ٢ وراجع نفس المعلومات أيضا فى : ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص : ٥٣ ح ٥ ٠

٧٣٦ ـ راجع عن التشكيل الأول : ياقوت : المصدر السابق : جـ ٢ ص : ٤٣٧ وعن التشكيل الثانى : عبد العال الشامى : المرجع السابق : ص ١٨ ٠

٧٣٧ ـ المقريزى : الخطط : جـ ١ ص : ٤٢٣ ٠

٧٣٨ ـ ابن دقماق : المصدر السابق : جـ ٢ ص : ٨٩ ٠

٧٣٩ ـ محمد رمزى : المرجع السابق : ق ١ ص ٢٤٣ وانظر أيضا ٠ الموسوعة العربية الميسرة : ص ٧٨٤ ٠

٧٤٠ ـ اليعقوبى : المصدر السابق : ص : ٣٣٨ ٠
٧٤١ ـ المسبحى : المصدر السابق : جـ ١ ص ٦ ح ٢ ٠
٧٤٢ ـ الادريسى : المصدر السابق : ص : ١٥٦ ٠
٧٤٣ ـ عبد العال الشامى : المرجع السابق : ص ص : ١٨ ، ٢٢ ، ٤٣ وانظر أيضا : س٠ د٠ جوتاين : المرجع السابق : ص : ١٧٢ ٠
٧٤٤ ـ ابن مماتى : المصدر السابق : ص : ٨١ ٠
٧٤٥ ـ المقريزى : الخطط : جـ ١ ص : ٤٢٣ ٠
٧٤٦ ـ السيوطى : المصدر السابق : جـ ٢ ص : ٢٢٩ ٠
٧٤٧ ـ ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص : ١٤٦ ٠
٧٤٨ ـ سعاد ماهر : الفن القبطى : ص : ٤٥ وانظر أيضا : رؤوف حبيب : المرجع السابق : ص ٥٣ ٠
٧٤٩ ـ انظر مثلا : زكى محمد حسن : فنون الاسلام : ص : ٣٤٧ ، سعاد ماهر : النسيج الاسلامى : ص : ٤٢ ، م٠ س٠ ديماند : المرجع السابق : ص : ٢٥٠ ، مصطفى حسين : المرجع السابق : ص ص : ٤٩ ـ ٥٠ ، عبد الله حسين : المرجع السابق : ص : ٣٩ ، عمر كحالة : المرجع السابق : ٢٥٣ ٠
٧٥٠ ـ سيدة اسماعيل كاشف : المرجع السابق : ص : ٢٩٧ ٠
٧٥١ ـ انظر فى ذلك : آدم متز : المرجع السابق : جـ ٢ ص : ٣٥٢ ، محمد جمال الدين سرور : مصر فى عصر الدولة الفاطمية : ص : ٢٠٠ ، زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين : ص ١١٦ ، راشد البراوى : المرجع السابق : ص : ٣٨٣ ٠
٧٥٢ ـ محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون فى مصر : ص ص : ٢٩٥ ـ ٢٩٦ ، تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق (لنفس المؤلف) : ص ص : ١٣٥ ـ ١٣٦ ٠
٧٥٣ ـ هذه القطعة مسجلة تحت رقم (١٠٢٧٠) طولها (٣٧رم) راجع عنها أيضا :
Reper. chrono. d'épigraph ; Arab. Tome : 3, p. 60.
٧٥٤ ـ هذه القطعة مسجلة تحت رقم (١٠٦٩٥) وطولها (٦٧رم) وقد قرىء اسمها فيما نشر من الكتابات العربية المرتبة تاريخيا « دمعو » ونحن نعرف مما سبقت الاشارة اليه عن المدينة وتاريخها أن موقعها لا يزال يعرف حتى اليوم « بتل دبقو » ٠ وهنا يتضح أنه لا فرق يذكر بين الكلمتين الا لمن يعرف العربية ، وغنى عن التعريف أن أصحاب المرجع الذى بين أيدينا ليسوا من أبناء العربية وانما هم من أوائل المستشرقين الفرنسيين ٠ راجع أيضا :
Reper. chrono. d'epigraph. Arab. Tome 6, p. 40.
٧٥٥ ـ هاتان القطعتان بطول (٤٠رم) ، (٢٩رم) راجع عنهما أيضا :
Ibid : Tome 6, p. 59.
٧٥٦ ـ على باشا مبارك : المرجع السابق : جـ ٩ ص : ٣٦ ، وقد تأكدت هذه المعلومات التى ذكرها على باشا مبارك فيما ورد فى : قاموس جغرافى للقطر المصرى : ص ١٢٦ ٠
٧٥٧ ـ الادريسى : المصدر السابق : ص : ١٥٦ ٠
٧٥٨ ـ ياقوت : المصدر السابق : جـ ١ ص : ٣٢٠ ٠
٧٥٩ ـ عبد العال الشامى : المرجع السابق : ص : ٢١ ٠
٧٦٠ ـ على باشا مبارك : المرجع السابق : جـ ٩ ص : ٣٦ ٠

الباب الثالث

مراكز الصناعة بالوجه القبلى

الوجه القبلى كما عرف تعليقا على ما ذكره البلاذرى فى القرن ٣هـ/٩م) هو الصعيد ، وقد وصف بانه بلاد واسعة فى مصر تطلق على كل ما كان فى جنوب القاهرة اليوم (الفسطاط قديما) حتى أسوان (٧٦٣) . وقد قسمه ياقوت فى القرنين (٦ ــ ٧هـ/١٢ ــ ١٢ م) الى ثلاثة أقسام هى ، الصعيد الاعلى وحدوده من أسوان جنوبا الى اخميم شمالا ، ثم الصعيد الاوسط وحدوده من اخميم الى البهنسا ، وأخيرا الصعيد الأدنى وحدوده من البهنسا الى قرب الفسطاط (٧٦٤) ، وتمشيا قدر المستطاع مع ما ذكره ياقوت فان حديثنا عن مراكز الصناعة بالوجه القبلى سينقسم الى ثلاثة فصول يختص الاول منها بمراكز الصعيد الادنى مشتملا على محافظات الجيزة وبنى سويف والفيوم ، ويختص الثانى بمراكز الصعيد الأوسط مشتملا على محافظتى المنيا وأسيوط ، ويختص الثالث بمراكز الصعيد الأعلى مشتملا على محافظتى قنا وأسوان .

ولسنا فى هذا الصدد بحاجة الى تكرار القول بأن مراكز الصناعة هذه التى انتشرت فى كثير من بلدان الوجه القبلى كانت قد ساهمت ــ الى جانب مراكز الصناعة بالوجه البحرى ــ بدور كبير فى تشكيل البنية الاجتماعية لمراكز مصر الحضارية فى عصورها الاسلامية المختلفة ولاسيما فى محيط أقاليمها المحلية ، لأنها كانت رؤوسا صناعية واقتصادية ومن ثم حضارية لهذه الأقاليم حيث مورست فيها صناعات عديدة تلبية لحاجات سكانها المحلية من ناحية ، ولمد الأسواق الوطنية الأخرى بما تحتاج اليه من ناحية ثانية ، ولتصدير ما يفيض عن حاجة هذه الاسواق من الانتاج ذى الجودة العالية من ناحية ثالثة ، وأكثر من ذلك أن هذه المراكز بما أنتجته من سلع حرفية وصناعية كانت تكمل مع ما أنتجته مراكز الوجه البحرى وحدة صناعية مصرية متكاملة تبوأت مصر بسببها ــ كما قلنا ــ مركز الصدارة فى العالم المعاصر ، فكانت بذلك محط أنظار هذا العالم وملاذه الذى يلجأ اليه فى استيفاء كثير من متطلباته السلعية الحرفية والصناعية وهو أمر ساعد بغير شك ــ الى جانب التشكيل الحضرى لهذه المراكز ــ فى تدعيم خزانة الدولة بكثير من الأموال .

الفصل الأول

الصعيد الأدنى

ان ما لدينا من معلومات تاريخية عن مراكز الصناعة بالصعيد الأدنى يحصر هذه المراكز - كما قلنا - فى محافظات الجيزة وبنى سويف والفيوم .

أولا : محافظة الجيزة

الجيزة مدينة بمصر على الضفة الغربية للنيل تجاه القاهرة ، وهى عاصمة المحافظة المسماة بذات الاسم ومقرها الادارى ، والواقع أننا لم نجد فيما أتيح لنا معرفته خاصا بمحافظة الجيزة الا بعض المعلومات غير الكافية عن مركزين فقط هما الصالحية والبدرشين : وقبل أن نتحدث عن هذين المركزين يجب أن نشير أولا الى ان الجيزة هذه كما عرفها ياقوت فى القرنين (٦ - ٧ هـ / ١٢ - ١٣ م) هى بليدة فى غربى فسطاط مصر لها كورة كبيرة واسعة من أفضل كورها ، ليس هذا فقط بل لقد أشار الى أنه لما ملك عمرو بن العاص الاسكندرية ورجع الى الفسطاط جعل طائفة من جيشه بالجيزة خوفا من عدو يغشاهم من تلك الناحية فجعل بها آل ذى أصبح من حمير وهمدان وآل رعين وطائفة من الازد وطائفة من الحبشة ، فلما استقر بالفسطاط أمرهم بالانضمام اليه فكرهوا ذلك فكتب بخبرهم الى عمر بن الخطاب فأمره أن يبنى لهم حصنا ، فكرهوا بنيان الحصن أيضا وقالوا حصوننا سيوفنا (٧٦٥) .

١ - الصالحية :

الصالحية كما وردت فى القاموس الجغرافى هى ناحية بمركز الصف باقليم الجيزة ، (٧٦٦) أشار اليها ناصر خسرو فى القرن (٥ هـ / ١١م) بقوله « حتى وصلنا الى مدينة تسمى الصالحية وهى ريف كثير النعمة ذو وفرة فى المواد الغذائية فيه أحواض كثيرة لبناء السفن» (٧٦٧) .

ورغم أن هذه الاشارة التى أوردها ناصر خسرو عن صناعة السفن فى الصالحية خلال العصر الفاطمى تفتقر الى أدلة تاريخية أخرى لتدعيمها وتعزيزها ، فان هذا لا يعنى عدم التصديق من جانبنا بما جاءت به لاسيما ونحن نعرف أن كتابات الرحالة عموما لا تأتى الا بمشاهدة عين وهو أمر يصعب الشك فيه كثيرا ·

٢ ـ البدرشين :

البدرشين كما أوردها ابن دقماق فى القرن (٩هـ/١٥م) كموقع وتاريخ هى مدينة منف أو مصر القديمة ، وقد سماها « البدرشين أم عيسى » وقال « ان عمرو بن العاص خربها عندما فتح مصر وبنى مدينة الفسطاط » (٧٦٨) كذلك فقد أشار اليها على باشا مبارك فى القرن (١٣ هـ /١٩م) بهذه الصفة وقال انها « من البلاد المشهورة بمديرية الجيزة بالجانب الغربى للنيل ، وأضاف الى ذلك آنه كان بها قصر لزليخا امرأة العزيز التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم فى قوله عز من قائل « وقال نسوة فى المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا انا لنراها فى ضلال مبين » (٧٦٩) فلما وضع يوسف يده على خزائن الأرض خرج يوما فى موكب للنزهة على البحر فقابلته زليخا هذه وقالت سبحان من أذل الملوك وأعز العبيد فقال لها من أنت قالت زليخا وقال أصبح البدرشينا فسميت المدينة من يومها بالبدرشين وظلت تحمل هذا الاسم الى اليوم (٧٧٠) ·

ومن البدرشين كموقع وتاريخ نأتى الى الحديث عنها كمركز صناعى ، والواقع أن معلوماتنا فى هذا الصدد ليست كافية بالقدر اللازم حتى الآن ، اذ لم نعثر فيما يخصها من هذا المجال الا على القليل من المعلومات ممثلة فى مرجعين اثنين تكلم صاحب أولهما عنها فى العصر البيزنطى وعدها من بين المدن التى عرفت منذ العهود القديمة بصناعة الأقمشة الكتانية الشعبية بل واعتبرها من المراكز التى لازالت تحتفظ بشهرتها فى هذا المجال حتى اليوم (٧٧١) ، وعلى الرغم من أنه ليست لدينا معلومات تاريخية مؤكدة تثبت ترجيح هذا الرأى حتى الآن الا أننا لا نستطيع استبعادها كلية ، خاصة وأن الصناعات النسيجية الشعبية كانت كما نعلم تصنع فى كثير من بلدان مصر بالوجهين البحرى والقبلى بغير اشراف من الدولة ، وعلى ذلك فليس من المستبعد أن تكون المدينة التى بين أيدينا واحدة من المدن التى مورست فيها هذه الصناعة خلال الفترة المشار اليها ·

أما فى العصر الاسلامى فليس لدينا عن البدرشين فى هذا الصدد الا ما ذكره على باشا مبارك حين قال « وبها تسع عشرة مصبغة وثمان طواحين ومعصرة زيت وأنوال لنسج مقاطع الكتان وغيره . وفى جهتها البحرية معمل بارود وبها فابريقة لصناعة السكر » (٧٧٢) ومعنى هذا أن المدينة كانت تمارس فى القرن (١٣هـ/١٩م) صناعة المنسوجات الكتانية وصباغتها ، بالاضافة الى بعض الأنشطة الصناعية التى اعتمدت على منتجات زراعية مثل طحن الغلال واستخراج الزيت وصناعة السكر ، وربما كان فيما لازالت تمارسه المدينة حتى اليوم من صناعة الاكلمة الممتازة مما يرجح بعضا مما ذهب اليه على باشا مبارك .

ثانيا : محافظة بنى سويف

بنى سويف محافظة فى مصر بالوجه القبلى بين محافظتى الجيزة والمنيا عاصمتها بنى سويف وهى من الاقسام الادارية الحديثة التى تكونت لأول مرة سنة (١٨٣٢م) وقد ضمت الى مديرية الفيوم أكثر من مرة حتى أصبحت مديرية قائمة بذاتها سنة (١٨٧٠ م) وقد ذكرها على باشا مبارك بقوله هى « مدينة كبيرة بالصعيد الأدنى ورأس المديرية المسماة بذات الاسم تقع قبلى بوش على الشاطىء الغربى من النيل » (٧٧٣) ويبدو أنها كانت خلال العصر الاسلامى من المحافظات النشطة فى مجال الحرف والصناعات ، يدل على ذلك ما اشتملت عليه خلال هذا العصر من المراكز الصناعية العديدة مثل اهناسيا ونويرة وبوش وطحا ودلاص وسمسطا .

١ ــ اهناسيا :

تحدثت المصادر العربية كثيرا عن موقع وتاريخ مدينة اهناسيا وأفاضت فى ذلك الى حد بعيد ، فتوالت علينا المعلومات التاريخية عنها بدءا من القرن (٣هـ/٩م) وحتى القرن (١٠هـ/١٦م) وما بعده ، من ذلك ما ذكره الكندى فى القرنين (٣ ــ ٤هـ/٩ ــ ١٠م) حين قال « وبها (أى مصر) النخلة التى ولدت مريم عيسى تحتها بسدمنت من كورة اهناس » (٧٧٤) ، وحول نفس المعنى جاءت اشارة ابن حوقل فى القرن (٤هـ/١٠م) حين قال « وبها ولد عيسى عليه السلام بكورة اهناس ولم تزل نخلة مريم تعرف باهناس الى آخر أيام بنى أمية » (٧٧٥) ، أما ما ورد تعليقا على اشارة المسبحى اليها فى القرنين (٤ ــ ٥هـ/١٠ ــ ١١ م) فقد ذكرت فيه باسم اهناسية (بالتاء المربوطة) وقيل بأنها « احدى القرى الكبيرة فى مركز بنى سويف بكورة البهنسا » (٧٧٦) وقد اختلف

هذا التعليق مع ما ذكرته معظم المصادر العربية فى أمرين أولهما أنه جعلها من كورة البهنسا وهى عند الكندى وابن حوقل - كما رأينا - كورة بذاتها ، وثانيهما أنه جعلها قرية وهى كما ذكرها الادريسى فى القرنين (٥ - ٦ هـ/١١ - ١٢ م) « مدينة صغير متحضرة الأهل واسعة الخيرات جامعة للبركات نامية الزراعات وكل شىء من المأكول بهـا رخيص » (٧٧٧) ٠

أما ياقوت فقد ذكرها فى القرنين (٦ - ٧ هـ/١٢ - ١٣م) بتفصيل أكبر حين قال ان « اهناس اسم لموضعين بمصر أولهما اهناس الصغرى وهى قرية كبيرة فى كورة البهنسا وثانيهما اهناس المدينة وهى كورة فى الصعيد الادنى أضيفت نواحيها (فيما بعد) الى كورة البهنسا ومدينتها قديمة أزلية خرب أكثرها وهى على غربى النيل ليست بعيدة عن الفسطاط ، وذكر بعضهم أن المسيح عليه السلام كان قد ولد فى اهناس ، وأن النخلة المذكورة فى القرآن المجيد كانت موجودة هناك وأن مريم عليها السلام كانت قد أقامت بها الى أن كبر المسيح وسافر الى الشام » (٧٧٨) ثم جاء المقريزى فى القرنين (٨ - ٩ هـ/١٤ - ١٥ م) وكرر ما أشارت اليه المصادر العربية قبله ولا سيما ما ذكره ابن حوقل حين قال انها « كورة من كور الصعيد يقال أن عيسى بن مريم عليه السلام ولد بها ، وأن نخلة مريم التى ذكرت فى قوله تعالى « وهزى اليك بجذع النخلة » لم تزل بها الى آخر أيام بنى أمية » (٧٧٩) ٠ وبنفس المعنى أشار اليها ابن دقماق فى القرن (٩ هـ/١٥ م) الا أنه زاد عليه أن « عبرتها (١٨٫٠٠٠) دينار ومساحتها (٣٦٥٠) فدانا » (٧٨٠) ٠

كذلك فقد ذكرها ابن ظهيرة فى القرن (١٠هـ/١٦م) باقتضاب كبير حين قال « ومنها (أى من مصر) مدينة اهناس وأبنيتها وعجائبها » (٧٨١) وفى تعليق على ذلك عرف محقق الكتاب اهناسيا بقوله « أهناس أو اهناس المدينة : قرية كبيرة بكورة البهنسى بمصر عرفت بالمدينة لتمييزها عن اهناس الصغرى التى تعرف الآن باهناسية الخضراء ، ولا تزال أطلال مدينة اهناس القديمة ظاهرة بالقرب من مساكن القرية الحالية بمركز بنى سويف » (٧٨٣) ٠

ومع أن ياقوت - كما رأينا - كان قد جعل اهناس اسم لموضعين بمصر أحدهما الكورة التى بين أيدينا من الصعيد الأدنى والأخرى اهناس الصغرى من كورة البهنسا ، الا أن على باشا مبارك قد جعل « اهناس اسم لثلاث قرى متجاورة ببنى سويف فى جنوب اللاهون

كبراهن واقعة على جسر النويرة فى المحل المعـــروف بالباطن ثم قال « وكانت اهناس أو اهناسية قاعدة اقليم يشتمل على خمس وتسعين قرية والظاهر أنهـــا هى المدينة التى سماها اليونان هرقليوبوليس ، وكانت قديما ذات أسقفية على الشاطىء الغربى لبحر يوسف » (٧٨٣) وكانت أهناسيا عاصمة الاقليم العشرين من أقاليم الصعيد وفيها عبد المصريون الههم « جريشاف » الذى صـوروه على هيئة الكبش وهو الذى ساواه الاغريق بمعبودهم « هرقل » ومن هنا أطلقوا على المدينة اسم « هرقليوبوليس ماجنا » ٠

هذا عن مدينة أهناسيا كموقع وتاريخ ، أما فيما يختص بها كمركز صناعى فان ما لدينا من معلومات تاريخيـــة وردت بشأنها فى بعض المصادر والمراجع العربيـــة يؤكد أنهـــا كانت مركزا لصـــناعة المنسوجات (٧٨٤) ، وكذا لبعض الصناعات والحرف التى اعتمدت على المنتجات الزراعية وربما كانت مركزا لصناعة الزجاج أيضا ٠

(أ) صناعة النسيج :

يغلب على الظن أن اهناسيا كانت كما ورد فى بعض المراجع العربية مركزا لصناعة المنسوجات الكتانيـة والصوفية بصفة خاصة منذ العصر البيزنطى ، ورغم أننا لا نملك أدلة كافية لتأكيد هذا الرأى حتى الآن ، الا أن رجاحة استنتاجه تقوم أولا على أن الاقليم كان ولا يزال اقليمـا زراعيا خصبا تكثر فيه زراعة الكتان ، وتقوم ثانيا على أن هذه الصناعة كانت قد تطورت فى المدينة كثيرا خلال العصر الاسلامى المبكر مما يؤكد أن أساسا لها لا بد أنه كان قد بنى خلال الفترة المشار اليها ٠

وقد احتفظت المدينة بتقاليدهـــا الصناعية فى العصر الاسلامى ، يؤكد ذلك مما أشارت اليه بعض المصـادر العربية ما ذكره فى القرنين (٣ ـ ٤هـ / ٩ ـ ١٠م) كل من اليعقوبى والكندى حيث قال الأول « مدينة اهناس وبها تعمل الاكسية » (٧٨٥) ، ولعله يقصد بذلك الاكسية الصوف المرعز التى أشار اليها الثانى بقوله « وذكر بعض أهل مصر أن معاوية لما كبر كان لا يدفأ ، فأجمعوا أنه لا يدفئه الا الأكسية تعمل فى مصر من صوفها المرعز العسلى غير المصبوغ فعمل له منها عددا فما احتاج منها الا واحد » (٧٨٦) ويؤكده أيضا مما أوردته بعض المراجع العربية الحديثة أن المنسوجات الصوفيـــة والقطنية والكتانيـــة كانت تعمـــل خلال العصر الاســـلامى فى كثير من بـلاد مصر العليـــا ولا سيما اهناسيا (٧٨٧) :

ب - صناعات وحرف تعتمد على منتجات زراعية :

رغم شهرة اهناسيا الأساسية فى مجال صناعة النسيج كما رأينا الا أنها - كانت على ما يبدو - مركزا لبعض الصناعات والحرف التى اعتمدت على المنتجات الزراعية ولاسيما عصر الزيوت وعمل النيدة ، يؤيد ذلك ما أشار اليه ابن ظهيرة فى القرن (١٠ هـ / ١٦ م) حين قال «وأول ما صنعت النيدة (٧٨٨) بها للمسيح عليه السلام أمرت أمه (بعملها) بوحى من الله تعالى عندما احتاج الى الأكل ، ثم أضاف فى نفس الموضع أن « بها ثمار الزيتون » .

وربما كان ذلك يعنى أن عصر الزيوت كان من بين أنشطة المدينة خلال هذه الفترة ، كذلك فقد أشارت بعض المراجع العربية التى تحدثت عن العصر الفاطمى الى أنه قد عثر على بقايا تحف زجاجية فى البهنسا واهناسيا المدينة ، وان صح ذلك فانه يعنى أن المدينة كانت علاوة على ما ذكر من صناعتها وحرفها مركزا لصناعة التحف الزجاجية خلال العصر المشار اليه (٧٨٩) .

٢ - بوش :

لقد سجلت لنا المصادر العربية بعض المعلومات الكافية الى حد كبير عن مدينة بوش سواء بالنسبة لموقعها وتاريخها أو بالنسبة لصناعة النسيج فيها .

فقد جاء فيما ذكره ياقوت فى القرنين (٦ - ٧هـ / ١٢ - ١٣م) أنها « كورة ومدينة بمصر من نواحى الصعيد الأدنى فى غربى النيل بعيدة عن الشاطىء ينسب اليها أبو الحسن على بن ابراهيم البوشى » (٧٩٠) والواقع أن ياقوت كان قد أعطى صفة المدينة لبلدان كثيرة فى مصر غير قواعد الكور مثل اسنا وقنا وبوش ودلاص وغيرها ، وكلها كانت على ما يبدو قواعد فى فترة الكور الصغرى ، ولعله وصفها بصفة الحضرية اما قياسا على سابق وظيفتها الادارية أو باعتبارها الصفة الحضرية لها حتى عصره (٧٩١) .

كذلك فقد جاء ذكر بوش فيما قيل تعليقا على ما ذكره ابن تغرى بردى فى القرن (٩ هـ / ١٥ م) بأنها كانت « مدينة من نواحى الصعيد الأدنى فى غربى النيل ثم صارت قرية من قرى بنى سويف » (٧٩٢) .

هذا فيما يتعلق ببوش كموقع وتاريخ أما فيما يختص بها كمركز صناعى فقد جاء ذكره فى مصدرين أساسيين من المصادر العربية أولهما

ما أشار اليه ياقوت فى القرنين (٦ ـ ٧هـ / ١٢ ـ ١٣م) بقوله «ومنها المناديل البوشية نسبة الى بوش » (٧٩٣) وهو قول يوضح أن المدينة كانت مركزا لصناعة النسيج خلال هذه الفترة وقبلها ، وثانيهما ما ذكره ابن بطوطة فى القرن (٨هـ / ١٤م) حين قال « ثم سرت منها (يقصد من منية القائد) الى مدينة بوش وهذه المدينة أكثر بلاد مصر كتانا ومنها يجلب الى سائر الديار المصرية والى افريقية » (٧٩٤) ومن هذا النص الهام الذى ذكره ابن بطوطة من واقع زيارته الشخصية للمدينة ومشاهدته لما كان يصنع فيها بعينى رأسه تتضح لنا حقيقتان هامتان: أولاهما أن هذا النص جاء ليؤكد ما أشار اليه ياقوت قبله بقرنين من الزمان تقريبا بما يدل على أن المدينة فعلا كانت مركزا من مراكز صناعة المنسوجات الكتانية منذ القرن (٦هـ / ١٢م) وحتى القرن (٨هـ /١٤م) على أقل تقدير ، وثانيهما أن هذه المنسوجات الكتانية التى كانت تصنع فى مدينة بوش كانت على درجة عالية من الجودة وحسن الصنعة والا لما جلبت الى سائر الديار المصرية من ناحية ولما صدرت الى البلدان الافريقية من ناحية أخرى .

٣ ـ طحا :

لقد تركت لنا المصادر العربية معلومات تكاد تكون وافية عن مدينة طحا سواء فى ذلك ما يتعلق بها كموقع وتاريخ أو ما يخصها كمركز صناعى .

فقد أشار اليها فى القرن (٤هـ/ ١٠م) كل من ابن حوقل والمقدسى فوصفها الأول بالمدينة وقال ان « منها أبو جعفر الطحاوى الفقيه العراقى » (٧٩٥) ، وجعلها الثانى قرية دون بقية المؤرخين حين قال « وهى قرية بالصعيد » (ولم يزد) (٧٩٦) ثم جاء الادريسى فى القرنين (٥ ـ٦هـ / ١١ ـ ١٢م) فأوضح ما لم يوضحه المقدسى حين قال « وهى مدينة مشهورة أسفل من مدينة الاشمونين » (٧٩٧) .

أما ياقوت فى القرنين (٦ ـ ٧ هـ / ١٢ ـ ١٣ م) فقد أثرى معرفتنا عن هذه المدينة كثيرا بما لم يذكره غيره من المؤرخين حين قال أن طحا من الطحو وهو المد أو البسط ومنه قوله تعالى : (والأرض وما طحاها) وهى كورة بمصر شمال الصعيد فى غربى النيل ، ثم كرر ما ذكره ابن حوقل عنها فيما يختص بأبى جعفر الطحاوى الا أنه جعله فقيها حنفيا مصريا لا عراقيا مات سنة (٣٢١ هـ / ٩٣٣ م) (٧٩٨) .

كذلك يتضح مما أشار اليه على باشا مبارك فى القرن (١٣هـ / ١٩ م) أن هناك ثلاث جهات بهذا الاسم فى الصعيد الأدنى أولاها طحا بوش وهى قرية من مديرية بنى سويف فى الجنوب الغربى لقسم بوش بها جامع ونخيل قليل ، وثانيتها طحا البيشان وهى من مديرية بنى سويف أيضا لم يذكر فيما يخصها شيئا صناعيا أو حرفيا ، وثالثتها طحا العمودين ويقال لها طحا الأعمدة وهى بلدة متوسطة بين البحرين الأعظم واليوسفى سماها القبط كليوت أحيانا وطوحو أحيانا أخرى ، وقد جعلت هذه البلدة فى أحد دفاتر التعداد من توابع البهنسا وفى دفتر آخر من توابع الأشمونين ، ثم قال ان سكان طحا فى صدر الاسلام كانوا خمسة عشر ألف نفس كلهم نصارى (٧٩٩) ، ومما ذكره على باشا مبارك يمكن القول ان طحا المركز الصناعى الذى أشارت اليه المصادر العربية بطحا غير منسوبة هى « طحا الأعمدة » التى كان كل سكانها نصارى لأننا نعرف ما كان لهؤلاء من دور فى مجال صناعة النسيج فى مصر فى العصر الاسلامى بشكل عام وفى بداية هذا العصر بشكل خاص ٠

ومن طحا كموقع وتاريخ نأتى الى الحديث عن طحا كمركز صناعى، والذى لاشك فيه أن اشارات هامة فى هذا الخصوص وردت فى كثير من المصادر والمراجع العربية مؤكدة أن هذه المدينة كانت مركزا من مراكز صناعة النسيج فى مصر الاسلامية منذ القرن (٤هـ / ١٠م) وحتى القرن (٦هـ / ١٢م) على أقل تقدير ، كما اشتهرت أيضا بممارسة بعض الصناعات المعدنية منذ القرن (٣هـ / ٩م) ٠

(أ) صناعة النسيج :

أشار ابن حوقل الى مدينة طحا فى القرن (٤هـ / ١٠م) بقوله « طحا مدينة أيضا فيها غير طراز » (٨٠٠) ويعنى ذلك صراحة أن المدينة كانت تشتمل على أكثر من مصنع للنسيج ، وربما اشتملت هذه المصانع على نوعى الطراز المعروفين العام والخاص ،ويؤيده أيضا ما أورده المقدسى فى نفس القرن المشار اليه بقوله « وطحا قرية بالصعيد تعمل بها الثياب الصوف الرفيعة (٨٠١) وقد أغنانا المقدسى بوصفه لهذه الثياب الصوف بالرفيعة عن التعليق على جودتها ومكانتها وحسن ذوقها ، ويؤكده فوق هذا وذاك ما أشار اليه الادريسى فى القرنين (٥ ـ ٦هـ / ١١ ـ ١٢م) بقوله « ومنها مدينة طحا ٠٠ وهى مدينة مشهورة تعمل بها وفى طرزها ستور صوف وأكسية صوف منسوبة اليها » (٨٠٢) ٠

ولم يقتصر ما ورد عن صناعة النسيج بطحا خلال العصر الاسلامى على ما أشير اليه من مصادر عربية مؤكدة ، بل لقد ورد ذلك أيضا فى كثير من المراجع الحديثة ، ويتضح مما أجمعت عليه هذه المراجع أن

مصانع الطراز بالمدينة كانت قد تخصصت خلال العصر المشار اليه في انتاج الأقمشة الصوفية الرفيعة بأنواعها (٨٠٣) .. واجماع هذه المراجع تمشيا مع ما جاء في المصادر على وصف تلك الأقمشة بالرفيعة انما يعني حقيقة أنها كانت كما قلنا على درجة عالية من الجودة وحسن الصنعة وجمال الذوق .

(ب) صناعة المعادن :

الواقع أننا لا نملك فيما يتعلق بصناعة المعادن في طحا مما أتيح لنا معرفته والاطلاع عليه الا ما ذكره اليعقوبي في القرن (٣ هـ / ٩م) حين قال ان من مدينة طحا « القمح الموصوف والكيزان ويسميها أهل مصر البواقيل » (٨٠٤) وأيا كان الأمر فان معنى ذلك أن صناعة هذه الكيزان التي سميت بالبواقيل (والتي كانت في غالب الظن معيارا للكيل) كانت تصنع في المدينة خلال العصر الذي عاش فيه اليعقوبي وقبله على أقل تقدير وربما بعده أيضا .

٤ - دلاص :

دلاص كما ذكرها ياقوت في القرنين (٦ - ٧هـ / ١٢ - ١٣م) هي « كورة بصعيد مصر على غربي النيل أخذت من البر ، تشتمل على قرى وولاية واسعة ، ودلاص مدينتها معدودة في كورة البهنسا منها أبو القاسم حسان بن غالب الدلاصي يروى أنه توفي بدلاص سنة (٢٢٣ هـ / ٨٣٧ م) » (٨٠٥) وقد سبقت الاشارة عند الحديث عن بوش أن ياقوت كان قد أعطى صفة المدينة لبعض البلدان المصرية من غير قواعد المدن مثل اسنا وقنا وبوش ودلاص وغيرها ، ويغلب على الظن أنه أعطى كلا من هذه البلدان صفة المدينة - كما قلنا - اما قياسا على سابق وظيفتها الادارية لأن كلا منها كانت كورة في فترة الكور الصغرى ، واما باعتبارها الصفة الحضرية التي كانت لكل منها حتى عصره (٨٠٦) ، أما ابن دقماق في القرن (٩هـ / ١٥م) فلم يذكر سوى أن « عبرتها (٣٢,٠٠٠) دينار ومساحتها (٥٨٧٨ فدانا » (٨٠٧) . ثم جاء على باشا مبارك في القرن (١٣هـ / ١٩ م) وفصل كثيرا في تاريخ هذه المدينة فقال نقلا عن كاترمير - انها ذكرت في مواضع كثيرة من كتب القبط
فقال نقلا عن كاترمير - انها ذكرت في مواضع كثيرة من كتب القبط
التي أسماها العرب « ديلاص » ، ثم أشار الى أنها وردت في دفاتر التعداد من توابع البهنسا ، وقال انها واقعة بين منف والفيوم على ثمانية فراسخ من الأولى وعشرين فرسخا من الثانية (الفرسخ ثلاثة أرباع الميل) ، وأن منها والد العلامة شريف الدين محمد البوصيري صاحب

الهمزة والبردة ، نسب الى بوصير لأن أمه كانت منهـا ولكونه نشـأ بها . وقد يقال له الدلاصيرى نسبة الى البلدين من باب النحت (٨٠٨).

هذا عن دلاص كموقع وتاريخ ، اما فيما يتعلق بها كمركز صناعى فان ما لدينـا من معلومات تاريخية يثبت بما لا يدع مجالا للشك أن هذه المدينة كانت مركزا لبعض الصناعات الهامة ولا سيما صـناعات النسيج والجلود والآلات الحديدية .

(أ) صناعة النسيج :

ورد فيما يختص بصناعة النسيج أن دلاص كانت منذ العصر البيزنطى طبقا لما جاء فى بعض من المراجع العربية مركزا لصـناعة المنسوجات الكتانية بشكل خاص ، ونحن رغم افتقارنا لما يؤكد هذه المعلومات من المصادر العربية الا أننا لا نستطيع استبعادها لعدة أسـباب منها : أن صناعة النسيج فى مصر القبطية كانت - كما نعلم - صناعة شعبية انتشرت مصانعها فى كثير من البلاد المصرية بالوجهين البحرى والقبلى لأنهـا لم تكن حينئذ خاضعة لاشراف الدولة ، ومنهـا أن المنسوجات الكتانية بصفة خاصة كانت من أكثر الأنواع النسيجية انتاجـا خلال الفترة المشار اليها ، ومنها أن هذه المنطقة وكثير غيرها كانت موطنـا لتجمعات سكانية قبطية تطلبت حياتها نوعا من الانتاج النسيجى وفاء لما كانت تحتاج اليه بصفة عادية ومستمرة (٨٠٩) .

أما فى العصر الاسلامى فقد أشار ابن بطوطة فى القرن (٨هـ / ١٤م) الى منسوجات دلاص بقوله « ثم سافرت منها (يقصد من بوش) فوصلت مدينة دلاص ، وهذه المدينة كثيرة الكتـان أيضا كمثل التى ذكرنا قبلها ويحمل أيضـا منهـا الى ديار مصر وافريقيـة » (٨١٠) ومن هذا النص الذى أورده ابن بطوطة بعد مشاهدة عين تتضح لنا عـدة حقائق هامة منهـا أنه أعطى دلاص صـفة المدينـة متفقا فى ذلك مع ما أشار اليه ياقوت قبله بقرنين من الزمان ، وفى هذا ما يعنى أنهـا كانت على درجة كافيـة من المدنية والتطور الحضرى ، ومنـه أنه جعل منسوجاتها الكتانية سلعة تحمل ليس فقـط الى باقى الديار المصرية وانما الى كثير من البلدان الافريقية ، وفى هذا ما يعنى أيضا أن تلك المنسوجات كانت على درجة من الجودة وحسن الصنعة جعلتها أهلا لهذه المكانة التى تبوأتها فى الأسـواق المحلية والخارجية على حد سواء ، ولم يقتصر ما ورد عن منسوجات دلاص على ما ذكره ابن بطوطة كمصـدر من المصادر العربية التي لا يرقى اليها شك ، وانما جاء ذكرها أيضـا فى بعض المراجع الحديثة التى أشارت الى أن هذه المنسوجات الدلاصية

كانت مرتفعة الأثمان (٨١١) ، ونحن نعرف أن ارتفاع الثمن لا يأتى الا اذا استدعى المثمن غالبا ذلك الارتفاع ٠

(ب) صناعة الجلود :

تثبت المعلومات التى لدينا من المصادر العربية بما لايدع مجالا للشك أن دلاص الى جانب المنسوجات الكتانية كانت قد مارست صناعة الجلود لا سيما اللجم اعتبارا من القرن (٣هـ / ٩م) حتى القرن (٦هـ / ١٢م) وما بعده ، يؤيد ذلك أولا ما أشار اليه اليعقوبى فى القرن (٣هـ / ٩م) حين قال « واليها تنسب اللجم الدلاصية » (٨١٢) ويؤيده ثانيا ما ذكره الادريسى فى القرنين (٥ ــ ٦ هـ / ١١ ــ ١٢ م) بقوله « وبمدينة دلاص هذه تصنع اللجم الدلاصية المنسوبة صنعتها اليها » (٨١٣) ويؤيده ثالثا ما اورده على باشا مبارك فى القرن (١٣ هـ / ١٩ م) بقوله « انه كان فيها ثلاثمائة صانع يشتغلون الالجمة التى كانت مشهورة بالدلاصية » (٨١٤) وعلى ذلك فانه يمكن القول فى ثقة واطمئنان أن صناعة اللجم فى دلاص لم تكن على درجة عالية من الجودة وحسن الصنعة فقط وانما كانت على ــ ما يبدو ــ ذات خصائص مميزة حتى أنها نسبت فى تسميتها الى المدينة التى صنعتها ٠

(ج) صناعة المعادن :

على الرغم من أن المعلومات التى لدينا عن صناعة المعادن فى دلاص ليست بالكثرة التى رأيناها فيما يختص بصناعتى النسيج والجلود ، الا أننا لا نستطيع أن نغفل هذه الصناعة كنشاط من أنشطة المدينة الصناعية فى العصر الاسلامى ، يؤيد ذلك ما أشار اليه الادريسى فى القرنين (٥ ــ ٦هـ/١١ ــ ١٢م) حين قال « وصناعة الحديد بها قائمة الذات كثيرة المصنوعات » (٨١٥) وهو قول تتضح منه حقيقتان هامتان : اولاهما أن هذه الصناعة كانت صناعة مستقلة قائمة بذاتها ولا يخفى ما تنطوى عليه استقلالية صنعة ما فى مركز ما من مدلولات ، وثانيتهما أنها كانت كثيرة المصنوعات وفى هذا ما يعنى صراحة تعدد انتاجها وتنوعه ، ومع ذلك لم يقتصر ذكر الصناعات المعدنية فى دلاص على ما أورده الادريسى فقط وانما جاء ذكرها أيضا فى بعض المراجع العربية التى أشارت الى أن تنيس ودلاص مارستا بعض الصناعات التى اعتمدت على مواد استوردت من الخارج ولاسيما الصناعات المعدنية (٨١٦) ٠

٥ ــ سمسطا :

سمسطا هي آخر مراكز الصناعة التي نتحدث عنها في محافظة بني سويف ، وقد حددها ابن حوقل في الرسم الذي وضعه خلال القرن (٤هـ/١٠م) لصورة مصر على جانب النيل الأعلى من اليسار بين القيس ودلاص (٨١٧) ، وذكرها الادريسي في القرنين (٥ ــ ٦هـ/١١ ــ ١٢م) فقال « فأما ترفة وسمسطا فضياع وقصور بعيدة من معظم النيل وهما عامرتان بالناس » (٨١٨) أما ياقوت فقد أشار اليها في القرنين (٦ ــ ٧هـ/١٢ ــ ١٣م) بقوله « سمسطة (بالتاء المربوطة) من عمل البهنسا ومنهم من يقول سمسطا قرية بالصعيد الأدنى على غربي النيل » (٨١٩) .

أما فيما يتعلق بسمسطا كمركز صناعي فانه يمكن القول ان هذه المدينة ــ طبقا لما أشارت اليه بعض المصادر العربية ــ كانت مركزا لصناعة الحبال الجيدة من الليف ونحوه ، وكذا لبعض الصناعات التي اعتمدت على المنتجات الزراعية ولا سيما السكر والفانيد ، يؤيد ذلك ما أشار اليه ياقوت في القرنين (٦ ــ ٧هـ/١٢ ــ ١٣م) خاصا بصناعة الحبال بقوله « وتنسب اليها الحرم السمسطية وهي حزم من الحبل لا يفضل عليها شيء من جنسها » (٨٢٠) ، ويؤيده أيضا ما ذكره الادريسي في القرنين (٥ ــ ٦هـ/١١ ــ ١٢ م) خاصا بصناعتي السكر والفانيد حين قال « وفيها مزارع للقصب السكرى ويعمل بها من السكر والفانيد ما يقوم بأكثر ديار مصر ويستغني بها عن غيره » (٨٢١) وفي هذا ما يدل صراحة على أن انتاجها من السكر والفانيد كان بالوفرة التي جعلت الادريسي يضعه في مرتبة القيام بأكثر ديار مصر .

ثالثا : محافظة الفيوم

الفيوم محافظة بمصر تحتل منخفضا من الصحراء الغربية في محافظة بني سويف ، وقد ضمت الى مديرية بني سويف أكثر من مرة ثم انفصلت عنها وأصبحت مديرية قائمة بذاتها سنة (١٨٧٠م) ، وقد أفاضت علينا المصادر والمراجع العربية كثيرا من المعلومات الهامة عن مدينة الفيوم ، سواء من حيث الموقع والتاريخ أو من حيث الأنشطة الصناعية والحرفية ، والواقع أنه من خلال هذه المعلومات يمكن القول أن مراكز الصناعة في كورة الفيوم إبان العصر الاسلامي كانت تنحصر في مدينة الفيوم ذاتها وفي بعض المدن الصغيرة الأخرى التابعة للاقليم ولاسيما بوصير ومطمور وسنهور .

١ ـ مدينة الفيوم :

فصلت المصادر العربية كثيرا فى الحديث عن مدينة الفيوم تاريخا وموقعا وتسمية ، ومن ذلك ما أشـــار اليه ابن الحـــكم فى القرنين (٢ ـ ٣ هـ/٨ ـ ٩م) بقوله ان الفيوم فى وسط مصر كمثل مصر فى وسط البلاد لان مصر لا تؤتى من ناحية من النواحى الآن من صحراء أو مفازة ، ثم تكلم بالتفصيل عن كيد وزراء فرعون ليوسف عليه الســلام وطلبهم من فرعون أن يمتحنه فى عقله وحكمته ، فاستجاب لهم وطلب منه أن يصلح له أرض الجوبة (أرض الفيوم القديمة) وكانت أرضـــا مالحة ومستنقعا لا حياة فيه فقال له يوسف : ابعث الى أيها الملك متى أردت ذلك فانى ان شاء الله فاعل ، فأوحى الى يوسف بحفر ثلاثة خلجان أولهما من أعلى الصعيد من موضع كذا الى موضع كذا ، وثانيهما من الشرق من موضع كذا الى موضع كذا ، وثالثهما من الغرب من موضع كذا الى موضع كذا ، فرتب يوسف العمـــال وحفر خليج المنهى مـن أعـلى أشمون الى اللاهون ، ثم خليج الفيوم وهو الخليج الشرقى ثم خليج تبهمت وهو الخليج الغربى فخرج ماؤها من الخليج الشرقى فصب فى النيل ، وخرج من الخليج الغربى فصب فى صحراء تبهمت ، فلم يبق فى الجوبة ماء وصارت أرضا ريفية تربة ، وكان هذا كله فى سبعين يوما فلما خرج اليها الملك ووزراؤه نظرا اليها وقال : هذا عمل ألف يوم فسميت الفيوم وأقامت تزرع كما تزرع غوائط مصر (٨٢٢) .

وقد أشار اليها البلاذرى فى القرن (٣هـ/٩م) باقتضاب شديد حين قال انها بلد « مشهورة فى مصر » (ولم يزد) (٨٢٣) ثم جاء الكندى فى القرنين (٣ ـ ٤ هـ /٩ ـ ١٠ م) وقال انها « كورة تشتمل على ثلاثمائة وستون قرية دبرت على عدد أيام السنة وليس فى الدنيا بلد بنى بالوحى غير هذه الكورة (٨٢٤) » .

وذكـرها فى القرن (٤هـ/١٠م) كل من الاصطخرى والمسعودى وابن حوقل فقال الأول « وليس بأرض مصر مدينة يجرى فيها الماء دائما غير الفيوم ، والفيوم هذه مدينـة وسطة يقـال أن يوسف النبى (عم) اتخذ لهم مجرى يدوم لهم الماء ، وقوم بحجارة وسماه اللاهون » (٨٢٥) ، وأشار الثانى الى أنها جزيرة أحاط الماء بأكثر أجزائها وكرر ما ذكره ابن عبد الحكم خاصا بتسميتها « فيوما » وأن ذلك ألف يوم (٨٢٦) » وأعاد الثالث ما ذكره سابقوه ولاسيما جريان الماء فيها بغير حاجة الى زيادة النيل ، وكذا وسطيتها وخلق يوسف لها ، ومجرى اللاهون فيها الا انه زاد عليهـم قوله « وعلى الفيوم سور يشتمل على جميع أعمالهـــا

ويحيط بسائر مدنها وبقاعها ورأيت أكثره من جانب البرية مبنية أبراجه وهذا السور يعرف بحائط العجوز » (٨٢٧) ٠

وفيما قيل تعليقا على ما ذكره المسبحى فى القرنين (٤ ــ ٥هـ/١٠ ــ ١١م) ورد أن الفيوم هى احدى محافظات الوجه القبلى بمصر وتقع فى منخفض غربى النيل فى الصحراء الغربية (٨٢٨) ، كذلك فقد أشار اليها الادريسى فى القرنين (٥ ــ ٦ هـ /١١ ــ ١٢ م) وقال ان مدينة الفيوم فى ذاتها طيبة كثيرة الفواكه والغلات ، ثم حكى بعد ذلك قصة يوسف وخلق الفيوم على عهد فرعون (٨٢٩) ، وذكرها ياقوت فى القرنين (٦ ــ ٧هـ/١٢ ــ ١٣م) بقــــوله « والفيوم ولاية غربية بينها وبين الفسطاط أربعة أيام بينهما مفازة لا ماء فيها مسيرة يومين » ثم حكى قصة يوسف مع فرعون وشق الانهار لاصلاحها (٨٣٠) ٠

ثم جاء القزوينى فى القرنين (٧ ــ ٨ هـ /١٣ ــ ١٤ م) فقال ان الفيوم ناحية فى غربى مصر فى منخفض من الأرض يشرف عليها النيل وكرر بالنص تقريبا ما ذكره ابن عبد الحكم خاصا بالخلجان الثـــلاثة وحكاية فرعون والألف يوم (٨٣١) ، وجاء بعده المقريزى فى القرنين (٨ ــ ٩هـ/١٤ ــ ١٥م)فقال « اعلم أن موضع الفيوم كان مغيض ماء النيل فلما ولى يوسف الصديق تدبير أمور مصر عموما خلقها ، فلما تم الفتح للمسلمين بعث عمرو بن العاص جرائد الخيل الى القرى التى حولها فأقامت فى الفيوم سنة لا يعلم المسلمون بمكانهـا » (٨٣٢) ٠ وأخيرا جاء ابن ظهيرة بعد المقريزى فى القرن (١٠هـ/١٦م) فقال « ومن أعمال مصر مدينة الفيوم من بناء يوسف عليه السلام » (ولم يزد) (٨٣٣) ٠

ولم يقتصر ما ورد عن مدينة الفيوم من معلومات تاريخية على مـا سجلته المصادر المشار اليها ، وانما كان منه أيضا ما جاء فى بعض المراجع العربية معيدا بعض هذه المعلومات أحيانا ، ومفسرا لبعضها الآخر فى أحيان أخرى وزائدا عليها فى أحيان ثالثة ، من ذلك مثلا ما زاد به علينا على باشا مبارك فى القرن (١٣هـ/١٩م) حين قال نقلا عن هيرودوت ان مدينة الفيوم كانت تسمى فى العصر الفرعونى مدينة التماسيح (٨٣٤) نظرا لأنها كانت مقرا لعبادة التمساح ، ومنه أيضـا ما ذكره بتلر بقوله « ان عمرا قضى فى غزوته للفيوم بضعة أسابيع أضاعها الروم ضياعا بل خسروا فيهـا خســارة كبرى وغنم فيهـا العرب غنما عظيما » (٨٣٥) ويستشم مما ذكره بتلر حسرته على اضاعة الروم لفرصة هذه الأسابيع التى كان بامكانهم خلالها ــ فى نظره ــ أن يحسنوا الاستعداد لملاقاة

عمرو أو ملاقاة تجريدته ظنـــا منه أنهم لو أحسنوا الاستعداد لأوقفوا الفتح ، ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره المشركون ٠

هذا عن الفيوم كموقع وتاريخ وتسمية ، أما فيما يتعلق بها كمركز صناعى فان ما لدينا من معلومات فى هذا الصدد يوضح أن المدينة كانت مركزا من أهم المراكز الصناعية والحرفية منذ العصـــور اليونانيـة والرومانيـة والبيزنطية ، يؤيد ذلك كثير من المخلفـات الأثرية التى عثر عليها فى مواقع مختلفة من الاقليم ، والتى تثبت أن مدينة الفيوم كانت مركزا لعدة صناعات منها صناعة النسيج وصناعة الزجاج وصناعة الفخار والخزف ، بالاضافة الى بعض الصناعات التى كانت تعتمد على منتجات زراعية ولا سيما السكر والنبيذ والزيوت والعطور وتبييض الأرز والحصير ٠

(أ) صناعة النسيج :

يغلب على الظن أن مدينة الفيوم ــ طبقا لما جاء فى بعض المراجع العربية ــ كانت منذ العصر البيزنطى مركزا لصناعة المنسوجات ولاسيما الاقمشة الصوفية ذات الزخارف المنسوجة (٨٣٦) ، ورغم افتقارنا الى الأدلة المادية الكافية فى هذا الصدد ، الا أننا لا نستبعد ذلك لما كان للفيوم من أهمية تاريخية وصناعية على مر العصور من ناحية ، ولان هذه الصناعة كانت من أكثر الصناعات انتشارا فى العصر البيزنطى ، وقـد سبق ترجيح قيامها فى مراكز أخرى أقل أهمية من الفيوم من ناحيــة أخرى ٠

أما فى العصر الاسلامى فلدينا فى المصادر والمراجع من المعلومات ما يكفى لتأكيد أن المدينة كانت خلال هذا العصر مركزا من مراكز هذه الصناعة ، يدل على ذلك مما ورد فى المصادر العربية ما ذكره المقدسى فى القرن (٤هـ/١٠ م) بقوله « ومن الفيوم الأرز وكتان دون » (٨٣٧) وهو نص وان كان يعنى أولا أن منسوجات الفيوم الكتانية لم تكن عـلى قدر كاف من الجودة وحسن الصنعة ، وان كان يعنى ثانيا أن ممارسة هذه الصناعة فى المدينة كان حقيقة قائمة ، الا أن المقدسى قد أصاب به كبد الحقيقة ، لأن ما لدينا من أمثلة مادية مما يحتفظ به متحف الفن الاسلامى بالقاهرة مما نسج فى الفيوم ومما سنشير اليه بعد قليل يؤكد صدق ما ذكره المقدسى فى هذا الشأن وان اختلف ذلك مع ما أوردته بعض المراجع العربية الحديثة (انظر شكل : ٨٤) ٠

والواقع أن ما ورد فى المراجع العربية عن صناعة النسيج بالفيوم خلال العصر الاسلامى كثير ، ومنه ما أورد ذلك بشكل عام ، ومنه ما أورده مرتبا بترتيب تاريخى ، ويفهم مما أوردته هذه المراجع عن منسوجات الفيوم الاسلامية بشكل عام أن المدينة كانت مركزا لصناعة الأقمشة الكتانية والستور الثمينة التى بلغ طول الستر منها ثلاثين ذراعا بالاضافة الى أنها كانت مركزا لصناعة المنسوجات الصوفية وأقمشة الجوت وربما المنسوجات القطنية أيضا (٨٣٨) ، ويبدو فى نظر بعض أصحاب هذه المراجع أن بعض هذه المنسوجات ولاسيما الكتان كان على درجة عالية من الجودة وحسن الصنعة حتى قيل أنه كان يصدر الى كثير من النواحى وربما وصل الى بلاد فارس (٨٣٩) . كذلك يبدو أن الفيوم كانت قد تخصصت خلال العصر الاسلامى فى انتاج عبوات خاصة لتصدير السلع المحلية الى الخارج (٨٤٠) .

أما المراجع التى تكلمت عن صناعة النسيج فى الفيوم بترتيب تاريخى فأقدمها ما يتعلق بالقرن (٤هـ/١٠م) خلال العصر الفاطمى حيث ورد أن المدينة كانت خلال هذا العصر مركزا لصناعة الكتان الذى كانت تعمل منه الأقمشة والستور الثمينة المشار اليها والتى بلغ طول الستر منها ثلاثون ذراعا وبلغت قيمته ثلاثمائة دينار (٨٤١) ، أما علماء الحملة الفرنسية فقد أشاروا فى « وصف مصر » الى أن المدينة كانت قد استخدمت كل المواد التى يمكن نسجها ، ومن ذلك القطن والكتان والصوف وأن عدد الأنوال التى كانت تعمل فى حقل المنسوجات القطنية بمدينة الفيوم وحدها كان قد بلغ ما بين ثمانين الى مائة نول ، وأنه كان للنساجين فى هذه المدينة — كما لطوائف الحرف الأخرى — شيخ خاص وكل اليه تحصيل الضريبة المفروضة على الطائفة ، ليس هذا فقط بل لقد ورد فى هذا المرجع أن صناعة الشيلان البيضاء التى انتجتها ولاية الفيوم كادت تتركز فى مدينة الفيوم ذاتها ، وقد بلغ انتشار هذه الصناعة هناك الى درجة أن القوافل التى كانت تسافر كل اسبوع الى القاهرة كانت تنقل معها قبل مجىء الحملة الفرنسية الى القاهرة فى أواخر القرن الثامن عشر الميلادى ما يبلغ فى بعض الأحيان ألفين من هذه الشيلان (٨٤٢) أما على باشا مبارك فقد أشار فى القرن (١٣هـ/١٩م) الى أن مبيضة لأقمشة الكتان كانت قد عملت فى المدينة على عهد محمد على (٨٤٣) .

(ب) صناعة الزجاج :

لقد عثر فى كرانيس (وهى احدى ضواحى مدينة الفيوم على ساحل بحيرة قارون) على كثير من القطع الزجاجية التى تثبت أن المدينة كانت

مركزا من مراكز هذه الصناعة خلال العصر الرومانى (٨٤٤) . أما فى العصر الاسلامى فان ما لدينا من معلومات عن صناعة الزجاج فى الفيوم يعد غير كاف الى حد كبير لأننا لم نجد من هذه المعلومات الا ما أوردته بعض المراجع العربية الحديثة دون المصادر ، من ذلك مثلا ما ذكره زكى حسن حين عد الفيوم من بين مراكز صناعة الزجاج الاسلامى حتى العصر الفاطمى (٨٤٥) ومنه ما ذكره باحثون آخرون حين مدوا هذه الصناعة بالمدينة حتى العصر المملوكى (٨٤٦) ورغم أننا لا نملك الأدلة المادية أو التاريخية لاثبات هذا القول ، الا أننا لا نستطيع استبعاد ما أشارت اليه كل هذه المراجع ، ومن ثم فان معلومات أخرى أكثر تحديدا ولا سيما من المعثورات الأثرية لا زالت أمرا واردا عن هذه الصناعة بالفيوم فى المستقبل .

(ج) صناعة الفخار والخزف :

كانت صناعة الفخار والخزف من أهم الصناعات التى مورست فى مدينة الفيوم منذ العصرين اليونانى والرومانى ، يدل على ذلك مما لا يزال محفوظا فى المتحف اليونانى الرومانى بالاسكندرية مجموعة من التراكوتا والأوانى والأطباق ذات الأشكال المختلفة عثر عليها فى بطن أهريت (٨٤٧) اما فى العصر الاسلامى فقد تطورت هذه الصناعة فى المدينة كثيرا حتى أصبح لها طرازا خاصا سماه مؤرخو الفنون الاسلامية بطراز الفيوم (٨٤٨) وهو طراز كان قد سجل فى المدينة لاول مرة قبل غيرها من المدن ، بدليل العثور على بعض قطع من توالف أفرانه هناك ، وان كان ذلك لا يمنع من ممارسة انتاج هذا النوع من الفخار فى مراكز صناعية أخرى ولاسيما الفسطاط ، يؤكد ذلك مما لا يزال محفوظا فى متحف الفن الاسلامى بالقاهرة مجموعة صحون وقدور من الخزف المعروف باسم خزف الفيوم ذى الألوان المتعددة المرشوشة (٨٤٩) تؤرخ فيما بين القرنين (٣ - ٦ هـ / ٩ - ١٢م) ومن هذا النوع صحن كبير (٨٥٠) يؤرخ بالقرن (٥هـ/١١م) عليه خطوط بالألوان الأبيض والأخضر والأصفر والمنجنيز (انظر شكل ٨٥) ويلاحظ على أطراف خطوطه سيولة حدثت نتيجة للوضع المائل الذى كان عليه الصحن فى الفرن أثناء تثبيت الألوان على الطلاء الزجاجى (٨٥١) .

صناعات اعتمدت على منتجات زراعية :

مما لا شك فيه أن اقليما زراعيا خصبا كالفيوم لا بد أنه كان قد شهد قيام صناعات أخرى من تلك التى اعتمدت على الانتاج الزراعى مثل صناعات السكر تبييض الأرز والنبيذ والزيوت والحصير ونحو

ذلك ، والغريب أنه لم يرد ذكر لهذه الصناعات فى المصادر العربية التى لم تكن تعنى – على ما يبدو – الا بصناعة النسيج فى المقام الاول ، وكل ما وصلنا بشأنها انما جاء فى بعض المراجع العربية الحديثة ·

وقد ورد فيما يتعلق بصناعة السكر تبييض الأرز أن مدينة الفيوم كانت واحدة من المدن التى انتشرت فيها مطابخ السكر فى العصر الاسلامى مثل الفسطاط والمنيا وغيرها ، نظرا لأنها كانت من بين البلدان التى كثرت فيها زراعة القصب (٨٥٢) ، كذلك فقد أشار المقدسى فى القرن (٤ هـ /١٠ م) الى صناعة تبييض الأرز بالمدينة عندما قال – كما سبق القول – « ومن الفيوم الأرز وكتان دون » (٨٥٣) ·

أما فيما يختص بصناعة النبيذ فقد ورد أن ولاية الفيوم كانت أكبر الولايات التى يصنع فيها النبيذ فى مصر ، نظرا لانها اشتهرت على الدوام بزراعة الكروم ، ونظرا لأنهـا كانت موطنـا لكثير من الأديرة المسيحية التى ذكرها أبو صالح الأرمنى بالاسم بما يؤكد أن هذا الأقليم كان يشتمل على ثلاثة وثلاثين ديرا (٨٥٤) ، ونحن نعرف أن صناعة النبيذ كانت من أبرز خصائص الأديرة المسيحية فى مصر بشكل عام ، يؤكد ذلك أن حديقة المتحف اليونانى الرومانى بالاسكندرية تضم قطعا من معصرة خشبية عثر عليها فى بطن أهريت لتقوم شاهدا ودليلا على تلك الحقيقة الصناعية (٨٥٥) ، أما فى العصر الاسلامى فقد أفاض كتاب « وصف مصر » فى ذلك كثيرا وصفوة ما ذكر فى هذا الصدد أن حبات العنب كانت تهرس فى أوان فخارية اسطوانية الشكل ، بعد ذلك يوضع العنب المهروس فى أجولة من الصوف السميك ، ثم تعصر هذه الأجولة بشدة ويستقبل العصير الناتج منها فى أوان فخارية تترك من (٨ – ١٥) يوما لتتخمر ، ثم يصب السائل المتخمر فى أنفورات كبيرة تدفن فى الأرض حتى رقبتها وتغلق فتحتها بسدادة خشبية يحكم اقفالها بالجبس حتى يأتى دور استخدامها ، وقد أوضح الكتاب المشار اليه أنه لم يكن يستهلك نبيذ الفيوم عادة سوى الأقباط (٨٥٦) ·

كذلك فقد جاء فى بعض المصادر والمراجع العربية أن الفيوم كانت تشتمل على عدة معاصر لاستخراج الزيت ، وبعض المحلات الخاصـة بصناعة العطور ، يؤيد ذلك ما ذكره ياقوت فى القرنين (٦ – ٧هـ/١٢ – ١٣ م) بشكل غير صريح عندما أشار الى المدينة وما كانت تتميز به من حرف وصناعات (٨٥٧) ، ويؤيده أيضا ما ذكره على باشا مبارك فى القرن (١٣ هـ /١٩ م) حين قال ان المدينة كانت تشتمل على عهد محمد على على بعض المحلات الخاصـة باستخراج ماء الورد الذى لم يكن يباع منه

للمناس الا الزائد ، بالاضافة الى بعض المعاصر الخاصة باستخراج زيت الزيتون (٨٥٨) ٠

أما صناعة الحصير فى الفيوم فقد انحصرت معلوماتنا عنها بشكل أساسى فيما جاء فى كتاب « وصف مصر » حيث قيل ان أغلى أنواع الحصير التى شاع استعمالها فى المدن المصرية الكبرى خلال القرنين (١٨ ـ ١٩م) كانت تصنع فى قرية يقال لها طامية تقع بالقرب من بحيرة قارون عند بداية شعب يصل بينها وبين أهرام الجيزة ، ليس هذا فقط وانما قيل أن القرية سالفة الذكر كانت تضم ما يقرب من الذى كانوا يحتاجون اليه كان يؤتى به من قرية لصق والبحيرة المشار الذى كانوا يحتاجون اليه كان يؤتى به من قرية لصق البحيرة المشار اليها تسمى الروضة (٨٥٩) ٠

٣ ـ بوصير :

البوصير لغة هى جنس من نباتات عشبية برية من فصيلة الخنازيريات يسمى أيضا آذان الدب ، وقد توالت الاشارات التاريخية الى بوصير كموقع وتاريخ فى كثير من المصادر العربية اعتبارا من القرن (٣هـ/٩م) ، وظلت هذه الاشارات تتوالى حتى القرن (١٠هـ/١٦م)، من ذلك ما ذكره ابن قتيبة فى القرن (٣ هـ /٩م) حين قال « وخرج صالح بن على بن عبد الله بن العباس فى طلب مروان حتى لحقه فى قرية من قرى الفيوم من أرض مصر يقال لها بوصير فقتله فى ذى الحجة سنة (١٣٢هـ/٧٤٩م » (٨٦٠) ٠

أما الاصطخرى والمسعودى وابن حوقل فقد أشار كل منهم الى بوصير فى القرن (٤هـ/١٠م) حيث قال الاول « وبحذاء الاشمونين من شمال النيل مدينة صغيرة يقال لها بوصير بها قتل مروان بن محمد ، ويقال ان سحرة فرعون الذين حشرهم فى يوم موسى من بوصير » (٨٦١) وكرر الثانى ماذكره ابن قتيبه قبل ذلك فيما يتعلق بقتل مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية ، الا أنه جعل مقتله على يد عبد الله بن على بن العباس عم السفاح مختلفا فى ذلك مع ابن قيتبة الذى جعله صالح بن على ابن عبد الله (٨٦٢) ، كما كرر الثالث بالنص ما ذكره الاصطخرى بالنسبة لموقع المدينة ومقتل مروان وسحرة فرعون (٨٦٣) ٠

كذلك فقد ذكرها ياقوت فى القرنين (٦ ـ ٧هـ/١٢ ـ ١٣م) وقال ان « بوصير اسم لأربع قرى بمصر منها بوصيير قوريدس وهى التى قتل بها مروان بن محمد لسبع بقين من ذى الحجة سنة (١٣٢هـ) » (٨٦٤) ٠

ودكرها ابن دقماق فى القرن (٩ هـ/١٥م) باسم « أبو صير قوريدس » بزيارة ألف على ما ذكرته المصادر السابقة وقال انها من المدن القديمة فى رأس الجبل المنسوب الى حاجر بنى سليمان وعبرتها ثلاثون ألف دينار وكانت على عهده جارية فى الديوان الشريف السلطانى (٨٦٥) ، وفيما ورد تعليقا على ما ذكره ابن ظهيرة فى القرن (١٠هـ/١٦م) نجد نفسيرا لما ذكره ياقوت من أن بوصير اسم لأربع قرى بمصر هى بوصير قوريدس ، وبوصير السدر (النبق) وهما من كورة الجيزة ، وبوصير دفدنو (دفنو) من كورة السمنودية (٨٦٦) .

هذا عن بوصير كموقع وتاريخ ، أما فيما يختص بها كمركز صناعى فان ما لدينا من مادة تاريخية يحصر نشاطها فى صناعة النسيج فقط ، والواقع أنه يمكن القول مما أشارت اليه المصادر التاريخية أن صناعة النسيج فى بوصير كانت قد استمرت خلال العصر الاسلامى منذ القرن (٤هـ/١٠م) حتى القرن (١٠هـ/١٦م) ، يؤيد ذلك ما ذكره المقدسى فى القرن (٤ هـ / ١٠ م) حين قال « ومن بوصير الكتان الرفيع » (٨٦٧) والواقع أن وصف المقدسى لهذا الكتان بلفظة الرفيع انمـــا يعنى أن منسوجاتها الكتانية كانت على درجة عالية من الجودة وحسن الصنعة ، ويؤيده أيضا ما أشار اليه ابن ظهيرة فى القرن (١٠هـ/١٦م) بقوله « ومنها بوصير قوريدس التى قتل بها مروان الحمار ويزرع بها الكتان الذى لا يخلو منه بلد من بلاد الاسلام والكفر (٨٦٨) » ويفهم مما أشار اليه ابن ظهيرة أن منسوجات بوصير الكتانية كانت تصدر الى كثير من بلدان العالم الاسلامية وغير الاسلامية ، وطبيعيا أن تكون جودتها وحسن صنعتها سببا مباشرا فى اكتسابها لهذه الأسواق (٨٦٩) .

وقد عثر أثناء بعض الحفائر الأثرية فى بوصير على مقبرة يقال انها كانت مدفن الخليفة الاموى مروان بن محمد وجد فيها ابريقا من المعدن يعد تحفة اسلامية رائعة حقا ، وهو ابريق لايزال محفوظا فى متحف الفن الاسلامى بالقاهرة ، وقد ذكرناه هنا من باب الذكر وليس من باب الصناعة لأنه من غـير المعقول أن يكون هـــذا الابريق قـد صنع فى بوصير (٨٧٠) (انظر شكل : ٨٦) .

٣ — طمور :

نسب مؤرخو الفنون الاسلامية الى اقليم الفيوم مجمـــوعة مـن المنسوجات الاسلامية التى ترجع الى عصر الانتقال فى القرنين (٣ — ٤هـ/ ٩ — ١٠ م) وقالوا ان هـذه المجموعة النسيجية تتصف بعدم الدقة فى الزخرفة والبعد عن الذوق وجمال الصنعة ، لأن صناع هذا الاقليم كانوا

ينسجون فى الأقمشة أشرطة ليس فى زخارفها شيء اسلامى الطـراز ، فكانوا بذلك أقرب الصناع فى مصر الاسلامية الى الاســاليب القبطية القديمة .

وهذا النوع من الأقمشة كان يصنع من الصوف أو من الصوف والكتان معا وتعمل زخارفه فى حالة الأقمشة الكتانية بخيوط صوفية منسوجة ، واشتملت هذه الزخارف على رسوم آدمية وأشكال حيوانات وطيور ذات طابع بدائى محور عن الطبيعة الى حد كبير ، وقد ينسب هؤلاء المؤرخون ذلك النوع من النسيج الى اقليم الفيوم بسبب وجود قطعة أثرية فى متحف الفن الاسلامى بالقاهرة عليها شريط أحمر فيه رسوم ابل (جمال) محورة باللونين الأخضر والأبيض وتحت أشكال هذه الابل نجد كتابة تقرأ منها « مما عمل فى طراز الخاصة بمطمور من كورة الفيوم » (٨٧١) (انظر شكل : ٨٧) .

والواقع أننى رغم ذلك النص الذى أجمعت عليه كل المراجع المشار اليها لم أجد فيما أتيح لى الاطلاع عليه من كتب البلدان شيئا عن مطمور هذه ، وكل ما وجد هو « مطمر » وهى ناحية بمركز البدارى مديرية أسيوط (٨٧٢) وعلى ذلك فان تحقيقات مستقبلية عن هذا المركز لا زالت متوقعة بالنفى أو الايجاب .

٤ ـ سنهور :

يحتفظ متحف الفن الاسلامى بالقاهرة بقطعة من النسيج عبارة عن شريط من جامات تضم رسوم طيور محورة عن الطبيعة وشريط آخـر يضم كتابة كوفية نصها : « هذه العمامة لسمويل بن موسى عملت فى شهر رجب الفرد بسنهور بالفيوم فى سنة ثمان وثمانين » (٨٧٣) (انظر شكل : ٨٨) .

وقد بحثت فى كتب البلدان عن سنهور هذه فوجدت أن ابن حوقل وقعها فى الرسم الذى وضعه لصورة مصر فى القرن (٤هـ/١٠م) فى الجزيرة التى بين شعبتى صا ومحلة ببيج فى اقليم الريف ، والمعروف أنه قسم الوجه البحرى (أو أسفل الأرض) الى قسمين سمى أعلاهما الحوف وسمى أسفلهما الريف (٨٧٤) ، وذكرها الادريسى فى القرنين (٥ ـ ٦هـ/١١ ـ ١٢م) سنهور (بالسين) وصنهور (بالصاد) وقال انها قريبة من المحلة على بعد (٤٥) ميلا منها فى البرية (٨٧٥) ، أما ياقوت فى القرنين (٦ ـ ٧ هـ /١٢ ـ ١٣ م) فقد أشار اليها بقوله انها « بليدة قرب اسكندرية بينها وبين دمياط » (٨٧٦) وفى بند التنبيه

على أوجه التشابه والاختلاف فى رسم أسماء المدن والقرى المصرية التى ذكرها ياقوت ، جاء فى الطبعة المحققة لهـذا المعجم أن « سـنهور » موضعان بالغربية والبحيرة ، وبالصعيد قرية يقال لها شنهور فلا تغلطن فيها (٨٧٧) .

ومن هذا كله يتضح أن الموقف بالنسبة لهذه القطعة الأثرية ينحصر فى أحد أمرين أولهما أن يكون اسم المركز سنهور وبذلك تكون تبعيته الاقليمية للوجه البحرى أو أن يكون اسمه شنهور وتكون تبعيته بذلك للوجه القبلى ، ونحن فى هذا لا نستطيع أن نرجح كفة أحد الاحتمالين على الآخر ، خاصة ونحن نعرف أن عملية التنقيط على حروف الكلمات العربية بما فيها أسماء المدن لم تكن قد اتخذت بعد ، ومن هنا يمكن القول بجواز أن يكون المركز سنهور أو شنهور .

ـ حواشي وتعليقات الفصل الأول
من الباب الثالث
الصعيد الأدنى

٧٦١ ـ البلاذرى : المصدر السابق : جـ ٣ ص : ٧٤٣ .

٧٦٢ ـ عبد العال الشامى : المرجع السابق : ص : ١٧ .

٧٦٣ ـ ياقوت : المصدر السابق : جـ ٢ ص : ٢٠٠ .

٧٦٤ ـ محمد رمزى : المرجع السابق : جـ ١ ص : ٢٤ وانظر أيضا : الموسوعة العربية الميسرة : ص : ٦٧٨ .

٧٦٥ ـ ناصر خسرو : المصدر السابق : ص : ٨٦ .

٧٦٦ ـ ابن دقماق : المصدر السابق : قسم ١ ص : ١٣٠ .

٧٦٧ ـ سورة يوسف : آية : ٣٠ .

٧٦٨ ـ على باشا مبارك : المرجع السابق : جـ ٩ ص : ١٤ وانظر أيضا : محمد رمزى : المرجع السابق : مجلد ٣ جـ ٢ ص ٣ ، قاموس جغرافى للقطر المصرى : ص : ١٢٠ .

٧٦٩ ـ باهور لبيب : المرجع السابق : ص : ١٢ .

٧٧٠ ـ على باشا مبارك : المرجع السابق : جـ ٩ ص : ١٤ .

٧٧١ ـ نفس المرجع : جـ ٩ ص : ٩٢ وانظر أيضا : قاموس جغرافى للقطر المصرى : ص ١٤٣ ، الموسوعة العربية الميسرة : ص : ٤١٧ .

٧٧٢ ـ الكندى : المصدر السابق : ص : ٦٦ .

٧٧٣ ـ ابن حوقل : المصدر السابق : ص : ١٤١ .

٧٧٤ ـ المسبحى : المصدر السابق : جـ ١ ص : ٥٦ ح ٤ .

٧٧٥ ـ الادريسى : المصدر السابق : ص ٥١ .

٧٧٦ ـ ياقوت : المصدر السابق : ص ٨٤ وانظر أيضا : عبد العال الشامى : المرجع السابق : ص ص : ١٩ ، ٢٤ .

٧٧٧ ـ المقريزى : الخطط : جـ ١ ص ٤٤٣ .

٧٧٨ ـ ابن دقماق : المصدر السابق : قسم ٢ ص ٥ .

٧٧٩ ـ ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص ٦١ .

٧٨٠ ـ نفس المصدر : ص ٦١ ح ٢ .

٧٨١ ـ على باشا مبارك : المرجع السابق : جـ ٨ ص ١٠٢ وانظر أيضا : محمد

رمزى : المرجع السابق : مجلد ٣ جـ ٢ ص ١٥٣ ، قاموس جغرافى للقطر المصرى : ص ١٠٣ ، الموسوعة العربية الميسرة : ص : ٢٥٢ ·

٧٨٢ ــ سعاد ماهر : الفن القبطى : ص ٤٥ ، رؤوف حبيب : المرجع السابق : ص ٥٣ ·

٧٨٣ ــ اليعقوبى : المصدر السابق : ص : ٣٣١ ·

٧٨٤ ــ الكندى : المصدر السابق : ص : ٦٨ ·

٧٨٥ ــ محمد عبد العزيز مرزوق : المرجع السابق : جـ ٢ ص : ٣٧٣ ، سعاد ماهر : النسيج الاسلامى : ص : ٤٢ ·

٧٨٦ ــ النيدة هى نوع من الفطائر كان يصنع بمنفلوط وغيرها من مدن الصعيد من القمح بعد تركه أياما فى الماء ثم يجفف ويطحن ثم يوضع تدريجيا فى اناء به ماء ساخن لينضج · وراجع أيضا : ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص ٦١ ح ٣ ·

٧٨٧ ــ زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين : ص : ١٨١ ·

٧٨٨ ــ ياقوت : المصدر السابق : جـ ١ ص ٥٠٩ ·

٧٨٩ ــ راجع فى ذلك أيضا : عبد العال الشامى : المرجع السابق : ص ٥٠ ·

٧٩٠ ــ ابن تغرى بردى : المنهل الصافى : جـ ١ ص ٢٣٣ ح ٢ وانظر أيضا : قاموس جغرافى للقطر المصرى : ص : ١٤٩ ·

٧٩١ ــ عبد العال الشامى : المرجع السابق : ص : ٢٢ ·

٧٩٢ ــ ابن بطوطة : المصدر السابق : ص : ٤٧ ·

٧٩٣ ــ ابن حوقل ــ المصدر السابق : ص ١٤٩ ·

٧٩٤ ــ المقدسى : المصدر السابق : ص ٢٠٢ ·

٧٩٥ ــ الادريسى : المصدر السابق : ص ٤٦ ·

٧٩٦ ــ ياقوت : المصدر السابق : جـ ٤ ص ٢٢ ·

٧٩٧ ــ على باشا مبارك : المرجع السابق : جـ ١٣ ص ص : ٢٩ ــ ٣٠ ، وانظر أيضا : محمد رمزى : المرجع السابق : مجلد ٣ جـ ٢ ص ١٦١ ، قاموس جغرافى للقطر المصرى : ص : ٤٣٤ ·

٧٩٨ ــ ابن حوقل : المصدر السابق : ص : ١٤٩ ·

٧٩٩ ــ المقدسى : المصدر السابق : ص ٢٠٢ ·

٨٠٠ ــ الادريسى : المصدر السابق : ص : ٤٦ وراجع أيضا : على باشا مبارك : المرجع السابق : جـ ١٣ ص ص : ٢٩ ــ ٣٠ ·

٨٠١ ــ انظر فى ذلك : سعاد ماهر : النسيج الاسلامى : ص ٤٢ ، مصطفى حسين : المرجع السابق : ص ٥٠ ، أبو زيد شلبى : المرجع السابق : ص : ٣٠٦ ، آدم متز : المرجع السابق : جـ ٢ ص ٣٥١ ، خليل ضومط : المرجع السابق : ص ص ١٣٧ ــ ١٣٨ ·

٨٠٢ ــ اليعقوبى : المصدر السابق : ص ٣٣١ ·

٨٠٣ ــ ياقوت : المصدر السابق : جـ ٢ ص ٤٥٩ ·

٨٠٤ ــ عبد العال الشامى : المرجع السابق : ص : ٥٠ ·

٨٠٥ ــ ابن دقماق : المصدر السابق : قسم ٢ ص ٨ ·

٨٠٦ ـ على باشا مبارك : المرجع السابق : جـ ١١ ص ٧٣ وانظر أيضا : محمد رمزى المرجع السابق : مجلد ٣ جـ ٢ ص ٢٥٩، قاموس جغرافى للقطر المصرى : ص : ٢٨٥ ·

٨٠٧ ـ أنظر مثلا : رؤوف حبيب : المرجع السابق : ص ٥٣ ، سعاد ماهر : الفن القبطى ص : ٤٥ ، مصطفى حسين : المرجع السابق : ص : ٢٨ ·

٨٠٨ ـ ابن بطوطه : المصدر السابق : ص : ٤٧ ·

٨٠٩ ـ انظر ايضا : سعاد ماهر : النسيج الاسلامى : ص : ٤٢ . خليل ضومط : المرجع السابق : ص : ١٥٧ ·

٨١٠ ـ اليعقوبى : المصدر السابق : ص ص : ٣٣٠ ـ ٣٣١ ·

٨١١ ـ الادريسى : المصدر السابق : ص ٥١ ·

٨١٢ ـ على باشا مبارك : المرجع السابق : جـ ١١ ص : ٧٣ ·

٨١٣ ـ الادريس : المصدر السابق : ص ٥١ ·

٨١٤ ـ السيد الباز العرينى : الأيوبيون : ص ص : ١٩٨ ـ ١٩٩ ·

٨١٥ ـ ابن حوقل : المصدر السابق : ص :١٢٧·

٨١٦ ـ الادريسى : نزهة المشتاق : ص : ٥١ ·

٨١٧ ـ يا قوت : المصدر السابق : جـ ٣ ص : ٢٥٠ وانظر أيضا : قاموس جغرافى للقطر المصرى : ص : ٣٥٦ ·

٨١٨ ـ ياقوت : المصدر السابق : جـ ٣ ص : ٢٥٠ وراجع أيضا : عبد العال الشامى : المرجع السابق : ص : ٢٢ ·

٨١٩ ـ الادريس : المصدر السابق : ص ص : ٥١ ـ ٥٢ ·

٨٢٠ ـ ابن عبد الحكم : المصدر السابق : ص ص : ١٢ ـ ٢٤ وانظر أيضا : الموسوعة العربية الميسرة ص : ١٣٥٧ ·

٨٢١ ـ البلاذرى : المصدر السابق : جـ ٣ ص ٧٥٨ ·

٨٢٢ ـ الكندى : المصدر السابق : ص : ٥١ ·

٨٢٣ ـ الاصطخرى : المصدر السابق : ص : ٥٠ ·

٨٢٤ ـ المسعودى : مروج الذهب : جـ ١ ص : ٣٤٦ ·

٨٢٥ ـ ابن حوقل : المصدر السابق ص ص : ١٣٨ ، ١٤٩ ·

٨٢٦ ـ المسبحى : المصدر السابق : جـ ١ ص ١٧ ح ٢ ·

٨٢٧ ـ الادريسى ; المصدر السابق : ص ص : ١٤٦ ـ ١٤٨ ·

٨٢٨ ـ ياقوت : المصدر السابق : جـ ٤ ص ٢٨٦ ·

٨٢٩ ـ القزوينى : المصدر السابق : ص ص : ٢٣٨ ـ ٢٣٩ ·

٨٣٠ ـ المقريزى : الخطط : جـ ١ ص : ٤٥١ ·

٨٣١ ـ ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص ٦٠ ·

٨٣٢ ـ على باشا مبارك : المرجع السابق : جـ ١٤ ص ص : ٨٤ ـ ٩٤ ، وانظر أيضا محمد رمزى : المرجع السابق : مجلد ٣ ص ٩٦٢ ، قاموس جغرافى للقطر

المصرى : ص : ٥٧٤ ، سعيد عاشور : بحوث ودراسات فى تاريخ العصور الوسطى : ص ص : ٣٢٣ ـ ٣٤٩ ٠

٨٣٣ ـ الفريد بتلر : المرجع السابق : ص : ١٩٩ ٠

٨٣٤ ـ انظر أيضا : سعاد ماهر : الفن القبطى : ص : ٤٥ ، رؤوف حبيب : المرجع السابق : ص : ٥٣ ٠

٨٣٥ ـ المقدسى : المصدر السابق : ص : ٢٠٣ ٠

٨٣٦ ـ انظر فى ذلك أيضا : سعاد ماهر : النسيج الاسلامى : ص : ٤٢ ، سعيد عاشور : المرجع السابق : ص : ٣٤٤ ، محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق : ص ص : ١٣٥ ـ ١٣٦ ٠

٨٣٧ ـ انظر فى ذلك : أبو زيد شلبى : المرجع السابق : ص : ٣٠٦ ٠

٨٣٨ ـ مصطفى حسين : المرجع السابق : ص : ٥٠ ٠

٨٣٩ ـ انظر فى ذلك : آدم متز : المرجع السابق : ج ٢ ص ص : ٣٥١ ـ ٣٥٢ ، محمد جمال الدين سرور : مصر فى عصر الدولة الفاطمية : ص : ٢٠٠ ٠

٨٤٠ ـ وصف مصر : ج ٤ ص ص : ١٩٩ ـ ٢٠٢ ٠

٨٤١ ـ على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١٤ ص ٩٠ ٠

٨٤٢ ـ C. F. B. : Harden ; Roman glass from Karanis, An Arbor 1936, Passin.

٨٤٣ ـ زكى محمد حسن : فنون الاسلام : ص ص : ٥٨٦ ـ ٥٨٧ ، كنوز الفاطميين : لنفس المؤلف ص : ١٨١ ٠

٨٤٤ ـ انظر : محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون فى مصر ، ص ص : ٣٠٨ ـ ٣٠٩ ، تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق (لنفس المؤلف) ص : ١٤٣ ، توفيق عبد الجواد : المرجع السابق : ج ٣ ص : ٢٢٤ ٠

٨٤٥ ـ لازالت هذه التحف محفوظة فى الخزانتين (A ; D) بالقاعة المخصصة لهذه التحف ٠

انظر أيضا : هنرى رياض : المرجع السابق : ص : ٧٧ ٠

٨٤٦ ـ أنظر أيضا : حسن الباشا : المرجع السابق : ص ص : ٣٦٢ ـ ٣٨٠ ، محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق : ص ١٣٤ ٠

٨٤٧ ـ هذه الصحون والقدور معروضة على الرفين الأوسط والأسفل بالخزانة رقم (٦) فى القاعة رقم (١٣) من المتحف المشار اليه ٠

٨٤٨ ـ هذا الصحن مسجل بالمتحف المشار اليه تحت رقم (١٠٠٣٨) ٠

٨٤٩ ـ انظر أيضا : محمد مصطفى : المرجع السابق ص ص : ٧١ ـ ٧٢ ٠

٨٥٠ ـ راشد البراوى : المرجع السابق : ص ١٧٨ ، سعيد عاشور : المرجع السابق ص ٣٤٤ ٠

٨٥١ ـ المقدسى : المصدر السابق ص ٢٠٣ ٠

٨٥٢ ـ أبو صالح الارمنى : كنائس وأديرة مصر (نشر B.T.A. Evettes : Fol. 18 a FF, 69 B. FF.

٨٥٣ ـ انظر أيضا هنرى رياض : المرجع السابق ص ١٨٨ ٠

٨٥٤ ـ وصف مصر : جـ ٣ ص ص : ٢٢٠ ـ ٢٢١ وانظر أيضا راشد البراوى ٠ المرجع السابق : ص : ٣٨٣ ٠

٨٥٥ ـ ياقوت : المصدر السابق جـ ٣ ص ٩٣٦ ٠

٨٥٦ ـ علي باشا مبارك : المرجع السابق : جـ ١٤ ص : ٩٠ وانظر أيضا : سعيد عاشور : المرجع السابق : ص : ٣٤٤ ٠

٨٥٧ ـ وصف مصر : جـ ٤ ص ص : ٢١٢ ـ ٢١٥ ٠

٨٥٨ ـ ابن قتيبة : المعارف : ص : ٣٧٢ ٠

٨٥٩ ـ الاصطخرى : المصدر السابق : ص : ٥٣ ٠

٨٦٠ ـ المسعودى : التنبيه والاشراف : ص : ٢٨٣ ٠

٨٦١ ـ ابن حوقل : المصدر السابق : ص ١٤٨ ٠

٨٦٢ ـ ياقوت : المصدر السابق جـ ١ ص ٥٠٩ وانظر أيضا عبد العال الشامى : المرجع السابق : ص ٢٤ ٠

٨٦٣ ـ ابن دقماق : المصدر السابق : قسم ١ ص ١٣١ ٠

٨٦٤ ـ ابن ظهيرة : المصدر السابق ص : ٦١ ح ١ وانظر أيضا : محمد رمزى : المرجع السابق مجلد ٣ جـ ٢ ص ٣ ، قاموس جغرافى للقطر المصرى : ص : ٤٠ ، ص : ٢٥٥ ٠

٨٦٥ ـ المقدسى : المصدر السابق : ص ٢٠٣ ٠

٨٦٦ ـ ابن ظهيرة : المصدر السابق ص : ٦١ ٠

٨٦٧ ـ انظر أيضا محمد عبد العزيز مرزوق : المرجع السابق : جـ ٢ ص ٣٧٣ ٠

٨٦٨ ـ هذا الابريق محفوظ في الخزانة رقم (٢) بالقاعة رقم (٢) وانظر عنه أيضا : حسن الباشا : المرجع السابق : ص ٣٩١ ، م٠ س٠ ديماند : المرجع السابق : ص : ١٤٢ ٠

٨٦٩ ـ هذه القطعة مسجلة بالمتحف المشار اليه تحت رقم (٩٠٦١) ومقاسها (٢٧ر×٢٣رم) وانظر عن هذه القطعة بنفس النص المشار اليه : زكى محمد حسن : فنون الاسلام : ص ٣٤٩ ولنفس المؤلف : كنوز الفاطميين : ص : ٣٨ ، أطلس الفنون الزخرفية : شكل ٥٦٦ ص ١٨٦ ، حسن الباشا : المرجع السابق : ٥٠ وانظر اشارة أخرى الى نفس القطعة فى : محمد مصطفى : المرجع السابق : ص : ٨٢ ، م٠ س٠ ديماند : المرجع السابق : ص : ٢٥٠ ٠

٨٧٠ ـ قاموس جغرافى للقطر المصرى : ص : ٧٤٣ ٠

٨٧١ ـ هذه القطعة مسجلة بالمتحف المشار اليه تحت رقم (١٠٨٤٦) ومصورة فى زكى محمد حسن : الاطلس : ص : ١٨٤ (شكل ٥٥٩) ٠

٨٧٢ ـ ابن حوقل : المصدر السابق ص : ١٢٨ ٠

٨٧٣ ـ الادريسى : المصدر السابق ص ١٥٨ ٠

٨٧٤ ـ ياقوت : المصدر السابق جـ ٣ ص ٢٦٩ ٠

٨٧٥ ـ عبد العال الشامى : المرجع السابق ص ١٤ ٠

الفصل الثانى

الصعيد الأوسط

ينحصر ما سنتحدث عنه فى هذا الفصل من مراكز الصعيد الأوسط فى محافظتين هما المنيا وأسيوط ، والواقع أن ما لدينـــا من معلومات تاريخية فى هذا الصدد يوضح أن مراكز الصناعة بالمنيا كانت أكثر عددا وأوفر نشاطا من مثيلاتها فى أسيوط وسنحاول فيما يلى توضيح موقف كل من المحافظتين فيما يتعلق بمراكزها وصناعاتها ٠

أولا : محافظـة المنيـا

لقد برزت فى محافظة المنيا عدة مراكز صناعية هامة تمثلت فى مــدن الأشمونين والقيس والبهنسا وأنصنا وملوى ، وان دلت كثرة هذه المراكز على شىء فانما تدل على أن اقليم المنيا كان من أكثر أقاليم الصعيد نشاطا خلال العصر الاسلامى فى مصر ٠

وعاصمة هذا الاقليم كما هو معروف هى مدينة المنيا ، وقد ذكرت فى المصادر العربية كلها باسم « منية ابن خصيب » يدل على ذلك ما أشار اليه الادريسى فى القرنين (٥ ـ ٦ هـ / ١١ ـ ١٢ م) بقوله « ومن مدينة القيس الى منية ابن الخصيب وهى قرية عامرة حولها جنات وأرض متصلة العمارات وقصب وأعناب كثيرة وهى فى الضفة الشرقية من النيل » (٨٧٨) وعلى الرغم من اشارة الادريسى اليها بصفة القرية الا أن ياقوت فى القرنين (٦ ـ ٧ هـ / ١٢ ـ ١٣ م) قد ذكرها بصفة المدينة فقال « منيـــة ابن الخصيب مدينة كبيرة حسنة كثيرة الأهل والسكن على شاطىء النيل فى الصعيد الأدنى وفى قبلتهـــا مقام ابراهيم عليه السلام » (٨٧٩) ٠

والواقع أن اختلاف الوصفين ولا سيما فيما يتعلق بالصفة الحضرية التى كانت عليها المنيا على عهد كل المؤرخين أمر ليس بمستغرب خاصة ونحن نعلم أن طبيعة التطور ليست ثابتة على مر الأيام ، فكم من بلاد تحضرت ثم تلاشت حضارتها ، وليس ببعيد أنها كانت قرية على عهـــد

الادريسى ثم تطورت وصارت مدينة على عهد ياقـــوت ، وهنا لا بد من الاشارة الى أن ياقوت كان قد جعلها فى الصعيد الأدنى ، وقد خالفناه فى ذلك اضطرارا وجعلناها فى الصعيد الأوسط حتى لا يكون هناك تباين فى الكم بين الأبواب والفصول بعضها مع بعض ، وحتى نحدث قدر المستطاع نوعا من التوازن بين هذه الأبواب وتلك الفصول ٠

كذلك فقد أوردها المقريزى فى القرنين (٨ ــ ٩ هـ / ١٤ ــ ١٥ م) بصفة المدينة وبنفس التسمية المشار اليها ، وفسر ذلك بقوله « هذه المدينة تنسب الى الخصيب بن عبد الحميد صاحب خراج مصر من قبل أمير المؤمنين هارون الرشيد (٨٨٠) » ، ثم كررت الموسوعة العربية ما ذكره المقريزى فيما يختص بتفسير التسمية الا أنها زادت عليه القول بأنها « مدينة بمصر الوسطى على الضفة الغربية للنيل اسمها القديم تمونى ثم صارت عاصمة لمحافظة المنيا منذ سنة (١٨٣٣م) (٨٨١) ، وقد ازدهرت باقليم المنيا عدة مراكز صناعية هامة هى الأشمونيين والقيس والبهنسا وأنصـنا وملوى ، وسنحاول فيما يلى عرض الموقف الصناعى والحرفى لكل مركز من هذه المراكز ٠

١ ــ الأشمونيين :

رغم اختلاف المؤرخين حول تسمية هذه المدينة ، فانها قد نالت من اهتماماتهم حظا وافرا أثرى معرفتنا عنها بالكثير من المعلومات التى توالت علينا فيما سجلوه عنهـــا منذ القـــرن (٤هـ / ١٠ م) وحتى القـــرن (١٠ هـ / ١٦ م) وما بعده ، يدل على ذلك أنها وردت باسم الأشمونين فيما ذكره كل من الأصطخرى والمسبحى حيث أشار اليها الأول فى القرن (٤ هـ / ١٠ م) بقوله « وأما الأشمونين فانها مدينة صغيرة عامرة ذات نخيل وزروع » (٨٨٢) وحيث وردت فيما قيل تعليقا على اشارة المسبحى اليها بنفس التسمية فى القرنين (٤ ــ ٥ هـ / ١٠ ــ ١١ م) بأنها « من المدن المصرية القديمة وهى احدى بلاد مركز ملوى بمحافظـــة أسيوط (المنيا حاليا) غربى النيل » (٨٨٣) ، أما الادريسى فى القرنين (٥ ــ ٦هـ/ ١١ ــ ١٢م) فقد ذكرها باسم الأشمونى وقال « وهى مدينة صغيرة حسنة عامرة بها جنات وبساتين ونخيل وزروع ٠٠ وأمامها من شمال النيل بوصير » (٨٨٤) وأوردها ياقوت فى القرنين (٦ ــ ٧هـ/١٢ ــ ١٣ م) باسم « أشمون » وقال « وأهل مصر يقولون الأشمونين وهى مدينة قديمة أزلية عامرة آهلة وهى قصبة كورة من كور الصعيد الأدنى غربى النيل ذات بساتين ونخل كثير سميت باسم عامرها وهو أشمن ابن مصر بن بيصر بن حام بن نوح » (٨٨٥) وذكرها ابن بطوطة فى القرن

(٨ هـ / ١٤ م) باسم منية القائد حين قال « ومن دير الطين (دار السلام حاليا فى الطريق الى حلوان) عبر النيل الى منية القائد وكانت مشهورة بالكتان شهرة عظيمة » (٨٨٦) وهنا تجب الاشارة الى أن ما ذكره ابن بطوطة فى هذا النص لا يعنى بالضرورة مدينة المنيا ذاتها وانما يعنى ما اشتهر به الاقليم بصفة عامة من منسوجات نعرف أنها كانت تصنع فى مدن عديدة منه ولا سيما الأشمونين .

ثم جاء المقريزى وابن دقماق فى القرنين (٨ ـ ٩ هـ / ١٤ ـ ١٥م) وذكرها كل منهما بنفس التسمية التى أوردها كل من الاصطخرى والمسبحى فقال الأول ان « مدينة الأشمونين من أعظم مدن الصعيد يقال انها من بناء أشمون بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام .. وكان ينزل بأرض الاشمونين عدة بطون من بنى جعفر بن على بن أبى طالب رضى الله عنه » (٨٨٧) وقال الثانى ان « عبرة الأشمونيين (٢٥٠٠٠) دينارا ومساحتها (٣١٢٦) فدانا وهى من المدن القديمة التى عمرها أشموم ابن مصر » (٨٨٨) .

كذلك فقد جاء فيما قيل تعليقا على ما ذكره ابن ظهيرة عنها فى القرن (١٠هـ/١٦ م) باسم الأشمونين أنها كانت مركزا لعبادة الاله توت وأنها سميت قديما باسم « شمون » وكانت تقع على النيل تجاه مدينة أنصنا ورغم أنها قد اندثرت منذ زمن الا أن مكانها لا يزال ظاهرا فى التل الواقع بجوار بلدة الأشمونين الحالة بمركز ملوى بمحافظة المنيا (٨٨٩) .

ثم جاء على باشا مبارك فى القرن (١٣ هـ / ١٩) وأفاض علينا ببعض المعلومات التاريخية عن هذه المدينة حين قال « انها اسم لمدينة كبيرة كثيرة الذكر فى مؤلفاته سير أخبار القبط ، وأنها كانت قاعدة للوجه القبلى تقع بين البحر اليوسفى والنيل يقال انها من بناء الملكة كلئوباترا ، وكانت تسمى هرموبوليس أو مدينة ادريس عليه السلام (٨٩٠) ، ومن ذلك يتضح أنه اختلف فى أصل بنائها مع ما ذكرته المصادر العربية فيما سبقت الاشارة اليه فى هذا الصدد ولا سيما ما أورده كل من ياقوت والمقريزى وابن دقماق الذين جعلوا نسبة بنائها الى أشمون ابن مصر بن بيصر بن حام بن نوح ، أما فى الموسوعة العربية فقد وردت المدينة بنفس التسمية وقيل انها « كانت عاصمة الاقليم الخامس عشر من أقاليم الصعيد ، عرفت فى العصور القديمة باسم « شمون » ومعناه ثمانية العناصر الطبيعية التى قامت منها الحياة ، ثم سماها الاغريق هرموبوليس ماجنا نسبة الى معبودهم « توت » ولازالت بها أطلال معابد من عهد الدولتين الوسطى والحديثة ، وكذا من عهد البطالمة والرومان (٨٩١) » .

هذا عن الاشمونين كموقع وتاريخ ، أما فيما يتعلق بها كمركـــز صناعي ، فان ما لدينا من معلومات عنها فى هذا الصدد يثبت أنها كانت مركزا للعديد من الصناعات ولا سيما صناعات النسيج والزجاج والخزف والبردى ٠

(أ) صناعة النسيج :

يمكن القول فى ثقة واطمئنان أن مدينة الأشمونين كانت خلال العصر الاسلامى مركزا لعمل المنسوجات الكتانية بشـكل خاص ، يؤيد ذلك مما ورد فى المصـادر العربية ما أشـار اليـه فى القرن (٤هـ/١٠م) كل من الاصطخرى وابن حوقل حين قال الأول مقتضبا « ٠٠ ويرتفع من الأشمونين ثياب كثيرة » (٨٩٢) ٠ وحين قال الثاني مفسرا « ويرتفع منها الكتان وثياب منه يجهز كثيرا الى مصر وغيرها » (٨٩٣) وفى هذا ما يعنى صراحة أن منسوجات الأشمونين الكتانية كانت تفيض عن حاجة أسواقها المحلية حتى أنها لم تكن تحمل الى باقى الأسواق المصرية فقط وانما الى غيرها من الأسواق الخارجية ايضا ٠

كذلك فقد أشار الادريسى فى القرنين (٥ ــ ٦ هـ / ١١ ــ ١٢ م) الى ما كان يعمل فى مدينة الأشمونين من منسوجات عندما قال « وهى مدينة صغيرة حسنة ٠٠ تعمل بها ثياب معروفة » (٨٩٤) وربما يغنينا وصفه لهذه الثياب بلفظة « المعروفة » عن التعليق على شهرتها وسعـــة انتشـــارها وهو ما أكده ابن ظهيرة فى القرن (١٠ هـ / ١٦ م) بقوله « وما يعمل فيها من الأرز والكتان يحمل الى سائر الآفاق » (٨٩٥) واذا كان ذلك يعنى صراحة أنها كانت تصدر الى الأسواق الخارجية فانه يعنى ضمنا أنها كانت حسنة الصنعة رفيعة الذوق ، ليس هذا فقط بل لقد أشار علي باشا مبارك الى هذه المنسوجات أيضا عندما قال نقلا عن المقريزى « أنه كان يعمل فيها فرش القرمزى الذى يشبه الأرمنى ، وأنه كان يجلب منها للبلاد الأخرى (داخـــل وخـــارج مصر) مقدار كثير من هـــذه الثياب » (٨٩٦) ٠

ولم يقتصر ما ورد عن صناعة النسيج فى الأشمونين على ما سبقت الاشارة اليه من المصادر ذات الثقة وانما وصلتنا معلومات عنه أيضا فى كثير من المراجع العربية التى أجمعت على أن المدينة لم تكن مركزا لهذه الصناعة فى العصر البيزنطى فقط وانما احتفظت بتقاليدها الصناعية فى هذا المجال خلال العصور الاسلامية منذ عصر الاخشيديين وحتى عصرى

الأيوبيين والمماليك ، بدليل ما قيل فى بعض هذه المراجع من أن المنسوجات الكتانية والقطنية والصوفية بما فيها الفرش الموشاة والبسط والستور كانت تصنع فيها خلال هذه العصور (٨٩٧) ٠

(ب) صناعة الزجـــاج :

رغم أن المصادر العربية لم تشر بشىء عن صناعة الزجـــاج فى الأشمونين خلال العصور الاسلامية ، الا أن كثيرا من المراجع العربية قد أجمعت على أن هذه المدينة كانت خلال العصور المشار اليها مركزا من مراكز هذه الصناعة فى مصر ، يدل على ذلك ما ورد فى بعض هذه المراجع من أن مراكز صناعة الزجاج المصرى الاسلامى كانت تنحصر فى الفسطاط والفيوم والأشمونين والاسكندرية (٨٩٨) ٠ واذا كانت المراجع المشار اليها قد أوردت هذه الصناعة بين صناعات الأشمونين فى العصر الاسلامى بصفة عامة دون تحديد ، الا أنها قد وردت فى بعض المراجع الأخرى بين أنشطة المدينة الصناعية فيما بين العصرين الفاطمى والمملوكى مرورا بطبيعة الحال بالعصر الأيوبى (٨٩٩) ، ومهما يكن من أمر فقد نسبت كل هذه المراجع تقدم الصناعة المشار اليها فى الاشمونين الى اهتمام الخلفاء وكبار رجال الدولة بالعمل على تقدم الصناعة الاسلامية بصفة عامة ، وانها كانت تمثل موردا هاما من موارد الدولة المالية ٠

(جـ) صناعات الخزف والبردى والعملات :

الواقع أننا لا نملك أيضا فيما يتعلق بهذا الصناعات الا ما جاء فى بعض المراجع العربية الحديثة خاصا بها ، من ذلك مثلا ما ورد فى احد هذه المراجع من أن صناعة الخزف كانت من الصناعات التى شاعت فى كثير من البلدان المصرية خلال العصر الاسلامى « ولا سيما فى الفسطاط والفيوم والأشمونين » (٩٠٠) ، وما جاء فى بعضها الآخر من أنه قد عثر فى خرائب الاشمونين وأكوامها على بعض قراطيس البردى وكثير من العملة (٩٠١) ٠ واذا جاز لنا التصديق بما ورد فى هذه المراجـــع عن صناعتى الخزف والبردى لما كان لهاتين الصناعتين من صـــفة الشيوع والذيوع ، فاننا لا نستطيع التصديق بما ذهب اليه أحـــدهما خاصـــا بالعملات ، لأن وجود كثير من هذه المسكوكات فى أطلال المدينة لا يعنى أنها كانت تضرب فيها ، ونحن نعرف أولا أن العملة هى أسهل ما يمكن للانسان حمله من مكان الى مكان ، ونعرف ثانيا أنها من الأشياء التى لا يمكن لهذا الانسان أن يستغنى عنها لأنها كانت ولا تزال أهم وسائله فى الحصول على حاجاته ، يضاف الى ذلك أن ما لدينا من معلومات تاريخية

ليس فيه ما يثبت أن المدينة كانت تشتمل خلال العصور المشار اليها على دار للضرب .

٣ ـ القيس :

القيس كما ورد تعليقا على اشارة المسبحي اليهـــا فى القرنين (٤ ـ ٥ هـ / ١٠ ـ ١١ م) هى « قرية بصعيد مصر تقع غربى النيل بمركز بنى مزار محافظة المنيا » (٩٠٣) ومع ذلك فقد ذكرها الادريسى فى القرنين (٥ ـ ٦ هـ / ١١ ـ ١٢ م) بصفة المدينة حين قال « وأما مدينة القيس التى على ضفة النيل وبغربيه فهى مدينة قديمة حسنة البناء جميلة الجهات فيها قصب السكر الكثير وأنواع التمور والخيرات » (٤٩٠) وأشار اليها ياقوت في القرنين (٦ ـ ٧ هـ / ١٢ ـ ١٣ م) بقوله « القيس مصدر قاس يقيس قيسا ، والقيس كورة كانت بمصر وقد خربت الآن قالوا سميت قيسا لأن فتحها كان على يد قيس بن الحارث المرادى فسميت به ، وكانت فى غربى النيل بعد الجيزة ، ثم أشار نقلا عن المدائنى الى أن دخل السلطان فيها قد قدر سنة (٢٢٦ هـ ـ ٨٤٠ م) بخمسة عشر ألف دينار » (٩٠٤) .

كذلك فقد أشار اليها فى القرنين (٨ ـ ٩ هـ / ١٤ ـ ١٥ م) كل من المقريزى وابن دقماق فقال الأول « اعلم ان القيس من البلاد التى تجاور مدينة البهنسا وكان يقال القيس والبهنسا » ثم أشار نقلا عـن ابن عبد الحكم مؤكدا بذلك ما ذكره ياقوت أيضا من أن عمرو بن العاص كان قد بعث قيسا بن الحارث الى الصعيد فسار حتى أتى القيس فنزل بها وبه سميت وقال « وآثارها الى الآن باقية على البحر الملح فيما بين السوادة والواردة » (٩٠٥) ، وقال الثانى أن عبرتها وكفورها (١٥٠ر١٥) دينارا ومساحتها (١٤٨٢) فدانا وكرر ما ذكره كل من ابن عبد الحكم وياقوت والمقريزى فيما يختص بموضوع تسميتها (٩٠٦) .

أما القسم المنشور من أوراق البردى العربية فقد ورد فيه أن القيس كانت حاضرة الكورة المسماة بهذا الاسم فى صعيد مصر جنـــوب غربى مدينة بنى مزار (٩٠٧) ، ورغم ذلك فقد ذكرها على باشا مبارك فى القرن (١٣ هـ / ١٩ م) بصفة القرية وقال انها « قرية من مديرية المنية بمركز بنى مزار ، وكان لها ولاهناس فى الازمان القديمة حاكم واحد ، وكانت البلد القديمة تسمى قابيس ، وكانت ذات أسقفية وحفظت لهـا العرب اسمها القديم بتحريف قليل » (٩٠٨) ثم عاد صاحب القاموس الجغرافى وذكرها بصفة المدينة وقال انها « مدينة فى مصر الوسطى وردت فى كتب

القبـــط باسم (Kies) ومنه اسمهــا العربى « القيس » التى بمركــز بنى مزار (٩٠٩) • ولا تعليق لدينا على ذلك سوى أن عملية التطور من البداوة الى الحضارة أو التدهور من الحضارة الى البدواة هى عملية تتوقف على كثير من الأسباب التى ربما كانت واردة فى عهد كل من هؤلاء •

واذا ما انتقلنا من القيس كموقع وتاريخ وتسمية الى القيس كمركز صناعى، فان ما لدينا من أدلة مادية ثابتة ومعلومات تاريخية مؤكدة وردت بشأنها فى كثير من المصادر والمراجع العربية يحصر نشاطها الصــناعى فى مجال النسيج فقــط ، يدل على ذلك ما ذكره اليعقــوبى فى القرن (٣ هـ/٩ م) بقوله « وبها تعمل الثياب القيسية والأكسية الصــوف الجيد » (٩١٠) ومعنى ذلك أن منسوجاتها الكتانية والصوفية كانت على درجة عالية من الجودة ، ويدل عليه أيضا • ما أشار اليــه المقريزى فى القرنين (٨ ــ ٩هـ/١٤ ــ ١٥م) بقوله فى موضع انها « بلد تنسب اليها الثياب القيسية » (٩١١) وفى موضع آخر بتفصيل أكثر يقول « ولهم ثياب الصوف والأكسية المرعز ، وليس هى بالدنيــا الا بمصر ، وذكر بعض أهلها أن معاوية بن أبى سفيان لما كبر كان لا يدفأ ، فاجتمعوا على أنه لا يدفيه الا الأكسية تعمل بمصر من صــوفها المرعز العســلى غير المصبوغ ، فعمل له منها عدد فما احتاج منها الا الى واحد ، ولهم طراز القيس والبهنسا فى الستور والمضارب ، يعرفون به ومنــه طراز أهل الدنيا » (٩١٢) ، ومن هذا النص الهام الذى ذكره المقريزى يمكن القول ان القيس كانت تشتهر حتى عصره بعمل المنسوجات الصوفية التى سميت بالمرعز العسلى غير المصبوغ بصفة خاصة ، الى جانب ما اشتهرت به أيضا من الستور والمضارب التى كانت تعمل فى غالب الظن ــ من المنسوجات الكتانية الرفيعة •

وحول الأنواع المشار اليها من منسوجات القيس وردت اشارة أخرى فى الجزء المنشور من أوراق البردى العربية فقيل ان القيس كانت تشتهر بصناعة الثياب القيسية والأكسية الصوف (٩١٣) ، أما على باشا مبارك فقد أشــار فى القرن (١٣هـ/١٩م) الى القصـــة التى رواها المقريزى فيما يتعلق بالأكسية الصوفية التى صنعت فى القيس لمعاوية بن أبى سفيان الا أنه فسر الستور التى كانت تعمل فيهــا بالأبســطة وفسر المضارب بالخيم (٩١٤) •

وقد تأكدت هذه المادة التاريخية التى وردت عن صناعة النسيج فى القيس بقطعة أثرية لازالت محفوظة فى متحف الفن الاسلامى بالقــاهرة

عليها شريط من كتابة كوفية بسيطة فى سطر واحد تقول انها صنعت فى مدينة القيس سنة (١٦٨هـ/٧٨٤م) ، وينحصر هذا الشريط الكتابى بين أشرطة أخرى ذات زخارف نباتية وهندسية ، بالاضافة الى رسوم أسماك وطيور (٩١٥) ، والذى لا شك فيه أن هذه الزخارف ولا سيما أشكال الطيور والأسماك كانت ولا تزال من أهم العناصر الزخرفية القبطية ، وفى هذا ما يؤكد أن صناعة النسيج كانت قد تأسست فى المدينة خلال العصر المسيحى .

ومع ذلك لم يقتصر ما ورد عن منسوجات القيس على ما جاء فى المصادر العربية المشار اليها وما أكدته القطعة الأثرية السالفة التى لا زالت محفوظة فى متحف الفن الاسلامى بالقاهرة ، وانما وردت عنها معلومات أخرى كثيرة فى المراجع العربية الحديثة ، وقد أجمعت هذه المراجع على أن منسوجات القيس كانت تنحصر فى الأقمشة الصوفية بشكل خاص وربما أضيفت اليها المنسوجات القطنية والكتانية بشكل عام (٩١٦) ، ويبدو ــ مما جاء فى بعض هذه المراجع أيضا ــ أن صناعة النسيج ظلت قائمة فى المدينة فيما بين العصرين الفاطمى والمملوكى (٩١٧) .

٣ ــ البهنسا :

لقيت البهنسا حظا وافرا من اهتمامات المؤرخين العرب مثلها فى ذلك مثل باقى المراكز الصناعية الهامة فى مصر الاسلامية ، وكان من نتيجة ذلك أن أفاضت علينا هذه المصادر كثيرا من المعلومات فيما يتعلق بهذه المدينة كموقع وتاريخ أو فيما يتعلق بها كمركز من أهم مراكز صناعة النسيج المصرى الاسلامى .

ويأتى ابن حوقل فى القرن (٤هـ/١٠م) على رأس من ذكروها كموقع وتاريخ حين قال « وبالفرفرون والبهنسا قصران لآل عبدون يليهما مساكن القلمون .. وبالبهنسة وبيخيط وبيريس قرى ظاهرة وباطنة » (٩١٨) وفى هذا ما يشير الى ما كان بالمدينة فى القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى من أبنية وقصور ، كذلك فقد ذكرت فيما قيل تعليقا على ما أشار اليه المسبحى فى القرنين (٤ ــ ٥ هـ /١٠ ــ ١١ م) بأنها تقع الى الغرب من قرية القيس » (٩١٩) ، وفى هذا ما يشير الى تأثير كل مركز من هذين المركزين المتجاورين على الآخر فى مجال الصناعة التى اشتهر بها كل منهما .

وقد زارها ابن بطوطة فى القرن (٨ هـ/١٤ م) وقال « ثم سافرت منها (يقصد من ببا) الى مدينة البهنسا وهى مدينة كبيرة وبساتينها كثيرة » (٩٢٠) ، وفى تلك الاشارة العابرة نجد أنه لم يعط البهنسا صفة المدينة فقط وانما وصفها بالكبيرة ذات البساتين الكثيرة فاختلف بذلك مع ما ذكره المسبحى قبله واتفق فيه مع ما ذكره المقريزى بعده فى القرن (٩هـ/١٥م) حيث وصفها الأخير بالمدينة وجعلها فى جهة الغرب من النيل (٩٢١) .

أما ما قيل تعليقا على اشارة ابن ظهيرة اليها فى القرن (١٠ هـ / ١٦ م) فمؤداه أنهـــا ـ كما قال المقريزى ـ فى جهة الغرب من النيل بالصعيد الأدنى يضاف اليها كورة فيقال « كورة البهنسا » وفى سنة (١٢٤٥ هـ /١٨٣٠ م) ضمت بلاد مركزى المنيا وأبو قرقاص تحت اسم « مأمورية الأقاليم الوسطى » فأصبحت البهنسا بذلك قرية من قرى مصر تابعة لمركز بنى مزار بمحافظة المنيا (٩٢٢) .

ثم جاء على باشا مبارك فى القرن (١٣هـ/١٩م) فزاد معرفتنا عن هذه المدينة حين قال « انها بلدة مشهورة بالصعيد الأوسط بين منية ابن خصيب وبنى سويف الى جهة الغرب (من النيل) كان يقال لها بمج أو بمجة وهى كلمة قبطية تستعمل مفردة ومضافة الى كلمة اكسيرانيكوس، وقد خلفتها القرية الموجودة الآن باسمها على الشاطىء الغربى من بحر يوسف من بلاد مديرية المنية بقسم الجرنوس » (٩٢٣) وفى تفسير آخر لما ذكره على باشا مبارك يقول صاحب القاموس الجغرافى ان اسمها القبطى (Pemze) وأن حرفا (dj) فى اللغة القبطية ينطقان بالعربية سينا أو صادا فيقال « بمسية » ومنه اسمها العربى بهنسة الذى أضيفت اليه بعد ذلك أداة التعريف فصارت البهنسة أو البهنسا ، وفى دفتر تعداد (تاريع) سنة ١٩٣٦ هـ « سميت بالبهنسا الغربية لوقوعها على الجانب الغربى لبحر يوسف تجـاه صندفا وأصـبحت الفشن قـاعدة لـولاية البهنسا » (٩٢٤) .

كذلك فقد ذكرت البهنسا فى الموسوعة العربية باضافات أخرى مؤداها أنها بلدة بمركز بنى مزار بمحافظة المنيا كانت قديما عاصـمة للاقليم التاسع عشر من أقاليم الصعيد ومركزا لعبادة الاله « ست » أسماها الاغريق سيرتكوس نسبة الى نوع من السمك المقدس وقد أوى اليها (أى الى البهنسا) كثير من الرهبان أول أيام المسيحية وبلغ عددهم فى ديورها عشرة آلاف وعدد الراهبات اثنى عشر ، التفت اليها التاريخ فى أيام الاسلام وبخاصة زمن المماليك ، وقد عثر فى خرائبها على كثير

من قراطيس البردى منها المكتوب بالآرامية والاغريقية والعربية (٩٢٥) ، ثم زاد على باشا مبارك فى القرن (١٣ هـ /١٩ م) على كل ذلك بقوله ان المدينة وقت فتح المسلمين بلاد مصر « كانت عالية الجدران حصينة الأسوار وكان بها أبواب أربعة الى الجهات الأربعة » (٩٢٦) .

هذا عن البهنسا كموقع وتاريخ ، أما فيما يتعلق بها كمركز صناعى فالواقع أن ما لدينا من المعلومات التاريخية التى وردت فى كثير من المصادر والمراجع العربية وما تحتفظ به المتاحف من أدلة مادية تثبت بما لا يدع مجالا للشك أن البهنسا كانت مركزا من أهم مراكز صناعة النسيج فى مصر منذ العصر المسيحى طبقا لما ورد فى بعض المراجع العربية الحديثة (٩٢٧) ، وخلال العصر الاسلامى منذ ما قبل القرن (٣ هـ /٩ م) وحتى ما بعد القرن (١٠ هـ /١٦ م) تقريبا ، يدل على ذلك ما ذكره اليعقوبى فى القرن (٣ هـ /٩ م) حين قال « وبها تعمل الستور البهنسية » (٩٢٨) وما زاد به الكندى فى القرنين (٣ ــ ٤هـ/٩ ــ ١٠م) بقوله « ولهم طراز البهنسا من الستور والمضارب ما يفوقون به طراز أهل الدنيا » (٩٢٩) .

أما ابن حوقل فى القرن (٤ هـ /١٠ م) فقد فصل كثيرا فى الحديث عن منسوجات البهنسا حين قال «وتعمل بها الستور والاستبرقات» (٩٣٠) والشرع (أشرعة المراكب) والخيام والستائر والبسط والمضارب(٩٣١) ، والفساطيط (الخيام) العظام بالصوف والكتان بأصباغ لا تستحيل (لا تتغير) وألوان تثبت فيها من صورة البقة الى الفيل (٩٣٢) ، ولم يزل لأصحاب الطراز من خدم السلطان بها الخدم والأمناء ، وللتجار من أقطار الأرض فى استعمال أغراضهم بها من الستور الطوال الثمينة التى طول الستر من ثلاثين ذراعا الى ما زاد أو نقص مما قيمة الزوج منها ثلاثمائة دينار » (٩٣٣) ولنا فى هذا النص البالغ الأهمية ما يكفى للوقوف على كثير من جوانب صناعة النسيج الاسلامى فى البهنسا خلال القرن الرابع الهجرى ، يستوى فى ذلك ما يختص بالأنواع المختلفة للمنسوجات التى كانت تصنع فى المدينة من الصوف والكتان ، أو ما يتعلق بعملية صبغها وتلوينها بألوان ثابتة لا تتبدل ولا تتغير ، أو ما يتصل بأشكال الزخرفة التى كانت تتزين بها من رسوم الطيور والحيوانات ، وقد أوجز المقدسى (وهو أحد معاصرى ابن حوقل) ذلك كله فقال « وتصنع ببهنسة الستور والأنماط والكتان الرفيع » (٩٣٤) الذى كان يؤتى بخاماته من مزارع بوصير .

ثم جاء الادريسى فى القرنين (٥ ــ ٦ هـ /١١ ــ ١٢ م) وفصل فى الحديث عن منسوجات البهنسا كما فصل ابن حوقل ، الا أنه زاد عليه

فقال « وبهذه المدينة كانت والى الآن طرز ينسج بهـا للخاصة الستور المعروفة بالبهنسية والمقاطع السلطانية والمضارب الكبار والثياب المحبرة (الملونة) ، وبها طرز كثيرة للعامة يقيم بها التجار الستور الثمينة،طول الستر منها ثلاثون ذراعا ، مما قيمة الزوج منها مائتا مثقال ولا يصنع فيها شيء من الستور والأكسية وسائر الثياب المتخذة من الصوف والقطن الا وفيها اسم الطرز المتخذة بها ، كانت من طرز الخاصـــة أو من طرز العامة ، سمة مكتوبة فعلها الجيل المتقدم وتبعهم على ذلك من خلفهم من الصناع الى حين وقتنا هذا ، وهذه الستور والفرش والاكسية مشهورة فى جميع الأرض » (٩٣٥) ومن هذا النص الذى يساوى فى الأهمية ما ذكره ابن حوقل ان لم يزد عليه يمكن التعرف فيما يتعلق بصناعة النسيج فى البهنسا ليس فقط على الأنواع المختلفة لهذه المنسوجات كما ذكرها ابن حوقل ، وانما التعرف أيضا على أن المدينة كانت تشتمل الى جانب مصانع طراز الخاصة على الكثير من مصانع طراز العامة ، وأن القطن كان يستخدم الى جانب ما ذكره ابن حوقل من الصوف والكتان كمادة لهذه المنسوجات ، وأن طرزا مكتوبة كانت تنقش بصيغتها المعروفة على كل ما يخرج من مصانع المدينة العامة والخاصة .

أما ابن مماتى وابن بطوطة فقد أشار كل منهما باقتضاب شديد الى طراز البهنسا حين ذكر الأول (ولم يزد) أن «بمصر طراز البهنسا»(٩٣٦) وحين قال الثانى فى القرن (٨ هـ /١٤ م) (ولم يفسر) أنه « تصنع بمدينة البهنسا ثياب الصوف الجيدة » (٩٣٧) ثم جاء المقريزى فى القرنين (٨ ــ ٩ هـ /١٤ ــ ١٥ م) وقال أن « بها تعمل الستور البهنسية ، وينسج المطرز والمقاطع السلطانية ، والمضارب الكبار والثياب المحبرة ، وكان يعمل بها من الستور ما يبلغ طول الستر الواحد ثلاثين ذراعا ، وقيمة الزوج مائتا مثقال ذهب ، واذا صنع بها شيء من الستور والأكسية والثياب من الصـــــوف أو القطن فلا بد أن يكون اســـم المتخذ له مكتوبا .. على ذلك مضوا جيلا بعد جيل » (٩٣٨) وهو بهذا لا يختلف كثيرا عما ذكره ابن حوقل والادريسى ، بل لعله يكاد يكون تكرارا لما سبق لهذين المؤرخين قوله .

كذلك فقد أشار السيوطى وابن ظهيرة فى القرن (١٠ هـ /١٦م) الى منسوجات البهنسا فقال الأول « وبالبهنسا الستور والبسط والمضارب والبراقع وستور النسوان والأكسية والطيالسة » (٩٣٩) وقال الثانى وبها (أى بالبهنسا) طراز الستور الذى يحمل الى الآفاق من سائر البلاد ولا يخلو منه مجلس ملك ولا رئيس » (٩٤٠) ومعنى ذلك أن هذه الستور أو الستائر كانت على قدر بالغ من جودة الصنعة وجمال الذوق حتى أنها كانت تتخذ ستائر لمجالس الملوك والرؤساء .

أما على باشا مبارك فقد نقل فى القرن (١٣ هـ /١٩ م) أثناء حديثه عن منسوجات البهنسا ما ذكره المقريزى بالنص سواء ما يتعلق بمسميات الأقمشة التى كانت تنسج فى المدينة وخاماتها ، أو ما يختص بأطوال ستورها وأثمانها ، أو ما يشير الى ما كان ينقش عليها من طرز كتابية (٩٤١) .

ولم يقتصر ما جاء عن صناعة النسيج فى البهنسا على ما سبقت الاشارة اليه من المصادر العربية ، وانما ورد الحديث عن هذه المنسوجات أيضا فى كثير من المراجع العربية الحديثة . وكان من تلك المراجع ما أشار اليها كمنسوجات اسلامية بصفة عامة ، ومنها ما أوردها بترتيب تاريخى ، وصفوة ما ذكرته المراجع العربية فى هذا الصدد بصفة عامة أن مدينة البهنسا كانت قد اشتهرت فى العصر الاسلامى كمركز لصناعة المنسوجات القطنية والصوفية والكتانية والحريرية ، وأنه كانت تعمل من هــذه الخامات الفرش الموشاة والبسط والستور ونحوها (٩٤٢) . كذلك كانت تعمل منها ملابس القضاة ورجال الدين التى سميت فى المصادر العربية باسم « الطيلسان » وهو ضرب من الأوشحة شبيها بالشال كان يلبس على الكتف أو يحيط بالبدن خال من التفصيل والخياطة (٩٤٣) ، وقد أخطأته بعض المراجع المشار اليها وسمته الأطلس (٩٤٤) .

أما المراجع العربية التى تكلمت عن منسوجات البهنســا بترتيب تاريخى فقد جعلت المدينة مركزا من أهم مراكز صناعة النسيج فى مصر منذ العصر البيزنطى وحتى العصر المملوكى مرورا ـ بطبيعة الحال ـ بالعصور الاخشيدية والفاطمية والأيوبية ، وخلاصة ما أوردته هــذه المراجع لا يختلف كثيرا عما جاء فى مجموعة المراجع التى تكلمت عن هذه المنسوجات بصفة عامة ، ســواء من حيث المواد الخام ممثلة فى القطن والصوف والكتان والحرير ، أو من حيث النوعيات النسيجية ممثلة فى المقاطع السلطانية والمطرزات والمشارب والثياب المحبرة والستور مما كان لا يخرج من مصانع العامة أو الخاصة الا وعليه طرازه المكتوب (٩٤٥) .

ورغم هذا الفيض الهائل من المعلومات التاريخية التى وردت فى المصادر والمراجع العربية عن منسوجات البهنسا ، فان لدينا مما يحتفظ به متحف الفن الاسلامى بالقاهرة قطعة من النسيج الطولونى عليها فى النصف العلوى جامات تضم رسوم أرانب تتوسطها جامة رئيسية نجد فيها رسما لرأس آدمى ، أما النصف السفلى فعليه شريط من كتــابة كوفية بسيطة فى سطر واحد نقرأ فيها « مما عمل فى طراز الخاصة بمدينة البهنسى » (٩٤٦) (انظر شكل : ٨٩) ، وأخيرا فقد أشار زكى حسن الى

أنه عثر فى البهنسا على كثير من التحف الزجاجية (٩٤٧) ، وان صح ذلك فانه يعنى أن المدينة كانت الى جانب صناعة النسيج مركزا لصناعة الزجاج الاسلامى ولا سيما فى العصر الفاطمى ٠

٤ ــ أنصنــا :

الواقع أن أنصنا رغم تواضع مركزها الصناعى حتى اذا ما قيست بمراكز الصناعة الأخرى بذات الاقليم مثل الأشمونين والقيس والبهنسا ، الا أنها لاقت من اهتمامات المؤرخين العرب حظا ان لم يزد فهو يتساوى مع ما لاقته المراكز الهامة المشار اليها ، وربما كان ذلك ليس لأنها كانت مركزا صناعيا ذا شأن مورست فيه حرف وصناعات شتى أكثر من أنها كانت احدى المدائن التى جمع منها فرعون السحرة يوم لقاء موسى ٠

وقد توالت اشارات المؤرخين الى هــذه المدينــة اعتبارا من القرن (٤ هـ /١٠ م) حتى القرن (١٠ هـ /١٦ م) وما بعده ، حيث أوردها ابن حوقل فى القرن (٤هـ/١٠م) فى الرسم الذى وضعه لصورة مصر على جانب النيل الأعلى من اليمين ، وجعلها بالتحديد بين أخميم وأتفيح من اقليم الصعيد (٩٤٨) ٠ وذكرها الادريسى فى القرنين (٥ ــ ٦ هـ / ١١ ــ ١٢ م) بقوله « وهى مدينة قديمة البناء حسنة البساتين والمتنزهات كثيرة الثمار ، وهى المشهورة بمدينة السحرة ، ومنها جلبهم فرعون فى يوم الموعد للقاء موسى النبى عم » (٩٤٩) ٠

كذلك فقد أشــــار اليهــا كل من ياقوت والقزوينى فى القرنين (٦ ــ ٧ هـ/١٢ ــ ١٣ م) فقال الأول أنها « مدينة أزلية من نواحى الصعيد على شرقى النيل ، فيها برابى وآثار كثيرة » (٥٩٠) وقال الثانى أنها « مدينة قديمة على شرقى النيل بأرض مصر ثم قال (نقلا عن ابن الفقيه) أن أهلها مسخوا حجرا على أعمالهم فالرجل نائم مع زوجتــه والقصاب يقطع لحمه والمرأة تخمر عجينها والصبى فى المهد والرغفان فى التنور » (٩٥١) ولا شك أن وصف ياقوت لهذه المدينة بالأزليـــة يدل بوضوح على أنها تضرب كثيرا فى عمق التاريخ ، وهو أمر لا غرابة فيه وقد كانت احدى مدائن سحرة فرعون الذين جمعهم يوم لقاء موسى ، ولعله هو نفس السبب الذى جعل أهلها ــ ان صح ما ذكره القزوينى ــ مسوخا على حالهم ٠

أما المقريزى فى القرنين (٨ ــ ٩ هـ /١٤ ــ ١٥ م) فقال أن مدينة أنصنا احدى مدائن صعيد مصر القديمة فى شرقى النيل يقال أن الذى بناها هو أشمون بن مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح ، وأنها كانت

حسنة البساتين والمتنزهات كثيرة الثمار والفواكة فيها عدة عجائب منها الملعب الذى يقال أنه كان مقياس النيل ، وأنه من بناء دلوكة أحد من ملك مصر ثم أشار (نقلا عن البكرى) أن سحرة فرعون كانوا منها ، وأنها كانت كورة من كور مصر وأن مارية سرية النبى (ص) وأم ابنه ابراهيم كانت من قرية تابعة لهذه الكورة يقال لها جفن وأضاف على ذلك أنه كان لأنصنا سور عتيق هدمه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب (٩٥٢) . ثم قيل فيما ذكر تعليقا على اشارة ابن ظهيرة الى هذه المدينة فى القرن (١٠ هـ /١٦م) ، أنها كانت احدى مدائن مصر القديمة وكورة من كورها بها قرية جغن التى منها مارية القبطية أم ابراهيم بن النبى صلى الله عليه وسلم ، وقيد زمامها فى أوائل القرن (١٣ هـ /١٩ م) باسم الشيخ عبادة ، ومكانها اليوم الأطلال الواقعة فى حوض مدينة النصلة (ربما تحريفا عن أنصنا) شرقى النيل بمركز ملوى بمحافظة المنيا (٩٥٣) . وزاد على باشا مبارك فى القرن (١٣ هـ /١٩ م) على ما سبقت الاشارة اليه من معلومات عن مدينة أنصنا أنها كانت قاعدة الوجه القبلى الى أن بنى قيصر الروم تجاهها على النيل مدينة عظيمة سميت أنتنويه وهى أنصنا فكانت سببا فى انحطاطها (٩٥٤) .

هذا عن أنصنا كموقع وتاريخ ، أما فيما يتعلق بها كمركز صناعى فالواقع أن ما لدينا من معلومات تاريخية ينحصر فيما وصلنا عنها فى هذا الصدد فى المصادر العربية فقط ، وهذه المعلومات رغم قلتها ورغم ما يبدو أنها فى حاجة الى مزيد من الأدلة الأخرى ، الا أنها تثبت بما لا يدع مجالا للشك أن مدينة أنصنا كانت مركزا لفرعين من الصناعة هما أعواد السفن وطراز البردى أو النسيج .

يدل على ذلك فيما يختص بأعواد السفن ما ذكره ياقوت والقزوينى فى القرنين (٦ ـ ٧ هـ / ١٢ ـ ١٣ م) من تفردها بصناعة شجر اللبخ ذى الأهمية فى مجال بناء السفن حين قال الأول « ولا ينبت اللبخ الا بأنصنا ، وهو عود تنشر منه الألواح للسفن ، ويباع العود منها بخمسين دينارا أو نحوها (٩٥٥) . وحين قال الثانى « وبأنصنا شجر اللبخ وهو عود ينشر لألواح السفينة .. ولشجرته ثمرة تشبه البلح فى لونه وشكله وطعمه » (٩٥٦) ثم جاء المقريزى فى القرنين (٨ ـ ٩ هـ /١٤ ـ ١٥ م) وأكد بالنص ما ذكره من قبل كل من ياقوت والقزوينى رغم الخطأ غير المقصود الذى يبدو أنه وقع فيه فيما يختص بتسمية شجر أعواد هذه السفن حين قال « ولا ينبت النبج الا بأنصنا وهو عود تنشر منه ألواح للسفن ويباع اللوح منه بخمسين دينارا ونحوها (٩٥٧) . وبنفس النص الذى أورده كل من ياقوت والقزوينى والمقريزى جاء ما ذكره على باشا

مبارك خاصا بهذه الأعواد فى القرن (١٣ هـ/١٩ م) الا أنه زاد عليه قوله « واذا شد لوح منها بلوح وطرح فى الماء سنة التأما وصارا لوحا واحدا » (٩٥٨) ٠

أما فيما يتعلق بطرازى البردى أو النسيج فى أنصنا ، فاننا لا نملك دليلا على ذلك سوى ما جاء فى الجزء المنشور من أوراق البردى العربية خاصا بقطعة من البردى الجيد ترجع الى القرنين (٢ ـ ٣ هـ / ٨ ـ ٩م) مقاسها (١٥ر١٠ × ١ر٨) سم ربما تكون قد اكتشفت كما قال المحقق فى الأشمونين ، على وجهها كتابة تتألف من أربعة أسطر نصها ١ ـ بسم الله الرحمن الرحيم ٢ ـ قبض حسين بن يحنس من رماح بن يوسف ٣ ـ المتوكل بطراز أشمون وأنصنى ٤ ـ (٠٠) أرابى العبـاس أعزه الله (٩٥٩) ٠ ومن هذا النص الهام يتضح أنه كان هناك طرازا خاصا بأشمون وأنصنى ، وأنه كان لهذين الطرازين فى القرنين (٢ ـ ٣ هـ/ ٨ ـ ٩م) متوكل واحد هو رماح بن يوسف ، ونظرا الى أن هذه البردية لم تحدد نوعا للطراز المشار اليه ، فانه يمكن القول أن هذا الطراز اما أنه كان طرازا برديا واما أنه كان طرازا نسيجيا ، لا سيما وأن المصطلح ـ كما نعرف ـ كان يطلق على كلتا الحالتين ، ولو أن الراجح فى ذلك أنه أنه كان طراز بردى لا طراز نسيج لأنه لو كان طراز نسيج لوجدنا له ولو اشارة فى أى من المصادر العربية الكثيرة التى سبقت الاشارة اليها ٠

٥ ـ ملـــوى :

ملوى أو منلوى كما وردت فى بعض المصادر العربية هى آخر مراكز الصناعة التى نتحدث عنها فى محافظة المنيا وقد ذكرها ابن بطوطة فى القرن (٨ هـ /١٤ م) كموقع وتاريخ بقوله « وسافرت من منية ابن خصيب الى مدينة منلوى وهى صـغيرة مبنيـة على مســـافة ميلين من النيل (٩٦٠) وأشار اليها ابن دقماق فى القرن (٩هـ/١٥م) حين قال أن « مساحتها (٤٨٧٦) فدانا وهى جارية فى اقطاع الجناب السيفى أبو بكر بن سنقر الجمالى » (٩٦١) ، ثم أوردها على باشا مبارك فى القرن (١٣ هـ /١٩ م) بقوله أنها « مدينة قديمة بالصعيد الأوسط فى غربى النيل قبلى مدينة أنصنا ، ذكر بعض المؤرخين أنها كانت تسمى صول ، وفى خطط الفرنساوية أنها فى محل مدينة كانت تسمى قديما هرموبوليتا فيلاس ، ثم سميت ملوى العريش ، وفى سنة (١٧٢٠ م) كانت هى مركز المديرية (٩٦٢) ٠

هذا فيما يتعلق بملوى كموقع وتاريخ ، أما فيما يختص بها كمركز صناعى فان ما ورد بشأنها من معلومات فى هـذا الصدد ليس بالكثير وينحصر أساسا فى صناعتى السكر والفخار والخزف ، وقد جاءت اشارة الى الصناعة الأولى فيما ذكره ابن بطوطة فى القرن (٨ هـ/١٤ م) حين قال « وبهذه المدينة (منلوى) احدى عشرة معصرة للسكر ، ومن عوائدهم أنهم لا يمنعون فقيرا من دخول معصرة منها ، فيأتى الفقير بالخبزة الحارة ويطرحها فى القدر التى يطبخ السكر فيها ثم يخرجها وقد امتلأت سكرا فينصرف » (٩٦٣) ليس هذا فقط بل ان ما ذكره المقريزى فى القرنين (٨ ــ ٩ هـ /١٤ ــ ١٥ م) من أن صناعة السكر كانت منتشرة فى أقاليم عديدة من مصر ومن بينها المنيا كان المقصود به فى غالب الظن مدينـة ملوى (٩٦٤) • كذلك فقد وردت اشارات أخرى الى صناعة السكر فى ملوى منها ما ذكره على باشا مبارك فى القرن (١٣ هـ /١٩ م) حين قال « وصار يزرع فيها قصب السكر كثيرا » (٩٦٥) ، ومنها ما أورده راشد البراوى بقوله « وكانت مراكز صناعة السكر منتشرة فى أنحاء البلاد ومنها الفسطاط والمنيا » (٩٦٦) وقد سبقت الاشارة الى أنه أحيانا ما يلجأ المؤرخون ومن تبعهم من الكتاب الى ذكر الصنعة منسوبة الى عاصمة الاقليم وليس الى مركز صناعتها كما فى الحالة التى بين أيدينا ، وكما ورد مثلا فيما يختص بمنسوجات دبيق التى نسبت الى دمياط فقيل ومن دمياط الدبيقى ، والمعروف أن صناعة السكر كانت تمارس ولا سيما فى العصر المملوكى فى العديد من مدن الوجه القبلى الذى كان ولا يزال مليئا بمزارع قصب السكر ، خاصة وأن هذا العصر كان من أكثر العصور الاسلامية استخداما للحلوى فى مناسباته العديدة ، الأمر الذى كان يعنى ضرورة توفر كميات كبيرة لهذه الاستخدامات التى كانت سببا فى أنه خصص لهذه الحلوى خلال الفترة المشار اليها سوقا سمى « بسوق الحلاويين » كانت تباع فيه جميع أصناف الحلوى ، وقد أخبرنا المقريزى بكثير من التفاصيل عن هذا السوق وغيره من الأسواق فى الفصل الذى عقده لذلك من خططه (٩٦٧) • فلا عجب اذن أن تكون ملوى واحدة من هذه البلاد التى مورست فيهـا صناعة السكر وفاء للحاجات الكثيرة التى تطلبتهـا مناسبات العصر المشار اليه •

أما عن صناعة الفخار والخزف ، فالواقع أنه ليست لدينا من المعلومات الدالة على ذلك سوى ما ورد فى كتاب « وصف مصر » حيث قيل فيه « ويوجد فى ملوى مصانع للجرار الكبيرة والآنية ، تشبه تلك التى تصنع فى ادفو ، والتى تستخدم فى تجهيز صبغة النيلة والسـكر ، والتى يستخدمها الصباغون والدباغون » (٩٦٨) •

ثانيا : محافظة أسيوط

رغم الأهمية التاريخية المعروفة لاقليم أسيوط ، الا أنه لم يكن فى العصر الاسلامى – على ما يبدو – على نفس القدر من الأهمية الحرفية والصناعية ، يؤيد ذلك أنه لم يشتمل من مراكز الصناعة الا على ثلاثة مراكز فقط تمثلت فى مدينة أسيوط ذاتها ثم فى مدينتى أخميم ومنفلوط ٠

١ – مدينة أسيوط :

لا شك أن ما نالته أسيوط من اهتمامات المؤرخين والباحثين كان سببا رئيسيا فيما وصلنا من معلومات تاريخية وافرة عن هذه المدينة سواء فيما يتعلق بها كموقع وتاريخ أو فيما يتعلق بها كمركز صناعى ، فقد ذكرها الكندى فى القرنين (٣ – ٤ هـ /٩ – ١٠ م) بقوله انه « لما صورت الدنيا كلها للرشيد لم يستحسن الا كورة أسيوط ٠٠ ويزرع فيها الكتان والقمح والقرط وسائر أصناف الغلات » (٩٦٩) ووصفها الادريسى فى القرنين (٥ – ٦ هـ /١١ – ١٢ م) بقوله « مدينة أسيوط على الضفة الغربية من النيل ، وهى مدينة كبيرة عامرة آهلة جامعة لضروب المحاسن ، كثيرة الجنات والبساتين » (٩٧٠) وأشار اليها ياقوت فى القرنين (٦ – ٧ هـ /١٢ – ١٣ م) حين قال مدينة فى غربى النيل من نواحى صعيد مصر وهى مدينة جليلة كبيرة كانت أحد متنزهات أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون » (٩٧١) ٠

ثم كرر القزوينى فى القرنين (٧ – ٨ هـ/١٣ – ١٤ م) ما ذكره الادريسى وياقوت خاصا بموقع أسيوط فى غربى النيل ، وما ذكره الكندى خاصا باستحسان الرشيد لهذه الكورة دون سائر كور الأرض لكثرة ما بها من الخيرات والمتنزهات ، الا أنه زاد عليه أن فيها سبع وخمسون كنيسة للنصارى » (٩٧٢) وزارها ابن بطوطة فى القرن (٨ هـ /١٤ م) وقال عنها باقتضاب شديد « وسافرت الى أسيوط وهى مدينة رفيعة أسواقها بديعة » (٩٧٣) وهو وصف جميع مع اقتضابه فأوعى ، لأن قوله « وهى مدينة رفيعة » يدل على الرفعة والعظمة ، وفى هذا ما فيه من معان ، وقوله « أسواقها بديعة » يؤكد ليس فقط كفاية ما كان فى هذه الأسواق من سلع ومنتجات ، وانما جمال هذه السلع وتلك المنتجات أيضا ٠

كذلك فقد ذكرها ابن دقماق فى القرن (٩ هـ /١٥ م) بقوله أنها مدينة الاقليم ، وبها سكن نائب الوجه القبلى ، وبها قاض مستقل ، وهى بين بحر النيل والجبل ، وبها عدة مدارس وجامع قديم (٩٧٤) ، ومعنى

ذلك انها كانت حاضرة اقليم أسيوط الذى اشتمل على قاض ونائب كان ينوب عن حاكم الصعيد الذى كان مقره قوص ، ونقل ابن ظهيرة فى القرن (١٠ هـ/١٦ م) ما ذكره الكندى والقزوينى بالنص فيما يتعلق باستحسان الرشيد لكورة أسيوط دون سائر كور الأرض (٩٧٥) ٠

أما على باشا مبارك فقد زاد على كل ما ذكر فى القرن (١٣هـ/١٩م) حين قال بأنها « مدينة مشهورة بالصعيد الأوسط غربى النيل ، واقعة فى آخر المزارع على طرف حاجر الجبل الغربى ، وكانت تسميها اليونان ليكوبوليس (أى مدينة الذئاب) لأن أهلها كانوا يحترمون الذئب ويقدسونه ، وهى رأس مديرية تنسب اليها ، ومحل اقامة الحاكم ، ومركز من ينزل من مصر الى الصعيد من الأمراء » (٩٧٦) ثم جاء فى الموسوعة العربية أنها كانت فى أوائل القرن (١٣ هـ/١٩م) ولاية باسم الأشمونين، وكانت عاصمتها ملوى (ثم) سميت مديرية أسيوط وأصبحت عاصمتها أسيوط (سنة) (١٨٢٦ م) » (٩٧٧) ٠ هذا فيما يتعلق بأسيوط كموقع وتاريخ أما فيما يختص بها كمركز صناعى فان ما لدينا من معلومات تاريخية وردت بهذا الصدد فى كثير من المصادر والمراجع العربية يؤيد بما لا يدع مجالا للشك أن هذه المدينة كانت مركزا للعديد من الحرف والصناعات ولا سيما صناعات النسيج والسجاد والصباغة والفخار والجلود والعاج والزجاج ، بالاضافة الى بعض الصناعات التى اعتمدت على المنتجات الزراعية مثل صناعة السكر والزيوت والأفيون ٠

(أ) صناعة النسيج والصباغة :

يثبت ما لدينا من معلومات تاريخية أن مدينة أسيوط كانت مركزا من مراكز صناعة النسيج فى مصر خلال العصر المسيحى ، يدل على ذلك أولا مكتشفات أثرية عثر عليها فى بعض المواقع بالاقليم ولا زالت محفوظة فى المتحف اليونانى الرومانى بالاسكندرية ، ونعنى بذلك مجموعة النسيج القبطى ذات الألوان والتصميمات الزخرفية المختلفة التى عثر عليها (Al-Gayet) فى قرية الشيخ عبادة ، والمنسوجة بطريقة التبطين من اللحمة والتى أرجعت الى القرنين (٢ — ٣ م) (٩٧٨) ، ويدل عليه ثانيا ما ورد فى المراجع المشار اليها من أنها وأخميم كثيرا ما صدرتا الى بيزنطة والى روما نفائس المنسوجات الصوفية التى كانت تستعمل فى الكنائس والأديرة » (٩٧٩) ٠

أما فى العصر الاسلامى فان لدينا من الأدلة التاريخية التى وردت فى كثير من المصادر والمراجع العربية ما يثبت أن هذه الصناعة كانت قد

تطورت فى المدينة خلال هذا العصر منذ القرن (٣ هـ /٩ م) وحتى القرن (١٠ هـ /١٦ م) الى أن وصلت الى درجة عالية من الجودة وحسن الذوق ، يدل على ذلك مما جاء فى المصادر العربية ما ذكره الكندى فى القرنين (٣ ــ ٤ هـ /٩ ــ ١٠ م) من أنه كان « يزرع فيها الكتان والقمح وسائر أصناف الغلات » (٩٨٠) انما يعنى أن مادة منسوجاتها الكتانيــة الخام كانت متوفرة لديها مما كان يزرع فيها ٠

وبالاضافة الى ما ذكــره الكندى خاصــا بالمنسوجات الكتانية فى أسيوط ، فقد ذكر ناصر خسرو فى القرن (هـ/١١م) أنهم « ينسجون بأســيوط عمائم من صوف الخراف لا مثيل لهــا فى العالم ، والصوف الدقيق الذى يصدر الى بلاد العجم والمسمى بالصوف المصرى كله من الصعيد الأعلى ، وقد رأيت فى أســيوط فوطة صــوف غنم كانت من الرقة بحيث تحسبها حريرا » (٩٨١) ، ونحن هنا ازاء نص بالغ الأهمية لأحد الذين شاهدوا منسوجات أسيوط الصوفية ووصفوها من واقع رؤية عين ، نستنتج منه عدة حقائق هامة : أولا أنه لم يكن لهذه المنسوجات نظير فى العالم ، فكانت من ثم أحسن ما يعمل فى هذا الصدد وقتذاك ، وثانيها أنها كانت تصدر الى كافة أسواق بلاد العجم فشكلت بذلك أحد المصادر الهامة للدخل القومى ، وثالثها أن وصفه لرقة المنشفة الصوفية حتى أنه حسبها حريرا فيــه ما فيه من كل معانى الرقة والدقة والجودة والجمال ٠

ثم جاء ياقوت فى القرنين (٦ ــ ٧ هـ /١٢ ــ ١٣ م) ولم يؤكد ما ذكره اليعقوبى قبله بثلاثة قرون من الزمان خاصا بالفرش الأرمينية فقط ، بل زاد عليه عندمــا قال « وبهــا مناســج الأرمنى والدبيــقى والمثلث » (٩٨٢) ، وحول نفس المعنى جاء ما ذكره القزوينى فى القرنين (٧ ــ ٨ هـ /١٣ ــ ١٤ م) بقوله « وبها مناسج الدبيقى والثياب اللطيفة التى لا يوجد مثلها فى شىء من البلاد (٩٨٣) ، وما ذكره ابن ظهيرة فى القرن (١٠ هـ / ١٦ م) من أن « بها مناسج الأرمنى والدبيقى والمثلث وسائر أنواع الملبوس لا يخلو منه ملك اسلامى ولا جاهلى » (٩٨٤) ليس هذا فقط بل لقد ذكر على باشا مبارك فى القرن (١٣ هـ /١٩ م) أن أغلب تجارة أسيوط على عهده كانت « ثياب الكتان والنطرون » (٩٨٥) ٠

ومع ذلك فلم يقتصر ما جاء عن صناعة النسيج فى أسيوط على كل ما سبقت الاشارة اليه من المصادر ، بل لقد وردت معلومات أخرى بشأنها فى كثير من المراجع العربية أيضا ، ومن هذه المراجع ما تكلم عن صناعة النسيج فى أسيوط بصفة عامة ، ومنه ما تكلم عنها بترتيب تاريخى ،

ويفهم مما جاء فى المراجع التى تكلمت عن هذه الصناعة فى المدينة بصفة عامة أن أسيوط كانت خلال العصر الاسلامى مركزا لصناعة المنسوجات ولا سيما الصوفية والكتانية ، وأنه كانت تعمل من هذه المنسوجات الفرش الموشاة التى كانت تشبه الأرمينية والستور والبسط (٩٨٦) .

أما المراجع التى تكلمت عن صناعة النسيج فى أسيوط بترتيب تاريخى فيفهم منها أن هذه الصناعة كانت تمارس فى المدينة فيما بين العصرين الاخشيدى والمملوكى مرورا ـ بطبيعة الحال ـ بالعصرين الفاطمى والأيوبى ، وقد ورد فى هذه المراجع أن أسيوط كانت خلال هذه العصور تشتهر بصناعة كافة أنواع المنسوجات (الكتانية والقطنية والصوفية والحريرية) ولكنها قد قصرت النوعين الأولين على العصر الاخشيدى وأضافت النوعين التاليين الى منسوجات المدينة فى العصرين الفاطمى والمملوكى (٩٨٧) .

أما عن الصباغة وهى أهم الصناعات المرتبطة بصناعة النسيج فى المدينة ، فانه لا يمكن اغفالها فى هذا الصدد استنتاجا من النص الذى أشار فيه اليعقوبى فى القرن (٣ هـ /٩ م) صراحة الى أن منسوجات قرمزية كانت تصنع فى أسيوط (٩٨٨) . ويزيدنا اقتناعا بما ذكره اليعقوبى ما وصلنا من معلومات أخرى عن هذه الصناعة فى بعض المراجع العربية الحديثة ومنه يتضح أن المدينة كانت تشتهر منذ العصر الفاطمى وحتى العصر الاسلامى المتأخر بصباغة الأقمشة الكتانية والقطنية باللون الأزرق عن طريق استخدام صبغة النيلة ، ويبدو أن سهولة الحصول على الشب والنيلة من الواحات المجاورة لمنطقة أسيوط كان قد ساعدها فى ذلك كثيرا (٩٨٩) .

(ب) صناعة السجاد :

رغم كثرة ما ورد فى المصادر العربية عن صناعة النسيج فى أسيوط خلال العصر الاسلامى ، الا أن معلومات كافية لم ترد فى هذه المصادر عن صناعة السجاد فى المدينة خلال العصر المشار اليه ، وكل ما جاءنا فى هذا الصدد ينحصر فيما ذكره اليعقوبى فى القرن (٣ هـ /٩ م) بقوله « وهى من عظام مدن الصعيد بها تعمل الفرش القرمز الذى يشبه الأرمنى » (٩٩٠) ، ووصف اليعقوبى لهذه الفرش بأنها تشبه الأرمينية انما يعنى أنها كانت ـ على ما يبدو ـ على قدر كبير من الرقة وحسن الصنعة .

ولم يقتصر ما ورد عن صناعة السجاد فى أسيوط على ما ذكره

اليعقوبى ، وانما وصلتنا معلومات أخرى عن هذه الصناعة فى المدينة ابان العصر الاسلامى من خلال ما سجلته بعض المراجع العربية الحديثة ، ومؤداه أن صناعة السجاد فى أسيوط كانت من الصناعات التى ازدهرت فى المدينة خلال العصر الفاطمى بشكل خاص (٩٩١) .

(ج) صناعات اعتمدت على منتجات زراعية :

انحصرت صناعات أسيوط التى اعتمدت على منتجات زراعية ـ كما قلنا ـ فى صناعات السكر والزيوت والأفيون . وقد وردت الاشارة الى الصناعة الأولى فيما ذكره القزوينى فى القرن (٧ هـ /١٣ م) بقوله فى موضع « وكانت مراكز صناعة السكر منتشرة فى مختلف أنحاء البلاد ومنها الفسطاط والفيوم وترنوط وأسيوط » (٩٩٣) وفيما أشار اليه فى موضع آخر أن بها (أى بأسيوط) سائر أنواع السكر ومنها يحمل الى جميع الدنيا » (٩٩٣) ومن اشارته الأخيرة هذه يتضح أن سكر أسيوط كان يصدر الى جميع البلدان الداخلية والخارجية وهو ما يعنى أن هذه الصناعة لم تكن جيدة الانتاج فقط ، وانما كانت وافرته أيضا ، ثم نقلت بعض المراجع العربية الحديثة اشارة القزوينى عن صناعة السكر فى أسيوط بالنص مستدله بها على أن هذه الصناعة كانت تمارس فى المدينة خلال العصر الفاطمى (٩٩٤) . ومع أن هذا العصر كان قد انتهى كما نعلم تماما سنة (٥٦٧هـ / ١١٧١ م) ، أى خلال القرن (٦ هـ /١٢ م) ، واشارة القزوينى هذه ترجع الى القرن (٧ هـ /١٣ م) ، الا أن ذلك لا يمنع من أن الصناعة التى كانت قائمة فى المدينة خلال القرن السادس قد ظلت مستمرة فيها ابان القرن السابع أيضا .

أما عن صناعة الزيوت فى أسيوط فان أقدم استدلال يخصها فى المصادر العربية هو ذلك الذى أورده ابن ظهيرة فى القرن (١٠ هـ /١٦م) حين قال « وبها (أى أسيوط) الخس والسفرجل الذى يزيد على كل بلد فى كثرته وبهائه ، والليمون الذى يحمل الى سائر الديار ، والقرطم وسائر أنواع الغلات » (٩٩٥) ونحن نعلم أن صناعة الزيوت فى العصر الاسلامى كانت تشتمل من هذه الزيوت على زيت الخس وزيت القرطم وغيرها ، وهو استدلال أيده ما ذكره على باشا مبارك بعد ذلك فى القرن (١٣ هـ /١٩ م) بقوله « وبها (أى أسيوط) شتى معاصر الزيت » (٩٩٦) كما أيده ما ورد فى بعض المراجع العربية الحديثة عن صناعة الزيوت فى أسيوط خلال العصر المملوكى ، ومؤداه أن الخراب الذى عم المعاصر فى العصر المشار اليه لم يقتصر على المعاصر التى كانت تنتج السكر فقط ،

وانما شمل معاصر الزيوت أيضا ولا سيما « زيت اللفت والسمسم اللذين كانا يزرعان فى جرجا وأسيوط » (٩٩٧) ٠

وقد فصلت المادة التى وردت فى كتاب « وصف مصر » عن هــذه الصناعة كثيرا ، ويفهم مما جاء فيها أن الزيوت كانت تصــنع فى مصر حينذاك من بذور الخس والقرطم واللفت (السلجم) والكتان (السمسم) وأن هذه الزيوت كانت تستخدم اما فى تتبيل بعض المأكولات ، واما فى انارة البيوت أو الشوارع وأن الناس فى المنطقة الموازية لمصر (مصر العليا) كانوا لا يستخدمون فى حياتهم سوى زيوت الخس والقرطم ، أما فى مصر الوسطى والسفلى فانهم كانوا يستخدمون زيوت اللفت والسمسم ، ليس هذا فقط بل لقد ورد فى هذه المادة أن أردبا من بذور الخس كان ينتج (بلاصين) زنة كل منهما (٣٥) رطلا ، واردبا من بذور القرطم كان ينتج (بلاصا ونصف) ، واردبا من بذور اللفت (السلجم) كان ينتج (بلاصين) مثل الخس ، واردبا من بذور الكتان كان ينتج (بلاصــا) وثلاثة أرباع ٠

أما عن كيفية استخراج الزيت من بذور هذه النباتات فقد أوردت المادة المشار اليها أن هذه البذور كانت تجرش فى البداية بين رحوين عاديين حتى تتحول الى برغل ، ثم ينقل هذا البرغل فى مرحلة ثانية الى رحوين آخرين من الجرانيت يدوران عليه حول جذع شجرة عمودى حتى يتحول الى عجينة تبسط فى مرحلة ثالثة بين حصر من سعف النخيل تسمى « أبراش » توضــع بعضهــا فوق بعض حتى يصــل عددها من (٨٠ ـــ ٨٥ « برشا ») ترتفع الى حوالى مترين ، وبضغط مستمر على هذه الأبراش فى مرحلة رابعة بواسطة رافعة معينة تتحرك حول نقطة ارتكاز قوية فى أحد جدران المصنع وتحمل من طرفها الثانى حلزونا ثابتا يمر من خلاله لولب رأسى ينتهى بكتلة من الحجر تعلق به وتستخدم بمثابة مقاومة ترفع وتخفض حسب الحاجة بواسطة هذا اللولب فيسيل الزيت المعصور بهذه الطريقة حول العمود لينتهى الى حفرة فى أسفله ينزح منها بعد ذلك ويحفظ فى جرار فخارية كبيرة ، وكانت معصرة الزيت بهذا الشكل هى أكثر الماكينات شيوعا فى كافة أنحاء مصر ومنها عشرة فى أسيوط (٩٩٨) ٠

أما عن صناعة الأفيون فان ما لدينا من معلومات تاريخية لم ترد عنها الا فى مصدرين اثنين أولهما ما أشــــار اليــه ياقوت فى القرنين (٦ ـــ ٧ هـ /١٢ ـــ ١٣ م) حين قال أن « أسيوط من عمل مصر وبها يعمل الأفيون (حيث) يعتصر من ورق الخشخاش الاسود والخس ويحمل

الى سـائر الدنيـا » (٩٩٩) وثانيهما ما ذكره القزوينى فى القرنين (٧ ـ ٨ هـ /١٣ ـ ١٤ م) بقوله « وبها (أى أسيوط) الأفيون المصرى الذى يحمل الى سائر البلاد ، وهو عبارة عن عصارة ورق الخشخاش الاسود والخس » (١٠٠٠) ويتفق المصدران جملة وتفصيلا ليس فقط على كيفية عمل هذا الأفيون من عصارة ورق الخشخاش الأسود والخس ، وانما على أنه كان يحمل الى سائر بلاد الأرض أيضا ، وفى هذا ما يعنى أن انتاجه كان من الوفرة بحيث أنه كان يكفى للتصدير لكل هذه البلدان.

(د) صناعات أخرى متفرقة :

وآخر ما يمكن الاشارة اليه من صناعات أسيوط مما ورد فى بعض المراجع العربية الحديثة أن هذه المدينة كانت تنتج بالاضـافة الى كل ما سبقت الاشارة اليه من حرفها وصناعاتها : من الفخار الأوعية الفخارية (ولا سيما حجارة الدخان وحجارة الحمام) ، ومن الجلد أطقم الخيل والزمازم وقرب الماء وأجربة السلاح ، ومن العاج الكاولات والضامات والفناجين ، ومن الزجـاج مختلف التحف التى عثر على بقاياهـا فى المدينة (١٠٠١) .

٢ ـ أخميـم :

نالت أخميم كغيرها من المراكز الصناعية الهامة فى مصر الاسلامية حظا وافرا من اهتمامات المؤرخين والباحثين جعل ما وصلنا من معلومات تاريخية عن هذه المركز الهام يمتد من القرن (٣ هـ /٩م) حتى القرن (١٠ هـ /١٦م) وما بعده ، يستوى فى ذلك أيضا ما يتعلق بأخميم كموقع وتاريخ أو ما يتعلق بها كمركز صناعى .

فقد ذكرها البلاذرى فى القرن (٣ هـ /٩م) بقوله « بلد بصعيد مصر شمالى أسيوط » (١٠٠٢) وأشار اليها ابن حوقل فى القرن (٤ هـ / ١٠ م) حين قال « والبلينا وأخميم مدينتان متقاربتان فى العمارة صغيرتان عامرتان بالنخل والزروع وذو النون المصرى من أهل أخميم » (١٠٠٣) ووصفها الادريسى فى القرنين (٥ ـ ٦ هـ /١١ ـ ١٢م) بقوله « ومدينة أخميم فى شرقى النيل وتبعد عنه نحو ميلين بها نخل كثير وقصب سكر ، وبمدينة أخميم البناء المسمى بربا وهو بيت بناه هرمس الأكبر قبـل الطوفان » (١٠٠٤) .

كذلك فقد ذكرها كل من القزوينى وياقوت فى القرنين (٦ ـ ٧ هـ/ ١٢ ـ ١٣ م) فقال الأول أنها « بلدة صغيرة عامرة بالنخيل والزروع على

النيـــل الشرقي ·· ينسب اليهـــا أبـو الفيض ذو النـون المصرى الأخميمى » (١٠٠٥) وقال الثانى أنهـا بلد بالصعيد فى الاقليم الثانى وهو بلد قديم على شاطىء النيل ، وفى غربيه جبل صغير من أصغى اليه بأذنه سمع خرير الماء ·· وبأخميم عجائب كثيرة ومنها البرابى وغيرها والأكثر أنها بنيت فى أيام الملكة دلوكة صاحبة حائط العجوز ، وينسب اليها ذو النون بن ابراهيم الأخميمى المصرى الزاهد » (١٠٠٦) ·

أما ابن بطوطة والمقريزى وابن دقماق فقد أشار كل منهم الى أخميم فى القرنين (٨ ـ ٩ هـ /١٤ ـ ١٥ م) حيث قال الأول « وسافرت منها (أى من أسيوط) الى مدينة أخميم وهى مدينة عظيمة أصيلة البنيان عجيبة الشأن » (١٠٠٧) وقال الثانى أنها « فى الجانب الشرقى من النيل والذى بناها منافيوس أحد ملوك القبط الأول ·· وما زالت بربتها قائمة الى سنة (٧٨٠ هـ /١٣٧٨ م) فخربها رجل من أهل أخميم ·· يقال أنه كان بها اثنى عشر ألف عريف على السحرة » (١٠٠٨) وقال الثالث أنها « بلدة فى شرقى النيل قديمة ، وهى مدينة الاقليم ، وكان مقام الوالى بها لأنها كانت مفردة بالولاية ، والآن يسكنها نائب الوجه القبلى ·· وجامع قديم وعدة مدارس وأسواق وقياسر وفنادق وغير ذلك » (١٠٠٩) ·

ثم جاء السيوطى وابن ظهيرة فى القرنين (٩ ـ ١٠ هـ /١٥ ـ ١٦م). فقال الأول نقلا عن ابن عبد الحكم ـ أن أول من قاس النيل بمصر يوسف عليه السلام ووضع مقياسا بمنف ، ثم وضعت العجوز دلوكة ابنة زباء مقياسا بأنصنا ومقياسا بأخميم (١٠١٠) · وقال الثانى أنها « بلد عظيم وفيه من العجائب والآثار والبرابى والطلسمات ما لا يعرف » (١٠١١) ·

ومما ورد فى كل المصادر المشار اليها عن مدينة أخميم كموقع وتاريخ يتضح أن صفوة ما ذكرته هذه المصادر ينحصر فى ثلاث نقاط : أولاها أنها بلد بالصعيد شرقى النيل وقد اتفق فى ذلك كل المؤرخون الذين تحدثوا عنها ، وثانيتها بنسبة ذى النون الزاهد المصرى المعروف اليها وقد اتفق فيها ما ذكره كل من ابن حوقل والقزوينى وياقوت ، وثالثتها نسبة هذه المدينة الى بانيها وهو أمر اختلف فيه كثيرا ، فبينما يفهم مما ذكره كل من ياقوت والسيوطى على أنها من بناء دلوكة ابنة الزباء صاحبة حائط العجوز ، نجد أن ما ذكره الادريسى يشير الى أنها من بناء هرمس الأكبر قبل الطوفان ، أما ما ذكره المقريزى فانه يوضح صراحة أنها من بناء مناقيوس أحد ملوك القبط الأول ·

ولم يقتصر ما ورد عن أخميم كموقع وتاريخ على ما ذكرته المصادر السالفة الذكر ، وانما وصلتنا معلومات أخرى عن ذلك فى بعض المراجع.

العربية الحديثة التى يأتى على رأسها ما أورده على باشا مبارك فى القرن (١٣ هـ / ١٩ م) حين قال « أخميم (بكسر الهمزة) بلد كبير من الصعيد الأوسط من أعلاه ، وهى من أسيوط على نحو مرحلتين ، وبهـا البربا المشهورة وذو النون المصرى كان من أخميم ٠٠ وكان اليونان يسمونها بانوبوليس وتعنى مدينة المقدس بان وهو اسم من أسماء الشمس على ما ذهب استرابون ، وبان هو شمس أوشيم المصرى » (١٠١٢) ثم أضافت الموسوعة العربية الى معرفتنا هذه عن أخميم كموقع وتاريخ أن هـذه المدينة تجاه ســوهاج وهى مركز بمحافظة جرجا ، اسمهـا منحوت من اللفظين (حم ـ مين) أى معبد الاله مين ، كانت عاصمة للاقليم التاسع من أقاليم الصعيد واشتهرت فى العصر المسيحى بأديرتها الكبيرة ٠٠ وكانت فى أول الفتح العربى عاصمة كورة منفصلة كما كانت من عهد الفاطميين الى زمن المماليك عاصمة اقليم الاخميمية » (١٠١٣) ٠

هذا عن أخميم كموقع وتاريخ ، أما فيما يتعلق بها كمركز صناعى فان ما لدينا من معلومات تاريخية فى هذا الصدد يحصر صناعاتها فى صناعة النسيج والسكر والجلود والزجاج ٠

(أ) صناعة النسيج :

مما لا شك فيه أن صناعة النسيج فى أخميم كانت واحدة من بين أكثر صناعات النسيج فى مصر شهرة الاطلاق ، تتساوى فى ذلك مع مثيلاتها فى تنيس ودبيق ودمياط بالوجه البحرى ، والقيس والبهنسا بالوجه القبلى ، وكان من نتائج هذه الشهرة أن نالت المدينة حظا وافرا من اهتمامات المؤرخين والباحثين ، فوصل الينا معين زاخر من المعلومات الدالة على ما كانت عليه هذه الصناعة فى المدينة خلال العصر الاسلامى٠

ومما لدينا من معلومات فى هذا الصدد يمكن القول فى ثقة واطمئنان أن مدينة اخميم كانت مركزا لصـناعة النســيج فى مصر منـذ العصر المسيحى ، يدل على ذلك أولا مكتشفات أثرية عثر عليها فى المدينة أهمها مجموعة النسيج ذات الزخارف والألوان المختلفة التى لا زالت محفوظة فى المتحف اليونانى الرومانى بالاسكندرية (١٠١٤) ٠ ويدل عليه ثانيا ما ورد فى كثير من المراجع العربية الحديثة دالا أولا على أنها اختصت خلال هذا العصر بانتاج الأقمشة الكتانية والصوفية على وجه الخصوص ، ومشيرا ثانيا الى أن هذه الأقمشة كانت تصدر الى روما وبيزنطة حيث كانت تحفظ كنفائس قيمة فى الكنائس والأديرة (١٠١٥) ٠ ليس هذا فقط بل لقد أشارت بعض هذه المراجع الى أن الحفائر التى قام بها فيرور (Ferror)

الفرنسى في بلدة اخميم قد دلت على أن الأقباط كانوا على علم باستعمال القوالب الخشبية المختلفة الأحجام فى طباعة المنسوجات الكتانية ، ويرجع تاريخ بعض هذه القطع الى القرنين (٤ ــ ٥م) ويحتوى بعضها على زخارف ذات أشــكال هندســية ورموز وصـــور دينيــة كالصــليب وصـــور القديسين (١٠١٦) .

أما فى العصر الاسلامى فلدينا مما ورد فى كثير من المصادر والمراجع العربية ما يثبت بما لا يدع مجالا للشك أن هذه الصناعة كانت قد تطورت فى المدينة حتى وصلت خلال هذا العصر الى درجة عالية من الجودة وحسن الصنعة وجمال الذوق . يؤيد ذلك مما جاء فى المصادر العربية ما ذكره فى القرن (٣ هـ/٩ م) كل من البلاذرى واليعقوبى حـين قال الأول « أنها مشهورة بعمل الملاءات القطنية والحريرية » (١٠١٧) وحين قال الثانى « وبها تعمل الفرش القطوع الأخميمية » (١٠١٨) ، ويؤيده أيضا ما ذكره ابن حوقل فى القرن (٤ هـ /١٠ م) حين قال « وبها جهاز من الكتان المعمول شقة ومنــاديل الى الحجاز ومصر » (١٠١٩) ثم جاء المقريزى بعد ذلك بكثير فى القرنين (٨ ــ ٩ هـ /١٤ ــ ١٥ م) وقال « وكانت الأنطاع تجلب من أخميم وبهــا تعمل » (١٠٢٠) ، ومـــع أن المقريزى قد اتفق مع ما ذكره اليعقوبى قبله فيما يختص بهذه الصناعة الا أنهما اختلفا فى تسمية نوع النسيج الذى أشار كل منهما اليه ، فعلى حين سماه اليعقوبى « بالفرش القطوع » بالقاف نجد المقريزى يشير اليه باسم (الأنطاع جمع نطوع) بالنون ، وهى تسمية شاركه فيها أو نقلها عنه السيوطى فى القرن (١٠ هـ/١٦ م) حين قال « وكان يعمل باخميم الفرش التى تسمى نطوع الخز » (١٠٢١) ، ويغلب على الظن أن ما أشار اليه اليعقوبى هو الصحيح لأن كلمة « قطوع » بالقاف جمع « مقطع » وهو لفظ يعبر عن طول معين لرداء واحدا يقاس بالذراع ، وهو وحدة القياس التى كانت مستعملة فى ذلك الوقت،أكثر من ذلك أن كلمة «مقطع» كانت ولا تزال مصطلحا يستعمل فى ريف مصر بهذا المعنى حتى يومنا هــذا (١٠٢٢) .

أما ابن ظهيرة وهو أحد معــاصرى السيوطى فقد فصـــل فى أمر منسوجات اخميم كثيرا حين قال « وبها يعمل الطراز الصوف الشفاف ، والمطارف (١٠٢٣) ، والمطرز ، والمعلم الأبيض والملون ، تحمل منه الى أقصى البلاد ، يبلغ الثوب منه عشرين دينارا وكذلك المطرف » (١٩٢٤) ثم جاء على باشا مبارك فى القرن (١٣ هـ/١٩م) ونقل ما أشار اليه ابن ظهيرة عن منسوجات اخميم بالنص الا أنه زاد عليه قوله « وينسج بهــا اليوم (أى على عهده) الملاءات القطن وربما وضعوا فى جانبها الحرير بعرض

عشرة أصابع .. ومعاملها القديمة التى كان يصنع فيها أقمشة الكتان استبدلت بمعامل يصنع فيها أقمشة القطن » (١٠٢٥) .

ولم يقتصر ما ورد عن صناعة النســـيج فى أخميم على ما ذكرته المصادر المشار اليها ، وانما وصلتنا معلومات أخرى عنها فى كثير من المراجع العربية الحديثة التى انقسمت بشأنها قسمين تكلم الأول عنهـا فى العصر الاسلامى بشكل عام وذكرها الثانى بترتيب تاريخى ، ويفهم من المراجع التى تكلمت عن صناعة النسيج فى اخميم خلال العصر الاسلامى بشكل عام أن مصانع المدينة كانت تنتج خلال هـذا العصر كل أنـواع الأقمشة الصوفية والقطنية والكتانية والحريرية ، وأنه قد عثر فى اطلال المدينة على بعض قطع من هذه المنسوجات (١٠٢٦) .

أما المراجع التى تكلمت عن صـناعة النســيج فى أخميم بترتيب تاريخى فان صفوة ما أشارت اليه هذه المراجع يعنى أن صناعة النسيج كانت تمارس فى المدينة منذ العصر المسيحى وحتى العصر المملوكى مرورا بالعصور الأموية والاخشيدية والفاطمية والأيوبية يؤيد ذلك ما ورد فى بعض هذه المراجع خاصا بصناعة المنسوجات الحريرية ولا سيما القبطية المبطنة من اللحمة التى قيل أنه قد عثر على مجموعة كبيرة منها فى المدينة رغم الاختلاف بين هذه المراجع على أصلها،وما ورد فى بعضها الثانى أيضا خاصا بالأقمشة الحريرية الاسلامية التى قيل أنها كانت توشى بالأسلاك الذهبية والفضية (١٠٢٧) ، ويؤيده كذلك ما ورد فى بعضها الثالث خاصا بالأقمشة الكتانية والصوفية التى قيل بأنها كانت من بين انتاج مدينة أخميم منذ عصر الأخشيديين وحتى عصر المماليك (١٠٢٨) .

(ب) صناعة السكر :

الواقع أننا لم نجد فى المصادر العربية التى أشـارت الى صناعة النسيج فى أخميم رغم كثرتهـا شيئا عن هذه الصناعة ، وبذلك فقد انحصرت معلوماتنا عنها فيما ورد فى بعض المراجع العربية الحديثة فقط ، وأعنى بذلك كتابين أولهما كتاب يتحدث عن حـالة مصر الاقتصادية على عهد الفاطميين وثانيهما كتاب « وصف مصر » الذى وضعه علماء الحملة الفرنسية فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر الميلادى . وقد ورد فى الكتاب الأول أن صناعة السكر كانت من بين صناعات المدينة على عهد الفاطميين (١٠٢٩) ، أما الكتاب الثانى فقد فصل كثيرا فى كيفية عمل هذه الصناعة ، وصفوة ما ذكر فيه أن مصنع السكر كان عادة ما يبنى على هيئة فناء مستطيل أبعاده (٤٠ × ٢٠) متر ، فى طرف منه باب

يؤدى الى فناء صغير ، وفى نهايته مخزن لأعواد القصب تجرد فيه من أوراقها بمعرفة النساء والأطفال ، ثم تنقل بعد جردها الى مبنى آخر ينقسم الى قسمين بواسطة حاجز (قطوع) فى منتصفه يضم كل قسم منها معصرة عبارة عن اسطوانتين من الخشب مثبتتين بشكل أفقى تدوران فى اتجاهين متضادين بواسطة ترس يحركه مدار يعلق به ثور ، فتدخل أعواد القصب فيما بين الاسطوانتين ويستقبل العصير الناتج من هذه العملية فى آنية كبيرة من الفخار مدفونة أسفل المعصرة ٠

وينتقل العصير بعد ذلك الى قسم آخر من أقسام المصنع حيث يصب هناك فى جرار فخارية أخرى ، ثم يمضى الى مراجل من نحاس مبنية فوق مراجل أخرى من الطوب يغلى فيها العصير غليته الأولى لمدة ساعة تقريبا ، وبعد أن يزال زبد العصير ينقل الى جرار أخرى وهكذا حتى يصب العصير المصفى آخر الأمر فى قوالب مخروطية الشكل «أقماع» توضع فى ممر مسقوف وقمتها الى أسفل حتى يتم تصفيتها لبعض الوقت ثم تمضى بعد ذلك الى مكمر أو محمى لتكتسب درجة الصلابة اللازمة ، وكان من المعتاد حينئذ أن يوضع فوق قاعدة هذه القوالب المخروطية بعض من الصلصال أو الطمى الرطب فتمر المياه التى يحتويها الصلصال أو الطمى خلال السكر فتنقيه (١٠٣٠) ٠

(جـ) صناعتا الجلود والزجاج :

لم يصلنا من المعلومات التاريخية خاصا بهاتين الصناعتين فى أخميم الا ما ورد عن أولاهما فيما ذكره اليعقوبى فى القرن (٣هـ/٩م) بقوله « وبها تعمل الجلود الأخميمية » (١٠٣١) وهذه وان كانت اشارة من مصدر من المصادر العربية التى لا نستطيع استبعادها أو تجاهلها خاصة وأن تسمية اليعقوبى لها « بالجلود الأخميمية » قياسا على ما سبقت الاشارة اليه من » اللجم الدلاصية » انما يعنى أنها كانت على درجة عالية من الجودة وذات مواصفات خاصة بحيث أنها عرفت فى المصادر العربية باسم المركز الذى أنتجها ، الا أنه لم يوضح لنا نوع هذه الجلود الاخميمية ، ومع ذلك فانه اذا جاز لنا القول أنها كانت فى غالب الظن شبيهة بتلك التى كانت تعمل فى دلاص ، فان ذلك معناه أن انتاج هذه الصناعة كان عبارة عن اللجم والسروج والأحزمة والزمازم وأجربة السلاح وما شابه ذلك ، أما ثانيتهما فلم يرد لها ذكر الا فيما سجله زكى حسن من أنه قد عثر فى المدينة على بقايا تحف زجاجية (١٠٣٢) ، وهو أمر يعنى ان صح أن هذه الصناعة كانت من بين أنشطة اخميم خلال العصر الفاطمى بشكل خاص ٠

٣ – مراكز أخرى متفرقة بالاقليم :

ينحصر آخر ما سنشير اليه في هذا الفصل من مراكز الصناعة في اقليم أسيوط في بعض المراكز الصغيرة المتفرقة ولا سيما منفلوط والعزم وسنبو ، والحقيقة أن ما وصلنا من معلومات تاريخية عن هذه المراكز ليس بالكثير ، وأهمه ما ورد عن منفلوط كموقع وتاريخ فى بعض المصادر والمراجع العربية ، ومنه ما ذكره ياقوت فى القرنين (٦ – ٧هـ/١٢ – ١٣م) بقوله أنها « بلدة بالصعيد فى غربى النيل بينها وبين شاطىء النيل بعد » (١٠٣٣) وما ذكره ابن بطوطة فى القرن (٨ هـ / ١٤ م) بقوله « وسافرت من منلوى المذكورة الى مدينة منفلوط وهى مدينة حسنة رواؤها مؤنق بناؤها على ضفة النيل شهيرة البركة » (١٠٣٤) وما جاء فى الموسوعة العربية من القول بأن الكاتب العربى المشهور مصطفى لطفى المنفلوطى (١٨٧٦ – ١٩٢٤ م) ولد بمنفلوط بصعيد مصر (١٠٣٥) ٠

أما ما جاء عن منفلوط كمركز صناعى فانه ينحصر أيضا فى قليل من المعلومات التى وصلتنا فى بعض المصادر والمراجع العربية مشيرة الى أن هذه المدينة كانت مركزا لبعض الصناعات الصغيرة ولا سيما صناعتى النبيذ والفخار ، يدل على ذلك ما ذكره ابن بطوطة فى القرن (٨ هـ/١٤م). بقوله « ويصنع بهذه المدينة (منفلوط) شبه العسل يستخرجونه من القمح ويسمونه النبيذ ويباع بأسواق مصر » (١٠٣٦) ويدل عليه أيضا ما جاء فى كتاب وصف مصر من أنه « يوجد فى ملوى ومنفلوط مصانع الجرار الكبيرة والآنية تشبه تلك التى تصنع فى ادفو والتى تستخدم فى تجهيز صبغة النيلة والسكر والتى يستخدمها الصباغون والدباغون » (١٠٣٧) وربما يلتقىٔ ما ورد فى الموسوعة العربية من أن منفلوط « تشتهر بالرمان فى غرب النيل » (١٠٣٨) مع ما جاء فى وصف مصر من حيث الجوهر ، ونحن نعرف أن قشر الرمان كان من بين الخامات التى تستخرج منها مواد الصباغة فى العصور الوسطى ، واشتهار المدينة بالرمان كما ذكر فى الموسوعة العربية من ناحية ، وبصناعة الجرار الكبيرة التى كانت تستخدم فى تجهيز الصبغة كما جاء فى وصف مصر من ناحية أخرى ، هما معنيان قد يلتقيان فى اثبات أن كلتا الصنعتين كانتا تمارسان فى المدينة خلال العصور الاسلامية المتأخرة على الأقل ٠

أما فيما يختص ببلدة العزم القريبة من أسيوط فليس بين أيدينا من المعلومات التاريخية عنها فى هذا الصدد الا ما أشير اليه فى بعض المراجع العربية الحديثة من أنه قد عثر فيها على قطع كثيرة من المنسوجات المصرية الاسلامية ، وأن شهرتها فى هذا المجال كانت قد انحصرت –

على ما يبدو – فى نسج الأقمشة الصوفية والكتانية (١٠٣٩) ، ومع ذلك فان معلومات أخرى أكثر وضوحا وتحديدا لا زالت منتظرة عن هـذا المركز فى المستقبل لأن ما ورد بصدده فى المراجع المشار اليها يحتاج حتما الى ما يؤكده من المصادر العربية أو من الأدلة الأثرية المادية .

ثم هناك أخيرا بلدة سنبو وهى كما ذكرها على باشا مبارك فى القرن (١٣ هـ/١٩ م) بلدة من قسم منفلوط بمديرية أسيوط غربى الترعة الابراهيمية ، وهى واقعة فوق تلول قديمة بحرى القوصية وقبلى دروط الشريف .. وبهـا معاصر لزيت البذر وزيت السلجم (اللفت) وفاخورة وأسقف وقلاية » (١٠٤٠) وقد سبقت الاشارة عند الحديث عن مراكز الوجه القبلى الى مركز صغير آخر بنفس التسمية فى مركز زفتى بمحافظة الغربية ، ومع ذلك فاننا لم نستطع تجاهل هذه الأشارة التى أوردها على باشا مبارك والتى توضح أن هذه البلدة كانت مركزا لصناعتى الزيوت والفخار ، فقد تساعد الظروف باحثا آخر فى الحصول على أكثر من المعلومات الواردة هنا عن هذا المركز فتعم بها حينئذ الفائدة ويزيد النفـع .

٢ ـ حواشي وتعليقات الفصل الثاني
من الباب الثالث
الصعيد الأوسط

٨٧٦ ـ الادريسي : المصدر السابق : ص : ٤٥ ٠

٨٧٧ ـ ياقوت : المصدر السابق : جـ ٥ ص ٢١٨ ٠

٨٧٨ ـ المقريزى : الخطط : جـ ١ ص : ٣٨٥ ٠

٨٧٩ ـ الموسوعة العربية الميسرة : ص : ١٧٦٣ وأنظر أيضا : قاموس جغرافي للقطر المصرى ص : ٧٦٣ ٠

٨٨٠ ـ الاصطخرى : المصدر السابق : ص : ٥٣ ٠

٨٨١ ـ المسبحى : المصدر السابق : جـ ١ ص ٨٢ ح ٦ ٠

٨٨٢ ـ الادريسي : المصدر السابق : ص : ٤٥ ٠

٨٨٣ ـ ياقوت : المصدر السابق : جـ ١ ص ٢٠٠ ٠

٨٨٤ ـ ابن بطوطه : المصدر السابق : ص : ٤٤ ٠

٨٨٥ ـ المقريزى : الخطط : جـ ١ ص ٤٤٦ ٠

٨٨٦ ـ ابن دقماق : المصدر السابق : قسم : ٢ ص : ١٥ ٠

٨٨٧ ـ ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص ٦٢ ح ١ ٠

٨٨٨ ـ على باشا مبارك : المرجع السابق : جـ ٨ ص ص : ٧٤ ـ ٧٥ ٠

٨٨٩ ـ الموسوعة العربية الميسرة : ص ١٦٧ وأنظر أيضا : محمد رمزى : المرجع السابق : مجلد ٤ جـ ٢ ص ٥٩ ، قاموس جغرافي للقطر المصرى : ص : ٩٠ ٠

٨٩٠ ـ الاصطخرى : المصدر السابق : ص : ٥٣ ٠

٨٩١ ـ ابن حوقل : المصدر السابق : ص : ١٤٨ ٠

٨٩٢ ـ الادريسي : المصدر السابق : ص ٤٥ ٠

٨٩٣ ـ ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص ٦٢ ٠

٨٩٤ ـ على باشا مبارك : المرجع السابق : جـ ٨ ص ٧٤ ٠

٨٩٥ ـ من هذه المراجع مثلا : سعاد ماهر : الفن القبطي : ص ٤٥ ، النسيج الاسلامى (لنفس المؤلفة) ص ٤٢ ، سيده كاشف : المرجع السابق : ص ٢٩٧ ، السيد الباز العرينى : مصر فى عصر الأيوبيين : ص ص : ١٩٧ ـ ٢٠٠ ، م٠ س٠ ديماند : المرجع السابق ص : ٢٥٠ ، محمد عبد العزيز مرزوق : المرجع السابق : جـ ٢ ص : ٢٧٣ ،

مصطفى حسين : المرجع السابق : ص ٤٩ ، عمر كحالة : المرجع السابق : ص ص : ٢٥٣ - ٢٥٤ .

٨٩٦ - أنظر مثلا : زكي حسن : فنون الاسلام : ص ص : ٥٨٦ - ٥٨٧ ، محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق : ص : ١٣٤ .

٨٩٧ - أنظر مثلا : زكي حسن : كنوز الفاطميين : ص ١٨١ ، محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون فى مصر : ص ص ٣٠٨ - ٣٠٩ .

٨٩٨ - محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق : ص : ١٣٤ .

٨٩٩ - الموسوعة العربية الميسرة : ص : ١٦٧ .

٩٠٠ - المسبحى : المصدر السابق جـ ١ ص ٥٦ ح ٢ .

٩٠١ - الادريسى : المصدر السابق : ص : ٤٥ .

٩٠٢ - ياقوت : المصدر السابق : جـ ٤ ص ٤٢٢ .

٩٠٣ - المقريزى : الخطط جـ ١ ص ص : ٣٣٩ ، ٣٨٣ .

٩٠٤ - ابن دقماق : المصدر السابق : قسم ٢ ص ٤ .

٩٠٥ - أدولف جروهمان : المصدر السابق : جـ ١ ص : ١٥١ .

٩٠٦ - على باشا مبارك : المرجع السابق : جـ ١٤ ص : ١٤٢ .

٩٠٧ - محمد رمزى : المرجع السابق : مجلد ٣ جـ ٢ ص ٢١٤ وانظر ايضا : قاموس جغرافى للقطر المصرى : ص : ٥٩٤ .

٩٠٨ - اليعقوبى : المصدر السابق : ص ٣٣١ .

٩٠٩ - المقريزى : الخطط : جـ ١ ص : ٣٣٩ .

٩١٠ - نفس المصدر : جـ ١ ص : ٣٨٣ .

٩١١ - أدولف جروهمان : المصدر السابق : جـ ١ ص : ١٥١ .

٩١٢ - على باشا مبارك : المرجع السابق : جـ ١٤ ص ١٤٢ .

٩١٣ - هذه القطعة مسجلة بالمتحف المشار اليه تحت رقم (١٤٤٧٣) وموجودة على الجانب الأيمن من اللوحة رقم (٤) بالقاعة رقم (١٧) .

٩١٤ - انظر من هذه المراجع : سعاد ماهر : النسيج الاسلامى : ص : ٤٢ ، محمد عبد العزيز مرزوق : المرجع السابق : جـ ٢ ص : ٣٧٣ ، محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق : ص : ١٣٧ .

٩١٥ - انظر فى ذلك : محمد جمال الدين سرور : مصر فى عصر الدولة الفاطمية : ص ١٩٨ ، دولة بنى قلاوون فى مصر (لنفس المؤلف) ص ص ٢٩٧ - ٢٩٨ ، خليل ضومط : المرجع السابق : ص : ١٣٧ .

٩١٦ - ابن حوقل : المصدر السابق : ص : ١٤٥ .

٩١٧ - المسبحى : المصدر السابق جـ ١ ص ٥٦ ح ٣ .

٩١٨ - ابن بطوطه : المصدر السابق ص ٤٧ .

٩١٩ - المقريزى : الخطط : جـ ١ ص ٤٤٣ .

٩٢٠ - ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص : ٦١ .

٩٢١ - على باشا مبارك : المرجع السابق : جـ ١٠ ص ٢ .

٩٢٢ ـ محمد رمزى : المرجع السابق : مجلد ٣ ج ٢ ص ١١١ ، قاموس جغرافى للقطر المصرى : ص ١٤٧ وانظر أيضا عن المعنى اللغوى لكلمة « بهنسة » (بهنس بهنسة فى مشيه أي تبختر) لاروس : ص ٢٥٤ ٠

٩٢٣ ـ الموسوعة العربية الميسرة : ص : ٤١٩ ٠

٩٢٤ ـ على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١٠ ص ٢ ٠

٩٢٥ ـ رؤوف حبيب : المرجع السابق : ص : ٥٣ ٠

٩٢٦ ـ اليعقوبى : المصدر السابق : ص : ٥٣ ٠

٩٢٧ ـ الكندى : المصدر السابق ص ص ٢٤ ، ٦٨ ٠

٩٢٨ ـ الاستبرق : فارسى معرب وهو الديباج الغليظ أو النسيج من الحرير يعمل بخيوط الذهب ، وهو أيضا الثوب الضيق من الحرير ٠ راجع : لاروس : ص ٧٦ ٠

٩٢٩ ـ المضارب : اذا كانت جمع مضرب فهى من البسط ونحوها الممتنة بكثرة التخييط واذا كانت جمع مضربة فهى كساء ذو طاقين بينهما قطن ٠ راجع لاروس : ص : ١١٢٥ ٠

٩٣٠ ـ البقة : نوع من بقر الوحش كبير جدا والبقة واحدة البق ٠ راجع : لاروس : ص : ١١٢٥ ٠

٩٣١ ـ بن حوقل : المصدر السابق : ص : ١٤٩ ٠

٩٣٢ ـ المقدسى : المصدر السابق ص : ٢٠٢ ٠

٩٣٣ ـ الادريسى : المصدر السابق ص ص : ٥٠ ـ ٥١ ٠

٩٣٤ ـ ابن دقماق : المصدر السابق ص : ٨١ ٠

٩٣٥ ـ ابن بطوطة : المصدر السابق : ص : ٤٧ ٠

٩٣٦ ـ المقريزى : الخطط : ج ١ ص : ٤٤٣ ٠

٩٣٧ ـ جمع طيلسان وهو زى رجال القضاء وسيرد ذكره بعد قليل ٠ راجع السيوطى المصدر السابق : ج ٢ ص : ٢٣٠ ٠

٩٣٨ ـ ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص : ٦١ ٠

٩٣٩ ـ على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١٠ ص ٢ ٠

٩٤٠ ـ أنظر من هذه المراجع : سعاد ماهر : النسيج الاسلامى : ص : ٤٢ ، م٠ س٠ ديماند : المرجع لسابق ص : ٢٥٠ ، محمد عبد العزيز مرزوق : المرجع السابق : ٣ ص : ٣٧٣ ، مصطفى حسين : المرجع السابق : ص ص : ٤٩ ـ ٥٠ ٠

٩٤١ ـ راجع : ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص : ٦٢ ح ٤ ٠

٩٤٢ ـ أنظر مثلا عمر كحالة : المرجع السابق : ص : ٢٥٣ ٠

٩٤٣ ـ أنظر من هذه المراجع : رؤوف حبيب : المرجع السابق : ص ٥٣ ، سعاد ماهر : الفن القبطى : ص : ٤٥ ، سيده كاشف : المرجع السابق : ص ٢٩٧ ، راشد البراوى : المرجع السابق : ص : ٣٨٣ ، السيد الباز العرينى : مصر فى عصر الأيوبيين : ص ١٩٧ ، محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون فى مصر : ص : ٢٩٩ ، خليل ضومط : المرجع السابق : ص ص ١٨٩ ـ ١٩١ ٠

٩٤٤ ـ هذه القطعة مسجلة بالمتحف المشار اليه تحت رقم (٧١٢٠) ومقاسها (٦٠ر × ٢٥ر م) ومحفوظة على الجانب الأيمن من اللوحة رقم (٤) بالقاعة رقم (١٧) ٠ راجع عنها أيضا :

Reper chrono. d'epgiraph. Arab : Tome : 3, pp 81, No. 939.

محمد مصطفى : المرجع السابق ص ٨١ ، حسن الباشا : المرجع السابق : ص : ٣٤٩ ، زكي محمد حسن : الاطلس : شكل ٥٦٥ ص : ١٨٦ ٠

٩٤٥ ـ زكي محمد حسن : كنوز الفاطميين : ص ١٨١ ٠

٩٤٦ ـ ابن حوقل : المصدر السابق : ص : ١٢٦ ٠

٩٤٧ ـ الادريسي : المصدر السابق ص : ٤٥ ٠

٩٤٨ ـ ياقوت المصدر السابق : ج ١ ص ٢٦٥ ، عبد العال الشامي : المرجع السابق : ص ٤٨ ٠

٩٤٩ ـ القزويني : المصدر لسابق : ص : ١٤٩ ٠

٩٥٠ ـ المقريزي : الخطط : ج ١ ص ص : ٣٢٨ ـ ٣٢٩ ، ٣٨٢ ـ ٣٨٣ ٠

٩٥١ ـ ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص ص : ٥٦ ح ٦ ٠

٩٥٢ ـ على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ٨ ص : ٧٤ ٠

٩٥٣ ـ ياقوت : المصدر السابق : ج ١ ص ٢٦٦ وراجع أيضا : عبد العال الشامي : المرجع السابق ٠ ص : ٤٨ ٠

٩٥٤ ـ القزويني : المصدر السابق : ص : ١٤٩ ٠

٩٥٥ ـ المقريزي : الخطط : ج ١ ص : ٣٨٣ ٠

٩٥٦ ـ على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ٣ ص ٨٩ ٠

٩٥٧ ـ أدولف جروهمان : المصدر السابق : ج ٢ ٠ ص ص : ١٥٣ ـ ١٥٤ تحقيق رقم (٩٦) ٠

٩٥٨ ـ ابن بطوطة : المصدر السابق ص : ٤٩ ٠

٩٥٩ ـ ابن دقماق : المصدر السابق : قسم ٢ ص : ٢١

٩٦٠ ـ على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١٥ ص : ٧٠ ، ج ٨ ص : ٧٤ ٠

٩٦١ ـ ابن بطوطة : المصدر السابق : ص ٤٩ وراجع أيضا ، حسين مؤنس : ابن بطوطة ورحلاته : ص : ٤٤ ٠

٩٦٢ ـ المقريزي : الخطط : ج ١ ص : ٢٠٣ وأنظر أيضا : راشد البراوي : المرجع السابق : ص : ١٨٧ ٠

٩٦٣ ـ على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١٥ ص ٧٠ ٠

٩٦٤ ـ راشد البراوي : المرجع السابق : ص ١٧٨ ٠

٩٦٥ ـ المقريزي : الخطط : ج ٢ ص : ٤٨٦ وأنظر أيضا : محمد جمال الدين سرور : دولة بني قلاوون في مصر : ص : ٢١٩ ٠

٩٦٦ ـ وصف مصر : ج ٤ ص : ١٩٢ ٠

٩٦٧ ـ الكندي : المصدر السابق ص : ٨ ٠

٩٦٨ _ الادريسى : المصدر السابق : ص ص : ٤٨ _ ٤٩ ٠

٩٦٩ _ ياقوت : المصدر السابق : جـ ١ ص ص : ١٩٣ _ ١٩٤ ٠

٩٧٠ _ القزوينى : المصدر السابق : ص ١٤٧ ٠

٩٧١ _ ابن بطوطه : المصدر السابق : ص : ٥٠ ٠

٩٧٢ _ ابن دقماق : المصدر السابق : قسم ٢ ص ٢٢ ٠

٩٧٣ _ ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص : ٦٢ ٠

٩٧٤ _ على باشا مبارك : المرجع السابق : جـ ١٢ ص ص : ٩٨ _ ١١١ ٠

٩٧٥ _ الموسوعة العربية الميسرة : ص : ١٦٤ وانظر أيضا : محمد رمزى : المرجع السابق : مجلد ٤ جـ ٢ ص ٢٥ ، قاموس جغرافى للقطر المصرى : ص : ٨٩ ٠

٩٧٦ _ هذه المجموعة محفوظة فى القاعة رقم (٤) ٠ أنظر أيضا : هنرى رياض ، المرجع السابق : ص ١٩٩ ، رؤوف حبيب : المرجع السابق : ص ٥٣ ، باهور لبيب : المرجع السابق : ص : ١٢ ، مصطفى حسين : المرجع السابق : ص ٣٠ ٠

٩٧٧ _ أنظر فى ذلك : زكى محمد حسن : فنون الاسلام : ص ٣٤٧ ، سعاد ماهر : الفن القبطى : ص : ٤٥ ، رؤوف حبيب : المرجع السابق ص : ٥٣ ٠

٩٧٨ _ الكندى : المصدر السابق ص : ٥٨ ٠

٩٧٩ _ ناصر خسرو : تحقيق سفرنامه فى تراث الانسانية : مجلد ١ جـ ٨ : ص ص : ٥٦١ _ ٥٦٣ ٠

٩٨٠ _ ياقوت : المصدر السابق : جـ ١ ص : ١٩٣ ٠

٩٨١ _ القزوينى : المصدر السابق : ص ١٤٧ ٠

٩٨٢ _ ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص ٦٢ ٠

٩٨٣ _ على باشا مبارك : المرجع السابق : جـ ١٢ ص : ٩٩ ٠

٩٨٤ _ انظر من هذه المراجع : سعاد ماهر : النسيج الاسلامى : ص ٤٢ ، مصطفى حسين : المرجع السابق : ص : ٤٩ ، الموسوعة العربية الميسرة ص : ١٦٤ ٠

٩٨٥ _ من هذه المراجع : سيده كاشف : المرجع السابق : ص : ٢٩٧ ، زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين : ص ص : ١١٦ _ ١٧٠ ، آدم متز : المرجع السابق : جـ ٢ ص ٣٥٦ ، محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق : ص ١٣٧ ، خليل ضومط : المرجع السابق : ص : ١٣٧ _ ١٣٨ ٠

٩٨٦ _ اليعقوبى : المصدر السابق : ص : ٣٣١ ٠

٩٨٧ _ أنظر فى ذلك : راشد البراوى : المرجع السابق : ص : ٣٨٣ ، وصف مصر : جـ ٤ ص : ١٩٨ ٠

٩٨٨ _ اليعقوبى : المصدر السابق : ص : ٣٣١ ٠

٩٨٩ _ من هذه المراجع مثلا : زكى محمد حسن : الفن الاسلامى : ص : ٢٩٨ ، فنون الاسلام : ص : ٣٩٧ ، محمد صدقى الجبخانجى : المرجع السابق : ص : ١٩٠ ، أبو زيد شلبى : المرجع السابق : ص : ٣٠٩ ٠

٩٩٠ ـ القزوينى : المصدر السابق : ص : ٩٩ ٠

٩٩١ ـ نفس المصدر : ص : ١٤٧ ٠

٩٩٢ ـ راشد البراوى : المرجع السابق : ص : ١٨٧ ٠

٩٩٣ ـ ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص : ٦٣ ٠

٩٩٤ ـ على باشا مبارك : المرجع السابق ج ١٢ ص : ٩٩ ٠

٩٩٥ ـ خليل ضومط : المرجع السابق : ص ص : ١٦٧ ـ ١٦٨ ٠

٩٩٦ ـ وصف مصر : جـ ٤ ص ص : ٢١٥ ـ ٢١٩ ٠

٩٩٧ ـ ياقوت : المصدر السابق : جـ ١ ص ص : ١٩٣ ـ ١٩٤ ٠

٩٩٨ ـ القزوينى : المصدر السابق : ص : ١٤٧ ٠

٩٩٩ ـ انظر فى ذلك : على باشا مبارك : المرجع السابق : جـ ١٢ ص ٩٩ ، الموسوعة العربية الميسرة : ص : ١٦٤ ، زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ص : ١٨١ ٠

١٠٠٠ ـ البلاذرى : المصدر السابق : قسم ٢ ص : ٦٨١ ٠

١٠٠١ ـ ابن حوقل : المصدر السابق : ص : ١٤٨ ٠

١٠٠٢ ـ الادريسى : المصدر السابق : ص ص : ٣٦ ـ ٣٧ ٠

١٠٠٣ ـ القزوينى : المصدر السابق : ص ص ١٣٩ ـ ١٤٠ ٠

١٠٠٤ ـ ياقوت : المصدر السابق : جـ ١ ص : ١٢٣ ٠

١٠٠٥ ـ ابن بطوطة : المصدر السابق : ص : ٥٠ ٠

١٠٠٦ ـ المقريزى : المصدر السابق : جـ ١ ص ص : ١٤٧ ـ ٤٤٩ ٠

١٠٠٧ ـ ابن دقماق : المصدر السابق : قسم ٢ ص ص : ٢٥ ـ ٢٦ ٠

١٠٠٨ ـ السيوطى : المصدر السابق : جـ ٢ ص : ٣٧٤ ٠

١٠٠٩ ـ ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص : ٦٣ ٠

١٠١٠ ـ على باشا مبارك : المرجع السابق : جـ ٨ ص ٣٥ ٠

١٠١١ ـ الموسوعة العربية الميسرة : ص ٦٦ ، محمد رمزى : المرجع السابق : المجلد ٤ جـ ٢ ص ٨٩ ، قاموس جغرافى للقطر المصرى : ص : ٧٤ ٠

١٠١٢ ـ هذه المجموعة محفوظة فى القاعة رقم (٤) ، أنظر أيضا : هنرى رياض : المرجع السابق : ص ص : ١٩٩ ، رؤوف حبيب : المرجع السابق : ص : ٥٣ ، باهور لبيب : المرجع السابق : ص : ١٢ ٠

١٠١٣ ـ أنظر من هذه المرجع : رؤوف حبيب : المرجع السابق : ص : ٥٣ ، زكى محمد حسن : فنون الاسلام : ص : ٣٤٧ ، سعاد ماهر : الفن القبطى : ص : ٤٥ ، باهور لبيب : المرجع السابق : ص : ١٢ ٠

١٠١٤ ـ مصطفى حسين : المرجع السابق ص : ٢٣ ٠

١٠١٥ ـ البلاذرى : المصدر السابق : جـ ٢ ص ص : ٦٨١ ـ ٦٨٢ ٠

١٠١٦ ـ اليعقوبى : المصدر السابق : ص : ٣٣٢ ٠

١٠١٧ ــ ابن حوقل : المصدر السابق : ص : ١٤٨ ٠

١٠١٨ ــ المقريزى المصدر السابق : جـ ١ ص : ٤٤٨ ٠

١٠١٩ ــ السيوطى : المصدر السابق : جـ ٢ ص : ٢٣٠ ٠

١٠٢٠ ــ أنظر أيضا : مصطفى حسين : المرجع السابق : ص : ٥٠ ٠

١٠٢١ ــ المطارف جمع مطرف وهو رداء أو ثوب من خز مربع ذو أعلام ٠ راجع في ذلك : ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص : ٦٣ ح ٥ ٠

١٠٢٢ ــ المطرف من الخليل ونحوها الأبيض الرأس أو الذنب وسائره مخالف لذلك ٠ راجع أيضا : ابن ظهيرة : نفس المصدر : ص ٦٣ : ح ٦ ٠

١٠٢٣ ــ على باشا مبارك : المرجع السابق : جـ ٨ ص : ٣٥ ٠

١٠٢٤ ــ أنظر من هذه المراجع : سعاد ماهر : النسيج الاسلامى : ص : ٤٢ ، أبو صالح الألفى : الفن الاسلامى ص : ٢٩٤ ، م٠ س٠ ديماند المرجع السابق : جـ ٢ ص ٣٧٣ عمر كحالة ، المرجع السابق : ص ٢٥٤ ٠

١٠٢٥ ــ أنظر فى ذلك : زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين : ص : ١١٦ ، مصطفى حسين : المرجع السابق : ص ص : ٣٠ ، ٤٦ ، ٥٠ ، السيد الباز العرينى : مصر فى عهد الأيوبيين : ص : ١٩٧ ، حسين الرفاعى المرجع السابق : ص ١٠ ٠

١٠٢٦ ــ أنظر فى ذلك : سيده كاشف : المرجع السابق : ص : ٢٩٧ ، السيد الباز العرينى : المرجع السابق : ص : ١٩٧ ، خليل ضومط : المرجع السـابق : ص : ١٨٩ ٠

١٠٢٧ ــ راشد البراوى : المرجع السابق : ص : ٣٨٤ ٠

١٠٢٨ ــ وصف مصر : جـ ٤ ص ص : ٢٢٤ ــ ٢٢٧ ٠

١٠٢٩ ــ اليعقوبى : المصدر السابق : ص : ٣٣٢ ٠

١٠٣٠ ــ زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين : ص : ١٨١ ٠

١٠٣١ ــ ياقوت : المصدر السابق : جـ ٥ ص : ٣١٤ ٠

١٠٣٢ ــ ابن بطوطة : المصدر السابق : ص : ٥٠ ٠

١٠٣٣ ــ الموسوعة العربية الميسرة : ص : ١٧٦٢ ٠

١٠٣٤ ــ ابن بطوطه : المصدر السابق : ص : ٥٠ ٠

١٠٣٥ ــ وصف مصر : جـ ٤ ص : ١٩٢ ٠

١٠٣٦ ــ الموسوعة العربية الميسرة : ص : ٣٤٦ ٠

١٠٣٧ ــ أنظر ما ورد عن هذه المدينة فى : م٠ س٠ ديماند : المرجع السابق : ص : ٢٥٠ مصطفى حسين : المرجع السـابق : ص : ٥١ ، عمر كحالة : المرجع السـابق ص : ٣٥٣ ، خليل ضومط : المرجع السابق ص : ٣٨٩ ٠

١٠٣٨ ــ على باشا مبارك : المرجع السابق : جـ ١٢ ص : ٥٤ ٠

الفصل الثالث

الصعيد الأعلى

ينحصر ما سنتحدث عنه من مراكز الصناعة فى آخر فصول هذه الدراسة فيما كان منها بالصعيد الأعلى ممثلا فى محافظتى قنا وأسوان بالاضـافة الى محافظة سيناء تجاوزا ، ولا شك أن ما لدينا من معلومات تاريخية عن هذه المراكز الأخيرة لا يمكن مقارنته بما سبق الحديث عنه من مراكز أخرى ، لأن مثل هذه المقارنة توضح ضعف موقف هذا الفصل باستثناء مدينة أسوان ، ومع ذلك فاننا لم نستطع اغفال أى منها أملا فى اعتبار هذه المعلومات المتواضعة عنها لبنـة تأسيس لمن تهيىء له الظروف فرصة أفضل للاضافة عليها .

أولا : قنـا

ان ما لدينا من معلومات تاريخية وردت فى الكثير من المصـادر والمراجع العربية عن حرف وصناعات هذا الاقليم يحصر ما كان فيه من مراكز الصناعة فى مدينة قنا ذاتها ثم فى بعض المراكز الفرعية الصغيرة مثل سمهود وقفط وقوص والأقصر .

١ ـ مدينة قنـا :

قنا كما ذكرها ياقوت فى القرنين (٦ ـ ٧هـ/١٢ ـ ١٣م) « كلمة قبطية ومدينة بالصعيد لطيفة بينها وبين قوص يوم واحد وربما كتب بعضهم أقنا (بألف قبل القاف) وتنسب اليها كورة » (١٠٤١) ، ولم يشر ابن دقماق فيما يخصها فى القرن (٩هـ/١٥م) الا الى أن عبرتها (٦٥٠٠) دينار ومساحتها (٨٩٥٢) فدانا (١٠٤٢) ، أما الموسوعة العربية فقد ورد فيها أن « قنا مدينة بصعيد مصر على الضفة الشرقية للنيل وهى عاصمة محافظة باسمها بين محافظتى سوهاج وأسـوان ، كانت مأمورية سـنة (١٨٣٣م) ثم أصـبحت مديرية فى سـنة (١٨٥١م) (١٠٤٣) » .

هذا فيما يختص بقنا كموقع وتاريخ ، أما فيما يتعلق بها كمركز صناعى فالذى لاشك فيه أنها لم تكن على قدر يذكر فى هذا الصدد ، لأن كل ما وصلنا عنها خاصا بالصناعة ينحصر فقط فيما جاء فى بعض المراجع العربية الحديثة ، ومنه يتضح أن المدينة كانت خلال العصر الاسلامى مركزا لقليل من الصناعات الرئيسية ولا سيما النسيج والفخار بالاضافة الى بعض الصناعات الفرعية التى كانت تعتمد على منتجات زراعية مثل السكر والزيوت والصابون ·

وقد وردت الاشارة الى الصناعة الأولى فى القرنين (١٢ ـ ١٣هـ/ ١٨ ـ ١٩م) فى كتاب « وصف مصر » ، ويفهم مما أشير اليه فى هذا الصدد أن مدينة قنا كانت مركزا لصناعة الأقمشة الصوفية حيث كانت تعمل منها شيلان العمائم الضاربة الى البياض ، وكذا لصناعة الاقمشة القطنية حيث كانت تعمل منها شيلان أخرى من نسيج خيوطه مضمومة على نحو أكبر من الشيلان السابقة مخططة بالأحمر والأزرق تتغطى بها النساء من أقدامهن حتى رؤوسهن ، لأنها كانت الرداء الوحيد الظاهر منهن ، كما ان هذه الشيلان كانت تشكل فى الوقت نفسه نوعا من الزينة لشيوخ القرى الميسورين فيغطون بها أكتافهم وصدورهم ، وقد اشتملت المدينة ـ كما قيل ـ من أنوال النسيج على أكثر من سبعين نولا ، جلبت بعض الأقطان اللازمة لتشغيلها من الدلتا وبعضها الآخر من سورية لأن القطن الذى تنتجه هذه المنطقة لم يكن يكفى بطبيعة الحال لعمل هذه الأنوال (١٠٤٤) ، ولا شك أن ما جاء فى هذا المرجع من معلومات تخص هذه الصناعة هو فى الواقع ذكر لحقائق كانت قائمة بالفعل فى المدينة خلال رحلات علماء الحملة الفرنسية الذين خلفوا لنا هذه المادة التاريخية وهو أمر لا نستطيع الشك فيه ·

كذلك فقد جاءت الاشارة الى الصناعة الثانية ، فى نفس الكتاب المشار اليه ، حيث ورد أنه يستخرج من قاع احدى الترع الواقعة الى الشمال الشرقى لمدينة قنا عند الحد الفاصل بين الصحراء والأرض القابلة للزراعة فى بداية شعب ضيق يصل بين وادى النيل والبحر الأحمر نوع من الصلصال يضرب لونه الى البياض تصنع منه آنية يسمونها « بردق » (قلة) كانت ذات مسام تساعدها كثيرا على تبريد ما يوضع فيها من ماء بمجرد أن ترطب جدرانها ويتبخر ما عليها من مياه راشحة ، وهى خاصية جعلت هذه « البرادق » (القلل) مطلوبة فى كل مكان من مصر لأنها كانت وسيلة التبريد الوحيدة المتاحة فى هذا الوقت (١٠٤٥) ، ثم أيدت الموسوعة العربية ما جاء عن هذه الصناعة فى « وصف مصر » حين ورد فيها أن هذه المدينة « تشتهر بصناعة

الفخار (١٠٤٦) » ، ولعل فيما لازال لهذه المدينة من شهرة فى مجال الصناعة التى بين أيدينا حتى اليوم ما يؤكد صدق ما ذهب اليه كل من المرجعين المشار اليهما ٠

أما الصناعات التى اعتمدت على منتجات زراعية مثــل الســكر والزيوت والصابون ، فقد جاءت الاشارة اليها فى بعض المراجع العربية الخاصة بالعصر الأيوبى ، ومنها يتضح أن صناعة السكر كانت من أهم الصناعات فى المدينة خلال هذا العصر وما بعده بدليل ما قيل من أنــه جرى تصدير هذا السكر الى الخارج ، وفى هذا ما يعنى أن انتاج المدينة منه كان يزيد عن حاجة الاسواق المحلية فصدر ما زاد منه عن هذه الحاجة الى الأسواق الخارجية ، ليس هذا فقط بل لقد قيل أن الحكومة الأيوبية كانت تلزم زراع قصب السكر بعصر أقصابهم فى معاصرها التى انتشرت بسائر الأقاليم (١٠٤٧) ٠

٣ ـ سمهود :

لقد وردت اشارات كثيرة فى المصادر العربية عن سمهود كموقع وتاريخ ، فقد ذكرها المقريزى فى القرنين (٨ ـ ٩هـ/١٤ ـ ١٥م) بقوله أنها « مدينة بالجانب الغربى من النيل قريبة من فرشوط بمركز نجــع حمادى بمديرية قنا » (١٠٤٨) ، وأشار اليها ابن دقماق فى القـــرن (٩هـ/١٥م) بقوله أنها « بلدة بالبر الغربى عبرتها (١٧٫٠٠٠) دينار ومساحتها (١٩٫١٧٠) فدانا » (١٠٤٩) ، أما ابن ظهــيرة فى القــرن (١٠هـ/١٦م) فقد قال « ومن مدنها » (أى من مدن مصر) سمهود بالجانب الغربى من النيل) يقال أن الفأر لا يأكل قصبها وذلك مشهور بين أهلها » (١٠٥٠) ٠

كذلك فقد وردت اشارات أخرى عن سمهود كموقع وتاريخ فى بعض المراجع العربية الحديثة التى يأتى على رأسها ما ذكره على باشا مبارك فى القرن (١٣هـ/١٩م) بقوله أنها « بلدة من قسم فرشوط بمديرية قنا واقعة بقرب الجبــل الغربى » (١٠٥١) ، وفى القاموس الجغرافى أن « سمهود ناحية بمركز نجـــع حمـــــادى فى مديرية قنا » (١٠٥٢) ٠

هذا عن سمهود كموقع وتاريخ أما فيما يتعلق بها كمركز صناعى فان ما لدينا من معلومات فى هذا الصدد يحصر نشاطها الصناعى فى مجال صناعة السكر فقط ، والواقع أن ما جاء فى المصــادر والمراجــع العربية خاصا بهذه الصناعة يثبت بما لا يدع مجالا للشك أن المدينــة كانت مركزا لصناعتها منذ القرن (٨هـ/١٤م) وما قبله ، يدل على ذلك

ما ذكره المقريزى فى القرنين (٨ ـ ٩هـ/١٤ ـ ١٥م) بقوله ان مراكز صناعة السكر كانت منتشرة فى كل أنحاء البلاد ولاسيما الفسطاط والمنيا وسمهود ، وأنه « كان بهذه المدينة (سمهود) سبعة عشر حجرا لاعتصار قصب السكر » (١٠٥٣) ، ثم جاء ابن دقماق فى القرن (٩ هـ / ١٥م) وابن ظهيرة فى القرن (١٠هـ/١٦م) وكرر كل منهما قول المقريزى والادفوى فيما يتعلق بمعاصرها السبع عشرة ، فقال كل منهما أنها « بلدة كثيرة المعاصر لقصب السكر يقال أنه كان بها سبعة عشر حجرا » (١٠٥٤) ، وحول هذا المعنى أيضا جاءت اشارة على باشا مبارك فى القرن (١٣هـ/١٩م) حيث قال أن « فيها عصارات ويزرع فيها قصب السكر » (١٠٥٥) .

ولم يقتصر ما ورد عن صناعة السكر فى سمهود على ما جاء فى المصادر المشار اليها وانما وردت الينا معلومات أخرى بشأنها فى المراجع العربية توضح أن هذه الصناعة كانت رائجة فى المدينة فيما بين العصرين الفاطمى والمملوكى ، ويلتقى هذا مع ما ذكره فى هذا الصدد كل من المقريزى وابن دقماق وابن ظهيره والادفوى ، ومما جاء فى هذه المراجع يتضح أن صناعة السكر كانت من الصناعات الهامة فى مصر الاسلامية ، ولم تزل هذه الصناعة تتقدم فيها حتى أصبح لها شأن كبير فى عهد المماليك حيث كانت مطابخ السكر تنتج خلال هذا العهد كميات هائلة منه لتسد ما كانت الدولة فى حاجة اليه من هذا السكر على نحو ما ذكرنا (١٠٥٦) .

٣ ـ قفط :

لقد أفاضت المصادر العربية كثيرا فى الحديث عن قفط كموقع وتاريخ ، فتوالت علينا المعلومات التاريخية عنها فى هذه المصادر اعتبارا من القرن (٤هـ/١٠م) وحتى القرن (٩هـ/١٥م) وما بعده ، من ذلك مثلا ما ذكره المسعودى فى القرن (٤هـ/١٠م) بقوله أنها « من صعيد مصر بينها وبين النيل نحو ميلين لها أخبار عجيبة فى بدء عمرانها وما كان فى أيام الأقباط » (١٠٥٧) ، ومنه ما أشار اليه ياقوت فى القرنين (٦ ـ ٧هـ/١٢ ـ ١٣م) حين قال « قفط كلمة أعجمية لا أعرف فى العربية لها أصلا ، وهى مسماة بقفط بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام .. وهى الآن (أى على عهده) وقف على العلوية من أيام على ابن أبى طالب رضى الله عنه ، وليس فى ديار مصر ضيعة وقف ولا ملك لأحد غيرها .. وحولها مزارع وبساتين كثيرة وفيها النخل والاترج والليمون (١٠٥٨) » .

كذلك فقد ذكرها القزوينى فى القرن (٧هـ/١٣م) متفقا فى جزء مما ذكره مع ما أشار اليه ياقوت قبله حين قال أنها « مدينة بأرض مصر بالصعيد الأعلى كثيرة البساتين والمزارع وبها النخل والأترج والليمون » (١٠٥٩) ، أما المقريزى وابن دقماق فى القرنين (٨ - ٩هـ/ ١٤ - ١٥م) فقد فصل أولهما فى أمر قفط كموقع وتاريخ أكثر ممن سبقه من المؤرخين حيث قال ان « هذه المدينة تعرف بقفطريم بن قبطيم ابن مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام ، وكانت فى الدهر الأول مدينة الاقليم وانما بدأ خرابها بعد الاربعمائة من تاريخ الهجرة النبوية .... وفى سنة (٥٧٢هـ) (١١٧٦م) (أى خلال العصر الايوبى) كانت فتنة كبيرة بقفط سببها أن داعيا من بنى عبد القوى ادعى أنه داود بن العاضد فاجتمع الناس عليه فبعث السلطان صلاح الدين أخاه العادل أبا بكر فقتل من أهل قفط نحو ثلاثة آلاف وصلبهم على شجرها ظاهر قفط بعمائم طيلسانهم » (١٠٦٠) ولم يشر الثانى فيما يخصها الا الى أن « عبرتها (٣٢٣٠) دينارا ومساحتها (١٤٢٣) فدانا » (١٠٦١) .

يضاف الى ذلك كله ما ورد فى الموسوعة العربية عن مدينة قفط ومنه يتضح أنها مدينة معروفة بمحافظة قنا على الشاطىء الشرقى للنيل شرقى الاقصر ، وأن اسمها تصحيف للفظ الفرعونى لمدينة « قبطيو » التى كانت عاصمة الاقليم الخامس من اقاليم الصعيد وكعبة الاله « مين » منذ عهد الدولة القديمة (١٠٦٢) .

هذا فيما يتعلق بقفط كموقع وتاريخ ، أما فيما يخصها كمركز صناعى فان المعلومات التاريخية التى لدينا تثبت أن المدينة خلال العصر الاسلامى كانت مركزا لبعض الصناعات الصغيرة التى اعتمدت على منتجات زراعية ولاسيما صناعات السكر والزيوت والصابون ، وقد وردت الاشارة الى الصناعة الأولى فيما ذكره المقريزى وابن دقماق فى القرنين (٨ - ٩ هـ/ ١٤ - ١٥م) حين قال الأول « وآخر ما كان بها (أى بقفط) بعد السبعمائة من سنى الهجرة أربعون مسبكا للسكر وست معاصر للقصب » (١٠٦٣) ، وحين قال الثانى - نقلا عن الادفوى - « أن خطيب قفط كان قد أخبره (أى أخبر الادفوى) أنه كان بها أربعون مسبكا للسكر وست معاصر للقصب » (١٠٦٤) ، وهنا نجد تطابقا كبيرا بين ما ذكره كل من المقريزى وابن دقماق والادفوى ، وهذا يعنى بما لا يدع مجالا للشك أن تبقى أربعين مسبكا للسكر فى المدينة بعد سنة (٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م) يعنى أيضا أن هذه المسابك كانت أكثر من ذلك قبل السبعمائة ووجود هذا العدد الهائل من المسابك كان يزيد على ما كان فى الفسطاط نفسها من هذه المطابخ .

كذلك فقد وردت اشارات أخرى الى مطابخ السكر بقفط فى بعض المراجع العربية الحديثة التى تكلمت عن حالة مصر الاقتصادية على عهد الفاطميين حيث أن المدينة التى بين أيدينا كانت من أهم مراكز هذه الصناعة خلال العصر المشار اليه (١٠٦٥) .

أما عن صناعتى الزيوت والصابون فى قفط فقد وردت الاشارة اليها فى بعض المصادر والمراجع العربية بما يؤكد أنها كانت من بين صناعات المدينة خلال العصر الاسلامى منذ ما قبل القرن (٥هـ/١١م) وحتى العصر الأيوبى فى القرن (٦هـ/١٢م) على أقل تقدير ، يؤيد ذلك (فيما يتعلق بصناعة الصابون) ما ذكره الادريسى فى القرنين (٥ ــ ٦هـ/١١ ــ ١٢م) بقوله « وبها مزارع كثيرة للبقول مثل اللفت والخس وذلك لأنهم يجمعون بذورها ويطبخونها ويستخرجون ادهانها ويصنعون منهـــا أنواعا مــن الصابون يتصرفون به فى جميع أرض مصر ومنها يتجهـــز به الى كل الجهات وصابونها معروف بالنظافة » (١٠٦٦) .

ويؤيده أيضا (فيما يتعلق بصناعة الزيوت) ما جاء فى بعض المراجع العربية الحديثة التى تكلمت عن العصر الأيوبى والتى يفهم منهـــا أن استخراج الزيوت من السمسم والخردل والقصب والخس كانت من بين أهم الصناعات المصرية فى العصر الاسلامى ، وجرت الافادة من هـــذه الزيوت فى مجالى الاضاءة وصناعة الصابون ، وأن قفط كانت من أهـم مراكز هذه الصناعة (١٠٦٧) .

٤ ــ قــوص :

حفظت لنا المصادر العربية الكثير من المعلومات التاريخية عن مدينة قوص اعتبارا من القرن (٤هـ/١٠م) وحتى القرن (٩هـ/١٥م) ومـا بعده ، يؤيد ذلك ما ذكره المسعودى فى القرن (٤هـ/١٠م) بقـــوله أن « قوص من صعيد مصر وهى راكبة للنيل ولها أخبار عجيبة فى بدء عمرانها وما كان فى أيام الاقباط » (١٠٦٨) ، ويؤيده أيضا ما ذكره الادريسى فى القرنين (٥ ــ ٦هـ/١١ ــ ١٢م) حين قال أنها « مدينة كبيرة بالجهة الشرقية من النيل بها منبر وأسواق جامعة وتجارات رائجة » (١٠٦٩) .

أما ياقوت فى القرنين (٥ ــ ٦هـ/١١ ــ ١٢م) فقد أشار الى أن « كلمة قوص هى كلمة قبطية ومدينتها كبيرة وعظيمة وواسعة وقصبة الصعيد كله بينها وبين الفسطاط اثنى عشر يوما ، وبينها وبين عيذاب على بحر القلزم مسيرة أربعة أو خمسة أيام ، وكانت دارا للوالى ، وليس بالديار المصرية بعد الفسطاط والاسكندرية أعمر ولا أعظم منها » (١٠٧٠) .

كذلك ذكرها المقريزى وابن دقماق فى القرنين (٨ ـ ٩هـ/١٤ ـ ١٥م) فقال الأول « اعلم أن قوص أعظم مدائن الصعيد وهى على النيل، بنيت بعد قفط فى أيام ملك من ملوك القبط الأول يقال له سـدان ابن عديم ابن البودسير بن قفطريم ، قيل سميت باسم قوص بن قفط ابن أخميم بن سيفاف بن أشمن بن مصر ٠٠٠٠ شرعت فى الخراب من سنة أربعمائة » (١٠٠٩م) (١٠٧١) ، وقال الثانى أنها « مدينة قديمة تعرف بقوص العالية ٠٠ وهى على ضفة النيل الشرقية ، وهى الآن مدينة الاقليم بعد آن كانت قفط مدينة الاقليم فخربت بعد سنة أربعمائة وبها الآن (أى على عهد ابن دقماق فى القرن ٩هـ/١٥م) متولى الحرب السعيد وقاضى قضاة » (١٠٧٢) ، وهنا نجد أن ما ذكره المقريزى من أنها من بناء أحد ملوك القبط الأول يتطابق مع ما سبق لياقوت قوله من أن كلمة قوص هى كلمة قبطية ، وفى هذا ما يعنى صدق ما ذهب اليه ياقوت ٠

أما على باشا مبارك فقد أشار فى القرن (١٣هـ/١٩م) الى أنهـا « مدينة بالصعيد الأعلى ليس بأرض مصر بعد الفسطاط مدينة أعظم منها، وهى على حافة النيل من البر الشرقى سماها سترابون أبولونوبوليس بارفا » (١٠٧٣) ، ثم جاء فى الموسوعة العربية أنها « بمحافظة قنا على الشاطىء الشرقى للنيل ، كانت ملتقى الحجاج بحكم موقعها على رأس الدرب الموصل الى سـاحل البحر الاحمر ، وكان معبودها هـو الاله حورس » (١٠٧٤) ٠

هذا عن قوص كموقع وتاريخ ، أما فيما يتعلق بها كمركز صناعى، فالواقع أنه ليس لدينا من المعلومات فى هذا الصدد الا ما ورد فى بعض المراجع العربية الحديثة ، وهو رغم قلته يفيد أن المدينة كانت مركزا للعديد من الحرف والصناعات مثل الأقمشة والصباغة والجلود والدباغة والفخار والزجاج والحدادة والحصير والورق والأدوية ، يؤيد ذلك ما ذكره على باشا مبارك فى القرن (١٣هـ/١٩م) بقوله « وبها سوق كبير دائم تباع فيه الأقمشة وأصناف العقاقير » (١٠٧٥) ، ويؤيده أيضـا ما جاء فى بعض المراجع العربية الحديثة خاصـا بصنعة الصباغة ومؤاده أن صباغة المنسوجات كانت من بين صناعات المدينة فى العصر الاسلامى الى جانب صناعات الجلود والدباغة والفخار والخزف والحدادة والحصير ، وكان لكل صنعة من هذه الصناعات شيخها الذى يتولى شئونها (١٠٧٦) ٠

أما فيما يختص بصناعتى الزجاج والورق فى قوص فقد وردت الاشارة الى أولاهما على أنها كانت من بين صناعات المدينة خلال العصر

الفاطمى (١٠٧٧) ، وجاء ذكر ثانيتهما على انها كانت من بين صناعاتها خلال العصر المملوكى (١٠٧٨) ، ورغم هذه الاشارات الكثيرة للمراجع العربية الى ما مورس فى قوص من صناعات ، فانه لابد من القول فى هذا الصدد أنه لا المصادر التاريخية ولا الأدلة المادية تعطى معلومات واضحة أو محددة عن قوص فيما أشير اليه من أنشطة حرفية وصناعية، ومن هنا فان معلومات أخرى لازالت متوقعة عن هذه المدينة فى المستقبل ولا سيما من المكتشفات الأثرية ٠

٥ ــ الأقصر :

ذكرت مدينة الأقصر كموقع وتاريخ فى كثير من المصادر العربيه اعتبارا من القرن (٦هـ/١٢م) وحتى القرن (٩هـ/١٥م) وما بعده ، يدل على ذلك ما أورده ياقوت فى القرنين (٦ ــ ٧هـ/١٢ ــ ١٣ م) بقوله « الأقصر كأنه جمع قصر وجمع قلة ، اسم مدينة على شاطىء شرقى النيل بالصعيد الأعلى فوق قوص ، وهى أزلية قديمة ذات قصور ولذلك سميت الأقصر ويضاف اليها كورة » (١٠٧٩) ، ويدل عليه أيضا مــا ذكره المقريزى وابن دقماق فى القرنين (٨ ــ ٩هـ/١٤ ــ ١٥م) حين قال الأول أن « هذه المدينة من مدائن الصعيد العظيمة يقال أن أهلها المريس ومنها الحمير المريسية » (١٠٨٠) ، وحين قال الثانى أن « عبرة الأقصرين وجزائرهما (٩٠٠٠) دينار ومساحتها (١٦٫٩٠٠) فدانا » (١٠٨١) ٠

أما الموسوعة العربية فقد جاء فيها أن الأقصر « مدينة بصعيد مصر على الضفة الشرقية للنيل فى محافظة قنا ، من أشهر المدن السياحيــة بمصر تحتل جزءا من موقع مدينة طيبة القديمة ، وأكبر آثارها معبد الأقصر وقد تحول الى كنيسة فى عصــور المسيحية الأولى ثم بنى فيه فيما بعد ضريح لولى الله أبى الحجاج » (١٠٨٢) ٠

هذا عن الأقصر كموقع وتاريخ ، أما فيما يتعلق بها كمركز صناعى فالواقع أنه ليس لدينا فى هذا الصدد الا ما ورد فى القليل من المصادر والمراجع العربية خاصا بصناعة الفخار ، فقد وردت الاشارة الى هــــذه الصناعة فيما ذكره ابن دقماق فى القرن (٩هـ/١٥م) حين قال « ويعمل فيها من الفخار الأبيض النقى الرفيع الذى ليس يعمل بديار مصر مثله ولا ما يقاربه » (١٠٨٣) ، ويفهم من هذا النص أن صناعة الفخار فى مدينة الأقصر كانت على قدر كبير من الاتقان وحسن الصنعة لأن وصف ابن دقماق فى هذا الصدد واضح وصريح ، وهو يعنى أن هذا الفخار كان أبيض اللون نقى الخامة رفيع الصنعة لا يعمل بمصر مثله ولا حتى ما يقاربه ٠

٦ ـ القصير :

القصير مدينة قديمة بذات الاسم تتبع حاليا من الناحية الادارية محافظة البحر الاحمر ، أشار اليها ياقوت فى القرنين (٦ ـ ٧هـ/١٢ ـ ١٣م) كموقع وتاريخ فقال « موقع قرب عيذاب بينه وبين قوص قصبة الصعيد خمسة أيام وفيه مرفأ سفن اليمن » (١٠٨٤) ٠

وكانت المدينة خلال العصور الاسلامية أهم محطات الحج والتجارة، كما كانت ـ على ما يبدو ـ واحدة من المدن التى مورست فيها صناعة المنسوجات الصوفية رغم أننا نفتقر الى الأدلة التاريخية الكافية على ذلك، وأيا كان الأمر فانه يمكن القول أن المدينة كانت فى الغالب مركزا لهذه الصناعة منذ العصر المسيحى ، لاسيما ونحن نعرف أن المنسوجات الصوفية والكتابية لم تكن تنسج فقط خلال العصر المشار اليه فى شتى أنحاء البلاد طولا وعرضا ، بل كانت أهم خصائصه بالنسبة للانتاج النسيجى ٠

أما فى العصر الاسلامى فليس لدينا من المعلومات فى هذا الصدد الا ما ورد فى بعض المراجع العربية التى تكلمت عن العصر الفاطمى وجاء فيها أن هذه المدينة كانت تشتهر خلال هذا العصر « بعمل الثياب والأنسجة من الصوف » (١٠٨٥) ٠

ثانيا : محافظة أسوان

يؤكد ما لدينا من معلومات تاريخية وأدلة أثرية فيما يتعلق بالحرف والصناعات فى أسوان أن هذه المدينة كانت واحدة من أهم مدن الصعيد نشاطا فى هذا المجال ، ومع ذلك لم تنل من الشهرة ما نالته باقى المراكز الصناعية المصرية الهامة مثل تنيس ودمياط ودبيق فى الوجه البحرى والقيس والبهنسا واهناسيا فى الوجه القبلى وغيرها ، ويبدو أن السبب فى ذلك لأن شهرتها كانت تعتمد خلال العصور الاسلامية بصفة أساسية على التجارة ، وقد ساعد على ذلك أيضا أن المؤرخين العرب رغم اهتماماتهم بمدينة أسوان كموقع وتاريخ ، الا أن أحدا منهم لم يهتم بها كمركز صناعى ، ومن هنا جاء فقر المادة التاريخية الواردة عن هذه المدينة فى المصادر التى خلفها هؤلاء المؤرخين خلافا لما أثبته الحفر الأثرى فى المدينة من العثور على كثير من الأدلة المادية الدالة على قيام كثير من الصناعات فى المدينة خلال العصور الاسلامية ولا سيما العصر الفاطمى ٠

وقد وردت الاشارة الى مدينة أسوان كموقع وتاريخ فى كثير من المصادر العربية منذ القرن (٤هـ/١٠م) وحتى القرن (٩هـ/١٥م) وما بعده ، وصفوة ما أشير اليه فى هذا الصدد أنها ثغر مصر من ناحية النوبة ، كثيرة النخيل والغلات ، كانت ولا تزال حلقة الوصل بين مصر وما يليها من البقاع الافريقية ، يؤيد ذلك ما ذكره ابن حوقل فى القرن (٤هـ/١٠م) بقوله « ومدينة أسوان كثيرة النخيل ، غزيرة الغلات من التمور ، قليلة الزرع ، وهى أكبر مدن الصعيد » (١٠٨٦) ، ويؤيده أيضا ما ذكره كل من الاصطخرى والادريسى فى القرنين (٥ ـ ٦هـ ١١ ـ ١٢م) حين قال الأول « وأسوان هذه ثغر النوبة الا أنهم (يقصد أهلها) مهادنون » (١٠٨٧) وحين قال الثانى « أسوان مدينة صغيرة عامرة كثيرة الحنطة ٠٠ ٠٠ بها تجارات وبضائع تحمل منها الى بلاد النوبة » (١٠٨٨) .

كذلك يؤيده ما أشار اليه ياقوت فى القرنين (٦ ـ ٧هـ/١٢ ـ ١٣م) بقوله أن « أسوان مدينة كبيرة وكورة فى آخر صعيد مصر وأول بلاد النوبة على النيل فى شرقيه » (١٠٨٩) ، وما ذكره المقريزى فى القرنين (٨ ـ ٩هـ/١٤ ـ ١٥م) حين قال « أسوان من قولهم أسى الرجل يأسى أسى اذا حزن ، ورجل أسيان وأسوان أى حزين ، وأسوان فى أخر بلاد الصعيد ، وهى ثغر من ثغور الاقليم يفصل بين النوبة وأرض مصر ، فلما زالت الدولة الفاطمية أهمل الثغر ثم تلاشى بعد ذلك أمره واستولى عليه أولاد الكنز بعد سنة (٧٩٠هـ/١٣٨٨م) فأفسدوا فسادا كبيرا وكانت لهم مع ولاة أسوان عدة حروب » (١٠٩٠) .

ثم جاء على باشا مبارك فى القرن (١٣هـ/١٩م) وقال : « أسوان (بالضم) بلد بالصعيد بمصر ٠٠٠٠ ومدينة فى نهاية الصعيد الأقصى ما بعدها الا بلاد النوبة وكانت تسمى قديما سيوان أو سنون » (١٠٩١) ، ثم أضيف الى ذلك مما جاء فى الموسوعة العربية أن أسوان « مدينة قديمة فرعونية الاسم كانت سوقا للتجارة بين مصر وما يليها من بقاع أفريقية وأشهر معبوداتها « خنوم » رب الشلال » (١٠٩٢) .

هذا عن أسوان كموقع وتاريخ ، أما فيما يتعلق بها كمركز صناعى فان أهم ما يمكن ذكره فى هذا الصدد طبقا لما بين أيدينا من معلومات تاريخية وأدلة مادية أثرية ، انها كانت مركزا لصناعة الفخار والمعادن وأعمدة البناء وحجارة الطواحين والنسيج وشواهد القبور والكحل ، بالاضافة الى بعض الصناعات الأخرى التى اعتمدت على منتجات زراعية مثل الحصير والسلال والمراوح والتمور .

(أ) صناعة الفخار :

كانت هذه الصناعة ـ كما قلنا ـ من أقدم الصناعات التى لازمت حضارة الانسان الأولى ، وكان لا بد لها من ثم أن تكون من بين أنشطة أهل أسوان الحرفية والصناعية وهو ما حدث بالفعل ، فقد وصلتنا معلومات عن هذه الصناعة بالمدينة خلال تلك العصور فى بعض المصادر والمراجع العربية ، ويفهم من هذه المعلومات أن أهل أسوان كانوا قد برعوا فى صناعة أنواع جيدة من الفخار الذى استخدم فيه الطين الأسوانى المعروف الذى وجد بكثرة فى جبل قريب منها أطلق عليه المؤرخون العرب اسم « جبل الطفل » (١٠٩٣) ، وقد صنع الأسوانيون من هذا الطين كثيرا من الأوانى الفخارية ولا سيما « كيزان الفقاع » التى استخدمت فى حساء هذا النوع من الشراب الذى كان يتخذ من الشعير .

كذلك فقد اشتهر أهل أسوان ـ طبقا لما ذكرته بعض المراجع العربية الأخرى بصناعة نوع من الأوانى عرف « بالبرام » كان يتخذ من الحجر المسمى باسمه عن طريق تجويف هذا الحجر من الداخل بشكل دائرى ، وتدويره من الخارج بطريقة تجعل لجدرانه سمكا يتراوح بين ثلاثة وأربعة سنتيمترات ، وفى أحيان أخرى كان يسحق قدر معين منه ويضاف اليه مثله من الطين الأسوانى ، ثم تمزج المادتين وتعجنا مع بعضهما لمدة أربع ساعات تقريبا ثم تعمل الأوانى المشار اليها من هذا المزيج ، ثم تجفف الأوانى المعمولة من هذا المزيج فى الشمس والهواء لمدة يومين ، ثم توضع على نار هادئة فى حفرة مخصصة لذلك تتسع لما بين عشرة أبرمة الى اثنى عشر براما دفعة واحدة (١٠٩٤) .

وقد أيدت المكتشفات الأثرية من خلال ما عثر عليه فى المدينة من قطع فخارية ليس فقط صدق ما ذهبت اليه المصادر والمراجع المشار اليها خاصا بصناعة الفخار فى أسوان خلال العصر الاسلامى ، وانما حقيقة أن هذه الصناعة كانت تمارس فى المدينة ـ على ما يبدو ـ منذ العصور السابقة على الاسلام بدليل ما كشفت عنه حفائر الجبانة الفاطمية بالمدينة من العديد من الأوانى الفخارية المختلفة مما يرجع معظمه فى غالب الظن الى عصر الدولتين الفرعونيتين الوسطى والحديثة (١٠٩٥) .

(ب) صناعة المعـادن :

أشـار الادريسى فى القرنين (٥ ـ ٦ هـ / ١١ ـ ١٢ م) الى أن « بأسوان جبل العلاقى وبه معادن الذهب والفضة ، وعلى مقربة من أسوان

جنوبا من النيل جبل في أسفله معدن الزمرد في برية منقطعة عن العمارة . ولا يوجد الزمرد في شيىء من الأرض بأجمعهـا الا ما كان منه بذلك المعدن » (١٠٩٦) وحول نفس المعنى جاءت اشارة الاصطخرى (وهو أحد معاصرى الادريسى) حين قال « وبصعيد مصر معدن الزبرجد في برية منقطعة عن العمارة » (١٠٩٧) ورغم تسمية الأول لأحد معادن المدينة بالزمرد وتسمية الثانى بالزبرجد الا أن كلتا الاشارتين توحيان بأن هذه الصناعة كانت من بين صناعات المدينة خلال العصر الاسلامى وهو ما أيده المقريزى في القرنين (٨ ــ ٩ هـ / ١٤ ــ١ م) حين قال « وفى جنوبها (أى جنوب أسوان) معدن الزمرد ، وهو في برية منقطعة عن العمارة ، وعلى خمسة عشر يوما من أسوان معدن الذهب » (١٠٩٨) ونحن ازاء كل هذه الاشارات المؤكدة عن وجود خامات هذه الصناعة بالمدينة لا نملك الا ترجيح قيامها كأحد أنشطتها الصناعية في العصر الاسلامى رغم أننا لازلنا نفتقر الى الأدلة المادية الثابتة أو التاريخية الصريحة على ذلك .

(جـ) صناعة شواهد القبور وأعمدة البناء وحجارة الطواحين :

يثبت ما ورد في بعض المصادر العربية خاصا بهذه الصناعات أن مدينة أسوان كانت من أكثر مدن مصر ثروة في مجـال محاجر الرخام وحجارة الطواحين ، فقد أشار ياقوت في القرنين (٦ ــ ٧ هـ/١٢ ــ ١٣م) الى أن « في جبالها مقطع العمد الرخام التى بالاسكندرية » (١٠٩٩) ولم يؤيد المقريزى ذلك في القرنين (٨ ــ ٩ هـ/١٤ ــ ١٥م) حين قال « ومنها القواعد والرؤوس للعمد التى يسميها أهل مصر الأسوانية (فقط ، وانما زاد عليه قوله) ومنها حجارة الطواحين » (١١٠٠) . ثم أشير الى هذا أيضا فيما ورد في الموسوعة العربية حين قيل أن « منها أغنى محاجر الجرانيت التى ارتادها المصريون في مختلف العصور » (١١٠١) ويثبت ذلك بما لا يدع مجالا للشك أن هذه المحاجر كانت قد سهلت للمصريين القدماء كثيرا عملية الحصول على ما كان يلزمهم من مادة لعمل العديد من الأعمدة والأساطين التى لا زالت قائمة في معابدهم بالاقليم حتى اليوم .

أما فيما يختص بشـواهد القبور التى صنع معظمهـا من الأحجار الجيرية ، فان ما أسفرت عنه حفائر الجبانة الفاطمية المشار اليها من آلاف الشواهد الأثرية ذات الكتابات الكوفية المحفورة والبارزة ، والتى لا زالت محفوظة حتى اليوم بمتحف الآثار في المدينة هو خير الأدلة المادية المؤكدة لهذه الحقيقة الصناعية في أسوان (١١٠٣) .

(د) صناعات اعتمدت على منتجات زراعية :

لقد سبقت الاشارة الى أن صناعات اعتمدت على منتجات زراعية مثل الحصير والسلال والأطباق ومراوح السعف والتمور ، كانت تمارس فى أسوان خلال العصر الاسلامى ·

وقد مهر النوبيون فى المدينة ـ طبقا لما سجلته بعض المصادر والمراجع العربية فى عمل الحصر والسلال والأطباق والمراوح من سعف النخيل وشجر الدوم ، ويبدو أن هذه الحرف كانت من الحرف الوظيفية التى قامت بها الفتيات من سن السابعة حتى زواجهن ، حتى كانت كل منهن تمارسها بعد أن تتعلمها من أهلها وذويها من عجائز النساء (١١٠٣)· وقد روى أن الفقيه القاضى محمد بن سليمان بن فرج الكندى (ت : ٦٨٧هـ/١٢٨٨م) كان قد اتخذ من عمل المراوح بيده فى أسوان حرفة يتعيش منها حتى أنه عرف بالمراوحى (١١٠٤) ·

أما فيما يتعلق بصناعة التمور فان استنتاجها يمكن أن يؤخذ مما أشار اليه ياقوت فى القرنين (٦ ـ ٧ هـ /١٢ ـ ١٣ م) حين قال « وبأسوان من التمور المختلفة وأنواع الأرطاب ·· وليس فى الدنيا بسر يصير تمرا ولا يرطب الا بأسوان » (١١٠٥) ·

ومما يمكن الاشارة اليه من صناعات أسوان فى العصر الاسلامى أيضا صناعة النسيج ، وقد عثر فى حفائر الجبانة الفاطمية المشار اليها على بعض القطع النسيجية التى كانت تلف أجساد الموتى مما نسج غالبة من الكتان وزخرف فى بعض الحالات ببعض الزخارف المنسوجة بعناصر زخرفية نباتية وهندسية ·

كذلك فقد برع أهل أسوان ـ على ما يبدو ـ فى صناعة الكحل التى عرفت فى العصور الوسطى باسم « صناعة اليد » وكان من بين الذين أجادوا هذه الحرفة ونبغوا فيها الطبيب هبة الله بن صدقة الأسوانى (ت : ٦٤٢ هـ ١٢٤٤ م) وتوارث أبناؤه تلك الحرفة طبقا لما ذكره الادفوى ـ واشتهروا بها فى القاهرة (١١٠٦) ·

ثالثا : محافظة سيناء

رغم انعدام ما لدينا من أدلة مادية ، وقلة ما بين أيدينا من معلومات تاريخية عن صناعات سيناء والقصير ، الا أننا لا نستطيع تجاهل ذكرها

فى آخر ما نتحدث عنه من هذا الكتاب خاصة وأن بعض المعلومات المتعلقة بصناعات كانت تمارس فيهما قد وصلتنا فى بعض المراجع العربية الحديثة .

١ ـ سيناء :

سيناء كما ذكرها ياقوت فى القرنين (٦ ـ ٧ هـ/١٢ ـ ١٣م) كموقع وتاريخ « اسم لموضع بالشام يضاف اليه الطور فيقال طور سيناء وهو الجبل الذى كلم الله تعالى عليه موسى بن عمران عليه السلام»(١١٠٧) .

وقد جاء فى وصف مصر أن صناعة عربان الطور خلال القرنين (١٢ ـ ١٣ هـ /١٨ ـ ١٩ م) كانت تتناسب مع احتياجاتهم البالغة البساطة ، فهم يصنعون ملابسهم وأقمشة خيامهم من الصوف ووبر الماعز الذى يغزلونه دون ازالة الشحم منه ، وكانت خيوط السدى فى هذه الأقمشة تعمل بواسطة عصوان أفقيتان كل منهما مثبتة بالأرض من طرفها وتبعد عن الأخرى بمسافة تزيد أو تنقص حسب العرض المطلوب للمنسوج مع وجود جزء مماثل من خيوط الصوف المغزول الملفوف حول عصا أخرى طولها يقرب من قدم واحدة تستخدم ككورة ـ وتصنع لحمة القماش المشار اليه بتمرير هذا المكوك باليد بالتبادل (خيط فوق وخيط تحت) ويكون الصانع فى هذه الحالة راقدا ، ثم يسحب المكوك ويمرر من جديد حتى يبلغ الطرف الآخر من خيوط السدى ، وتضم خيوط اللحمة الى بعضها بواسطة ضربها بمشط له من (١٠ ـ ١٢) من الأسنان ، وعندما يضم الخيط بأكمله يعود المكوك الى الجانب الآخر بنفس الوسيلة وتقوم النسوة بهذا العمل بينما يصنع أزواجهن الفحم ويحملونه الى القاهرة (١١٠٨) .

كذلك فقد ورد فى بعض المراجع العربية أن أكلمة سيناء تعد من أجود أنواع الأكلمة على الاطلاق سواء من الناحية الصناعية أو من ناحية الخامة أو الصباغة وتمتاز رسومها بصغر حجمها وتعقدها (١١٠٩) .

خاتمــــة

بعد هذا العرض الشامل لأهم مراكز الصناعة فى مصر الاسلامية ، وما عرف عن كل مركز من حيث التسمية والموقع والتاريخ والحرف والصناعات ، فاننا نرجو أن نكون قد ألقينا الضوء على دورها الحيوى الذى لعبته فى تشكيل البنية الاجتماعية للأقاليم الحضرية المصرية ، وأن نكون بالاضافة الى ذلك قد وضعنا اللبنة الأولى فى صرح معلم هام من معالم الحضارة الاسلامية فى مصر ألا وهو صرح حرفها وصناعاتها الذى تعد هذه الدراسة هى أولى المحاولات العلمية الجادة فى مجالها ، آملين أن تكون هذه اللبنة نبراسا يضىء الطريق لمن يمشى على هذا الدرب من بعدنا ، راجين فى نفس الوقت أن تساعد هذه الدراسة فى سد ما يتعلق بها من نقص فى المكتبة العربية ، سائلين أن يغفر لنا القارىء والباحث ما يجده بين سطورها من هنات هى سمة من سمات الخلق جميعا • فما أردت الا الرشد ما استطعت وعلى الله القصد وهو الهادى الى سواء السبيل •

المؤلف

٣ — حواشي وتعليقات الفصل الثالث
من الباب الثالث
الصعيد الأعلى

١٠٣٩ — ياقوت : المصدر السابق : ج ٤ ص : ٣٩٩ .

١٠٤٠ — ابن دقماق : المصدر السابق : ج ٢ ص ٣٣ .

١٠٤١ — الموسوعة العربية الميسرة : ص : ١٣٩٩ .

١٠٤٢ — وصف مصر : ج ٤ ، ص ص : ١٩٦ — ١٩٨ .

١٠٤٣ — نفس المرجع : ج ٤ ص ص : ١٨٩ — ١٩٠ .

١٠٤٤ — الموسوعة العربية الميسرة : ص : ١٣٩٩ .

١٠٤٥ — السيد الباز العريني : الأيوبيون : ص : ٢٠١ . وانظر أيضا : الموسوعة العربية الميسرة : ص : ١٣٩٩ .

١٠٤٦ — المقريزي : الخطط : ج ١ ص : ٣٨١ ، السلوك : ج ١ ق ١ ص : ٨٤٤ ح ٣ .

١٠٤٧ — ابن دقماق : المصدر السابق : ج ٢ ص : ٣٢ .

١٠٤٨ — ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص : ٦٤ ح ١ .

١٠٤٩ — على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١٢ ص ص : ١٢ — ١٣ .

١٠٥٠ — محمد رمزي : المرجع السابق : مجلد ٤ ج ٢ ص ١٩٧ وأنظر أيضا : قاموس جغرافي للقطر المصري : ص ٣٥٧ .

١٠٥١ — المقريزي : الخطط : ج ١ ص ص : ٢٠٣ ، ٣٨١ .

١٠٥٢ — ابن دقماق : المصدر السابق : ج ٢ ص ٣٢ ، ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص : ٦٤ ح ١ .

١٠٥٣ — على باشا مبارك : المرجع السابق : ج ١٢ ص ص : ١٢ — ١٣ .

١٠٥٤ — أنظر في ذلك : راشد البراوي : المرجع السابق : ص ص : ١٧٨ ، ٣٨٤ ، محمد جمال الدين سرور : دولة بني قلاوون في مصر : ص : ٣١٩ .

١٠٥٥ ـ المسعودى : المصدر السابق : جـ ٢ ص ٢٦ .

١٠٥٦ ـ ياقوت : المصدر السابق : جـ ٤ ص : ٣٨٣ .

١٠٥٧ ـ القزوينى : المصدر السابق : ص : ٢٤١ .

١٠٥٨ ـ المقريزى : الخطط : جـ ١ ص ص : ٤٣٤ ـ ٤٣٦ .

١٠٥٩ ـ ابن دقماق : المصدر السابق : جـ ٢ ص ص : ٣٢ ـ ٣٣ .

١٠٦٠ ـ الموسوعة العربية الميسرة : ص : ١٣٩٠ وانظر أيضا : محمد رمزى : المرجع السابق : مجلد ٤ ق ٢ ص ١٧٧ ، قاموس جغرافى للقطر المصرى : ص : ٥٨٧ .

١٠٦١ ـ المقريزى : الخطط : جـ ١ ص ص : ٣٢ ـ ٣٣ .

١٠٦٢ ـ ابن دقماق : المصدر السابق : جـ ٢ ص ص ٣٢ ـ ٣٣ .

١٠٦٣ ـ راشد البراوى : المرجع السابق : ص ص ١٧٨ ـ ٣٨٤ .

١٠٦٤ ـ الادريسى : المرجع السابق : ص ص ٤٨ ـ ٤٩ .

١٠٦٥ ـ أنظر أيضا : السيد الباز العرينى : مصر فى عصر الأيوبيين : ص : ٢٠٠ ، الأيوبيون (لنفس المؤلف) ص ص : ٢٠٠ ـ ٢٠١ .

١٠٦٦ ـ المسعودى : المصدر السابق : جـ ٢ ص : ٢٦ .

١٠٦٧ ـ الادريسى : المصدر السابق : ص : ٤٩ .

١٠٦٨ ـ ياقوت : المصدر السابق : جـ ٤ ص : ٤١٣ ، عبد العال الشامى : المرجع السابق : ص : ٥١ .

١٠٦٩ ـ المقريزى : الخطط : جـ ١ ص ٤٤١ .

١٠٧٠ ـ ابن دقماق : المصدر السابق : جـ ٢ ص ٢٨ .

١٠٧١ ـ على باشا مبارك : المرجع السابق : جـ ١٤ ص ص ١٢٨ ـ ١٤٠ .

١٠٧٢ ـ الموسوعة العربية الميسرة : ص ١٠٤٧ وأنظر أيضا قاموس جغرافى للقطر المصرى : ص : ٥٩٣ .

١٠٧٣ ـ على باشا مبارك : المرجع السابق : جـ ١٤ ص : ١٤٣ .

١٠٧٤ ـ محمد عبده الحجاجى : قوص فى التاريخ الاسلامى : ص : ٦٥ .

١٠٧٥ ـ زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين : ص : ١٨١ .

١٠٧٦ ـ خليل ضومط : المرجع السابق : ص : ١٧٢ .

١٠٧٧ ـ ياقوت : المصدر السابق جـ ١ ص : ٢٣٧ .

١٠٧٨ ـ المقريزى : الخطط : جـ ١ ص : ٣٨١ .

١٠٧٩ ـ ابن دقماق : المصدر السابق : جـ ٢ ص ص : ٣٠ ـ ٣١ .

١٠٨٠ ـ الموسوعة العربية : ص ١٨٤ وأنظر أيضا : قاموس جغرافى للقطر المصرى ص : ٩٣ .

١٠٨١ ـ ابن دقماق : المصدر السابق جـ ٢ ص ٣١٠ .

١٠٨٢ ـ ياقوت : المصدر السابق : جـ ٤ ص : ٣٦٧ وأنظر أيضا : محمد رمزى : المرجع السابق : مجلد ٤ جـ ٢ ص : ٢٧١ ، قاموس جغرافى للقطر المصرى : ص ٥٨٥ ٠

١٠٨٣ ـ راشد البراوى : المرجع السابق : ص : ٣٨٣ ٠

١٠٨٤ ـ ابن حوقل : المصدر السابق : ص : ١٤٨ ٠

١٠٨٥ ـ الاصطخرى : المصدر السابق : ص : ٥١ ٠

١٠٨٦ ـ الادريسى : المصدر السابق : ص : ٢١ ٠

١٠٨٧ ـ ياقوت : المصدر السابق : جـ ١ ص ص : ١٩١ ـ ١٩٢ ٠

١٠٨٨ ـ المقريزى : الخطط : جـ ١ ص : ٣٧٠ ٠

١٠٨٩ ـ على باشا مبارك : المرجع السابق : جـ ٨ ص : ٦٤

١٠٩٠ ـ الموسوعة العربية الميسرة : ص : ١٦٢ وانظر أيضا قاموس جغرافى للقطر المصرى : ص : ٩٠ ٠

١٠٩١ ـ ابن دقماق : المصدر السابق : جـ ٢ ص ٣٤ ، الادفوى : الطالع السعيد : ص : ١٧ ٠

١٠٩٢ ـ أنظر أيضا على باشا مبارك : المرجع السابق : جـ ٨ ص : ٦٧ ، محمود محمد الحويرى : أسوان فى العصور الوسطى : ص ص : ٩٠ ـ ٩١ ، وصف مصر : جـ ٤ ص : ١٨٨ ٠

١٠٩٣ ـ تمت هذه الحفائر التى لم تنشر بعد خلال المدة من سنة ١٩٦٠ الى سنة ١٩٦٤ م ، وقد أجريت بنفسى حفائر موسمها الرابع الذى امتد من مارس الى ابريل عام ١٩٦٤ م ٠

١٠٩٤ ـ الادريسى : المصدر السابق : ص : ٢١ ٠

١٠٩٥ ـ الاصطخرى : المصدر السابق : ص ٥١ ٠

١٠٩٦ ـ المقريزى : الخطط : جـ ١ ص : ٣٧٠ ٠

١٠٩٧ ـ ياقوت : المصدر السابق : جـ ١ ص : ١٩١ ٠

١٠٩٨ ـ المقريزى : الخطط : جـ ١ ص : ٣٧٠ ٠

١٠٩٩ ـ الموسوعة العربية الميسرة : ص : ١٦٢ ٠

١١٠٠ ـ نشر الاستاذ عبد الرحمن عبد التواب جزأين من هذه الشواهد بالمعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ٠
بعنوان : Stelεs Islamiquεs de la Necropole d'Assouan.
صدر أولهما سنة ١٩٧٧ عن الشواهد من رقم (١) الى رقم (١٥٠) وصدر الثانى سنة ١٩٨٢ عن الشواهد من رقم (١٥١) الى رقم (٣٠٠) ، وقد راجعت بنفسى هذين الجزءين وصححت ما ورد فيهما من أخطاء نشرت كملحق مستقل فى نهاية الجزء الثانى ، وكان من المفروض أن تصدر باقى الاجزاء وعددها (٨) أجزاء تباعا لتكتمل السلسلة فى عشرة أجزاء لولا أن خلافا فى ذلك يتعلق بحقوق أدبية لغير المؤلف أدى الى ايقاف نشر باقى هذه الاجزاء مؤقتا ٠

١١٠١ ـ انظر : محمود الحويرى : المرجع السابق : ص : ٩١ ، سعد الخادم : الصناعة الشعبية فى مصر : انظر ص ص ٣٥ ، ٩٣ ٠

١١٠٢ ـ راجع : الادفوى : المصدر السابق : ص : ٥٢٢ وأنظر أيضا : محمود الحويرى : المرجع السابق ص : ٩١ ٠

١١٠٣ ـ ياقوت : المصدر السابق : جـ ١ ص ص : ١٩١ ـ ١٩٢ ٠

١١٠٤ ـ الادفوى : المصدر السابق : ص ص : ٦٩٠ ـ ٦٩١ وأنظر أيضا : محمود الحويرى : المرجع السابق : ص : ٩١ ٠

١١٠٥ ـ ياقوت : المصدر السابق : جـ ٣ ص : ٣٠٠ ٠

١١٠٦ ـ وصف مصر : جـ ٢ ص ص : ١٢٣ ـ ١٢٤ وأنظر أيضا : ارنست كونل : الفن الاسلامى : ص : ١٢٣ ٠

١١٠٧ ـ سعاد ماهر : الكليم فى مجموعة متحف جاير اندرسون : ص : ١٥ ٠

مصادر ومراجع الكتاب

أولا : المصادر العربية :

ابن بطوطة : (أبو عبد الله محمد بن ابراهيم اللواتى : ٧٠٤ ـ ٧٧٩ هـ)
الرحلة : دار بيروت للطباعة والنشر ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م

ابن تغرى بردى : (يوسف بن تغرى بردى الأتابكى : ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م)
المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى
جزءان تحقيق د. محمد محمد أمين
الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة ١٩٨٤ ـ ١٩٨٥م

ابن دقماق : (ابراهيم بن محمد بن أيدمر العلائى : ت ٨٠٩هـ/١٤٠٦م)
الانتصار لواسطة عقد الأمصار : الجزءان ٤ ، ٥
المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر. بيروت بدون تاريخ
عن طبعة بولاق ١٣١٠هـ/١٨٩٣م

ابن سعيد : (على بن موسى المغربى : ت ٦٧٣هـ/١٢٧٥م)
المغرب فى حلى المغرب
تحقيق زكى حسن وآخرين . القاهرة ١٩٥٣م

ابن عبد الحكم : (عبد الرحمن عبد الله بن أعين المصرى : ١٥٠/٢١٤هـ)
(٧٦٧ ـ ٨٢٩م)
فتوح مصر وأخبارها
جزءان فى مجلد واحد . نشر هنرى ماسيه . مطبعة مجلس
المعارف الفرنساوى الخاص بالعادات الشرقية ١٩١٤م .

ابن عبد الظاهر : (محيى الدين : ٦٢٠/٦٩٢ هـ)
تشريف الأيام والعصور فى سيرة الملك المنصور (قلاوون)
تحقيق : محمد كامل . ط . أولى القاهرة ١٩٦١م .

ابن ظهيرة : (أبو اسحاق برهان الدين : ٨٢٥ ـ ٨٩١هـ/٤٤٢ ـ ١٤٨٦م).
الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة .
تحقيق : مصطفى السقا ، كامل المهندس . مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٦٩م .

ابن قتيبة : (أبو محمد عبد الله بن مسلم : ٢١٣ ـ ٢٧٦هـ/٨٢٨ ـ ٨٨٩م)
المعارف . تحقيق د. ثروت عكاشة . ط . رابعـــة . دار المعارف بمصر ١٩٨١ م وأيضا النسخة المنشورة بدار احياء التراث العربى بيروت . ط. ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .

ابن مماتى : (الأسعد بن الخطير : ت ٦٠٦هـ/١٢٠٩م)
قوانين الدواوين .
تحقيق عزيز سوريال عطية . القاهرة ١٩٤٣م .

ابن منظور : (جمال الدين محمد بن أبى العز المصرى :
٦٣٠ ـ ٧١١هـ/١٢٣٢ ـ ١٣١١م)
لسان العرب . ط . أولى . بولاق ١٣٠١هـ .

الادريسى : (الشريف محمد بن محمد بن عبد العزيز : ت ٥٦٠هـ/١١٦٤م).
نزهةالمشتاق في اختراق الآفاق . ط. ليدن ١٨٦٦م .

الاصطخرى : (أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسى : ت ٤هـ/١٠م).
مسالكالممالك . ط . ليدن ١٩٢٧م

الحسن بن عمر :
آثار الاول فى ترتيب الدول .
كتاب هامشى فى تاريخ الخلفاء للسيوطى
تحقيق محمد قاسم . القاهرة ١٢٩٥هـ/١٨٧٥م .

الفيروزابادى : (محمد بن يعقوب : ٧٢٩ ـ ٨١٧هـ)
القاموس المحيط . نسخة مصورة عن الطبعة الثالثة للمطبعة الأميرية ١٣٠١هـ الهيئة المصرية العـــامة للكتاب ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م .

البلاذرى : (أحمد بن يحيى بن جابر البغدادى : ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م)
فتوح البلدان . ط. أولى . القاهرة . مطبعة الموســوعات. ١٣١٩/١٩٠١م وأيضا النسخة التى حققها د. صلاح الدين المنجد . مكتبة النهضة المصرية (بدون) .

الجواليقى : (موهوب بن أحمد بن محمد : ٤٦٥ ـ ٥٤٠هـ)

المعرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم

تحقيق أحمد شاكر ٠ مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٦١هـ ٠

الجوهرى :

الصحاح ٠ تصحيح : نصر أبو الوفا الهورينى ٠ القاهرة ١٢٨٢ هـ ٠

الرازى : (محمد بن أبى بكر بن عبد القادر : ٥٤٣ ـ ٦٠٦هـ ١١٤٨ ـ ١٢٠٩م)

مختار الصحاح ٠ دار الباز للطباعة والنشر ٠ بيروت (بدون)

السخاوى : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن : ٨٣١ ـ ٩٠٢هـ/ ١٤٢٨ ـ ١٤٩٦م)

الذيل على رفع الاصر أو بغية العلماء ٠

تحقيق د٠ جودة هلال ، محمد صبح ومراجعة على على البجاوى

الدار المصرية للتأليف والترجمة ٠ القاهرة (بدون) ٠

السيوطى : الحافظ جلال الدين عبد الرحمن :

(٨٤٩ ـ ٩١١هـ/١٤٤٥ ـ ١٥٠٥م)

حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة

تحقيق أحمد أبو الفضل ٠ دار احياء الكتب العربية (عيسى البابى الحلبى ٠ ط٠ أولى ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م ٠)

العمرى : ابن فضل الله أحمد بن يحيى الكرمانى ٧٠٠ ـ ٧٤٩هـ/ ١٣٠٠ ـ ١٣٤٨م)

مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار

تحقيق أحمد زكى باشا

الجزء الأول ٠ مطبعة دار الكتب المصرية ٠ القاهرة ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م ٠

القزوينى : زكريا بن محمد بن محمود

آثار البلاد وأخبار العباد ٠

دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ٠

القلقشندى : (أحمد بن على بن عبد الله : ٧٥٦ ـ ٨٢١هـ/ ١٣٥٥ ـ ١٤١٨م

صبح الأعشى فى صناعة الانشا · المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٣٣١هـ/١٩١٣م ·

الكندى : (محمد بن يوسف : ٢٨٣ ــ ٣٥٠هـ/٨٩٦ ــ ٩٦١م)
ولاة مصر ·

تحقيق د· حسين نصار · دار صادر بيروت (بدون)

الكندى : (عمر بن محمد بن يوسف)
فضائل مصر ·

تحقيق ابراهيم العدوى ، على عمر

مكتبة وهبة بالقاهرة · ط· أولى ١٣٩١هـ/١٩٧١م

المحبى : محمد أمين بن فضل الله ١٠٦١ ــ ١١١١هـ/ ١٦٥٠ ــ ١٦٩٩م)
خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر ·

٤ أجزاء · المطبعة الوهبية بمصر ١٢٨٥هـ ·

المقدسى : (محمد بن أحمد بن أبى بكر : ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م)
أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم · ط· ليدن ١٩٠٩م

المسبحى : (محمد بن عبيد الله بن أحمد : ٣٦٦ ــ ٤٢٠ هـ / ٩٧٧ ــ ١٠٢٩ م)
أخبار مصر ·

تحقيق أيمن فؤاد ، تيارى بيانكى

مطبوعات المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٧٨م

المسعودى : أبو الحسن على بن الحسين : (ت ٣٤٥هـ)
ــ التنبيه والاشراف ·

تصحيح ومراجعة : عبد الله الصاوى · مطبوعات المكتبة العصرية ببغداد ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م) ·

ــ مروج الذهب ومعادن الجوهر ·

تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد · دار المعرفة بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م

المقرى : (أحمد بن على التلمسانى : ١٠٤١هـ/١٦٣١م)
المصباح المنير · ط· خامسة · المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩٢٢م ·

المقريزى : (تقى الدين أحمد بن على : ت ٧٦٦ ـ ٨٤٥هـ / ١٣٦٤ ـ ١٤٤٢م)

ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ٠ ٣ أجزاء ٠
طبعة دار التحرير للطباعة والنشر عن مطبعة بولاق ١٢٧٠هـ

ـ السلوك لمعرفة دول الملوك : ٤ مجلدات فى ١٢ جزء تحقيق د٠ محمد مصطفى زيادة ، د٠ سعيد عاشور ٠ ط٠ أولى ٠ القاهرة ١٩٥٨ ـ ١٩٧٠م ٠

ـ نحل عبر النحل ٠ تحقيق جمال الدين الشيال ٠ القاهرة٠ ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م ٠

ناصر خسرو : أبو معين الدين ناصر القبادياني المروزى :
(ت ٤٨١هـ/١٠٨٨م)

سفر نامه ٠
ترجمة وتقديم د٠ أحمد خالد البدلى ٠ عمادة شئون المكتبات ٠
جامعة الملك سعود ٠ الرياض ٠
١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ٠
وأيضا : سفر نامه عرض وتحليل د٠ يحيى الخشاب فى تراث الانسانية ٠ مجلد ١ ٠ ج ٨ ٠ ص ص ٦٤١ ـ ٦٥٣) ٠

ياقوت : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموى الرومى البغـــدادى :
٥٧٥ ـ ٦٢٥هـ/١١٧٩ ـ ١٢٢٨م

معجم البلدان ٠ ٥ أجزاء دار احياء التراث العربى ٠ بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م

اليعقوبى : (أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر : ت ٢٨٤هـ/٢٩٧م)

كتاب البلدان ٠ ط٠ ليدن ١٨٩٢م ٠
تاريخ اليعقـــوبى ٠ جزءان ٠ دار بيروت للطبـاعة والنشر ١٤٠٠هـ/٩٨٠م ٠

ثانيا ـ المراجع العربية :

أبوزيد شلبى : (دكتور)

تاريخ الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامى
مكتبة وهبه بالقاهرة ٠ ط٠ ثالثة ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م ٠

أبو صالح الألفى :

الفن الاسلامى (أصوله ـ فلسفته ـ مدارسه)

دار المعارف بمصر ط٠ أولى ١٩٦٩م ٠ ط٠ ثانية ١٩٧٤م ٠

أحمد فكرى : (دكتور)

مساجد القاهرة ومدارسها (العصر الفاطمى)

دار المعارف بمصر ١٩٦٥م ٠

أحمد عبد الغفور عطا :

الكعبة والكسوة منذ أربعة آلاف سنة حتى اليوم ٠

ط٠ أولى ٠ مكة المكرمة ، بيروت ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م

ادارة التعداد بنظارة المالية المصرية :

قاموس جغرافى للقطر المصرى ٠

المطبعة الأميرية ببولاق ١٨٩٩م ٠

انطوان خليل ضومط : (دكتور)

الدولة المملوكية (التاريخ السياسى والاقتصادى والعسكرى = ١٢٩٠ ـ ١٤٢٢م)

دار الحداثة ٠ بيروت ٠ ط٠ أولى ٠ ١٩٨٠م ٠

أنور الرفاعى :

تاريخ الفن عند العرب والمسلمين

دار الفكر ٠ ط٠ ثانية ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م ٠

باهور لبيب : (دكتور)

ـ لمحات من الفنون والصناعات ٠ ط٠ ثانية القاهرة ١٩٦٢م٠

ـ الفن القبطى ٠ سلسلة كتابك العدد ١١٨ ٠ دار المعارف ١٩٧٨م ٠

توفيق عبد الجواد : (دكتور)

تاريخ الفنون والعمارة : ٤ مجلدات ٠ القاهرة ١٩٦٨ ـ ١٩٧١م ٠

جلال مظهر :

حضارة الاسلام وأثرها فى الترقى العالمى ٠

مكتبة الخانجى ٠ القاهرة ١٩٧٤م ٠

جمال الدين الشيال (دكتور)

دراسات فى التاريخ الاسلامى ·

دار الثقافة · بيروت ١٩٨١م ·

جورجى زيدان :

تاريخ التمدن الاسلامى · جزءان · القاهرة ١٩٠٢م ·

حسن ابراهيم حسن : (دكتور)

تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ·

الجزء الأول : الدولة العربيــــة فى الشرق ومصر والمغــرب والأندلس · ط· تاسعة مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٥م ·

حسن الباشا : (دكتور)

مدخل الى الآثار الاسلامية

دار النهضة العربية : القاهرة ط ١٩٨١/١٣٧٩م

حسن عبد الوهاب :

تاريخ المســـاجد الأثرية : جزءان نص وكتالوج · القــاهرة ١٩٤٦م ·

حسن محمد الهوارى :

الفسطاط ·

المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩٢٧م ·

حسين مؤنس : (دكتور)

ابن بطوطة ورحلاته (تحقيق ودراسة وتحليل)

دار المعارف بمصر ١٩٨٠م ·

حسين الرفاعى :

تطور الصناعات فى مصر · القاهرة ١٩٣٣م ·

حورية عبد السلام : (دكتورة)

النظم الحربية فى مصر زمن الفاطميين (٣٥٨ ـ ٥٦٧ هـ / ٩٦٨ ـ ١١٧١م)

دار الفكر العربى · بيروت ١٩٨٠م ·

خليل الجر وآخرين : (دكتور)

المعجم العربى الحديث · لاروس · مكتبـــة لاروس باريس ١٩٧٣م ·

راشد البراوى : (دكتور)

حالة مصر الاقتصادية على عهد الفاطميين ٠ ط٠ أولى القاهرة ٠ ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م ٠

رؤوف حبيب :

دليل المتحف القبطى وأهم الكنائس والأديرة بمصر القديمة ٠ القاهرة ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م

زكى محمد حسن : (دكتور)

– فنون الاسلام : دار الرائد العربى ٠ بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ٠

– الفن الاسلامى فى مصر من الفتح العربى الى نهاية العصر الطولونى ٠ دار الرائد العربى ٠ بيروت ١٤٠١هـ/١٩٨١م ٠

– كنوز الفاطميين ٠ دار الرائد العربى ٠ بيروت ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ٠

– أطلس الفنون الزخرفية والتصاير الاسلامية ٠ بيروت ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ٠

سامح عبد الرحمن فهمى : (دكتور)

الوحدات النقدية المملوكية ٠٠ ط٠ أولى ٠ جدة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ٠

ساويرس بن المقفع :

تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية أو سير البيعة المقدسة : ٧ أجزاء فى ٣ مجلدات ٠ القاهرة ١٩٤٣م ٠

سعاد ماهر محمد : (دكتورة)

– القاهرة القديمة وأحياؤها ٠ المكتبة الثقافية : ٧٠ عدد أكتوبر ١٩٦٢م ٠

– النسيج الاسلامى : الجهاز المركزى للكتب الجامعية القاهرة ١٩٧٧ ٠

– الفن القبطى : الجهاز المركزى للكتب الجامعية القاهرة ١٩٧٧ ٠

– البحرية فى مصر الاسلامية وآثارها الباقية ٠ دار المجمع العلمى بجدة : ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ٠

سعيد عبد الفتاح عاشور : (دكتور)

- الظاهر بيبرس · سلسلة أعلام العرب عدد : ١٤ - القاهرة ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م ·
- العصر المماليكي في مصر والشام · ط· أولى · القاهرة ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م ·
- بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى · مطبوعات جامعة بيروت العربية ١٩٧٧م ·

السيد الباز العريني : (دكتور)

مصر في عصر الأيوبيين · سلسلة الألف كتاب العدد ٢٦٩ · القاهرة ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م ·

الشرق الأدنى في العصور الوسطى (الأيوبيون) ·· دار النهضة العربية · بيروت ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م ·

السيد محمود عبد العزيز سالم : (دكتور)

تاريخ الاسكندرية وحضارتهما في العصر الأسلامي · الاسكندرية ١٩٨٢ م

سيدة اسماعيل كاشف : (دكتورة)

مصر في عصر الأخشيديين : القاهرة ١٩٥٠م ·

السيد محمود عبد العزيز سالم ، أحمد مختار العبادي : (دكتوران)

تاريخ البحرية الاسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط ج ١ · مؤسسة شباب الجامعة · الاسكندرية · ١٩٨١م ·

الشيخ الأمين عوض الله :

الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي ·

دار المجمع العلمي بجدة : ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م

عبد الرحمن زكي : (دكتور)

- الفسطاط وضاحيتاها العسكر والقطائع · المكتبة الثقافية عدد ١٥٨ القاهرة ١٩٦٦م ·
- القاهرة : تاريخها وآثارها من جوهر القائد الى الجبرتي المؤرخ ، الدار المصرية للتأليف والترجمة · القاهرة ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م ·

عبد العال عبد المنعم الشامى : (دكتور)

مدن مصر وقراها عند ياقوت · ط· أولى الكويت : ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ·

عبد الله حسين :

الدولة الاسلامية : تاريخها وحضارتها : ٥ أجزاء · القاهرة ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨م ·

عفيف بهنسى :

جمالية الفن العربى · سلسلة عالم المعرفة · الكويت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ·

على باشا مبارك :

الخطط الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة : عشرون جزءا فى خمس مجلدات · طبعة بولاق ١٣٠٥هـ ·

على حسنى الخربوطلى : (دكتور)

الحضارة العربية الاسلامية · مكتبة الخانجى القاهرة ١٩٧٥ م

عمر رضا كحالة :

الفنون الجميلة فى العصور الاسلامية · المطبعة التعاونية بدمشق · ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م ·

فتحية النبراوى : (دكتورة)

تاريخ النظم والحضارة الاسلامية :

دار المعارف بمصر · ط· ثانية ١٩٨١م ·

فريد محمود شافعى : (دكتور)

الأخشاب المزخرفة فى الطراز الأموى ·

مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة (مجلد ١٤ ج ٢ ص ص ٦٨ ـ ٧٢)

محمد جمال الدين سرور : (دكتور)

ـ دولة بنى قلاوون فى مصر · القاهرة ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م ·

ـ تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق · ط· ثانية : القاهرة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م ·

- مصر فى عصر الدولة الفاطمية . مكتبة النهضة المصرية ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م .

محمد رمزى :

القاموس الجغرافى للبلاد العربية .

قسمان فى خمسة مجلدات . مطبعة دار الكتب المصرية .

١٩٥٣ - ١٩٣٦م .

محمد صدقى الجباخنجى :

الموجز فى تاريخ الفن . دار نهضة مصر ١٩٨٠م .

محمد عبد الله عنان :

مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية .

ط. أولى . مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٥٠هـ/١٩٣١م

محمد عبده الحجاجى :

قوص فى التاريخ الاسلامى . المكتبة الثقافية عدد ٣٦٣ .

الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة ١٩٨٢م .

محمد عبد العزيز مرزوق : (دكتور)

- الناصر محمد بن قلاوون . سلسلة أعلام العرب ٢٨ . المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة . القاهرة (بدون)

- تاريخ صناعة النسيج فى الاسكندرية على عهد البطالمة . الاسكندرية . (بدون)

محمود ابراهيم حسين : (دكتور)

الخزف الاسلامى فى مصر : مكتبة نهضة الشرق

جامعة القاهرة : ١٩٨٤م .

محمود عكوش :

مصر فى عهد الاسلام (خواطر فى تاريخها ونبذ عن آثارها)
مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٤١م .

محمود محمد الحويرى : (دكتور)

أسوان فى العصور الوسطى .

دار المعارف بمصر . ط. أولى ١٩٨٠م .

محمد مصطفى : (دكتور)

– شرف الابوانى صانع الفخار المصرى فى القرن الثامن الهجرى ٠
مؤتمر الآثار فى البلاد العربية ٠ دمشق ١٩٤٧م (ص ص ٥٩ – ١٦٤)

– متحف الفن الاسلامى ٠ دليل موجز ٠ القاهرة ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م ٠

محمد مصطفى زيادة وآخرين : (دكتور)

تاريخ الاسلام ومصر الاسلامية ٠ القاهرة ١٩٥٥م

مصطفى محمد حسين :

دراسات فى تطور فنون النسيج والطباعة ٠
دار نهضة مصر للطبع والنشر ٠ القاهرة ١٩٦٩م ٠

الموسوعة العربية الميسرة :

ط٠ ثانية ٠ القاهرة ١٩٧٢م ٠

نخبة من العلماء :

تاريخ الحضارة المصرية ٠ المجلد الثانى ٠ العصر اليونانى الرومانى والعصر الاسلامى)
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ٠ القاهرة (بدون)

نعمت علام :

– فنون الشرق الأوسط فى العصور الاسلامية
دار المعارف بمصر ٠ ط ٠ ثانية ١٩٧٧م

– فنون الشرق الأوسط فى الفترات الهلنستية ٠ دار المعارف بمصر

نقولا زيادة :

مدن عربية ٠ دار الطليعة ٠ بيروت ٠ ط٠ أولى ١٩٦٥م ٠

ثالثا – المراجع الأجنبية المعربة :

أوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية :
نشر أدولف جوهمان وتعريب حسن ابراهيم حسن ، عبد الحميد حسن ٠

الجزءان الأول والثـانى . مطبعـة دار الـكتب المصرية ١٩٣٤ - ١٩٣٦م .

تراث الاسلام :

تأليف جمهرة مستشرقين باشراف سيرتوماس أرنولد وتريب جرجس فتح الله . ط. ثالثة . دار الطليعة . بيروت ١٩٧٨م .

الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى أو عصر النهضة فى الاسلام : جزءان

تأليف : آدم متز .

تعريب : محمد عبد الهادى أبو ريده . دار الكتاب العربى . بيروت (بدون)

دراسات فى التاريخ الاسلامى والنظم الاسلامية .

تأليف : س. د جوتاين

تعريب وتحقيق : د. عطيه القوصى . وكالة المطبوعات . الكويت ١٩٨٠م .

سيرة القاهرة :

تأليف : ستانلى لين بول .

تعريب : د. حسن ابراهيم حسن ، د. على ابراهيم حسن ، ادوارد حليم .

مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٠م .

فتح العرب لمصر :

تأليف : الفريد بتلر

تعريب : محمد فريد أبو حديد .

مطبعة دار الكتب المصرية . ١٣٥١هـ/١٩٣٣م .

الفنون الاسلامية :

تأليف : م. س. ديماند

تعريب : د. أحمد عيسى

دار المعارف بمصر . ط. ثالثة ١٩٨٢م

المصريون المحدثون :

تأليف ادوارد وليم لين

تعريب : عدلى طاهر نور · ط· أولى القاهرة ١٩٥٠م ·

وصف مصر :

تأليف : علماء الحملة الفرنسية ·

تعريب : زهير الشايب ·

ط· ثانية · مكتبة الخانجى بمصر ١٩٧٩م ·

رابعا ـ المراجع الأجنبية :

— Cohen (M.) et Combe (E.T.) :

— Repertoire chronologique d'epigraphie Arabe :

Fahmy (A. H.) :

Muslim sea power in the Eastern Mediterranean from the seventh to the tenth century A.D.

1st ed. Cairo 1966.

Muslim Naval in the Eastern Mediterranean From the seventh to the tenth Century A.D.

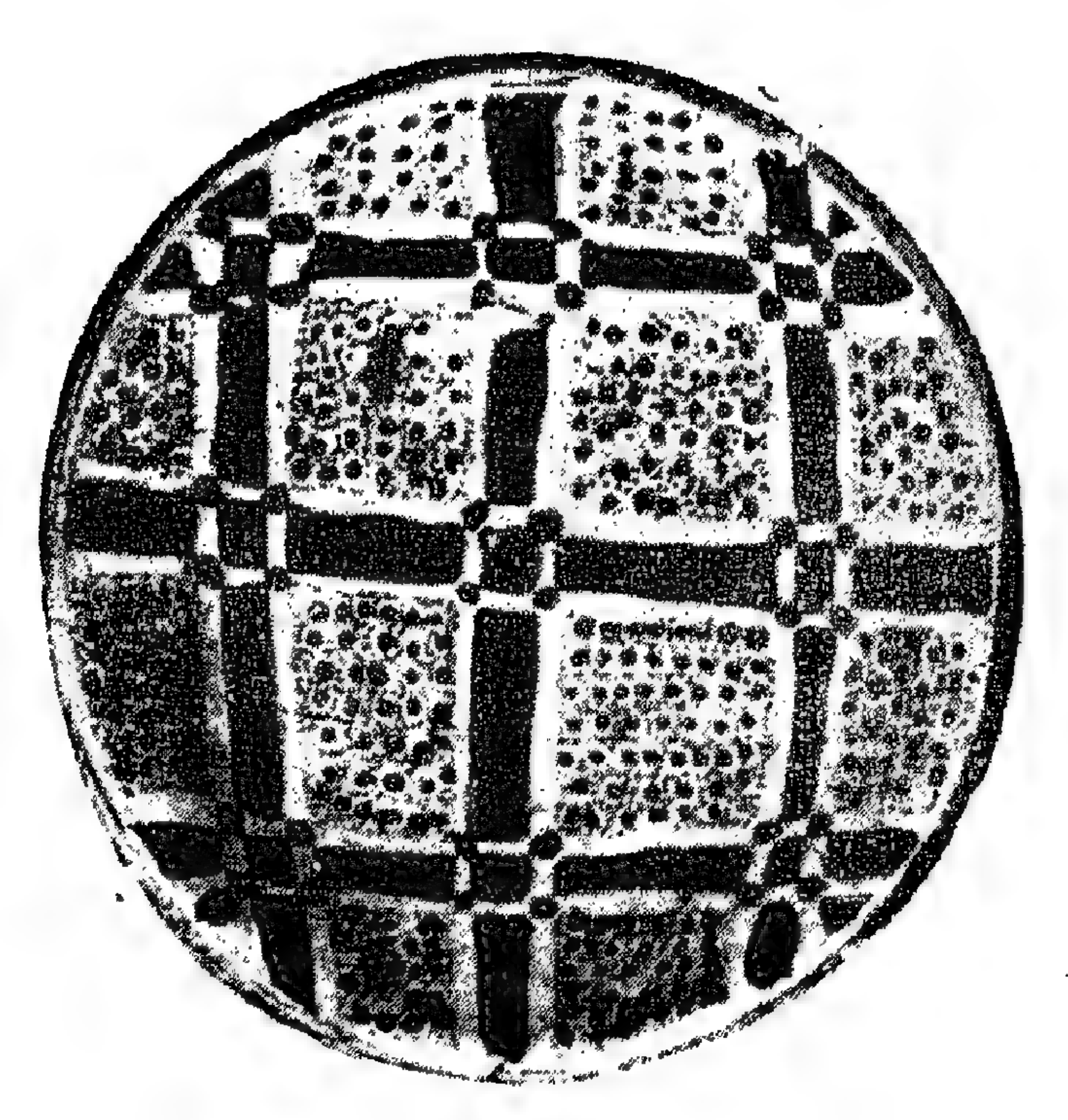
1st ed. Cairo 1966.

Kubiak (W. B.) :

Byzantine attack on Damietta in 853 A.D.

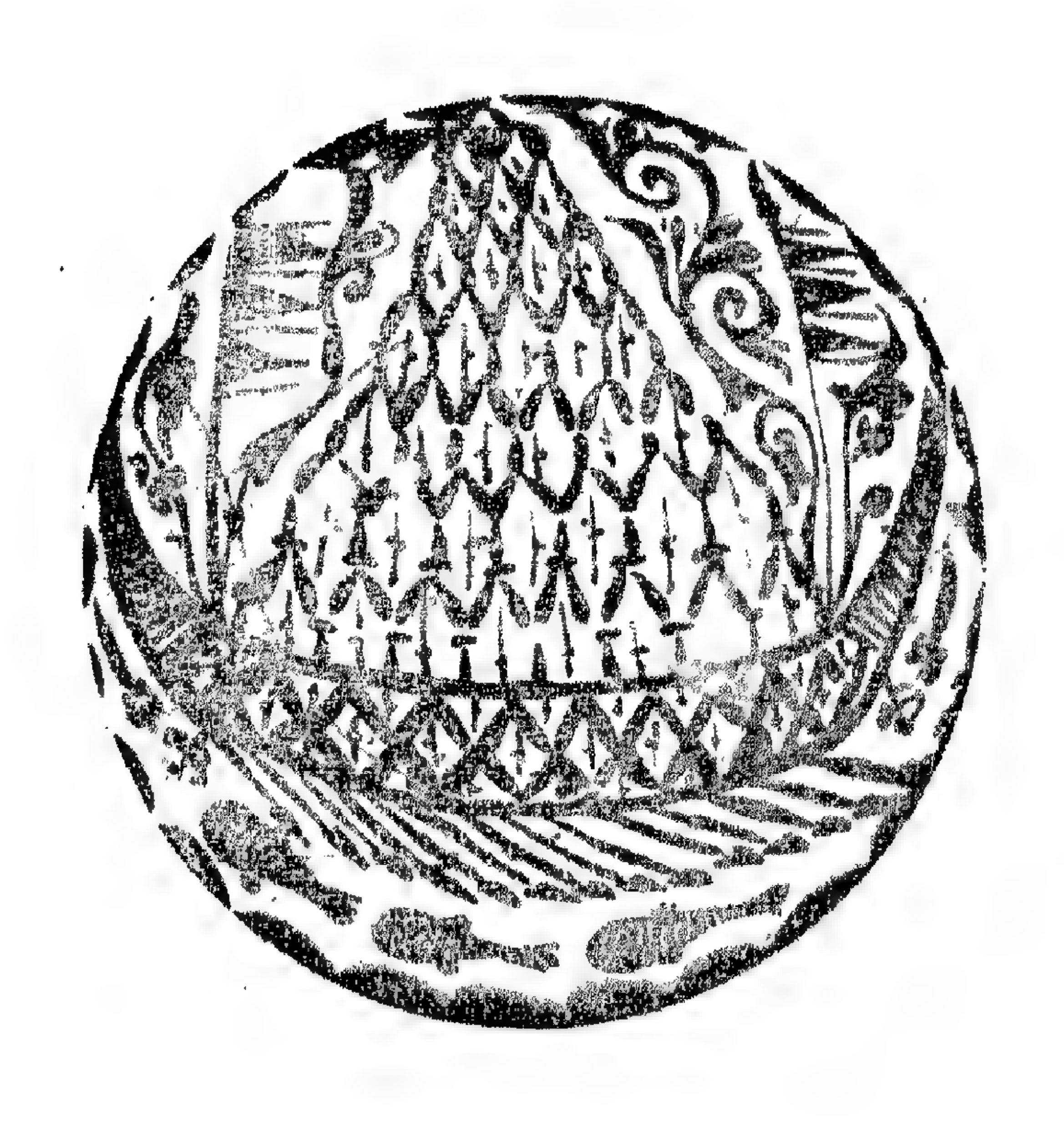
Byzantion, Vol. xl 1970, pp. 45-66.

الأشكـال واللوحـات



(شكل ١)

صحن من الخزف العباسي ذى البريق المعدنى من صناعة مصر (الفسطاط) فى القرنين (٣ ـ ٤ هـ/ ٩ ـ ١٠م) بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة (رقم سجل ٤١٧٦) راجع ايضا : زكى حسن : اطلس : شكل ١٧ ٠



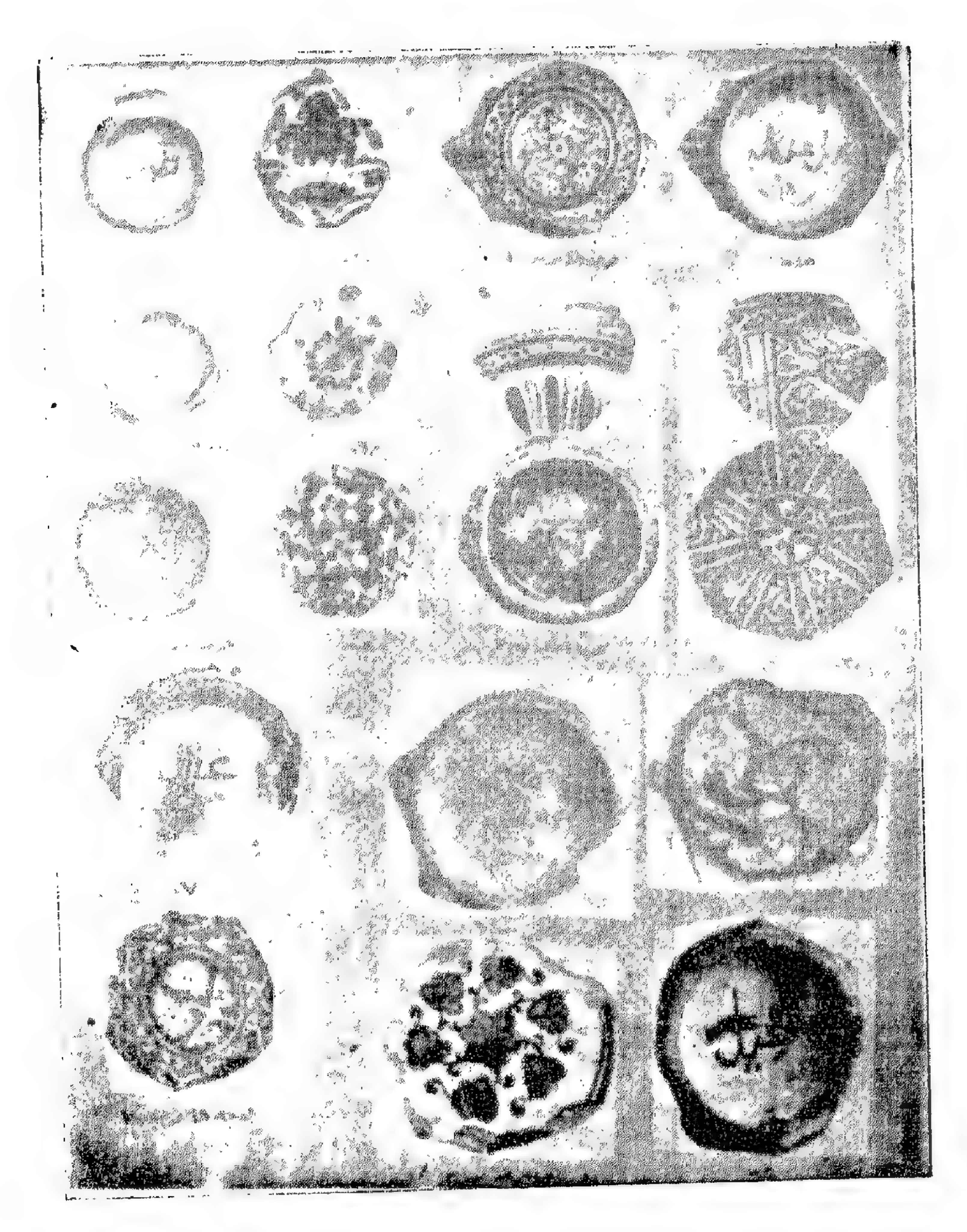
(شكل ٢)

صحن من الخزف العباسي ذى البريق المعدني من صناعة مصر فى القرنين (٣ - ٤هـ/٩ - ١٠م) بمتحف الفن الاسلامي (رقم سجل ٧٩٠٠) . راجع أيضا : زكى حسن : أطلس : شكل ١٨ .



(شكل ٣)

صحن من الخزف الفاطمي ذى البريق المعدنى من صناعة مصر فى القرنين (٥ـ ٦ هـ/١١ ـ ١٢م) بمتحف الفن الاسلامى (رقم سجل ٥٨٦٧)
راجع أيضا : زكى حسن : أطلس : شكل ٥٠ .



(شكل ٤)

قطع من الخزف المملوكى ذى الزخارف المرسومة تحت الدهان عليهـا أسماء صناع من صناعة مصر فى القرنين (٨ ــ ٩هـ/١٤ ــ ١٥م) بمتحف الفن الاسلامى (رقم سـجل ٦٠٢٩ ، ٦٠٣٧ ، ١/٦٠٣٩ ، ٦٠٣٠ ، ١/٦٠٣٤ ، ١٠/٧٢٣٣ ، ٢/٥٨٥٩) ٠ راجع أيضا : زكى حسن : اطلس : شكل ١٨٨ ٠



(شكل ٥)

قطعة من الفخار المطلى المملوكى من عمل الخزاف « شرف الأبوانى » من صناعة مصر فى القرنين (٧ - ٩هـ/١٣ - ١٥م) بمتحف الفن الاسلامى (رقم سجل ٣٨٥٤) راجع ايضا : زكى حسن : اطلس : شكل ١٩٨ .



(شكل ٦)

كأس من الفخار المطلي المملوكي عليه رنك البقجة من صناعة مصر في القرنين (٧ - ٩هـ/١٣ - ١٥م) في متحف برلين راجع أيضا : زكي حسن : أطلس : شكل ١٨٩ ٠





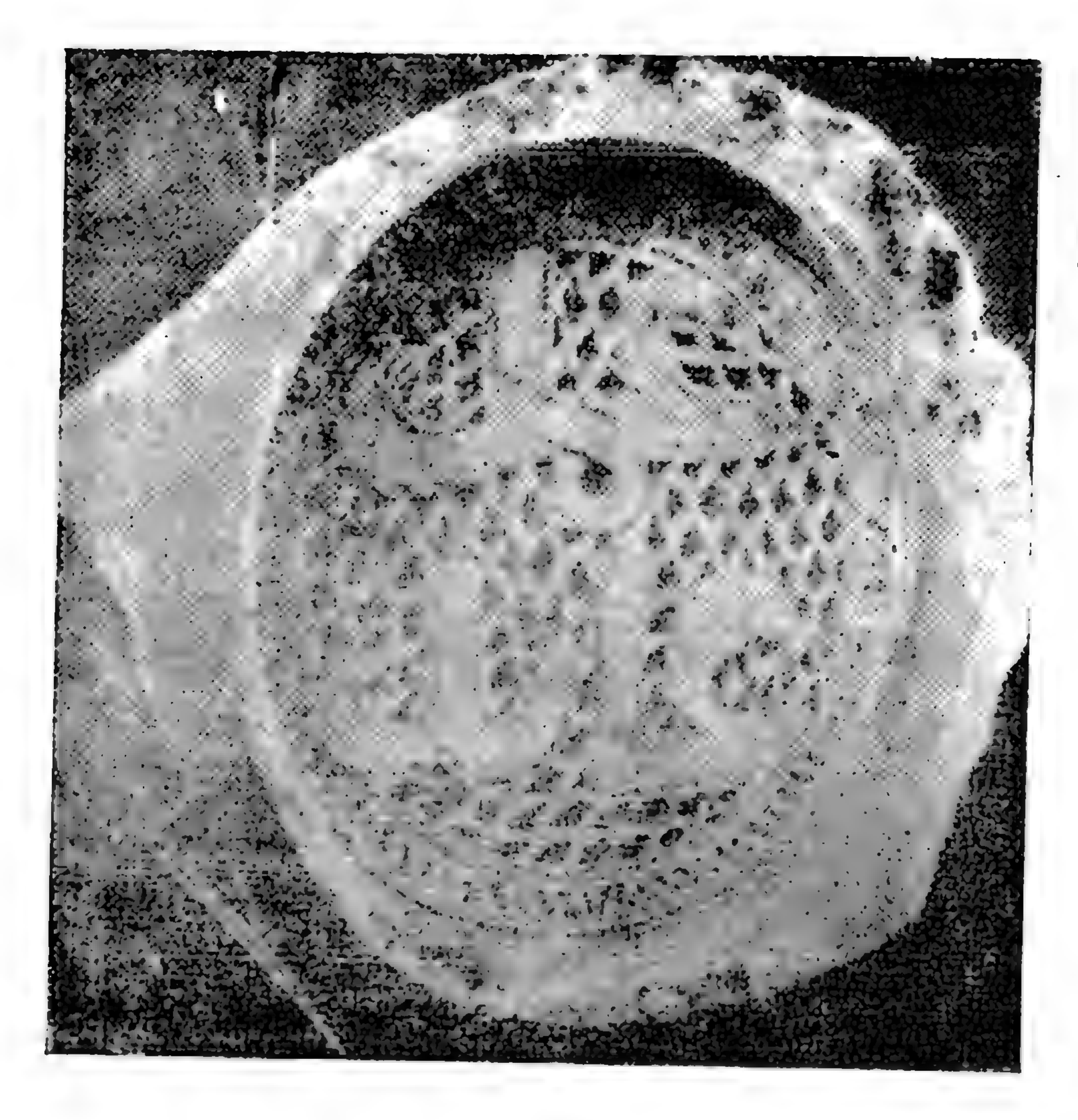
(شكل ٧)

اجزاء من قدور من الفخار المطلى المملوكى عليها رنوك • من صناعة مصر فى القرنين (٧ – ٩هـ / ١٣ – ١٥م) ولا سيما رنك عصوا البولو • بمتحف الفن الاسلامى (ارقام ٧/٥١٥٨ ، ١/٥١٣٦ ، ٧/٥١٠١ ، ٥١٢٦ ، ٥/٥١٠٤) راجع أيضا : زكى حسن : اطلس : شكل ١٩٩ ، ٢٠٠ •



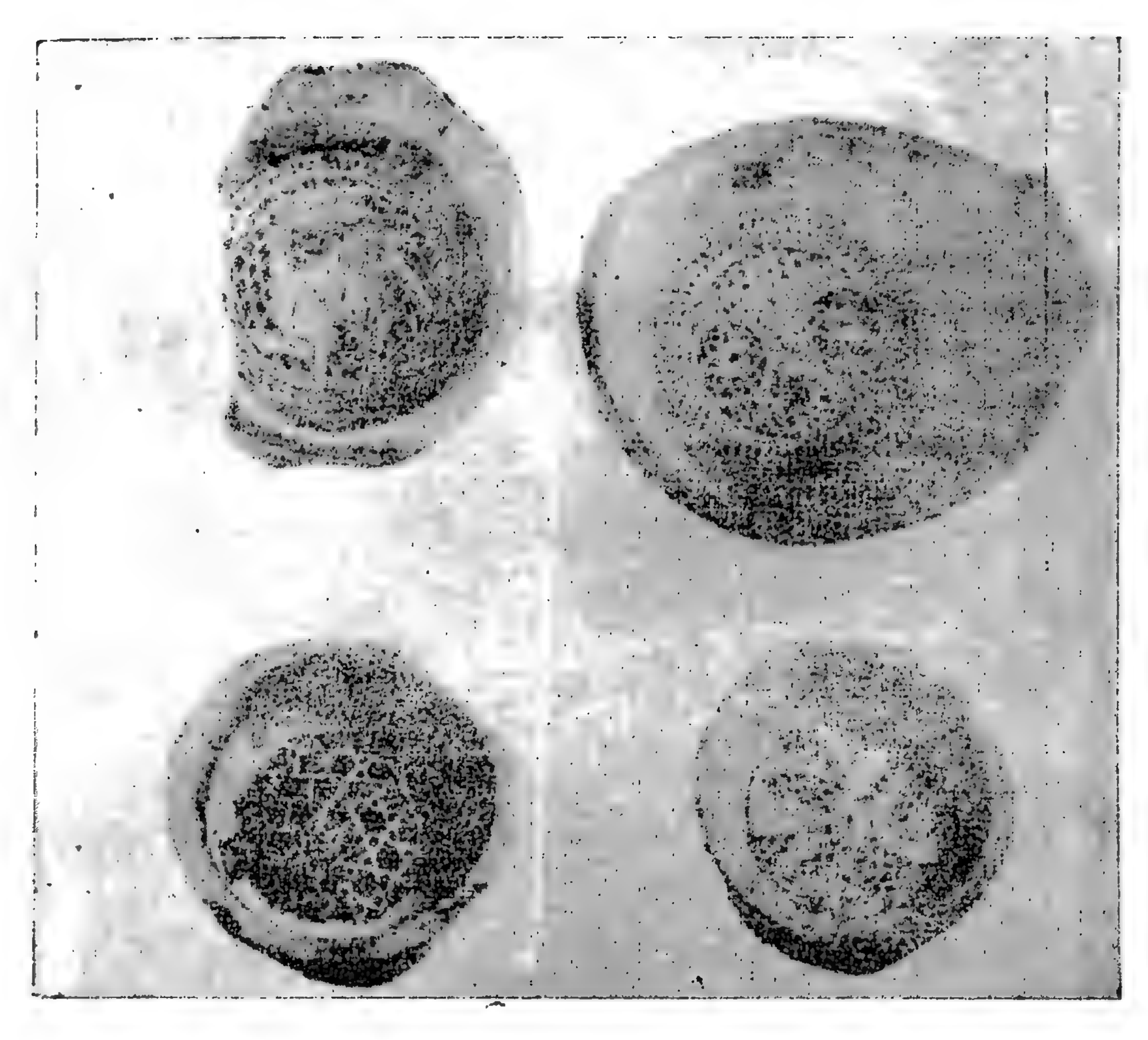
(شكل ٨)

كأس من الفخار المطلى المملوكى من صناعة مصر فى القرنين (٧ ـ ٩هـ / ١٣ ـ ١٥م) عليه رنك الكأس بمتحف الفن الاسلامى (رقم سجل ٣٩٤٥) راجع أيضا : زكى حسن : أطلس : شكل ١٩١ .



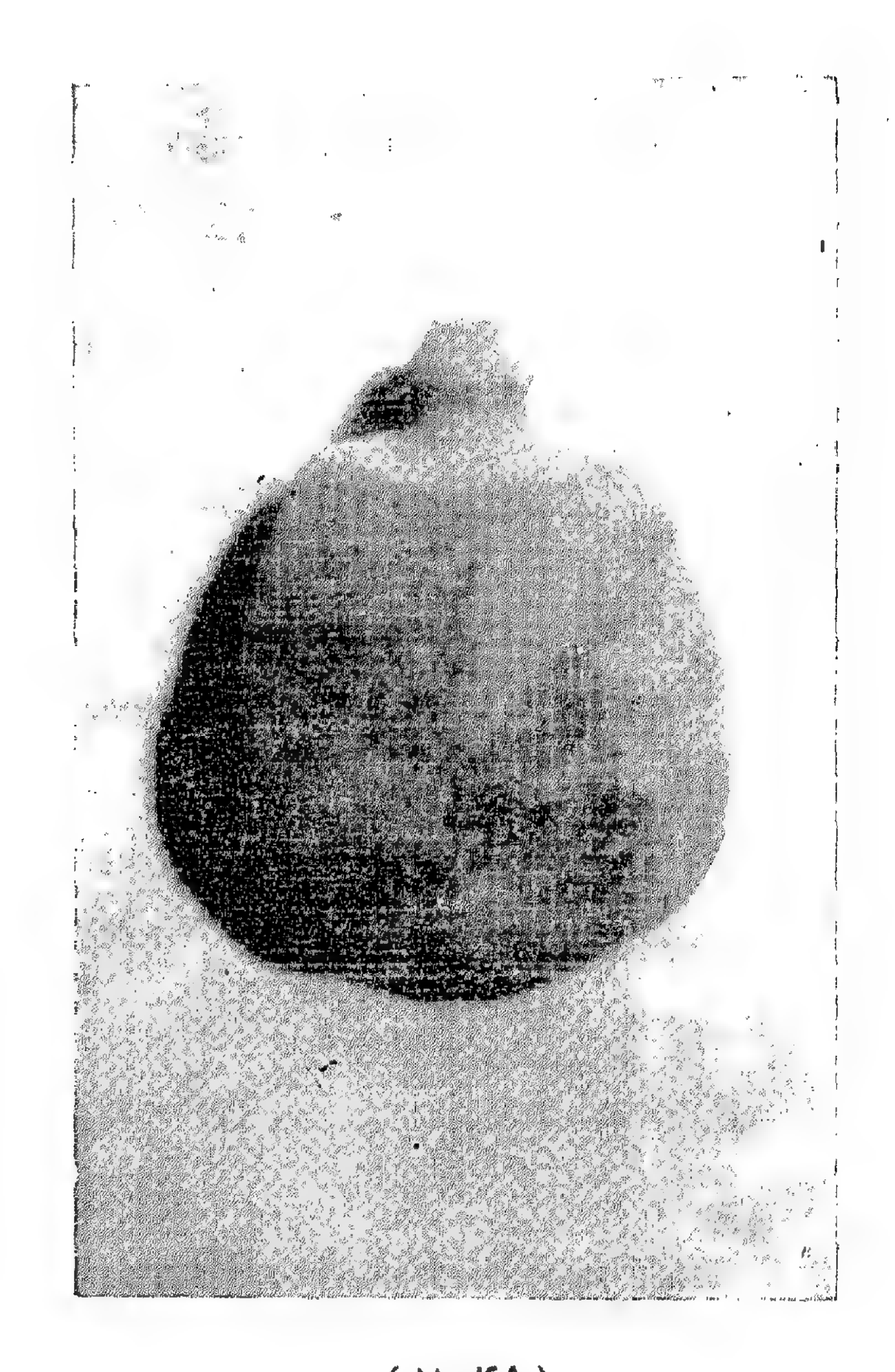
(شكل ٩)

شباك قله من عدل « عابد » من صناعة مصر فى العصور الوسطى
بمتحف الفن الاسلامى (بدون رقم سجل) راجع أيضا :
زكى حسن : اطلس : شكل ٢٠٣ .



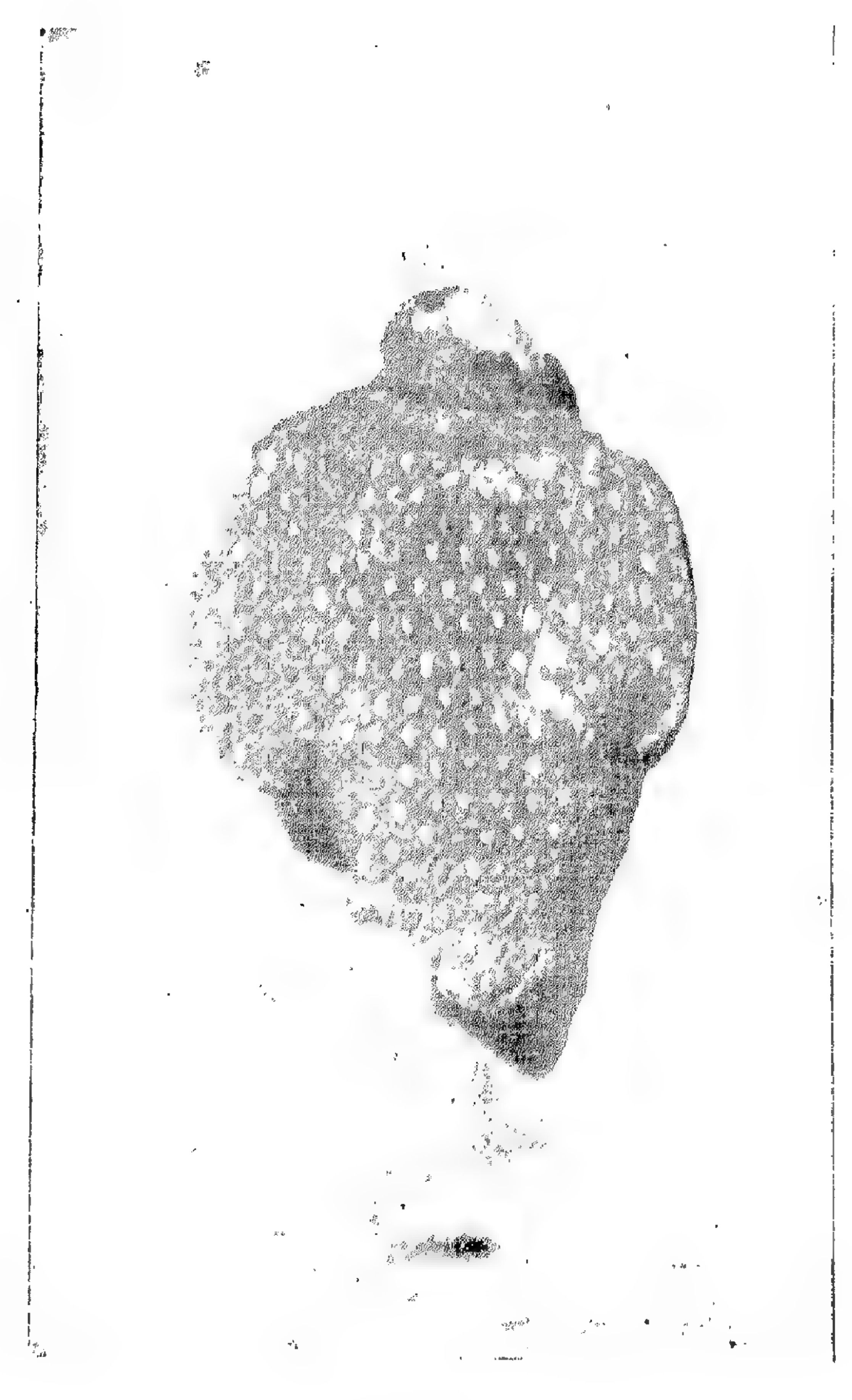
(شكل ١٠)

شبابيك قلل من صناعة مصر فى العصور الوسطى . بمتحف كلية الآثار (ارقام سجل ٧٢٢ ، ٧٢٧ ، ٧٢٩) . راجع ايضا : زكى حسن : اطلس : شكل ٢٠٢ .



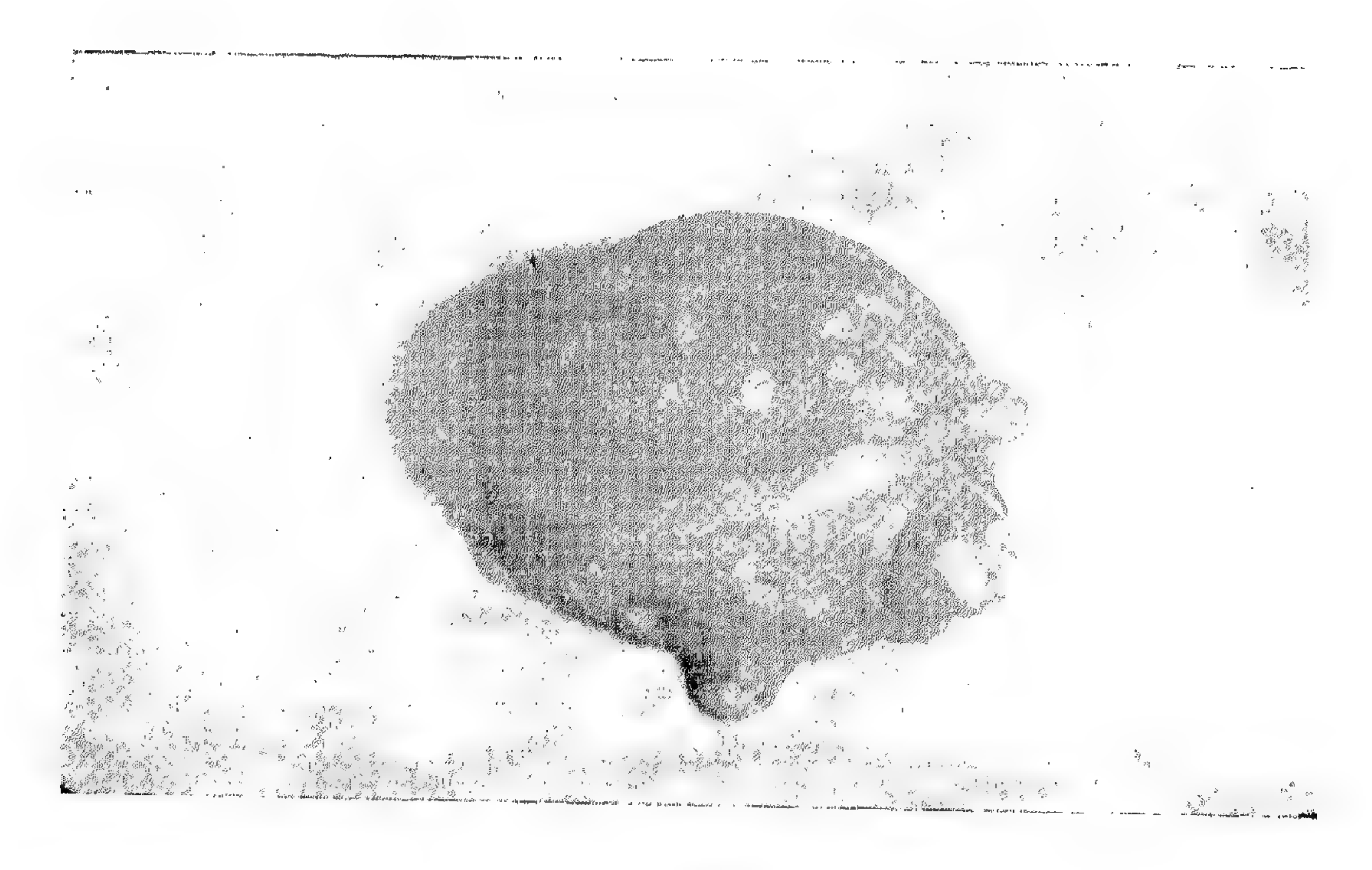
(شكل ١١)

قارورة نفط من صناعة مصر فى العصـــور الوسطى ذات شــكل تقليدى . بمتحف الفن الاسلامى (رقم سجل ٢٥٦٨٠) . قارن أيضا : محمد عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية فى مصر قبل الفاطميين : شكل ٥٠ ، ص ص ١٧٣ — ١٧٦ .



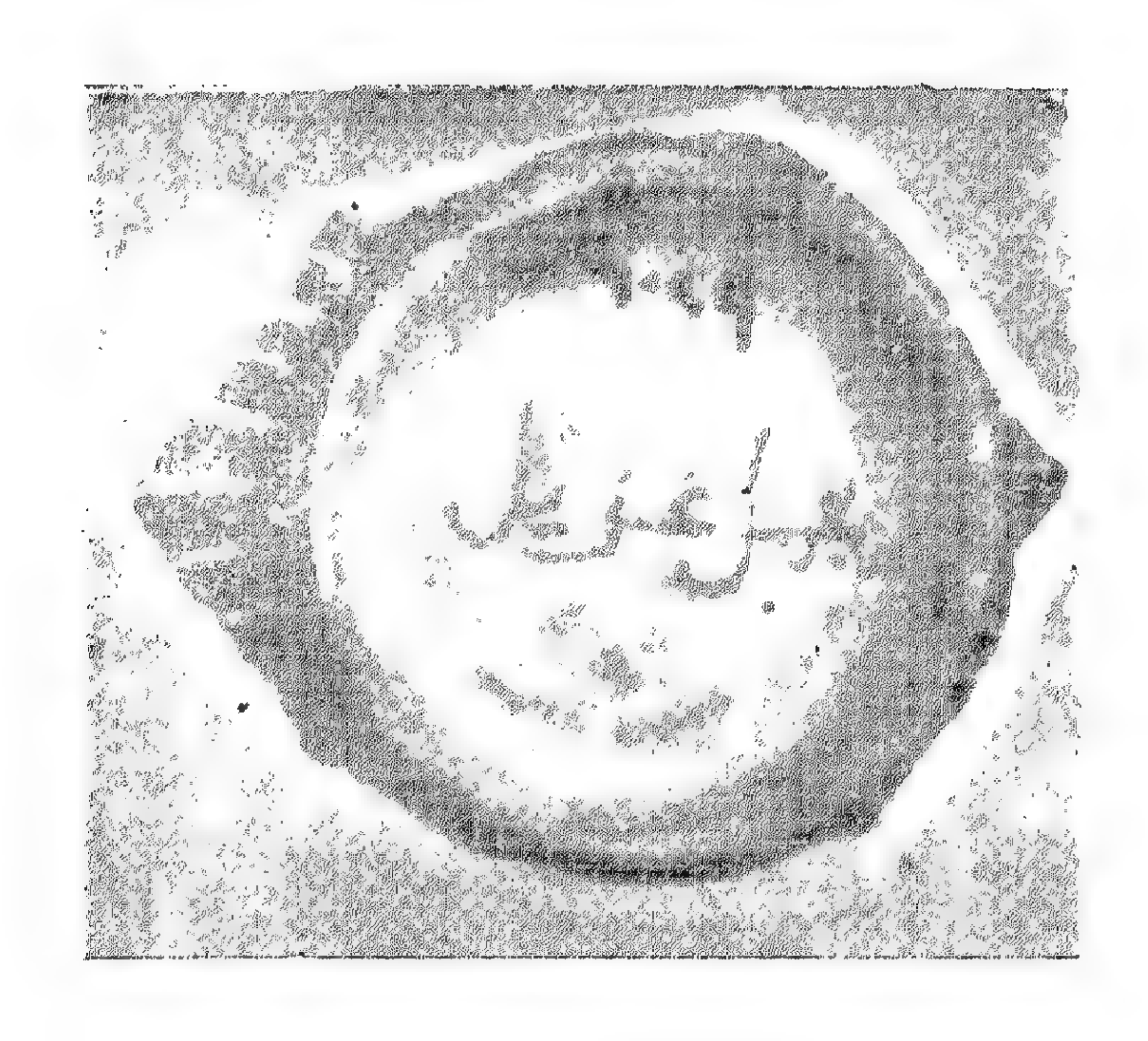
(شكل ١٢)

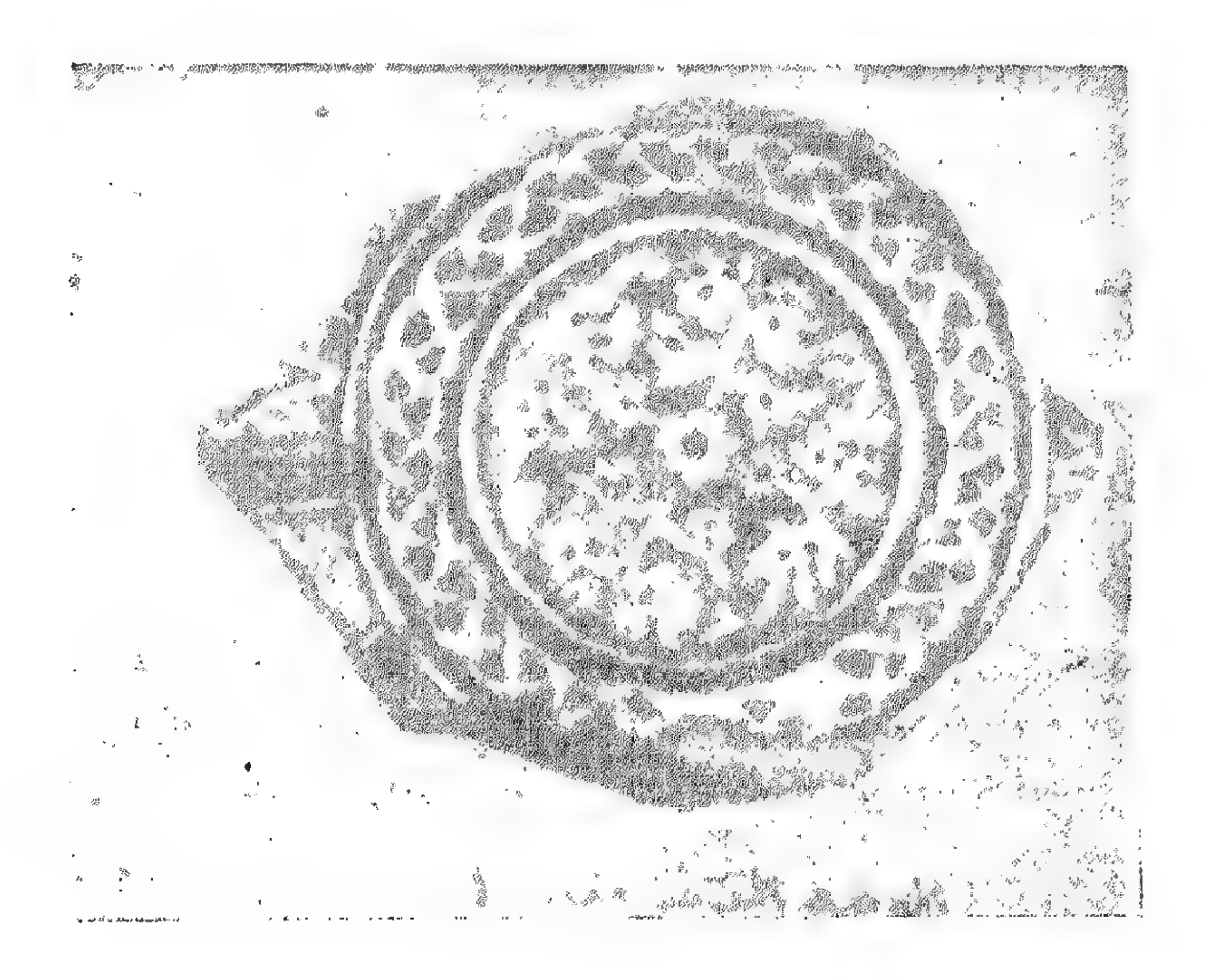
قارورة نفط من صناعة مصر فى العصور الوسطى ذات شكل على هيئة سمكة بمتحف الفن الاسلامى (رقم سجل ١٣٩٢٤) . قارن ايضا : المرجع السابق : نفس الشكل ونفس الصفحات .



(شكل ١٣)

قارورة نفط من صناعة مصر في العصور الوسطى ذات شكل على هيئة سلحفاة بمتحف الفن الاسلامي (رقم سجل ١٤٣١٥) . قارن أيضا : المرجع السابق : نفس الشكل ونفس الصفحات .

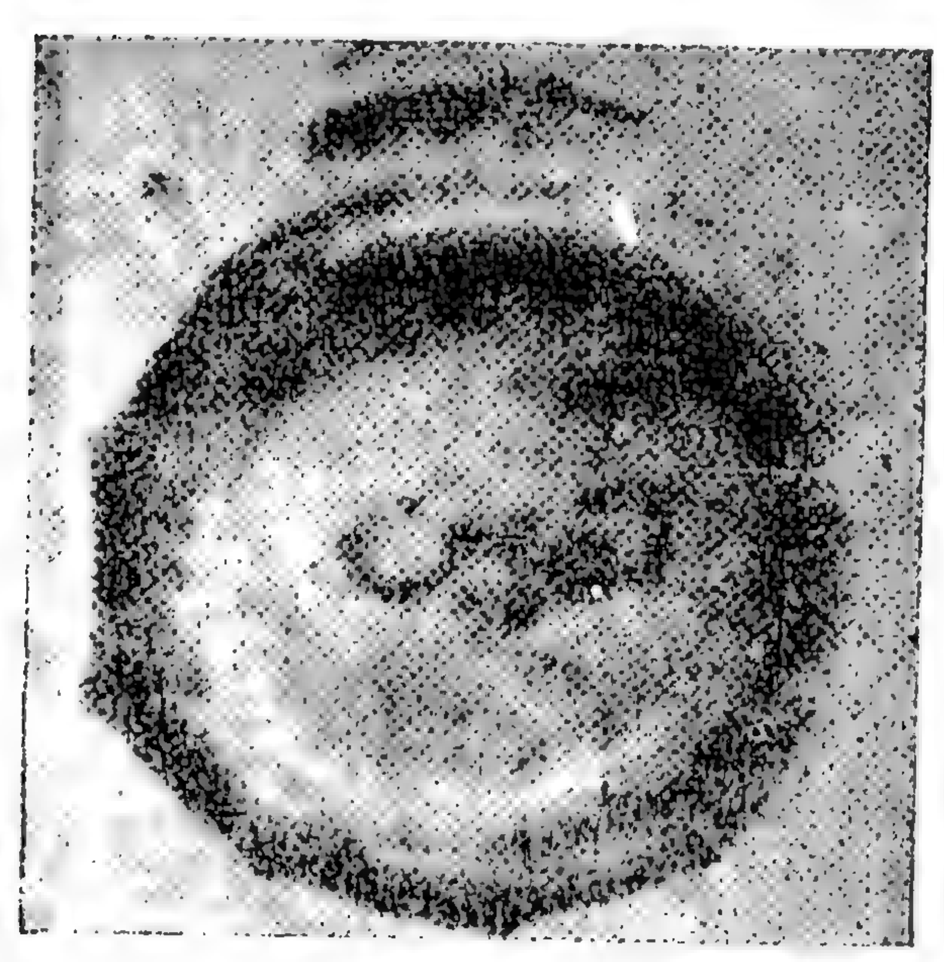




(شكل ١٤)

قطعة من الخزف المملوكى ذى الزخارف المرسومة تحت الدهان عليها
توقيع « غزيل » من صناعة مصر فى القرنين (٨ ـ ٩هـ/١٤ ـ ١٥م)
بمتحف الفن الاسلامى (رقم سجل ٦٠٢٩) راجع أيضا :
زكى حسن : أطلس : شكل ١٨٨ .





(شكل ١٥)

قطعة من الخزف المملوكى ذى الزخارف المرسومة تحت الدهان عليها توقيع « دهين » من صناعة مصر فى القرنين (٨ ـ ٩هـ/١٤ ـ ١٥م) بمتحف الفن الاسلامى رقم سجل ١/٦٠٣٧ راجع ايضا : زكى حسن : اطلس : شكل ١٨٨ ٠



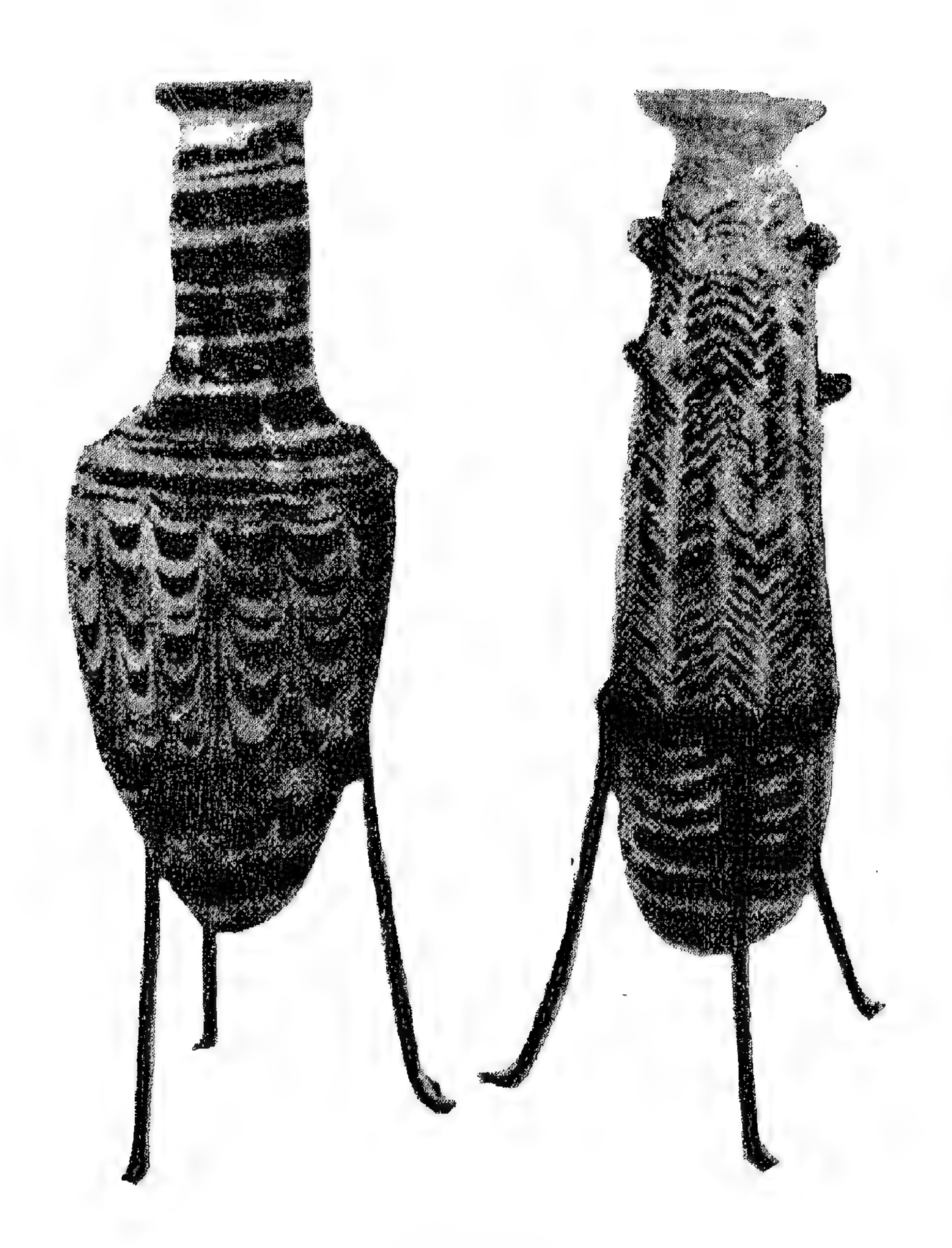
(شكل ١٦)

مثقال فلس باسم عبيد الله بن الحبحاب ، عامل خراج مصر من سنة ١٠٢ ـ ١١٦هـ/٧٢٠ ـ ٧٣٤م بمتحف الفن الاسلامى راجع أيضا : عبد الرحمن فهمى : صنج السكة : (شكل ١٦ لوحة ٢) ، ص ص : ٥٢ ـ ٥٣ .



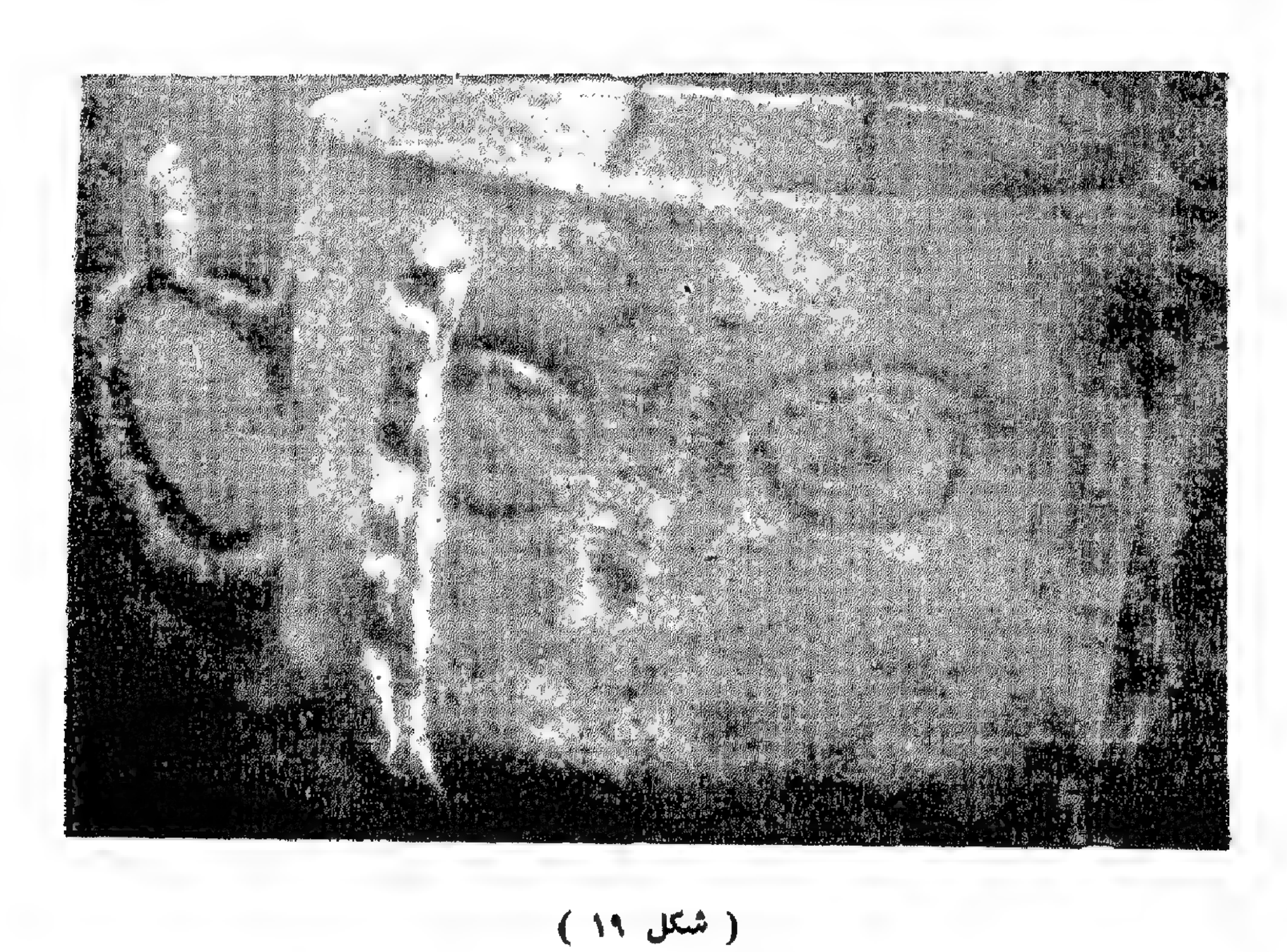
(شكل ١٧)

كاس من الزجاج المعتم ذات زخارف مختومة من صناعة مصر فى القرنين (١ ـ ٢هـ / ٧ ـ ٨م) فى متحف برلين راجع أيضا : زكى حسن : اطلس : شكل : ٧٣٢ .



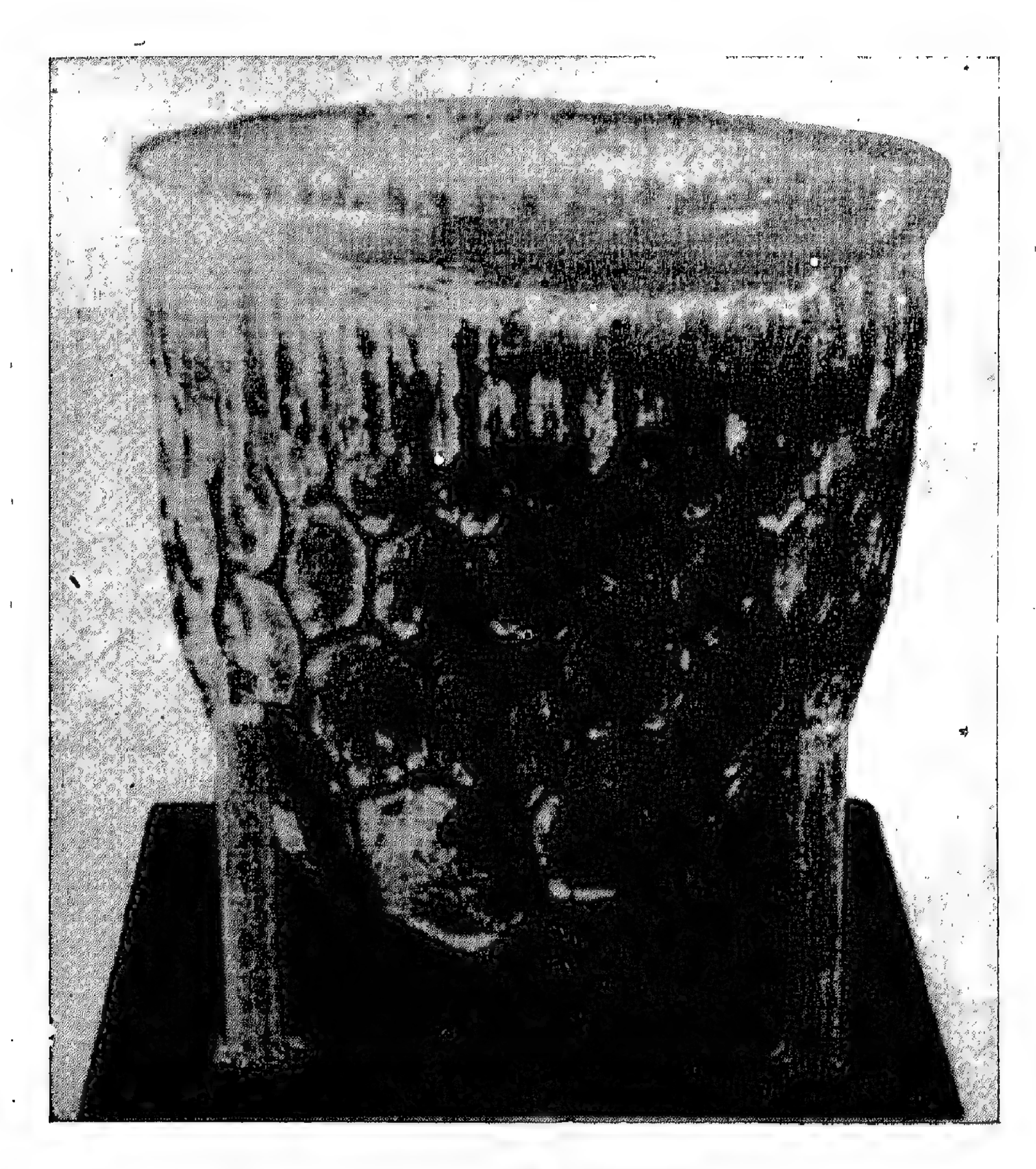
(شكل ١٨)

قنينتان من الزجاج الذى يشبه الزجاج المليفيورى من صناعة مصر فى القرنين (١ ـ ٢ هـ / ـ ٨ م) فى متحف كلية الآثار ٠ راجع أيضا : زكى حسن : أطلس : شكل : ٧٣١ ٠



(شكل ١٩)

كاس من الزجاج من صناعة مصر فى القرنين (٣ ــ ٤ هـ/٩ ــ ١٠ م)
فى متحف برلين راجع ايضا : زكى حسن : أطلس :
شكل : ٧٣٠



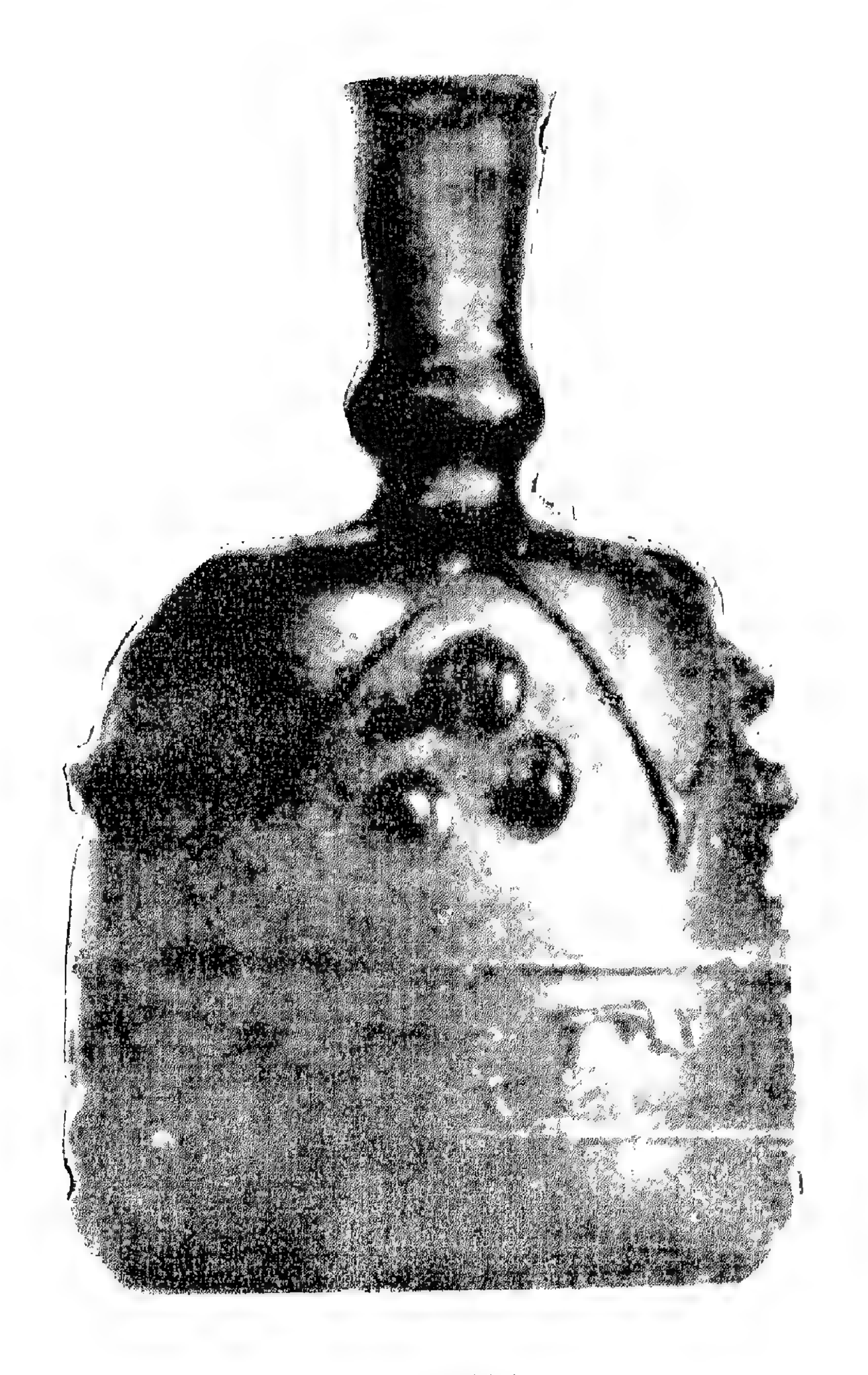
(شكل ٢٠)

كاس من الزجاج من صناعة مصر فى القرنين (٣ ـ ٤ هـ/٩ ـ ١٠ م)
فى متحف كلية الآثار (رقم سجل ١٦١٧) راجع أيضا :
زكى حسن : اطلس : شكل : ٧٣٦ ٠



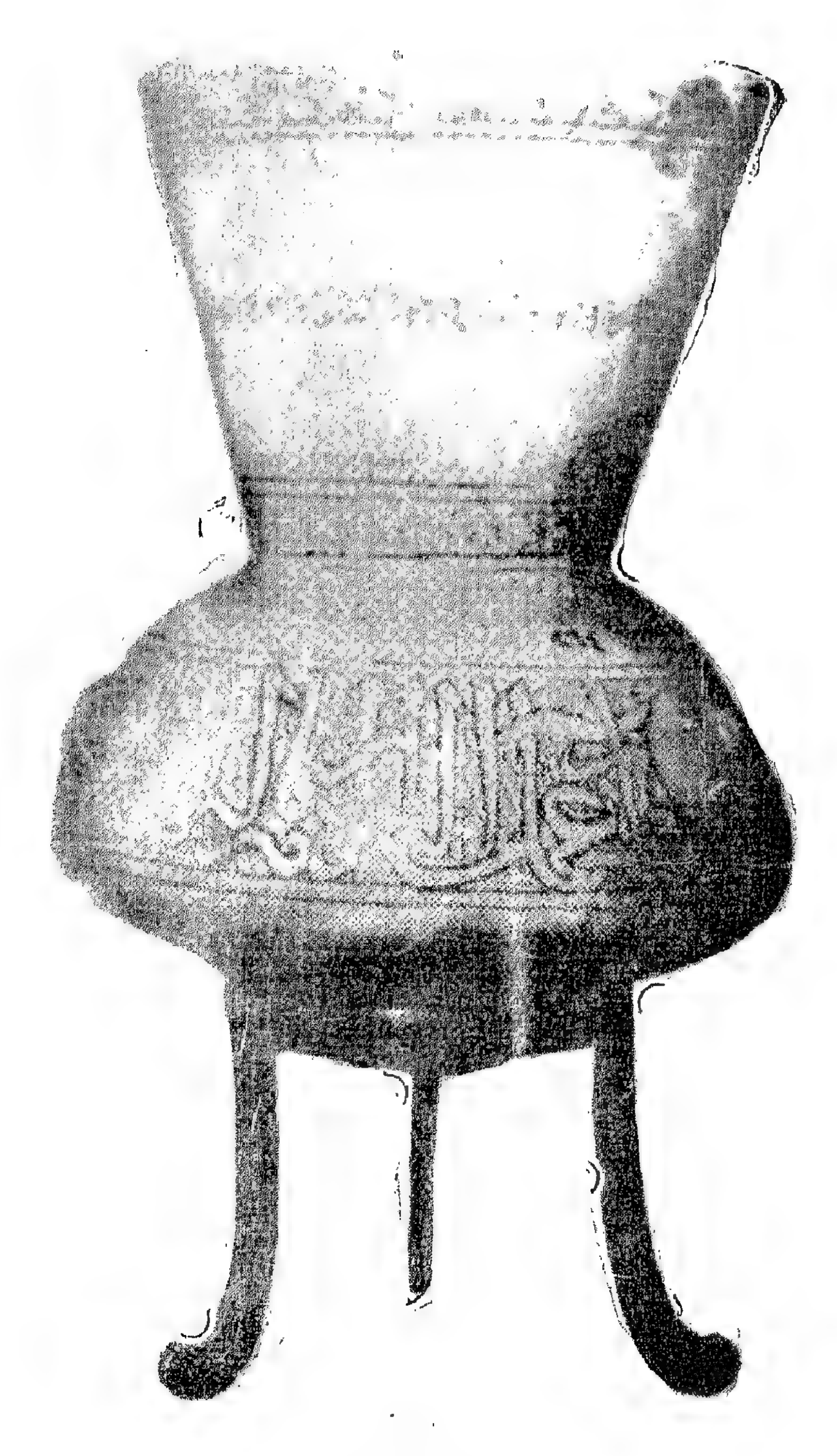
(شكل ٢١)

كأس من الزجاج من صناعة مصر فى القرن (٤ هـ/١٠ م) فى متحف الفن الاسلامى (رقم سجل ٢٤٦٣) راجع أيضـــا : زكى حسن : أطلس : شكل : ٧٣٧ .



(شكل ٢٢)

قنينة من الزجاج من صناعة مصر فى القرنين ٥ ـ ٦هـ/١١ ـ ١٢م) فى متحف برلين . راجع أيضا : زكى حسن : اطلس : شـــكل : ٧٣٨ .



(شكل ٢٣)

مشكاة من الزجاج المموه بالمينا باسم الملك الأشرف خليل من صناعة مصر فى القـــرن (٧ هـ/١٣ م) فى متحف الفن الاســـلامى ، راجع أيضا : زكى حسن : اطلس : شكل ٧٤٩ ٠



(شكل ٢٤)

مشكاة من الزجاج المموه بالمينا باسم الملك الناصر محمد ، من صناعة مصر فى القرن (٧ هـ / ١٣ م) . فى متحف الفن الاسـلامى .
راجع أيضا : زكى حسن : اطلس : شكل ٧٥٠ .



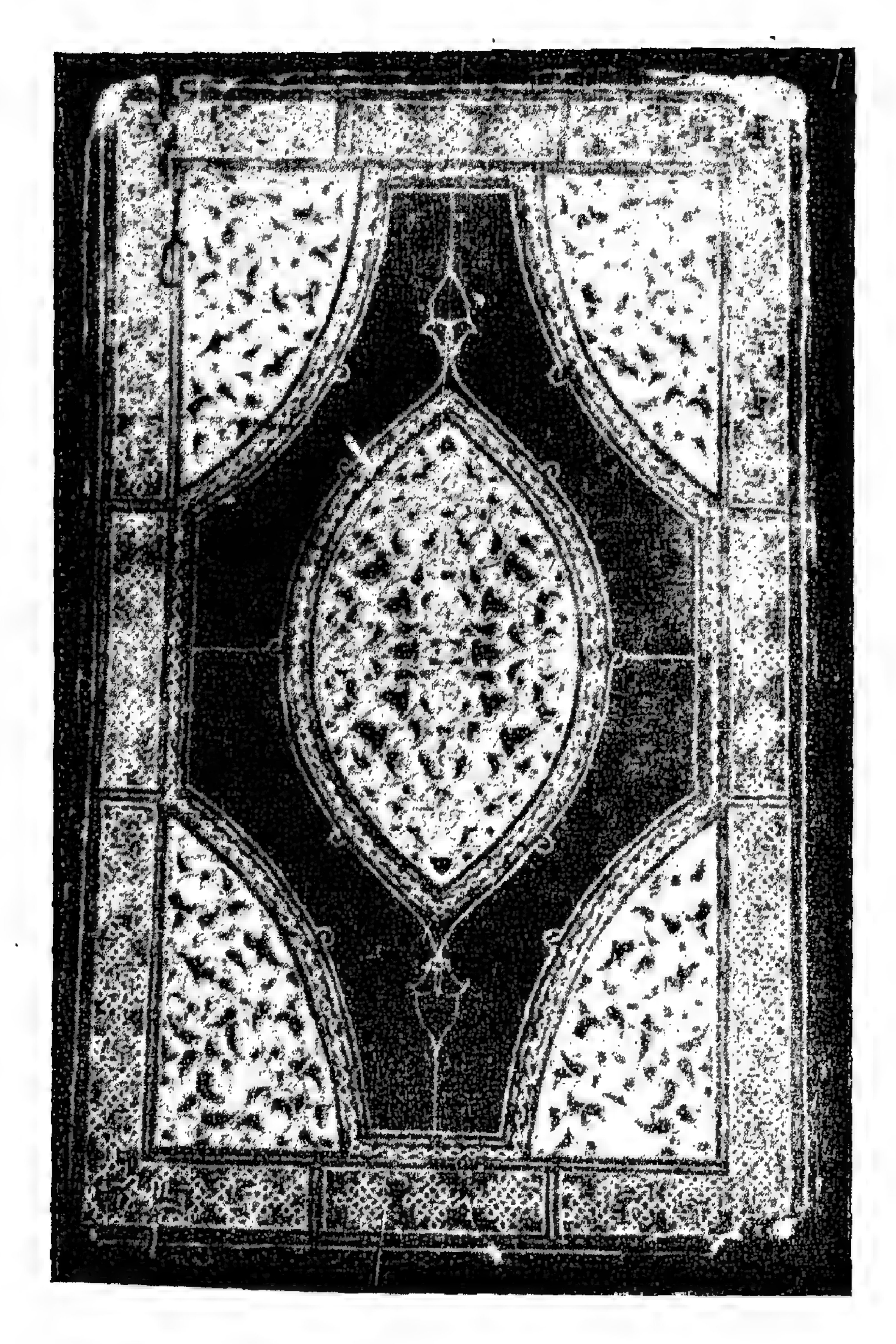
(شكل ٢٥)

ابريق من البللور الصخرى من صناعة مصر فى القرن (٥هـ/١١م) فى متحف فكتوريا والبرت بلندن . راجع أيضا : زكى حسن : اطلس : شكل : ٧٤٣ .



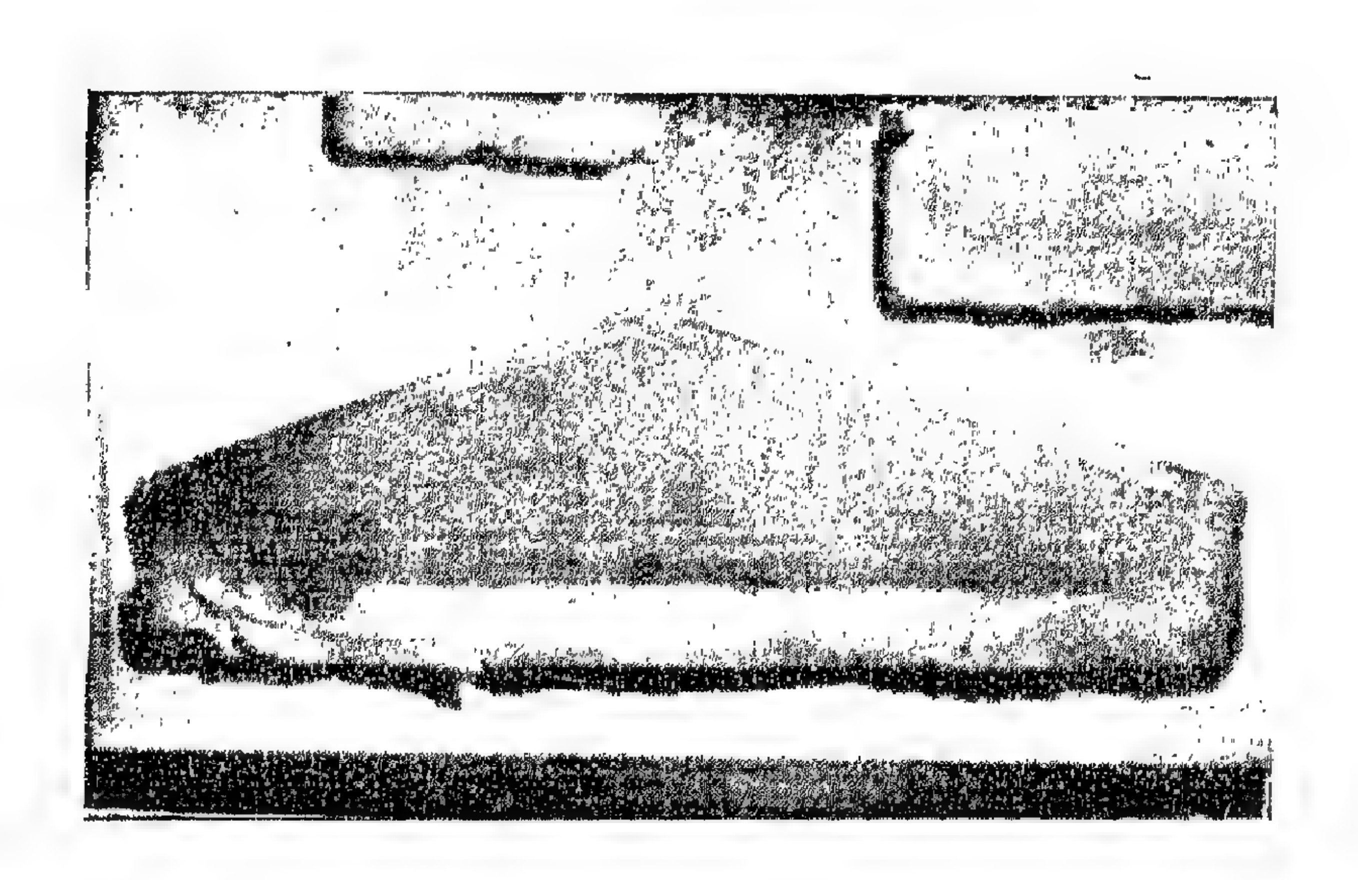
(شكل ٢٦)

أحدى الكؤوس الزجاجية المعروفة باسم كؤوس القديسة هدويج من صناعة مصر فى القرن (٥ هـ/١١م) ٠ فى متحف امستردام ٠
راجع ايضا : زكى حسن : اطلس : شكل ٧٤١ ٠



(شكل ٢٧)

جلدة كتاب من صناعة مصر فى القرنين (٧ ـ ٨ هـ/١٤ ـ ١٥ م)
فى متحف برلين . راجع ايضا : زكى حسن : أطلس شكل ٩٣٤



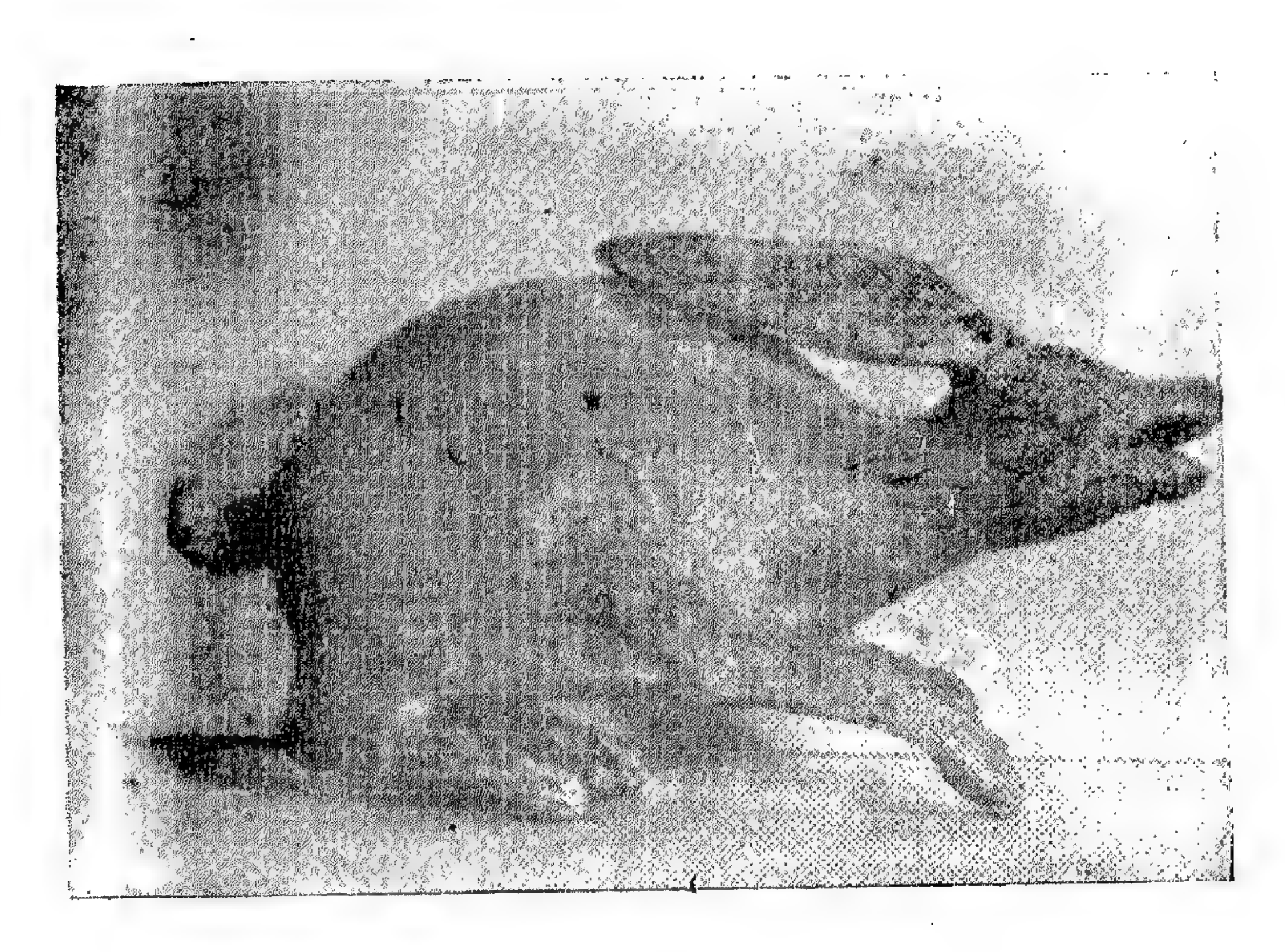
(شكل ٢٨)

قطع من جلود كتب من صناعة مصر خلال العصر المملوكى فى القرنين (٨ ـ ٩ هـ/١٤ ـ ١٥ م) بمتحف الفن الاسلامى ٠



(شكل ٢٩)

تمثال آيل من البرونز من صناعة مصر فى العصر الفاطمى فى القرنين (٤ـ ٦ هـ / ١٠ ـ ١٢م) فى متحف ميونيخ ٠ راجع ايضــــا : زكى حسن : اطلس شكل ٤٥٠ ٠



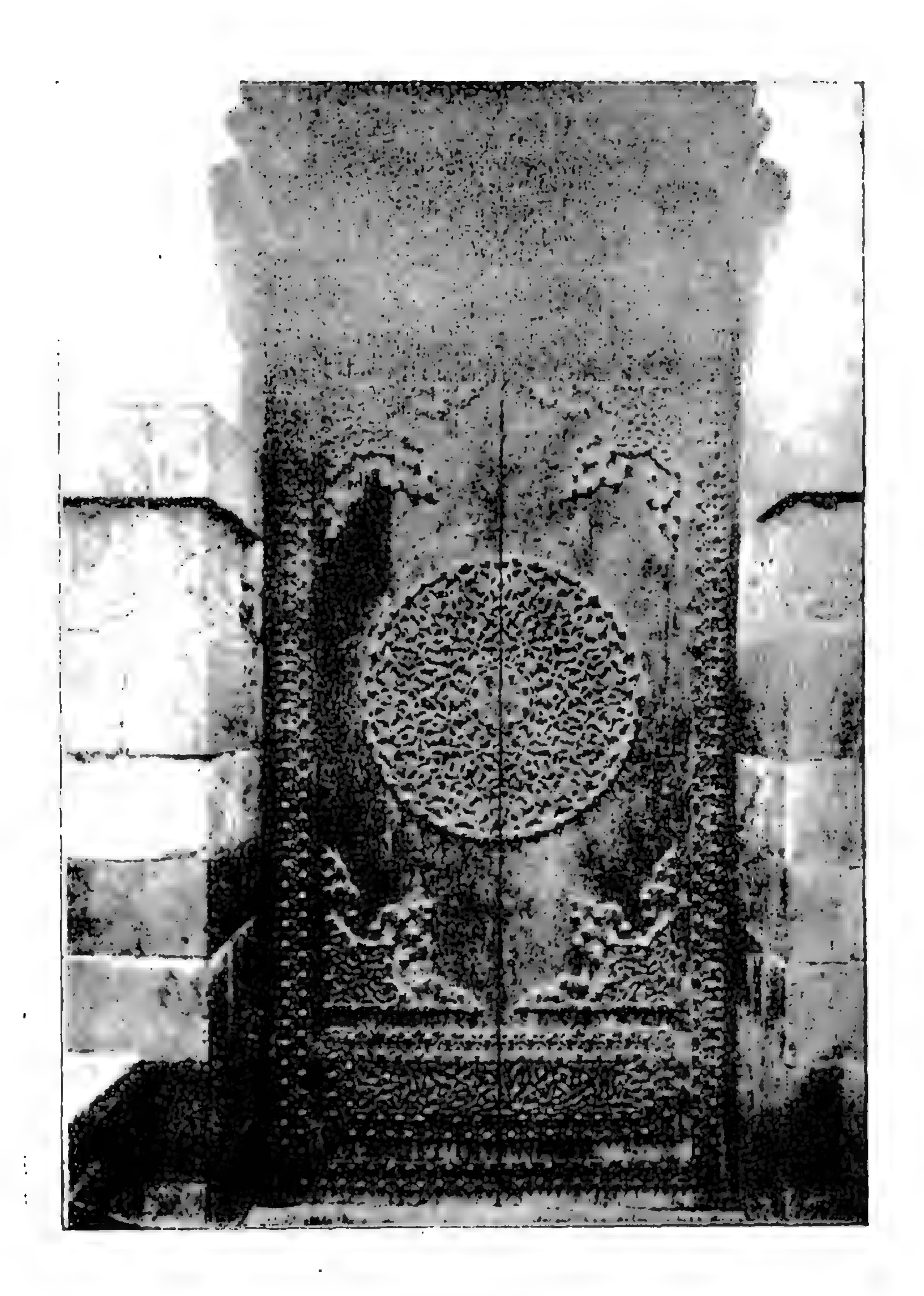
(شكل ٣٠)

تمثال ارنب من البرونز من صناعة مصر فى العصر الفاطمى فى القرنين (٥ ـ ٦ هـ / ١١ ـ ١٢م) فى متحف الفن الاسلامى (رقم سجل ١٤٤٨٧) ٠ راجع ايضا : زكى حسن : اطلس : شكل ٤٥٥ ٠



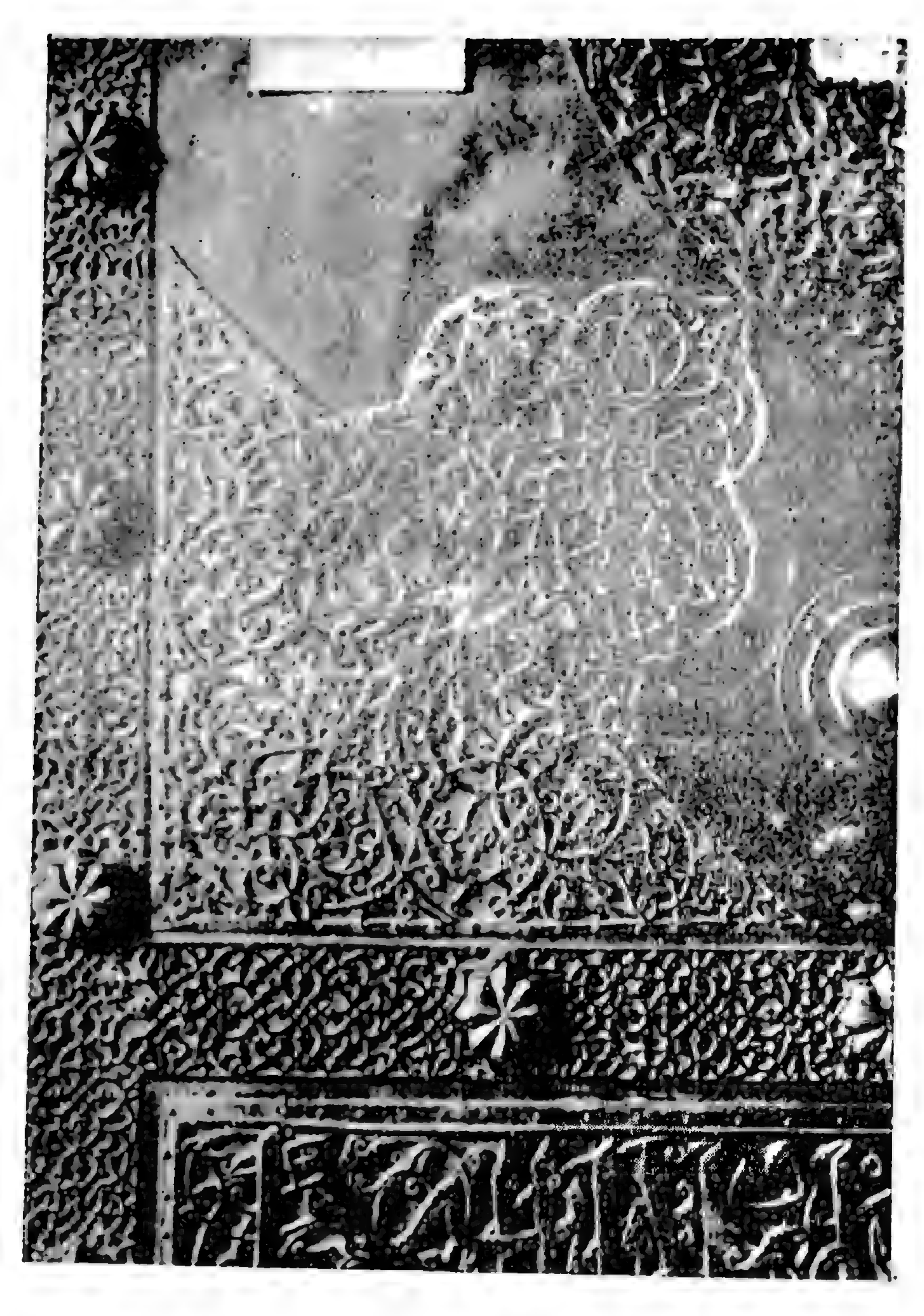
(شكل ٣١)

تمثال سيدة من البرونز من صناعة مصر في العصر الفاطمي في القرنين (٤ - ٦هـ/١٠ - ١٢م) بمتحف الفن الاسلامي (رقم سجل ٦٩٨٣) راجع ايضا : زكى حسن : اطلس : شكل ٤٤٩ ٠



(شكل ٣٢)

باب خشبى معشق بالنحاس المزخرف يوجد فى المدرسة الباسطية بالقاهرة التى ترجع الى سنة ٨٢٣ هـ / ١٤٢٠م ٠ راجع ايضا : زكى حسن : اطلس : شكل ٥٣٢ ٠



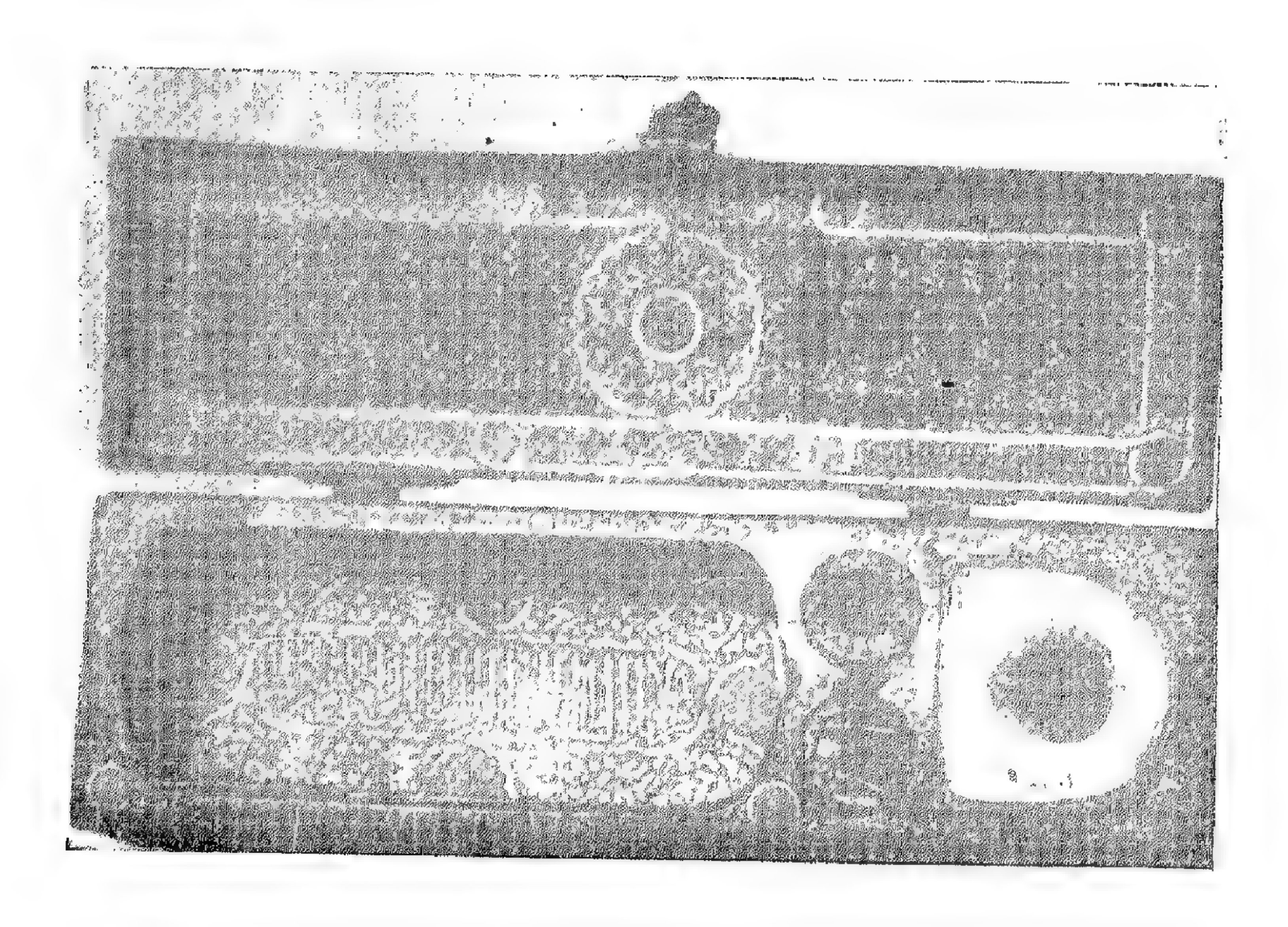
(شكل ٣٣)

رسم مفصل لجزء من الزخرفة الركنية الموجودة بالباب المشار اليه
راجع أيضا : زكى حسن : اطلس : شكل ٥٣٤ ٠



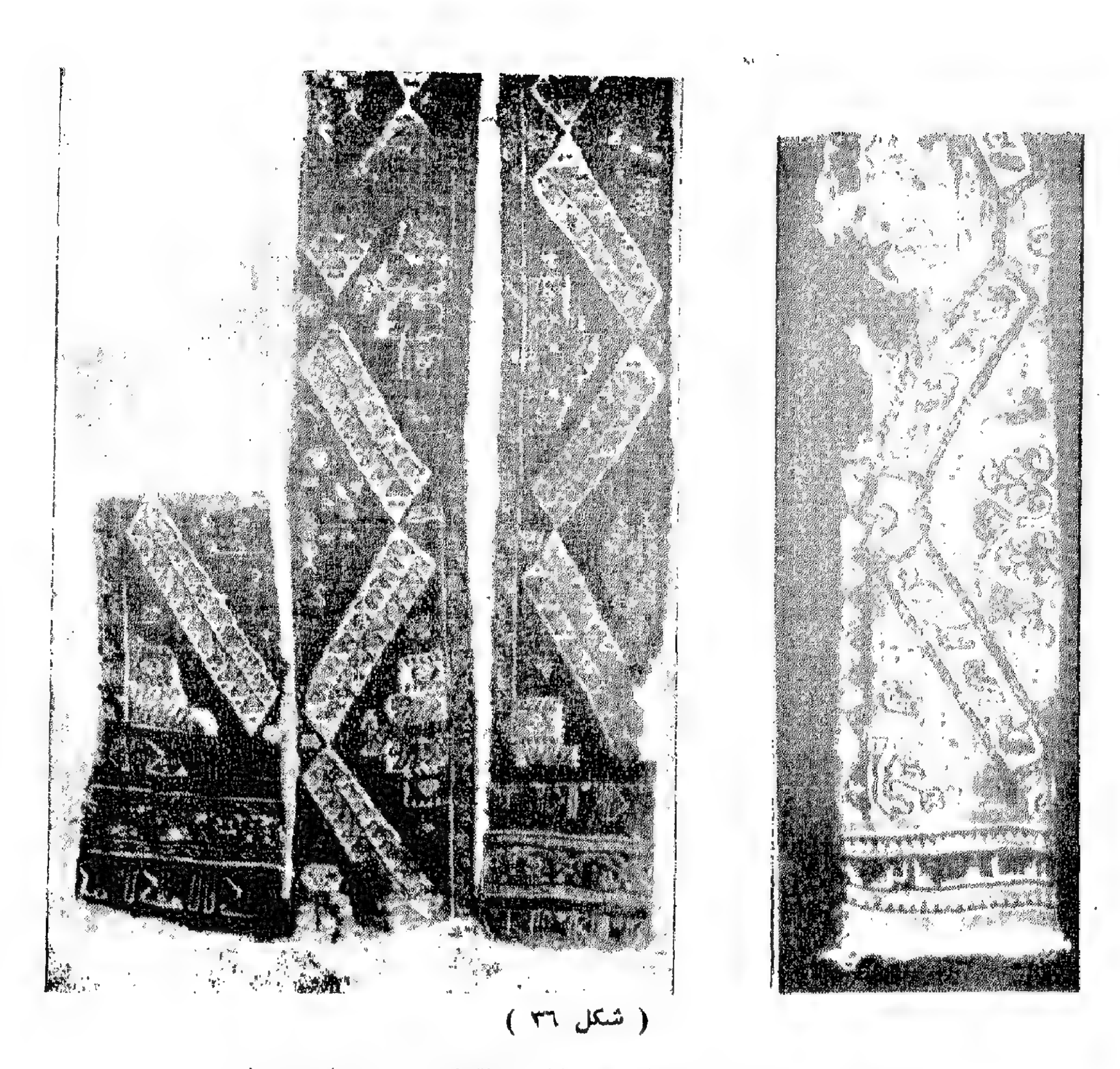
(شكل ٣٤)

قرص من الذهب المموه بالمينا من صناعة مصر فى العصر الفاطمى فى القرنين (٥ / ٦هـ/١١ – ١٢م) فى متحف الفن الاسلامى (رقم سجل ٤٣٣٧) راجع ايضا : زكى حسن : اطلس : شكل ٤٥٣ ·



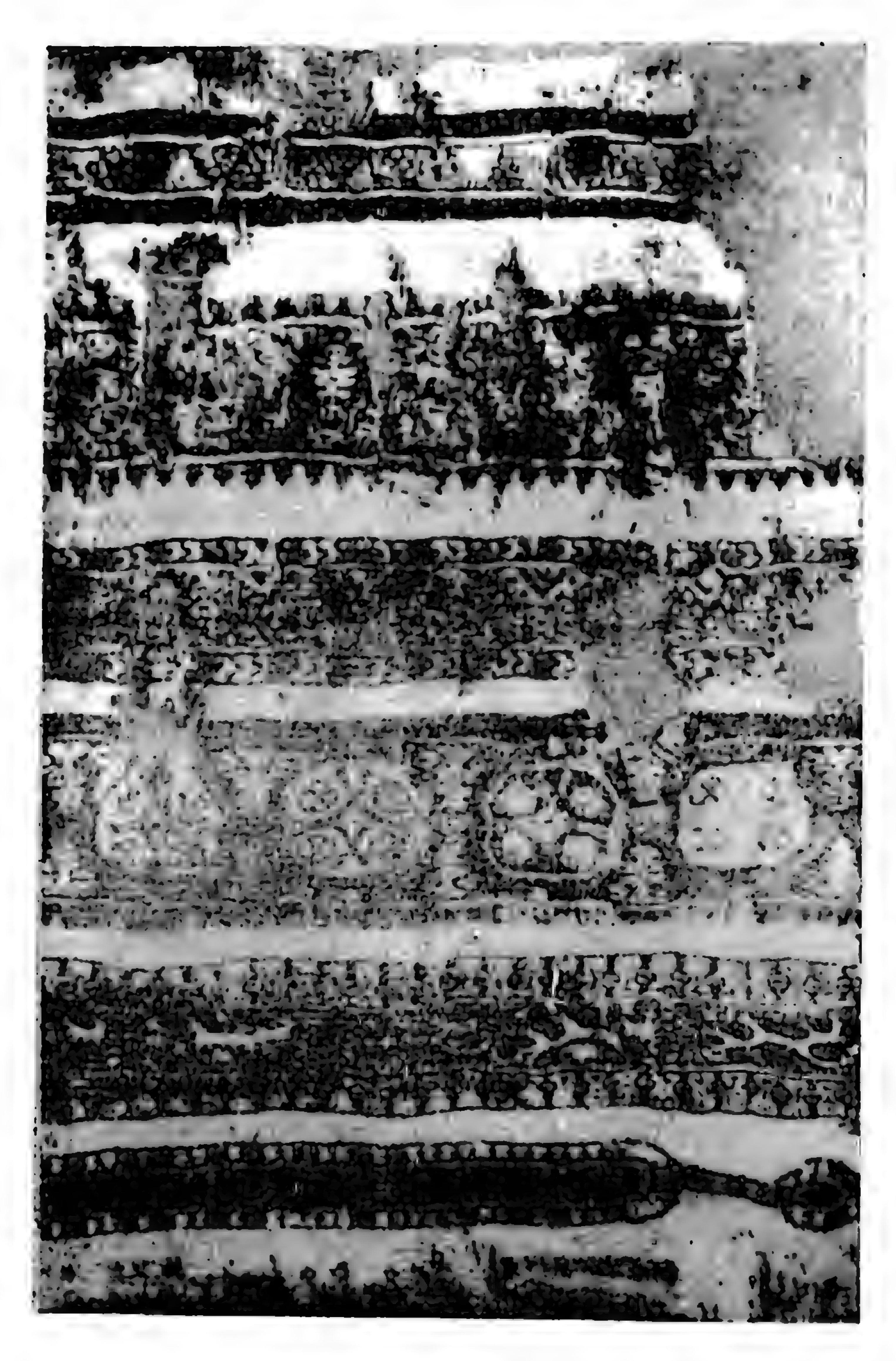
(شكل ٣٥)

مقلمة ومحبرة من النحاس المكفت بالذهب والفضة عليها كتابة باسم الملك المنصور محمد من صناعة مصر فى القرن (٨هـ/١٤م) فى متحف الفن الاسلامي (رقم سجل ٤٤٦١) راجع أيضا : زكى حسن : اطلس : شكل ٥١٩ ٠



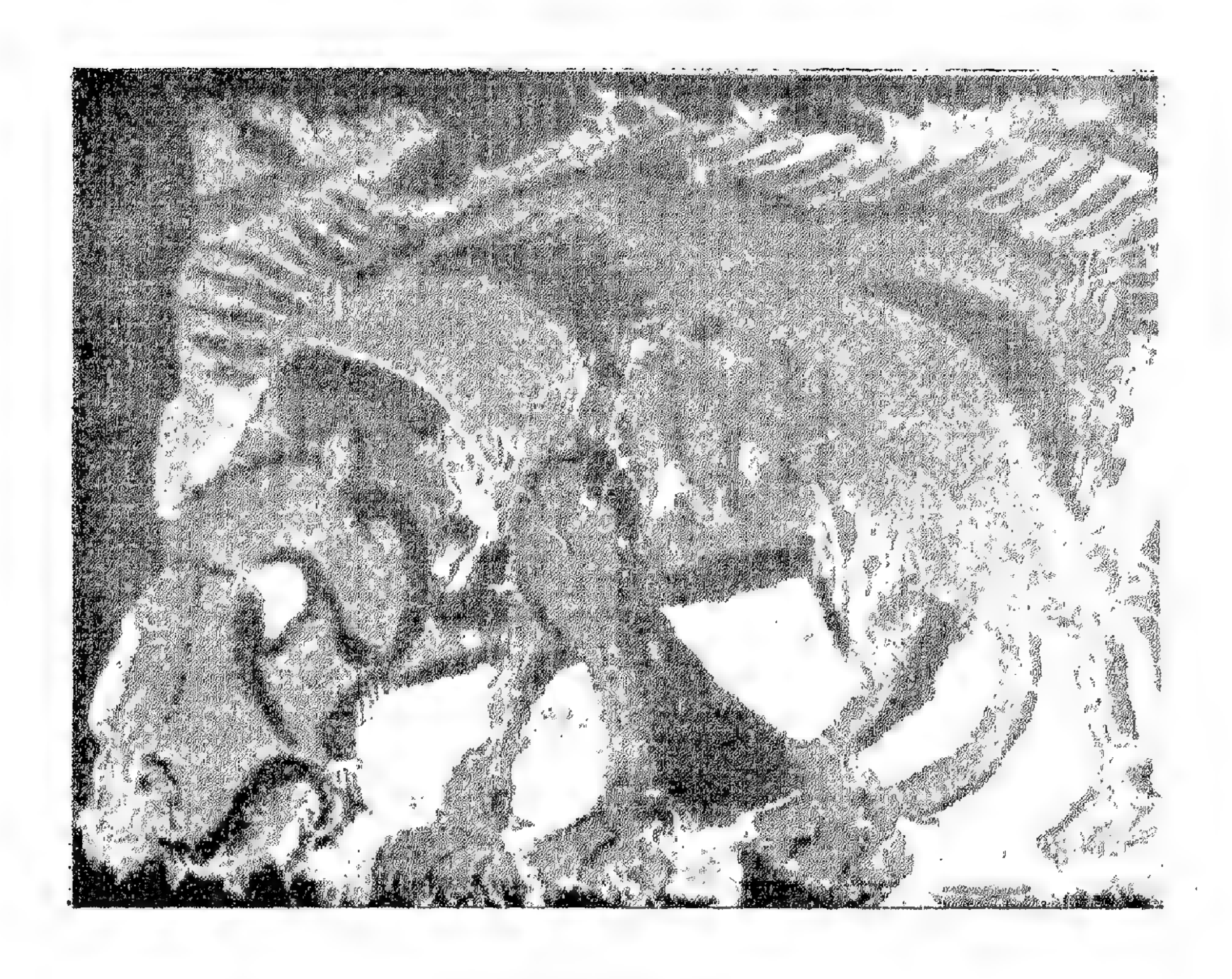
(شكل ٣٦)

اشرطة من نسيج من الصوف على الطراز القبطى من صناعة مصر فى القرنين (٢ ـ ٣هـ/٨ ـ ٩م) فى متحف الفن الاسلامى (رقم سجل ١٣٠٤٢) . راجع أيضا : زكى حسن : اطلس : شكل ٥٦٠ .



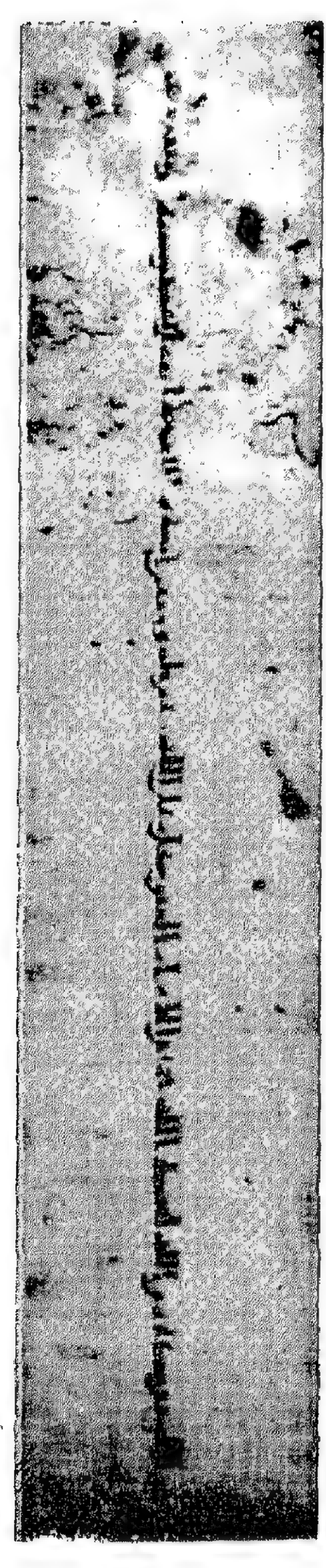
(شكل ٣٧)

قطعة من نسيج الصوف على الطراز القبطي من صناعة مصر في القرنين (١ - ٣هـ/٧ - ٩م) في متحف برلين : راجع أيضا : زكي حسن : الأطلس : شكل ٥٦٢ ·



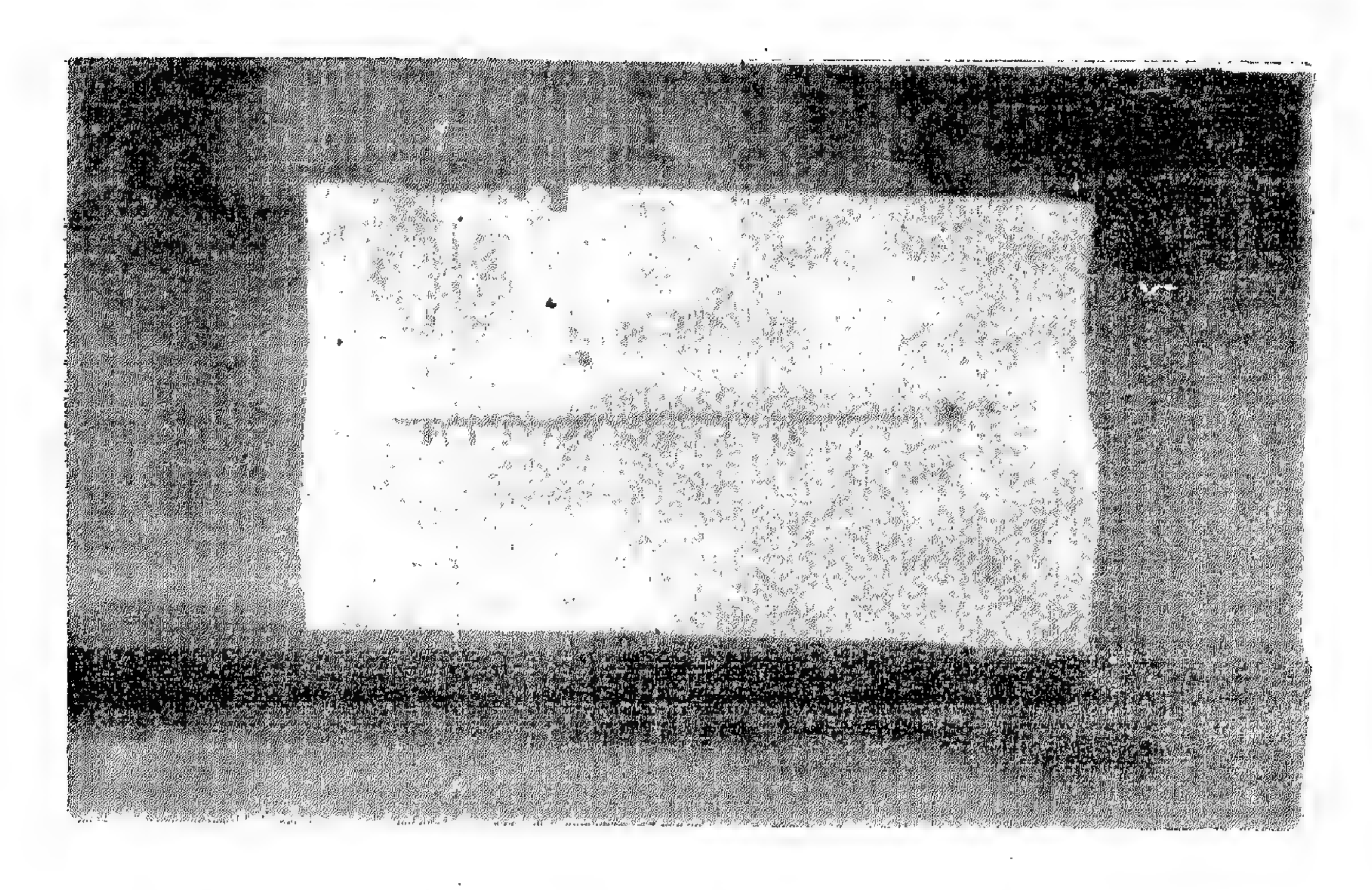
(شكل ٣٨)

قطعة من نسيج سميك عليها رسم لفرس البحر من صناعة مصر فى القرن (٢هـ/٨م) فى متحف الفن الاسلامى (رقم سجل ١٥٦٢٨)
راجع ايضا : زكى حسن : اطلس : شكل ٥٦٣ ٠



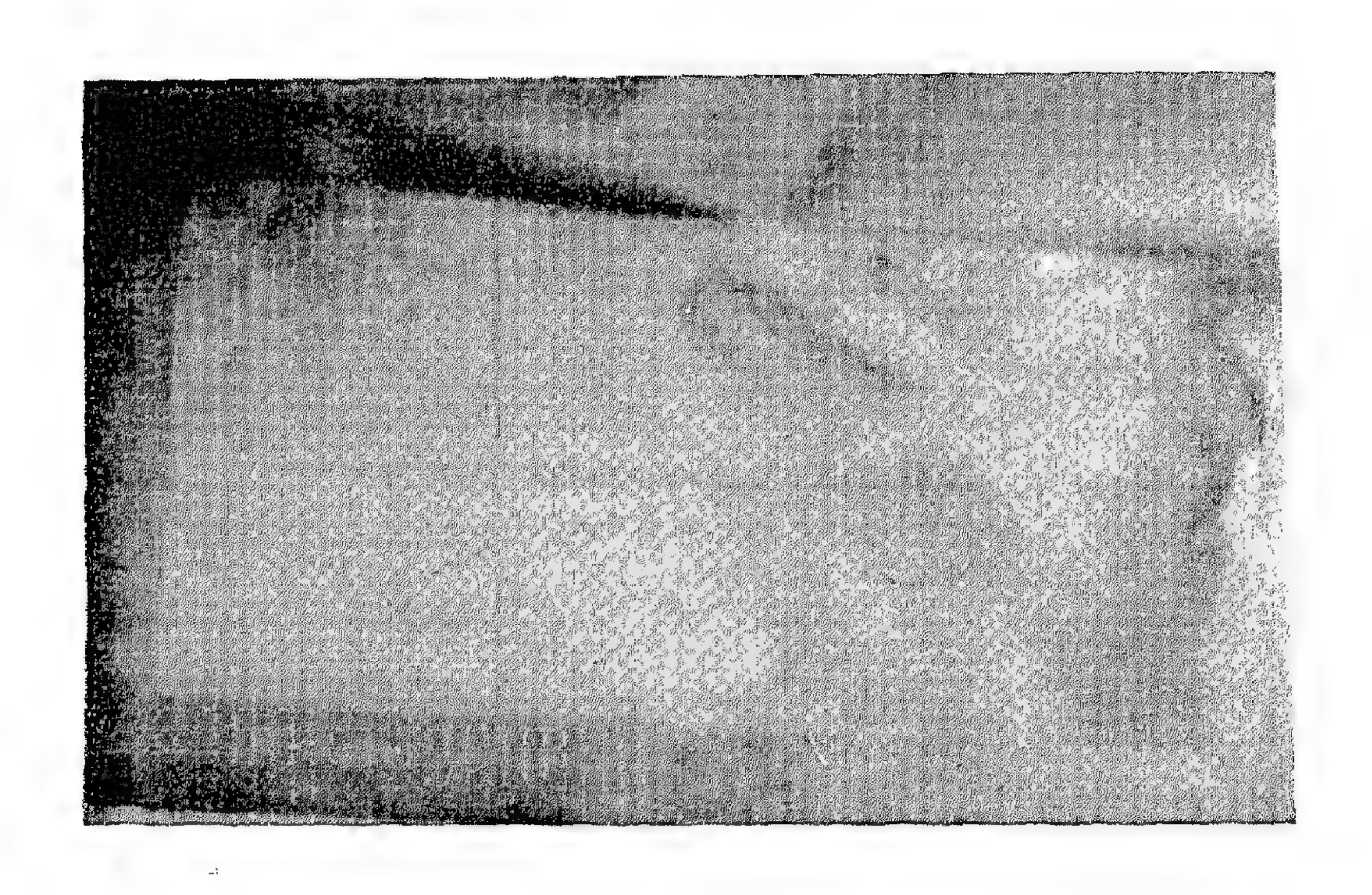
(شكل ٣٩)

قطعة نسيج من الكتان عليها كتابة باسم الخليفة العباسي المتـوكل مؤرخة بسنة (٢٤٠هـ/٨٥٤م) من صناعة مصر ، وتعد اقدم ما وصلنا من المنسوجات العباسية المطرزة بكتابة تاريخيـة فى متحف الفن الاسلامى (رقم سجل ٩٤٣٩) راجع أيضا : زكى حسن : اطلس : شكل ٥٨٣ ٠



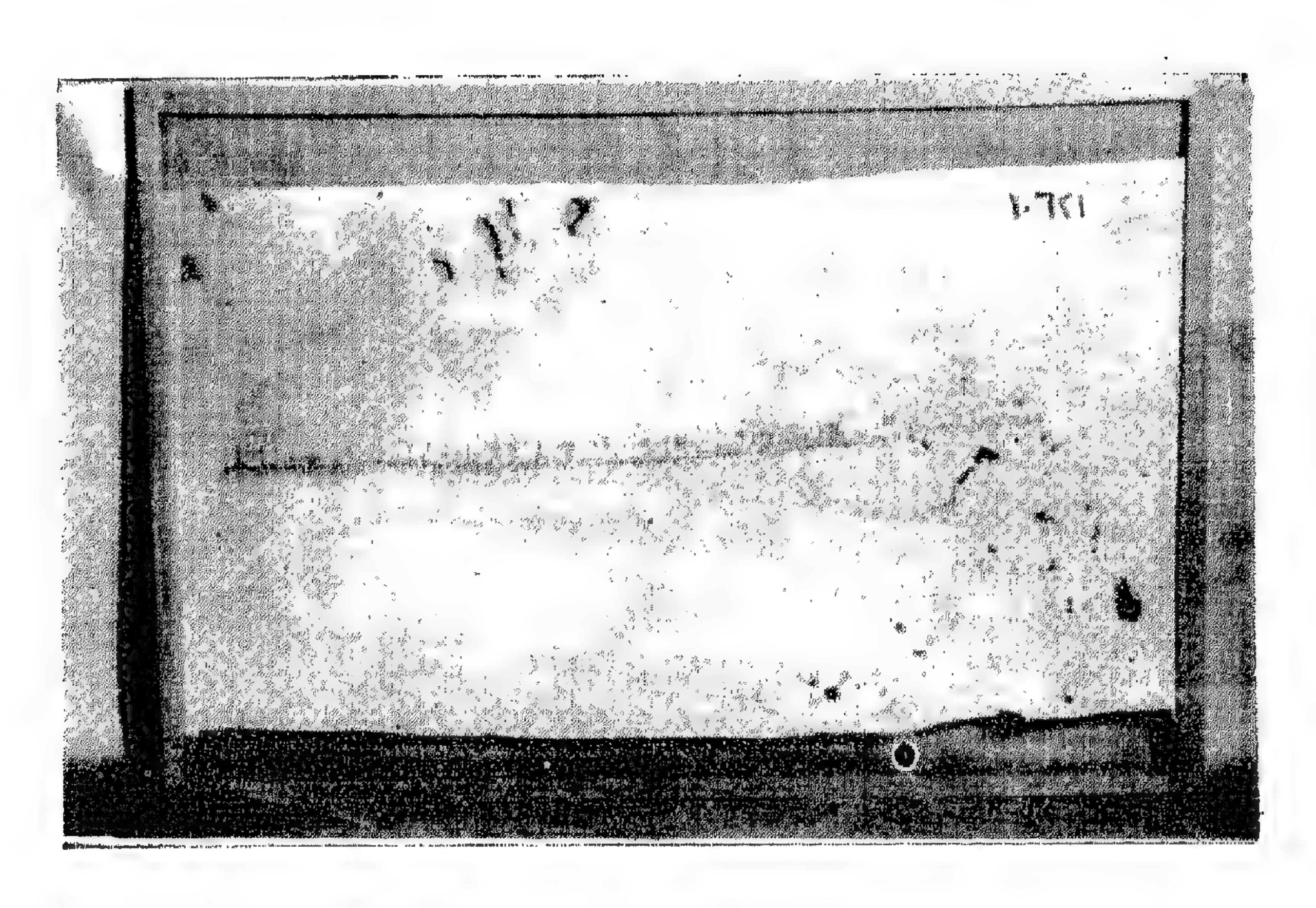
(شكل ٤٠)

قطعة نسيج من صناعة مصر باسم المعتمد على الله العباسى تاريخها
(٢٧٨هـ / ٨٩١م) بمتحف الفن الاسلامى (رقم سجل ١٠٧٥٣) .



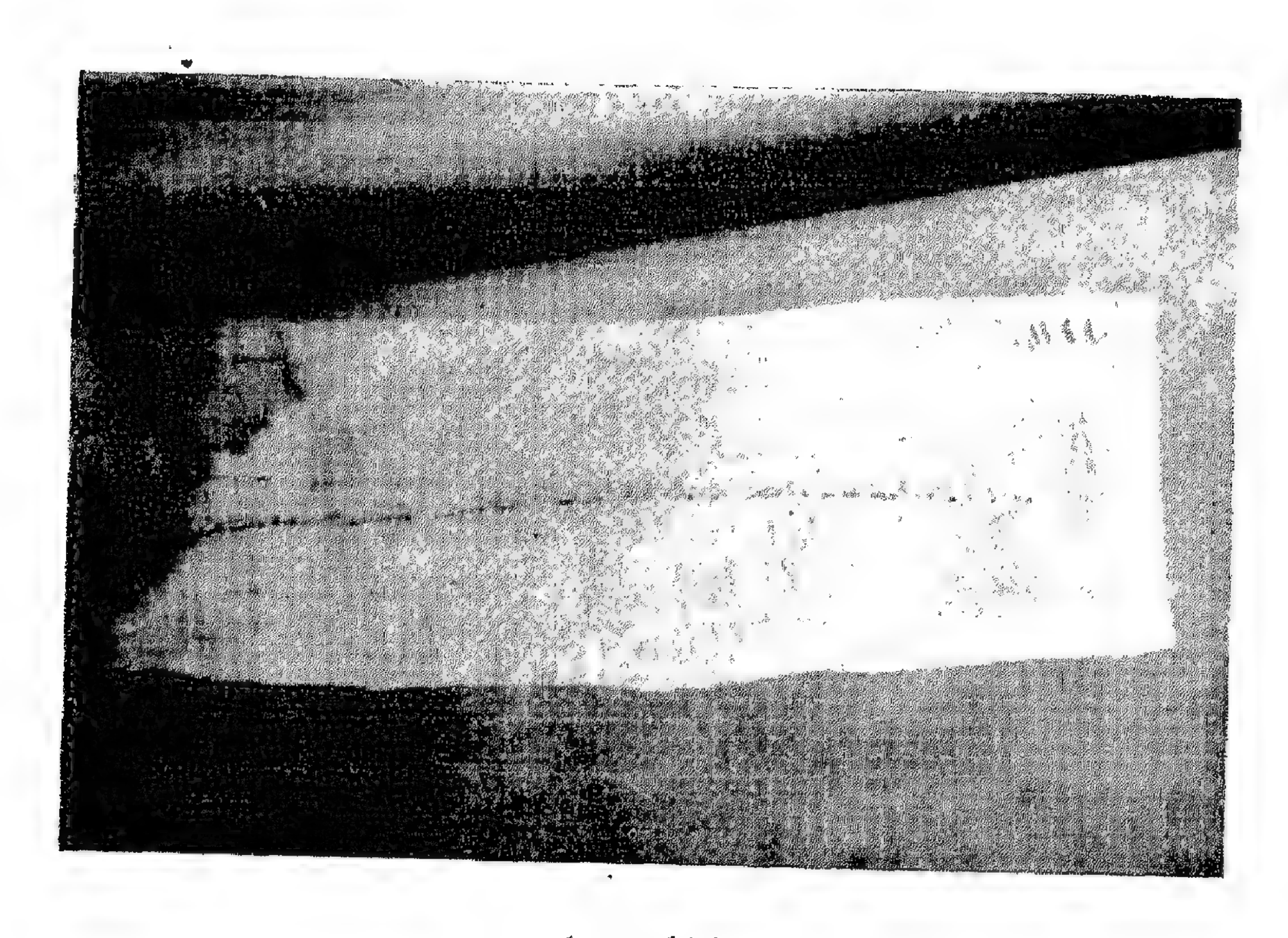
(شكل ٤١)

قطعة نسيج من صناعة مصر باسم المكتفى بالله العباسى تاريخهـا (٢٩٤هـ/٩٠٦م) بمتحف الفن الاسلامى (رقم سجل ١٠٤٩٢) .



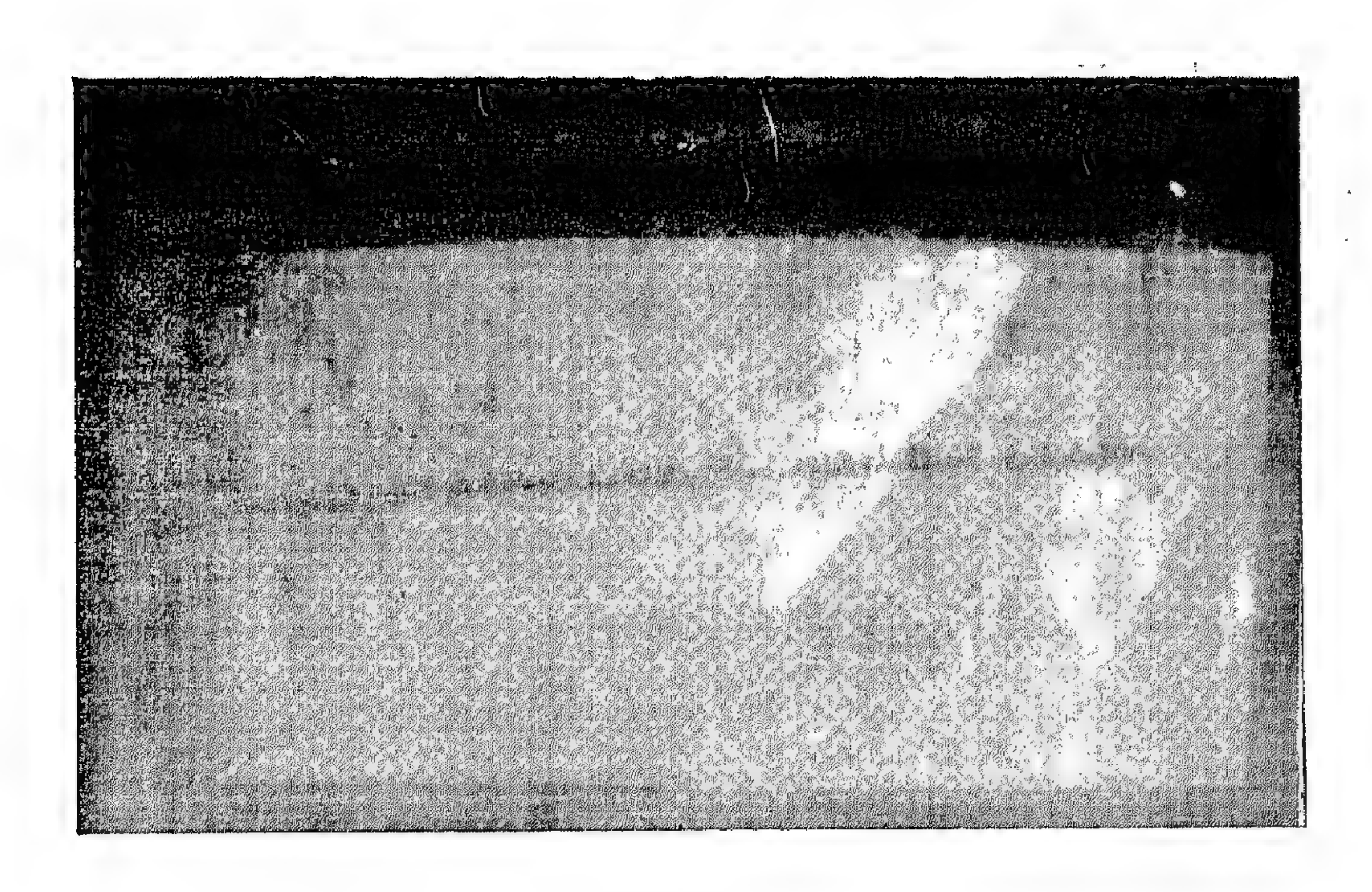
(شكل ٤٢)

قطعة نسيج من صناعة مصر باسم المقتدر بالله العباسى تاريخهـــا (٣٠٣هـ/٩١٥م) بمتحف الفن الاسلامى (رقم سجل ١٠٦٢١) .



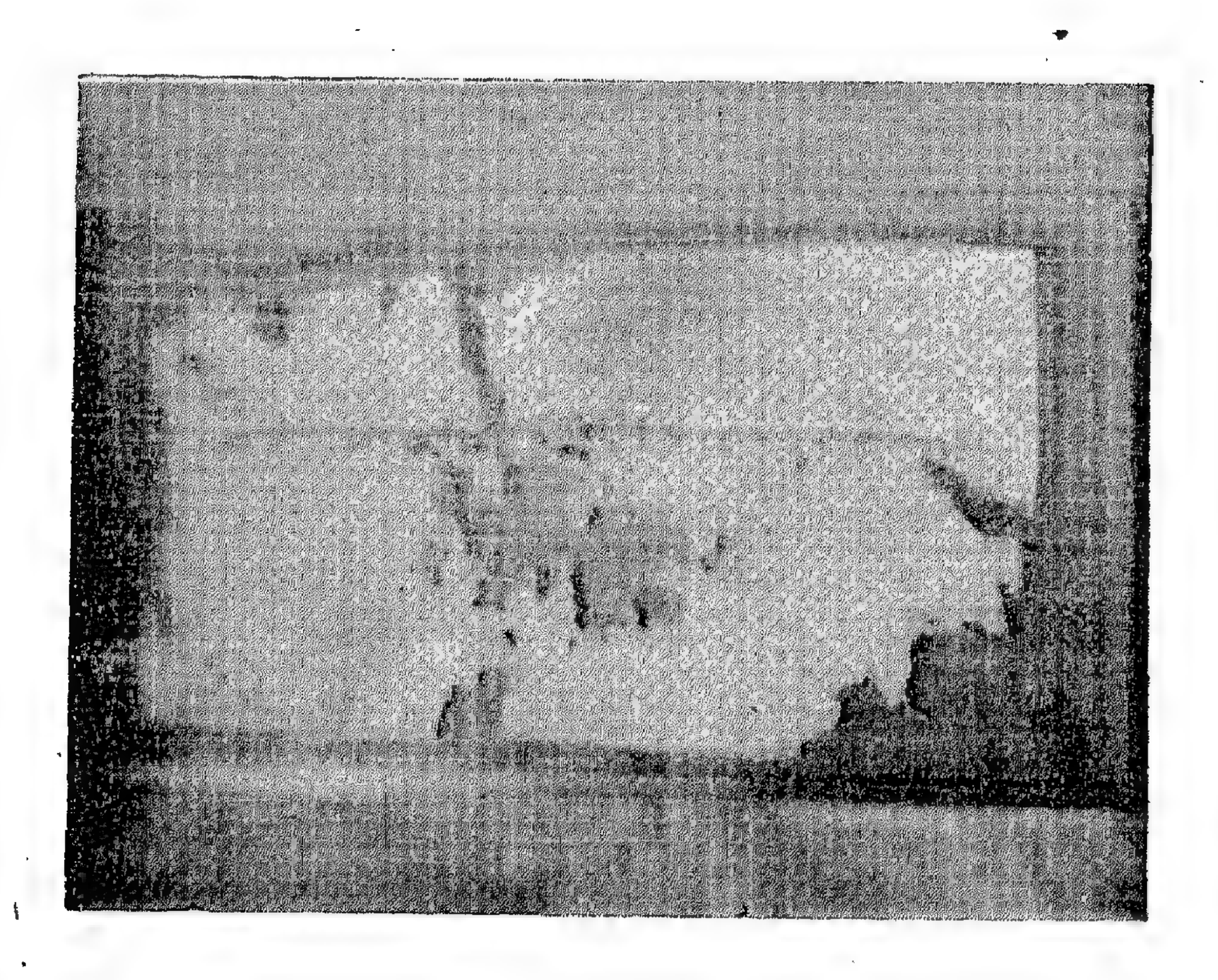
(شكل ٤٣)

قطعة نسيج من صناعة مصر باسم القاهر لله العباسى بمتحف الفن الاسلامى (رقم سجل ١١٤٩٠) .



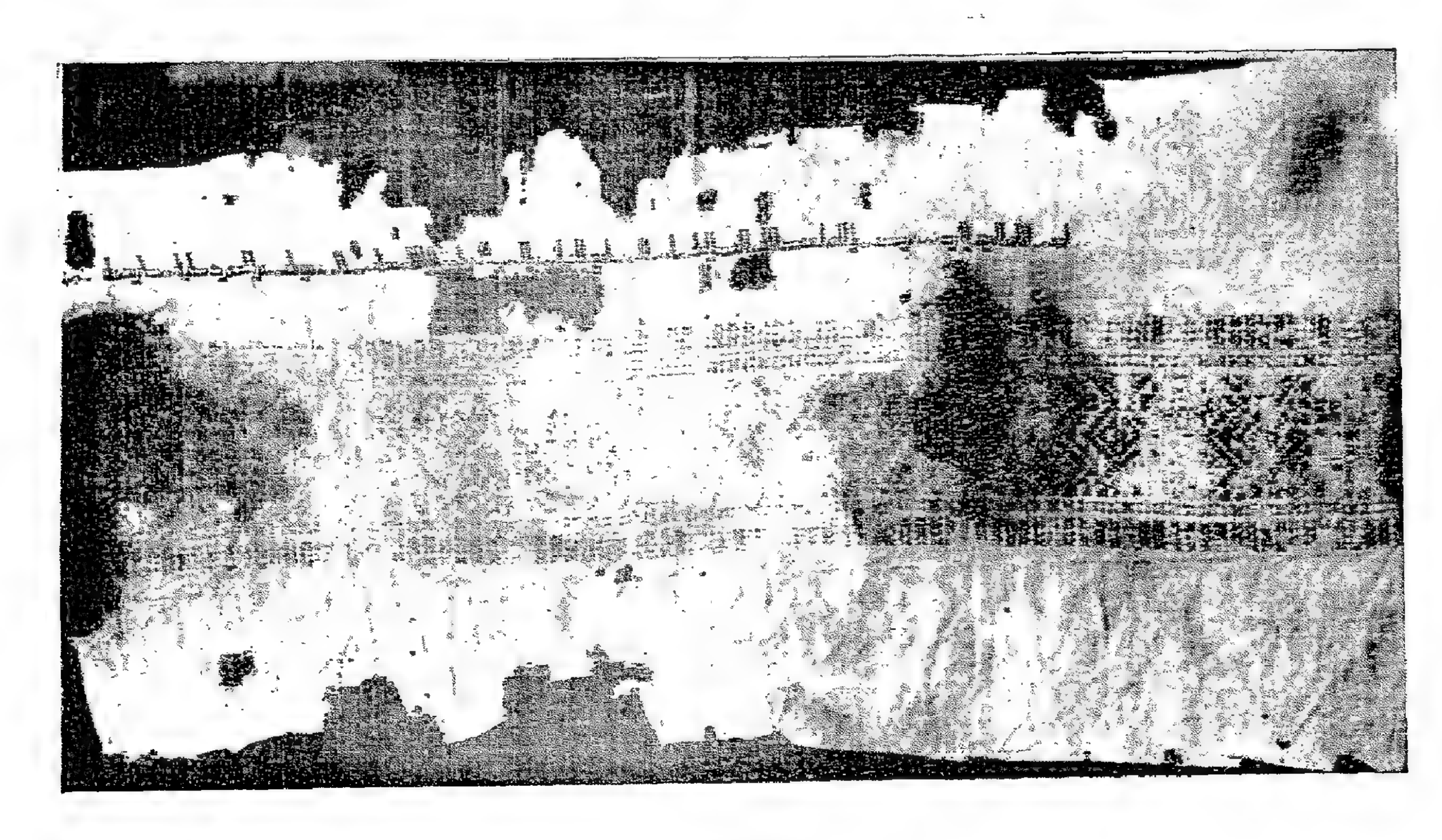
(شكل ٤٤)

قطعة نسيج من صناعة مصر باسم الراضى بالله العباسى تاريخهـــا (٣٢٢هـ/٩٣٣م) بمتحف الفن الاسلامى (رقم سجل ١٠٧٠٤) .



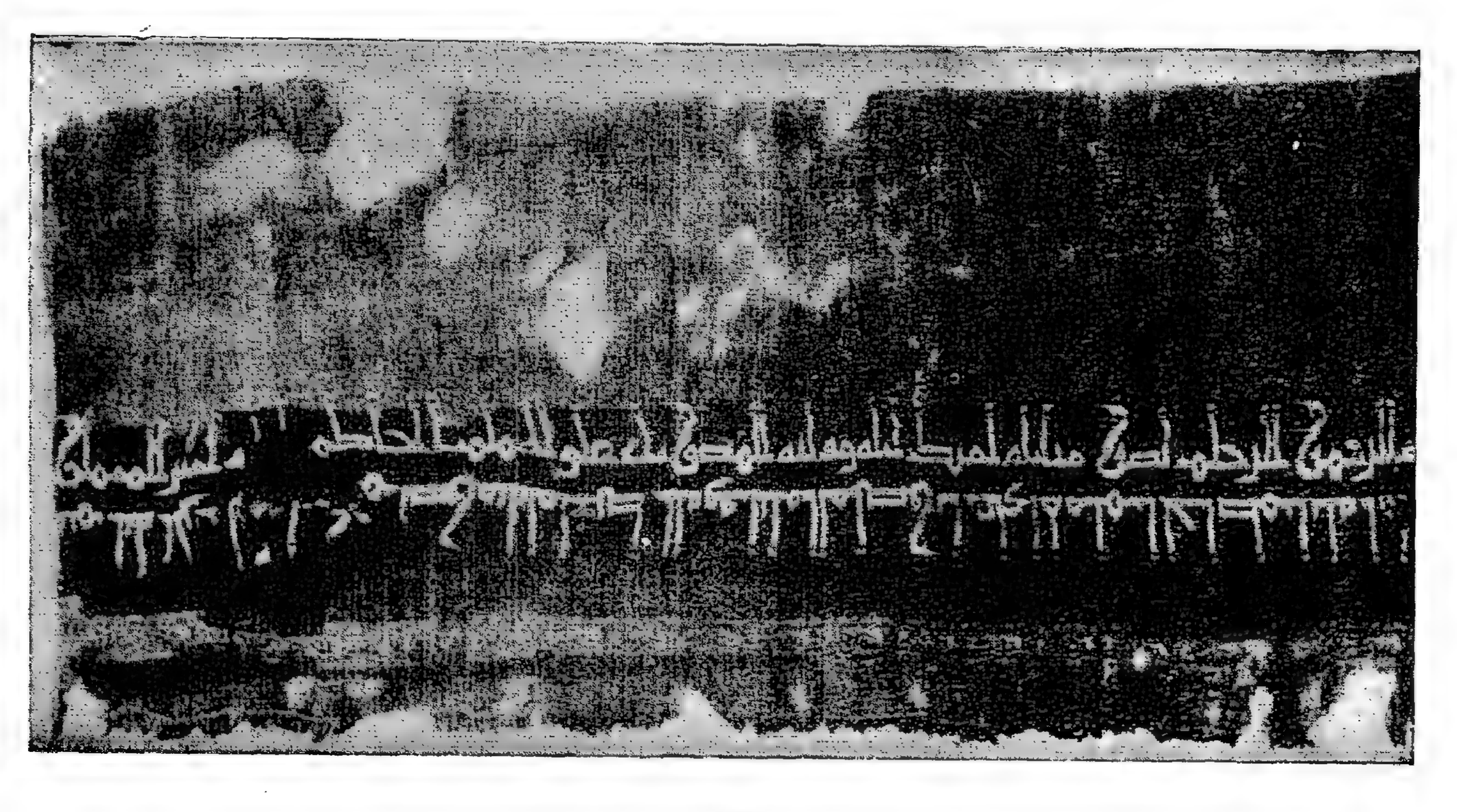
(شكل ٤٥)

قطعة نسيج من صناعة مصر باسم المتقى لله العباسى تاريخهـــا (٣٣٠هـ/٩٤١م) بمتحف الفن الاسلامى (رقم سجل (١٠٠٩١) .



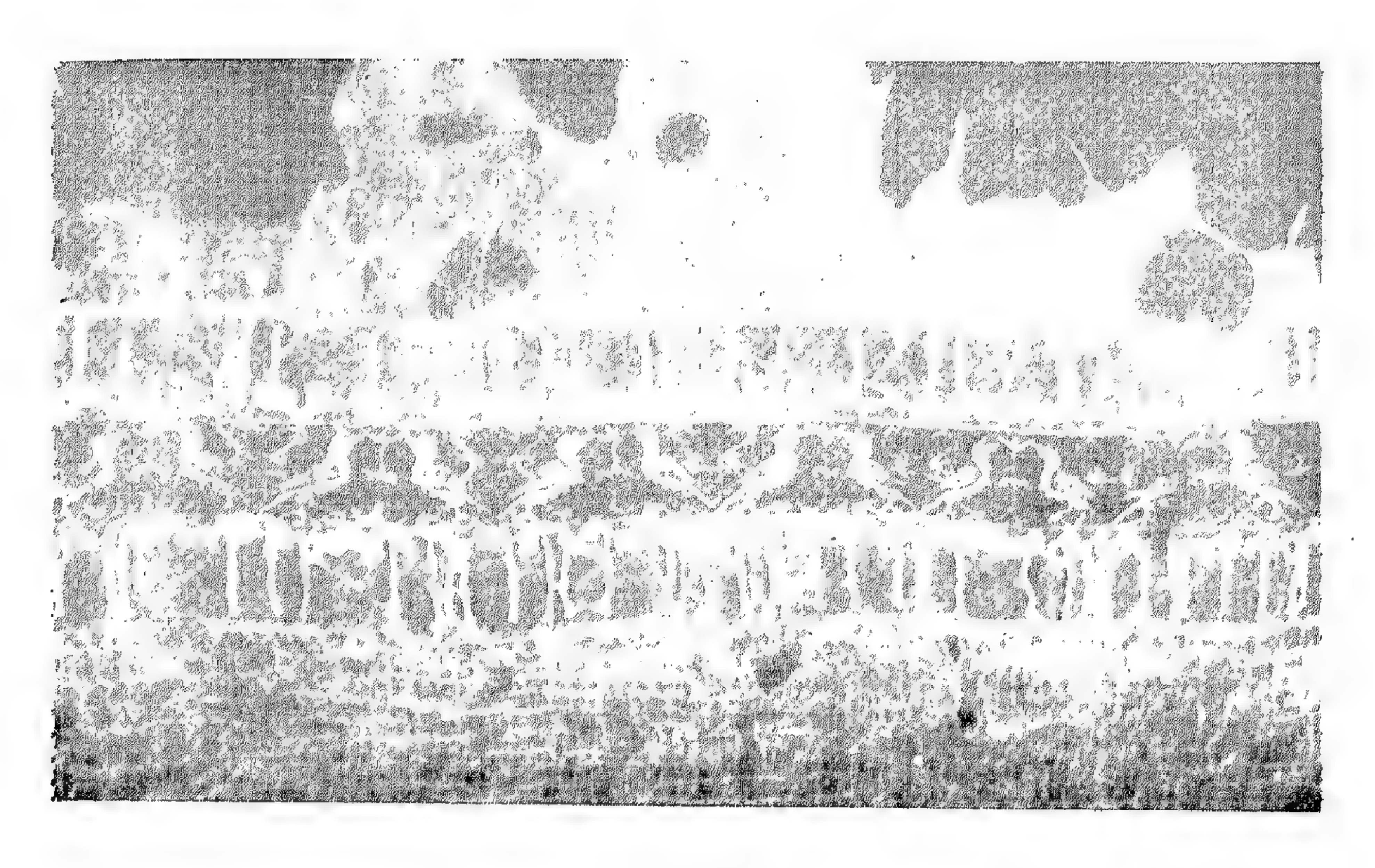
(شكل ٤٦)

قطعة نسيج من صناعة مصر باسم المطيع لله العباسي تاريخها (٣٠٠هـ/٩١٢م) بمتحف الفن الاسلامي (رقم سجل ٨٢٦٩) .



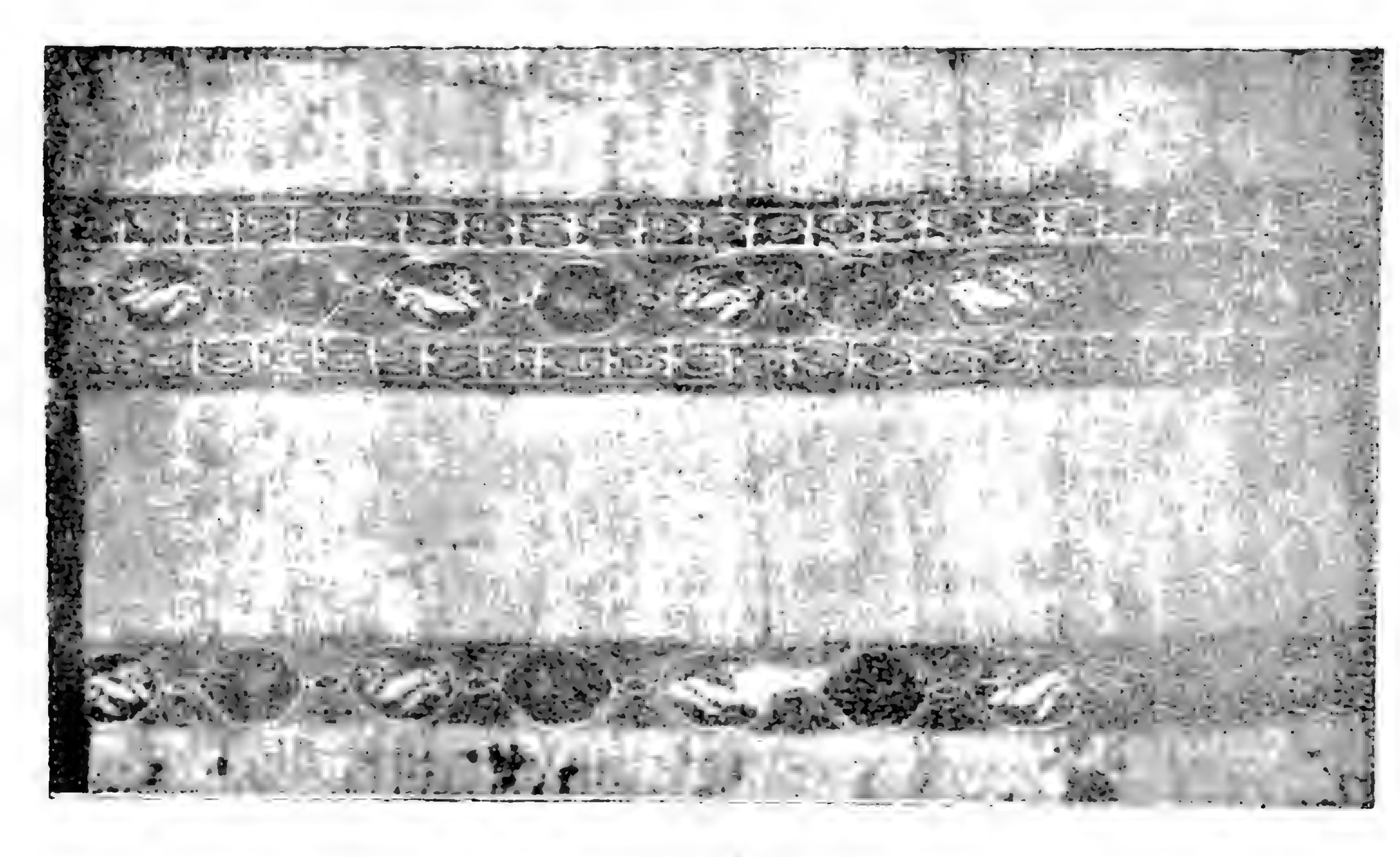
(شكل ٤٧)

قطعة نسيج من الكتان من صناعة مصر فى القرن (٤هـ/١٠م) باسم الحاكم بأمر الله الفاطمى فى متحف الفن الاســلامى (رقم سجل ١٤١٧٤) ٠ راجع أيضا : زكي حسن : أطلس : شكل ٥٨٩ ٠



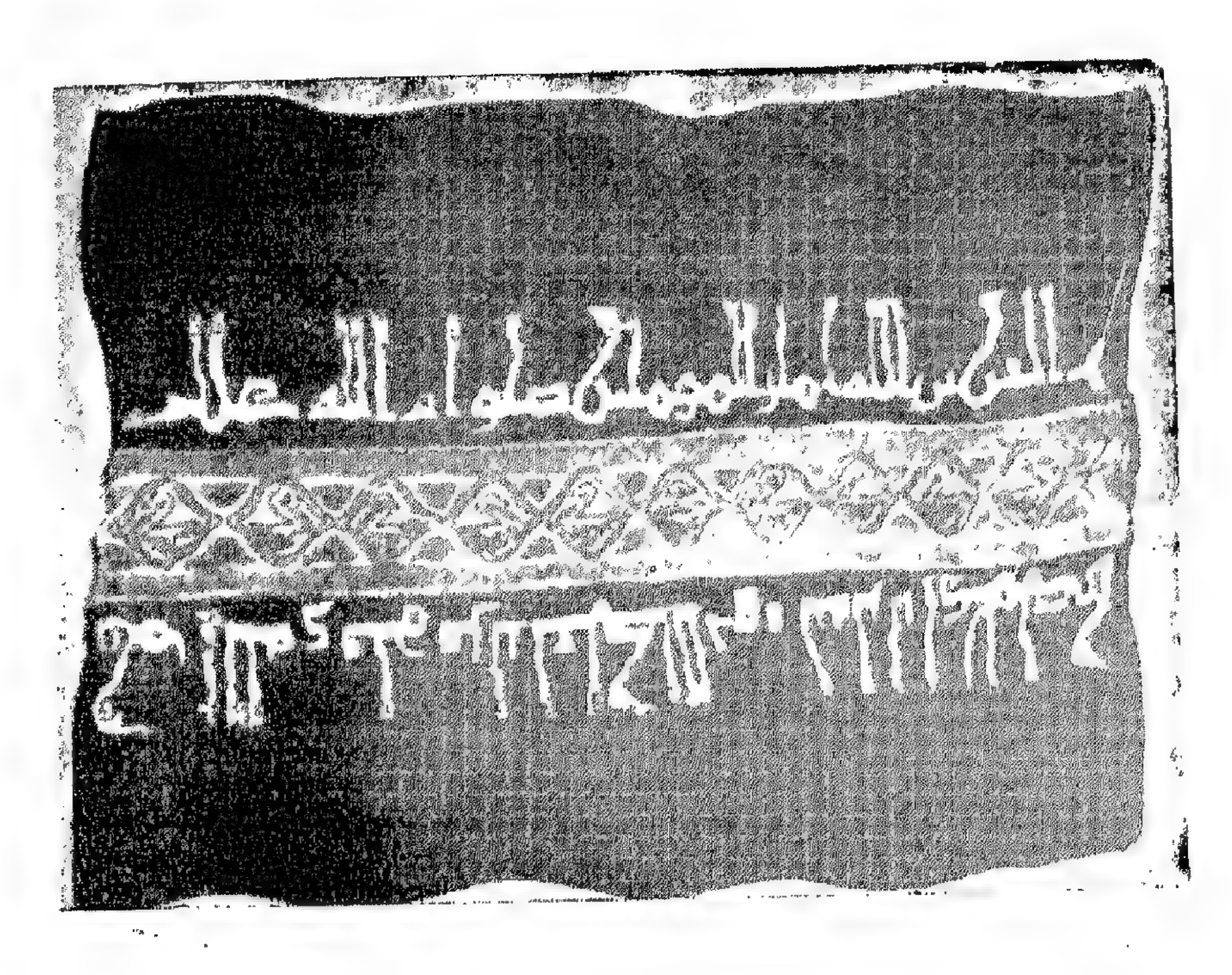
(شكل ٤٨)

قطعة نسـيج من الكتان والحرير من صـناعة مصر فى القرن (٥هـ/١١م) باسم الحاكم بأمر الله الفاطمى فى متحف الفن الاسلامى (رقم سجل ٨٢٦٤) ٠ راجع أيضا : زكى حسن : أطلس : شـكل ٥٩٠ ٠



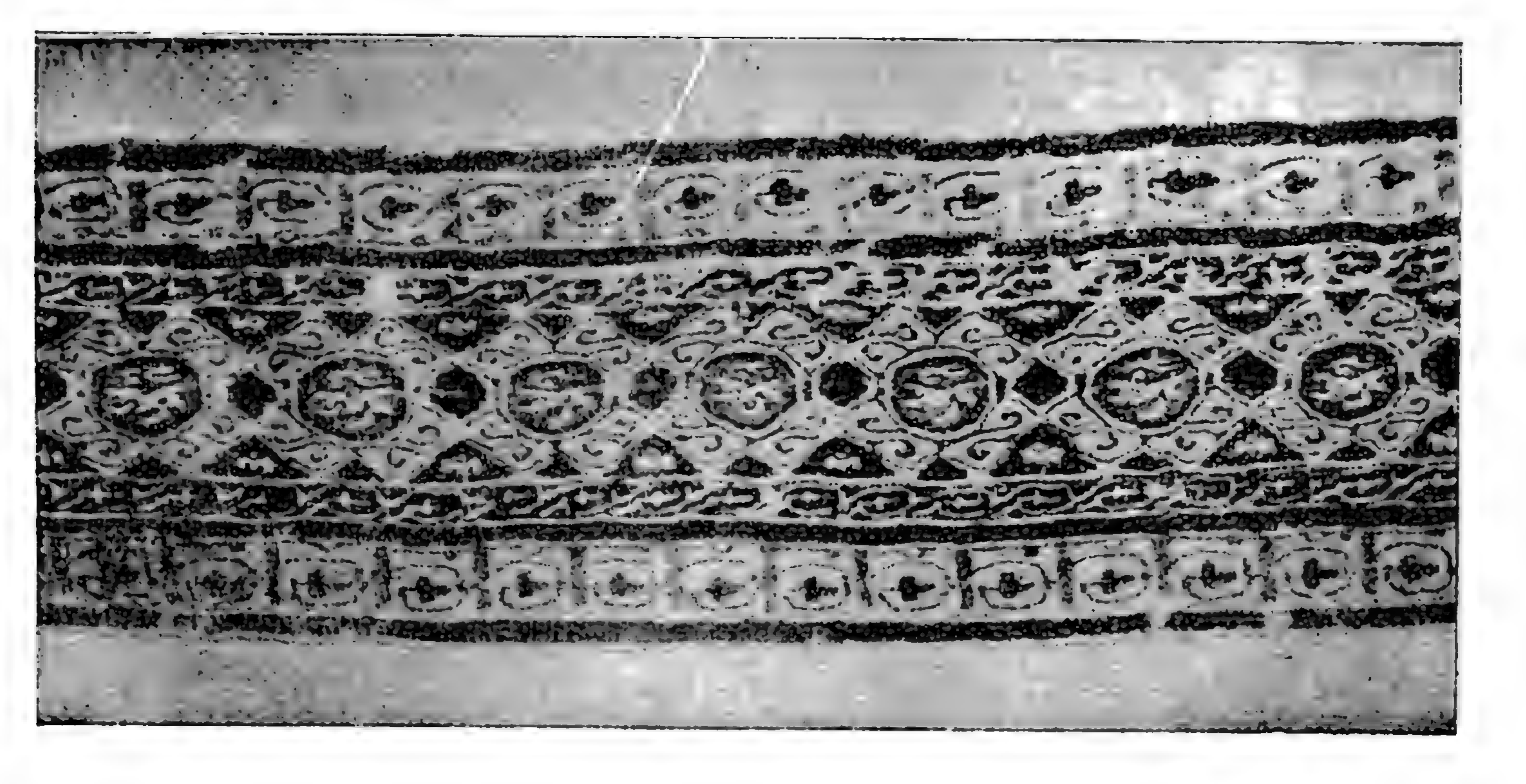
(شكل ٤٩)

قطعة نسيج من الكتان بها رسوم طيور وارانب · من صناعة مصر فى القرن (٥هـ/١١م) فى متحف كلية الآثار (رقم سجل ١٦٤٥)
راجع ايضا : زكى حسن : اطلس : شكل ٥٩٤ ·



(شكل ٥٠)

قطعـــة من نســـيج الكتـــان والحرير من صـــناعة مصر فى القرن (٥هـ/١١م) باسم العزيز بالله الفاطمى فى متحف الفن الاسلامى (رقم سجل ٩٤٤٥) . راجع أيضا : زكى حســـن : اطلس : شكل ٥٩١ .



(شكل ٥١)

قطعة نسيج من الكتان بها زخارف نباتية وحيوانية من صناعة مصر خلال العصر الفاطمى فى القرن (٥هـ/١١م) فى متحف الفن الاسلامى رقم سجل (٤٢٣٠) راجع ايضا : زكى حسن : اطلس شكل : ٥٩٢ .



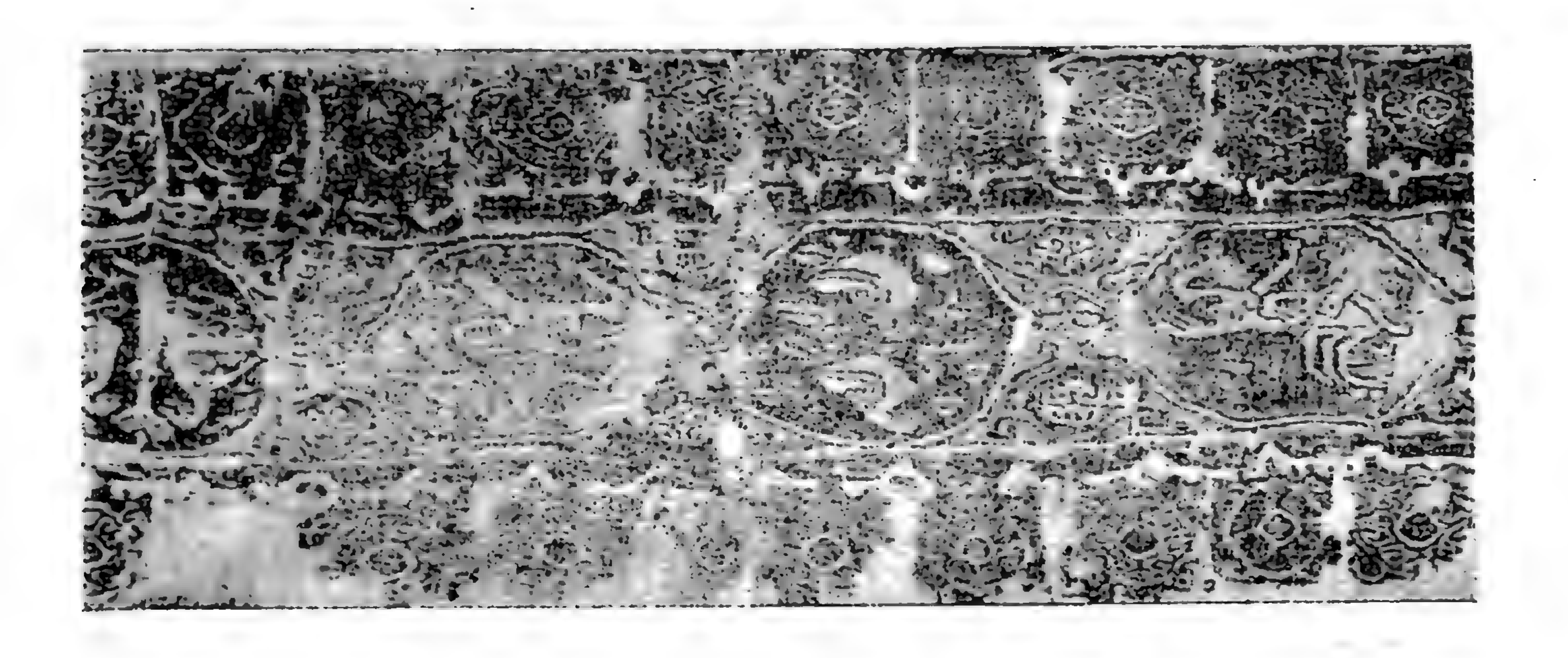
(شكل ٥٢)

قطعة نسيج من الكتـــان والحرير من صــــــناعة مصر فى القرن (٦هـ/١٢م) . فى متحف الفن الاسلامى (رقم سجل ٢١٤٦) .
راجع أيضا : زكى حسن : أطلس : شكل ٥٩٧ .



(شكل ٥٣)

قطعة نسيج من الكتـــــان والحرير من صــــناعة مصر فى القرن (٦هـ/١٢م) فى متحف الفن الاسلامى (رقم سجل ١٠٨٣٦) .
راجع ايضا : زكى حسن : اطلس : شكل : ٥٩٦ .



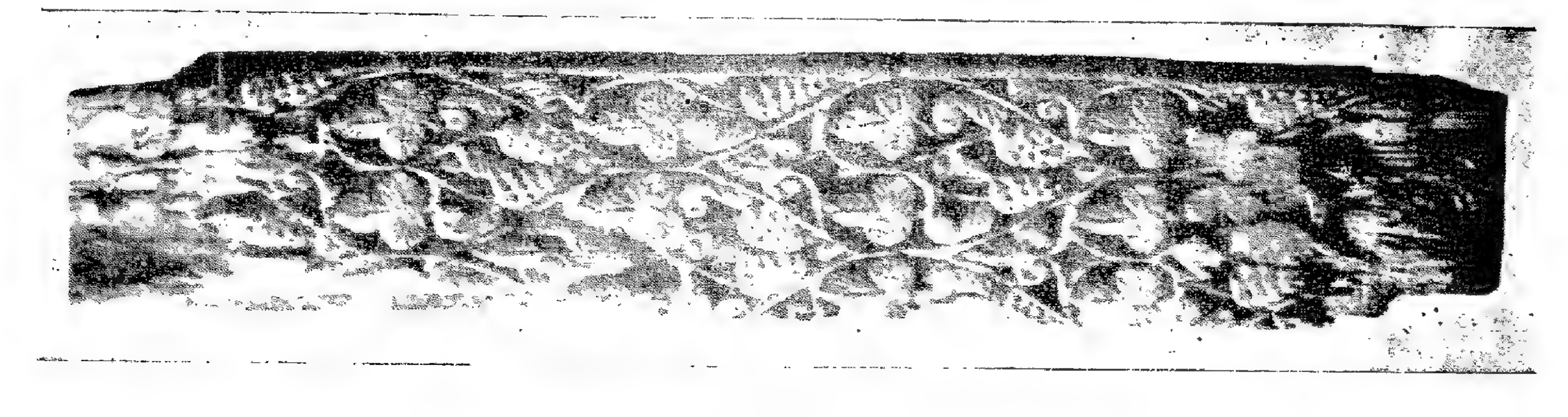
(شكل ٥٤)

قطعة نسيج من الكتان من صناعة مصر فى القرن (٥هـ/١١م) فى متحف بوسطون بأمريكا راجع أيضا : زكى حسن : أطلس : شكل ٥٩٣ .



(شكل ٥٥)

قطعة من الخشب ذى الزخارف المحفورة من صناعة مصر فى القرنين
(١ ـ ٢هـ/٧ ـ ٨م) بمتحف الفن الاسلامى ٠ راجع أيضا :
زكى حسن : أطلس : شكل : ٢٩٢



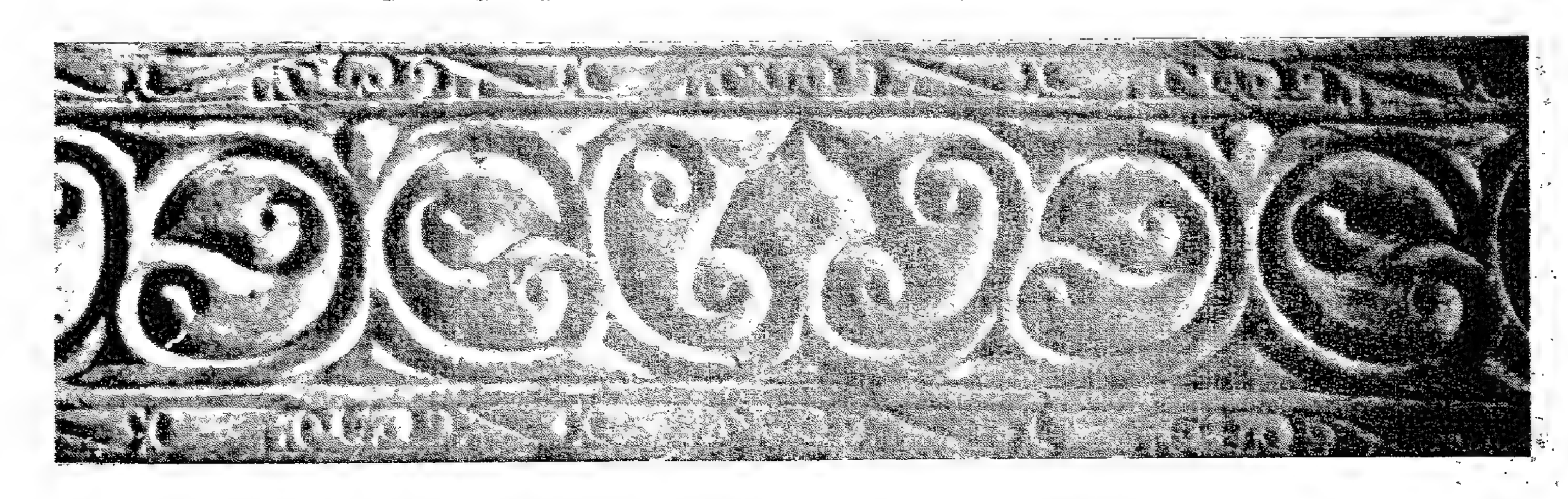
(شكل ٥٦)

قطعة من الخشب الأموى ذى الزخارف المحفورة من صناعة مصر فى القرن (٢هـ/٨م) بمتحف الفن الاســـــلامى . راجع أيضا : زكي حسن : أطلس : شكل ٢٩٠ .



(شكل ٥٧)

حشوة من الخشب العباسى ذى الزخارف المنقوشـــة بالحفر المائل من صناعة مصر فى القرنين (٣ ـ ٤هـ/٩ ـ ١٠م) بمتحف اللوفر فى باريس راجع ايضا : زكى حسن : اطلس : شكل ٣١٨ ٠



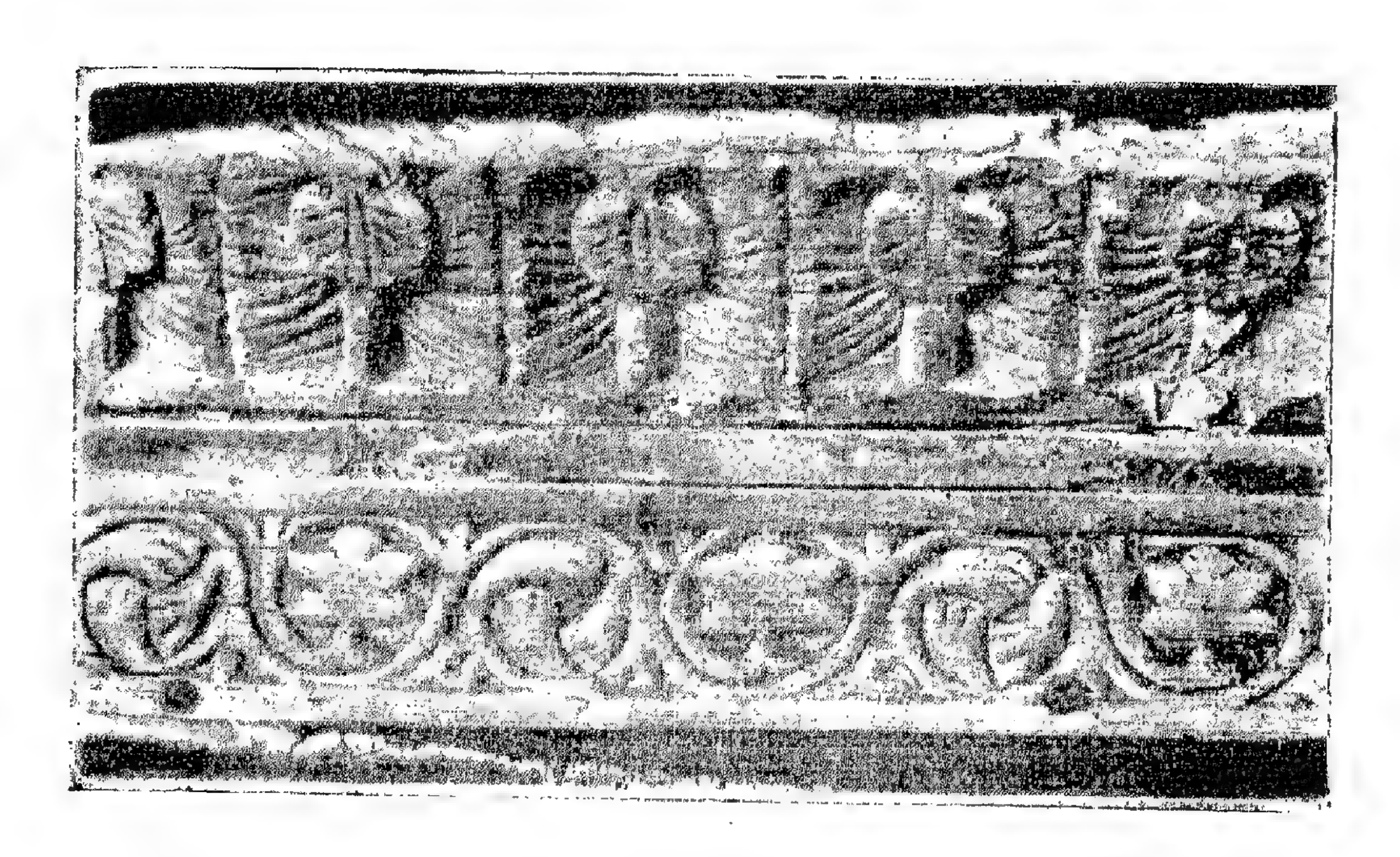
(شكل ٥٨)

حشوة من الخشب العباسى ذى الحفر المائل من صناعة مصر فى القرنين
(٣ – ٤هـ/٩ – ١٠م) بمتحف كلية الآثار (رقم سجل ١٢١٤)
راجع أيضا : زكى حسن : اطلس : شكل ٣١٧ .



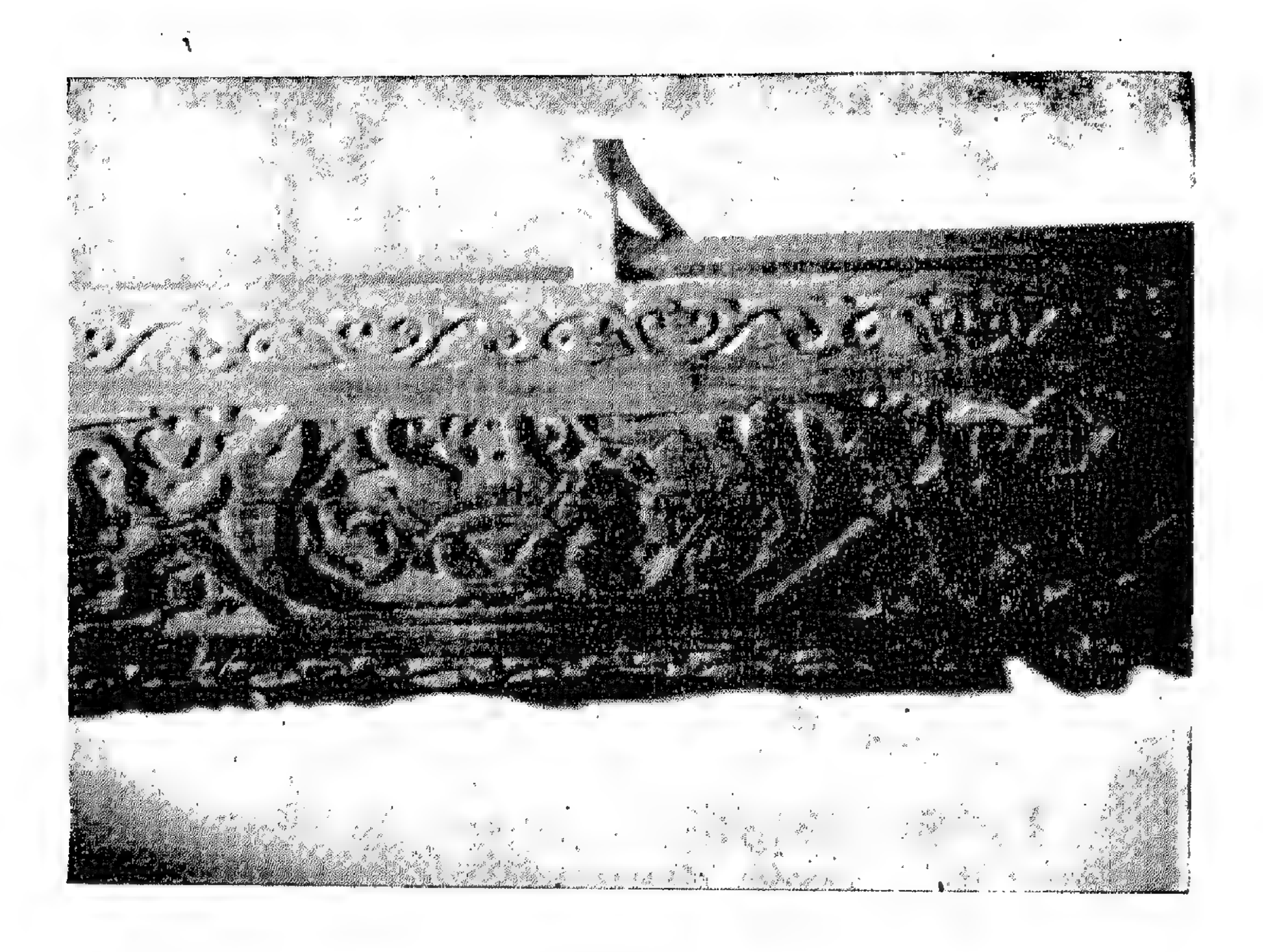
(شكل ٥٩)

حشوة من الخشب الفاطمي ذي الحفر المائل على احدى الروابط الخشبية بجامع الحاكم بالقاهرة من صناعة مصر في سنة (٣٩٣هـ/١٠٠٣م) ٠
راجع أيضا : زكي حسن : اطلس : شكل ٣٣٦ ٠



(شكل ٦٠)

حلية خشبية فوق أعمدة برواق القبلة فى جامع عمرو بن العاص
تؤرخ بسنة (٢١٢هـ/٨٢٧م) راجع ايضا : زكى حسن :
أطلس : شكل ٢٩٧ ٠



(شكل ٦١)

حشوة من الخشب عليها رسم سيدة فى هودج من صناعة مصر خلال العصر الفاطمى فى القرن (٥هـ/١١م) بمتحف الفن الاســـلامى (رقم سجل ٥٠٢٤) .



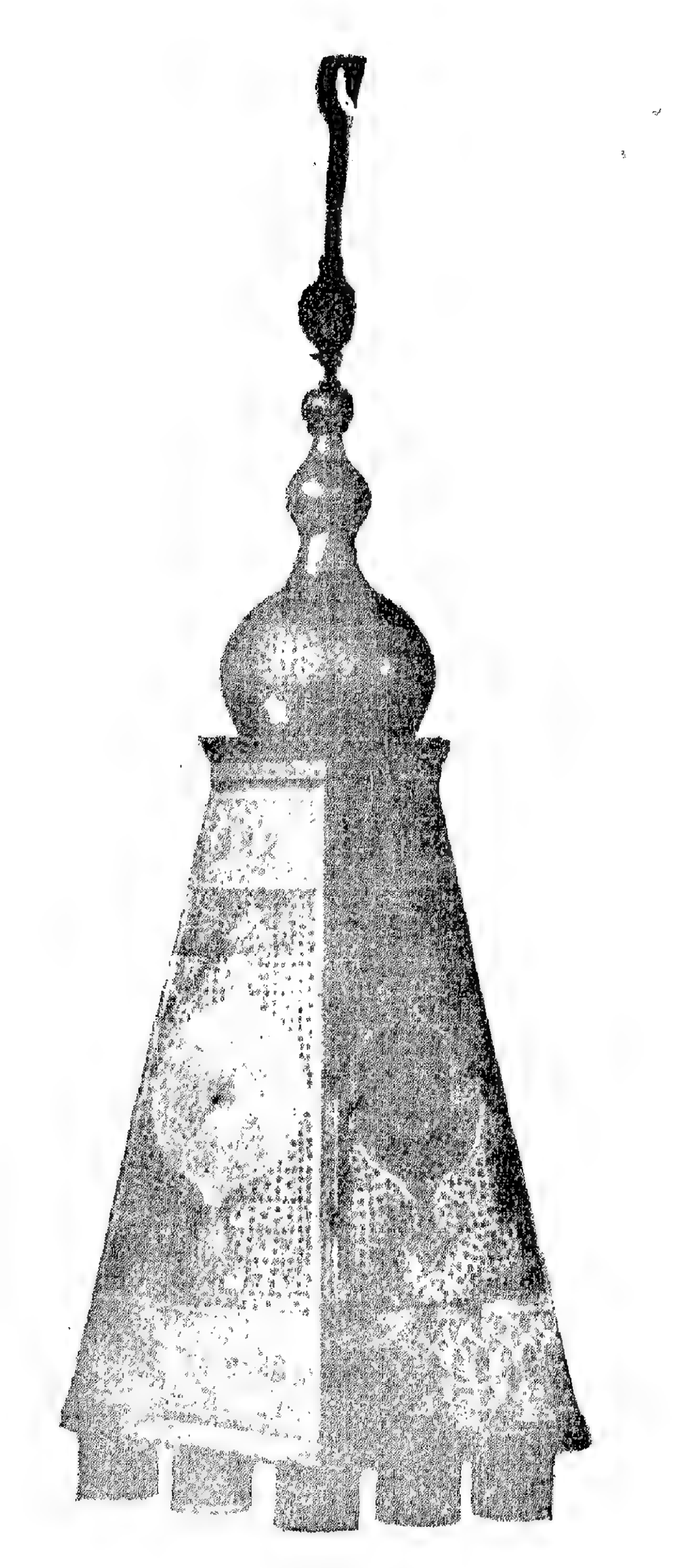
(شكل ٦٢)

شمعدان مكفت بالذهب والفضة من صناعة القاهرة خلال العصر المملوكي في القرن (٧هـ/١٣م) باسم الأمير كتبغا المنصوري بمتحف الفن الاسلامي (رقم سجل ٤٤٦٣) .



(شكل ١٢')

رقبة شمعدان من النحاس المكفت بالذهب والفضة باسم الأمير كتبغا المنصورى كتابتها تنتهى بأشكال آدمية بمتحف الفن الاسلامى (رقم سجل ٤٤٦٣) راجع أيضا محمد مصطفى : دليل موجز : صورة ٤٥ .



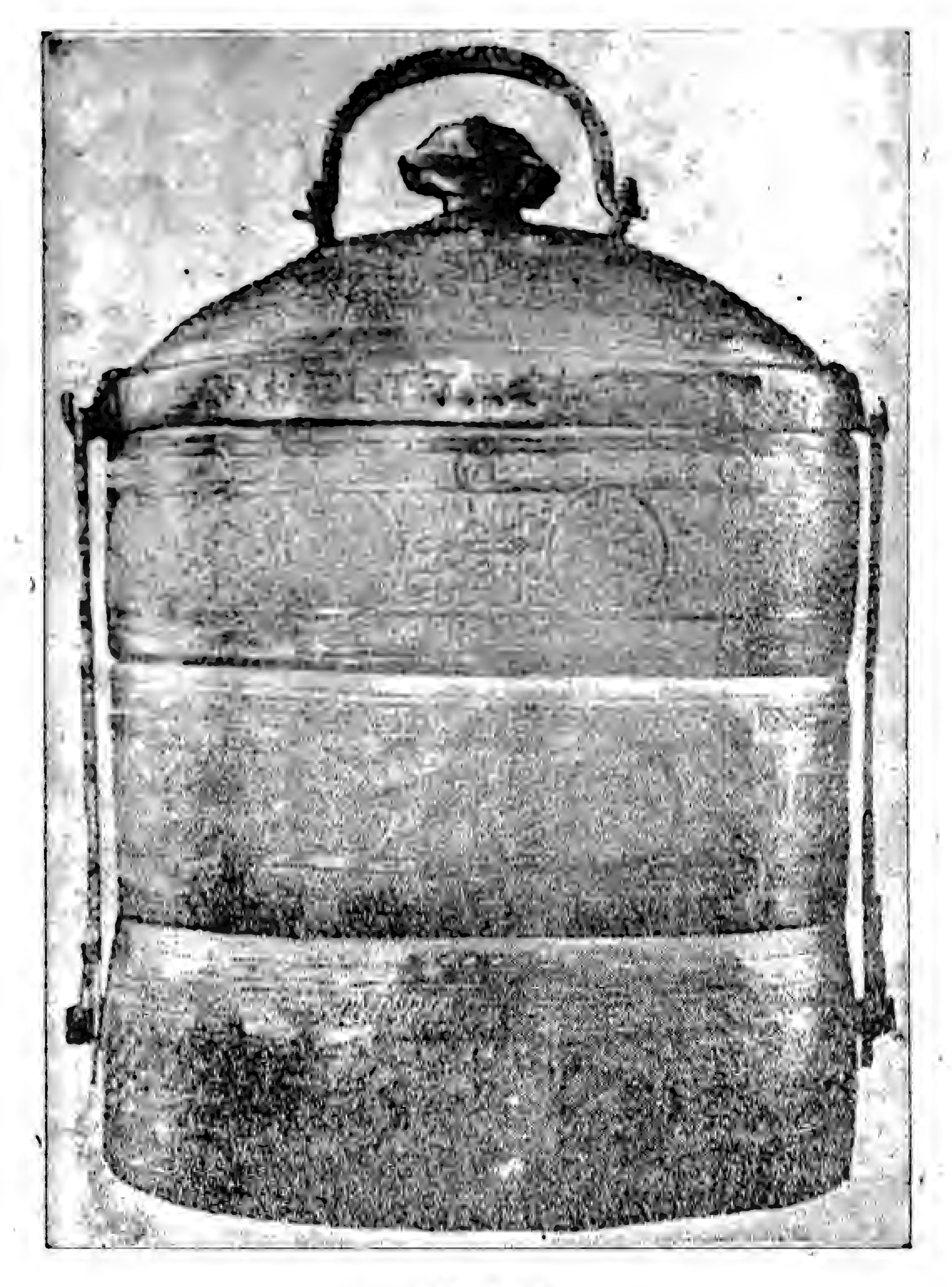
(شكل ٦٤)

ثريا من النحاس باسم السلطان المملوكي قايتباي
(ت : ٩٠١هـ/١٤٩٦م) في متحف الفن الاسلامي (رقم سجل
٣٠٨٣) راجع أيضا : زكي حسن : اطلس : شكل ٥٢٦ .



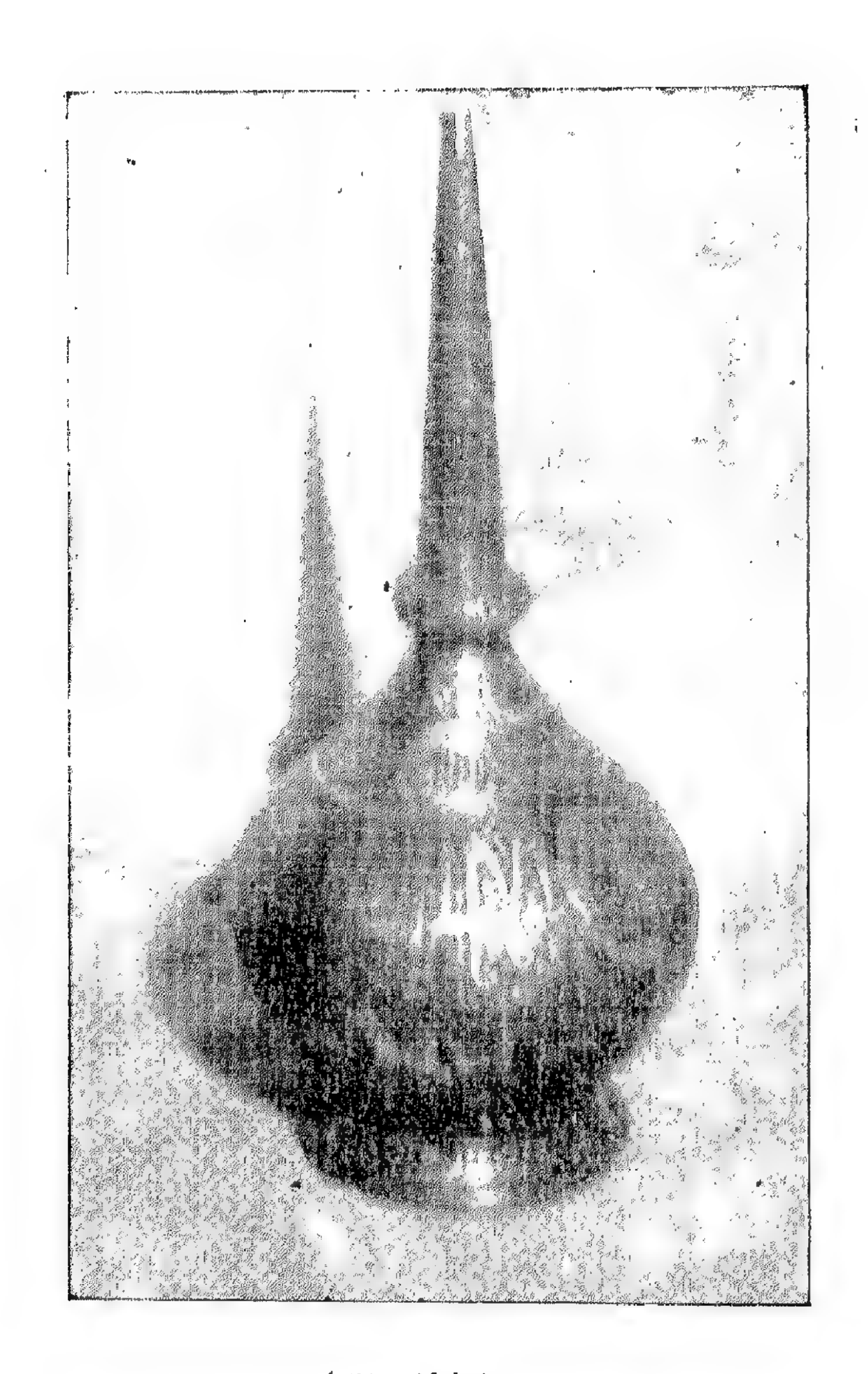
(شكل ٦٥)

صندوق من النحاس المكفت بالفضة عليه كتابة باسم الأمير المملوكى طغاى تمر من صناعة مصر فى القرن (٨هـ/١٤م) فى متحف الفن الاسلامى (بدون رقم سجل) . راجع أيضا : زكى حســـن : أطلس : شكل ٥١٧ .



(شكل ٦٦)

طاسة من النحاس من صناعة مصر فى القرنين (٩ ـ ١٠هـ/١٥ ـ ١٦م) فى متحف الفن الاسلامى (بدون رقم سجل) راجع أيضا : زكى حسن : أطلس : شكل ٥٣٧ ٠



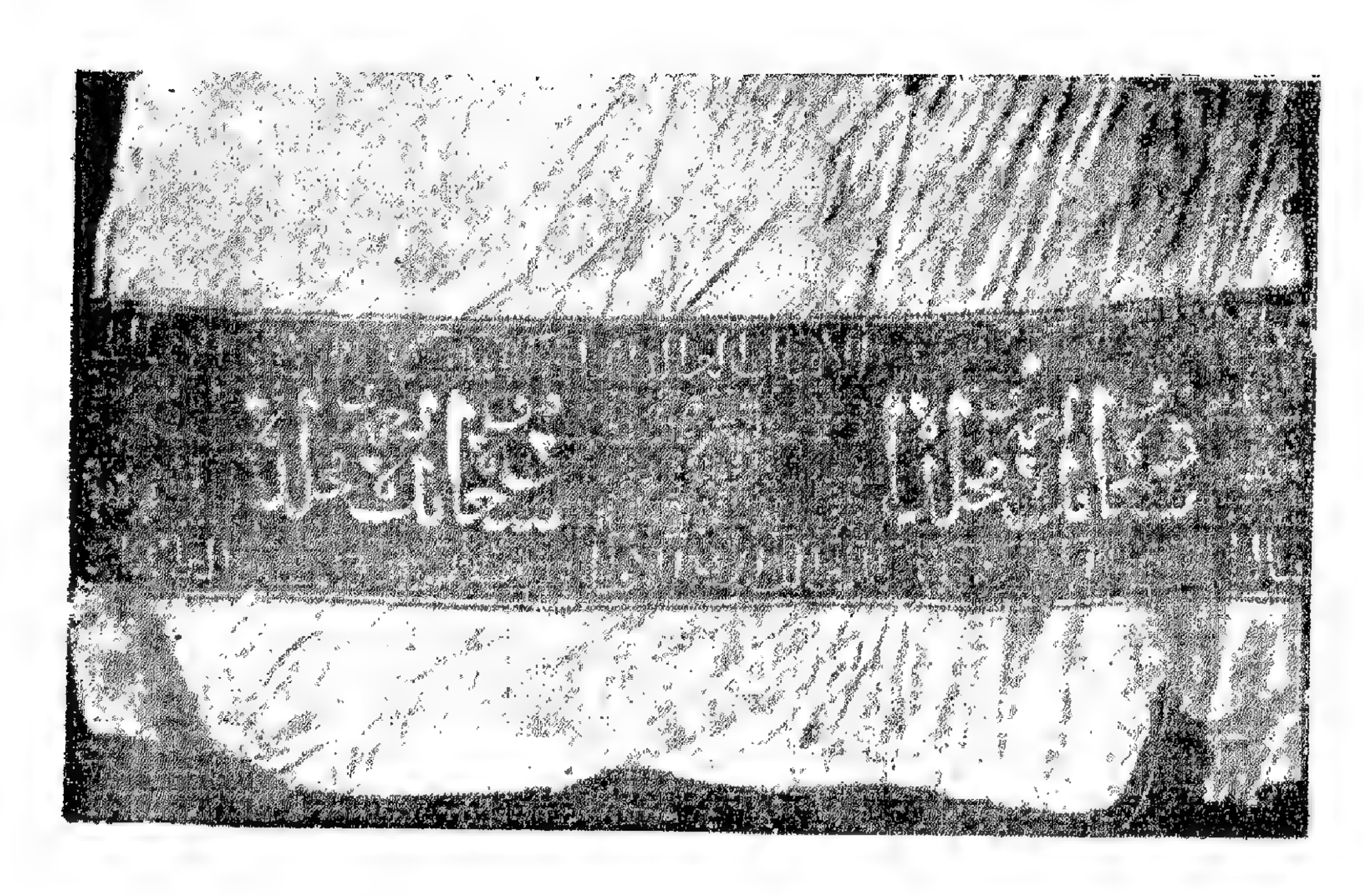
(شكل ٦٧)

قمقم من النحاس المكفت بالذهب والفضة من صناعة القاهرة خــلال العصر المملوكي في القرن (٨هـ/١٤م) باسم الملك الناصر حسن ابن قلاوون بمتحف الفن الاسلامي (رقم سجل ١٥١١١) .



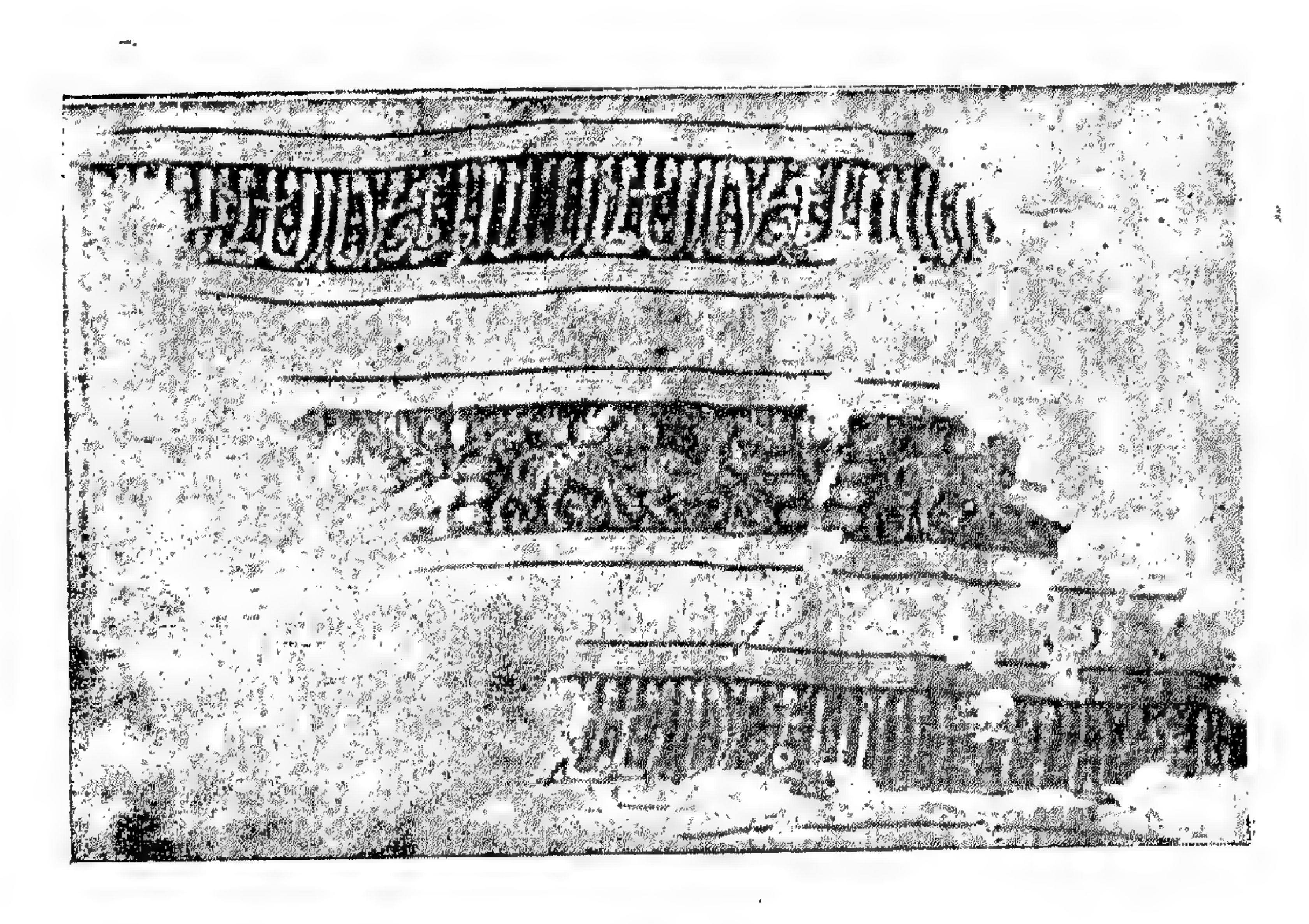
(شكل ٦٨)

زهرية من النحاس المكفت بالذهب والفضة من صناعة القاهرة خلال العصر المملوكى فى القرن (٨هـ/١٤م) باسم الأمير قطز تمر بمتحف الفن الاسلامى (رقم سجل ١٥١٢٥) ٠



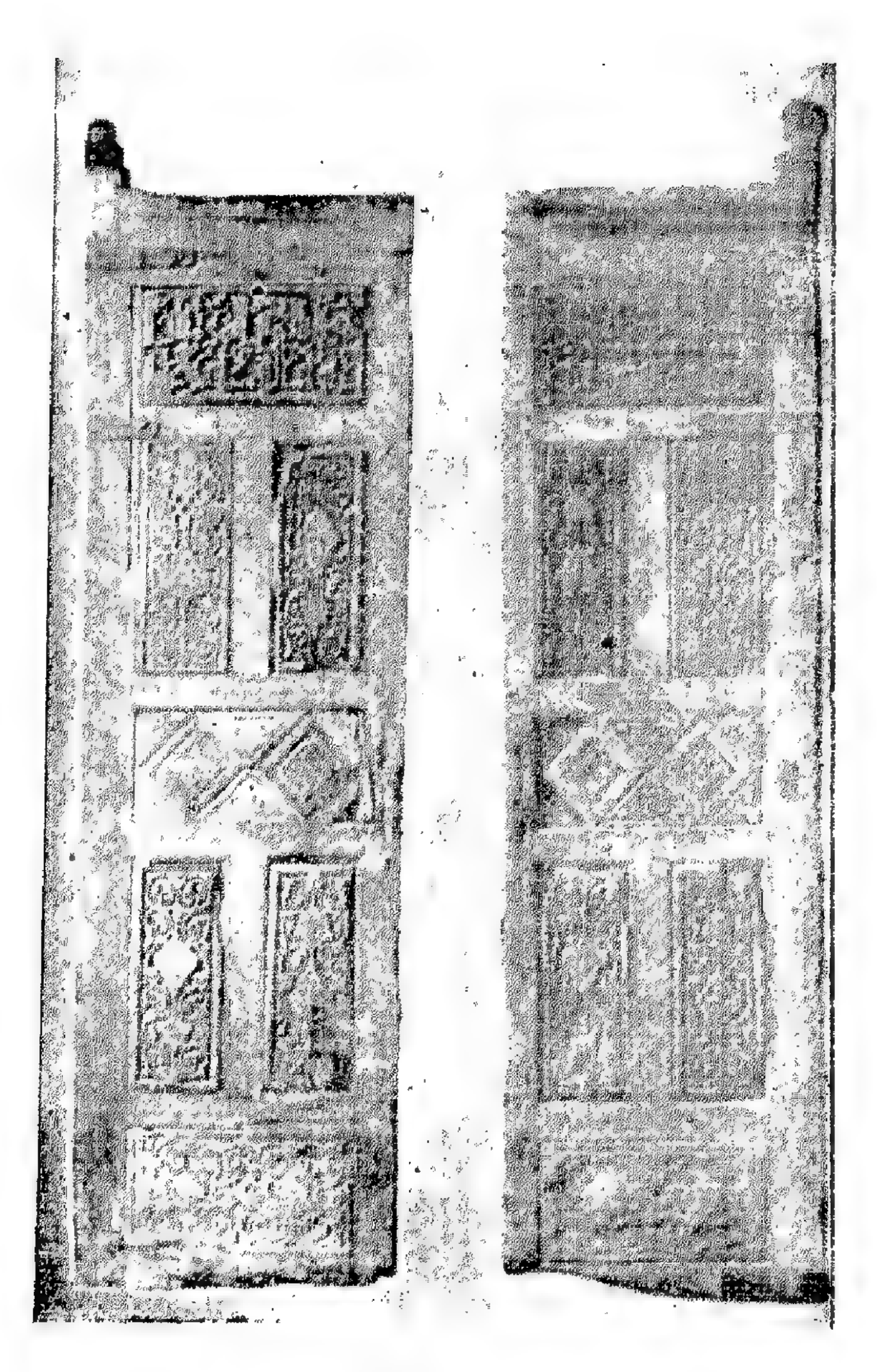
(شكل ٦٩)

قطعة نسيج من الكتان من صناعة مصر خلال العصر المملوكى فى القرن (٧هـ/١٣م) فى متحف الفن الاسلامى (رقم سجل ٣٠٨٥) ·
راجع أيضا : زكى حسن : اطلس : شكل ٦٠٤ ·



(شكل ٧٠)

قطعة نسيج من الحرير من صناعة القاهرة خلال العصر المملوكى فى القرن (٨هـ/١٤م) باسم الناصر محمد ٠ فى متحف الفن الاسلامى (رقم سجل ٥٨٧٢) ٠ راجع ايضا : زكى حسن : أطلس : شكل ٦٠٧ ٠



(شكل ٧١)

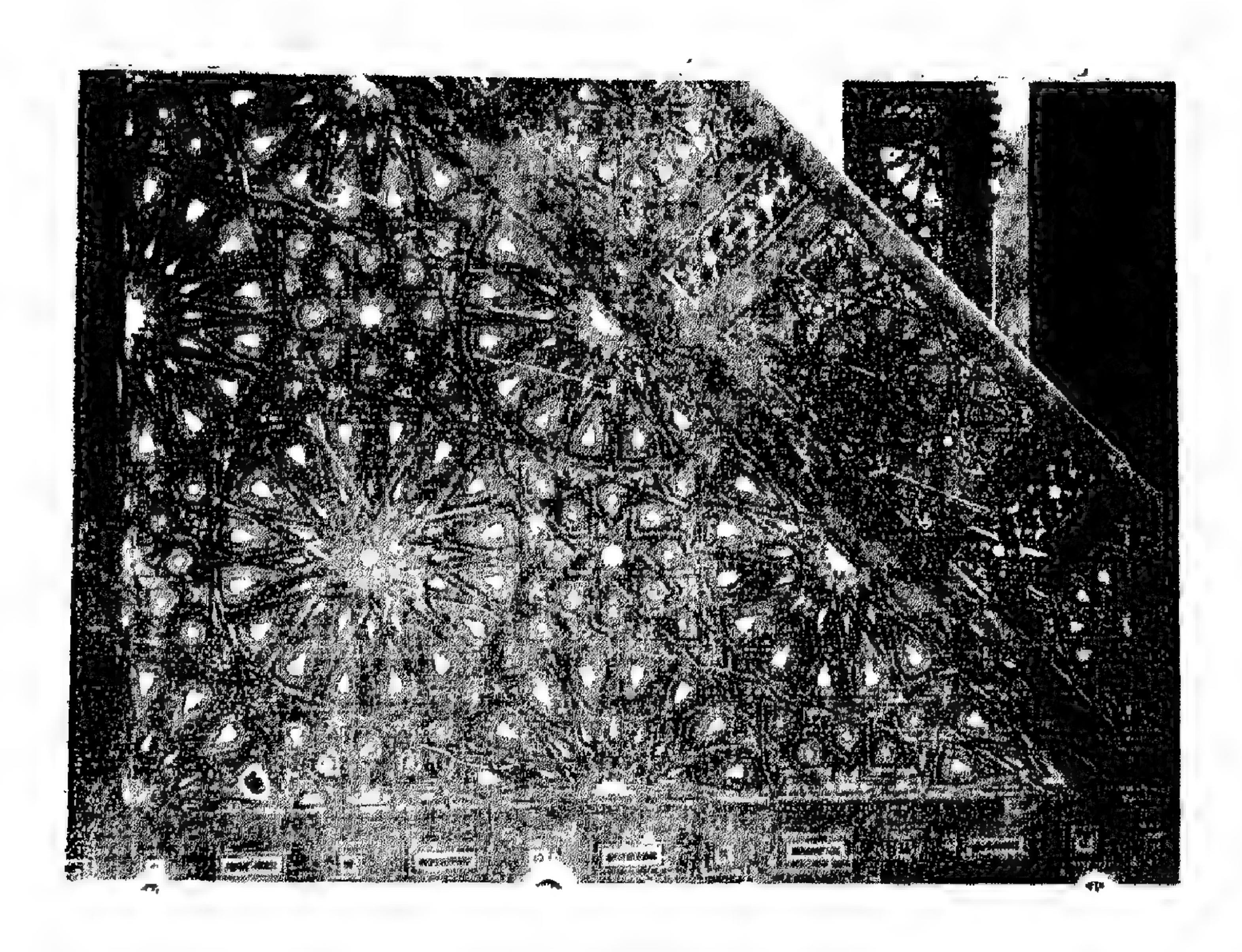
باب خشـــبى باسم الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله عمل سـنة (٤٠٠هـ/١٠١٠م) بمتحف الفن الاسلامى (رقم سجل ٥٥١)
راجع أيضا : زكى حسن : اطلس : شكل ٣٣٤ ٠



(شكل ٧٢)

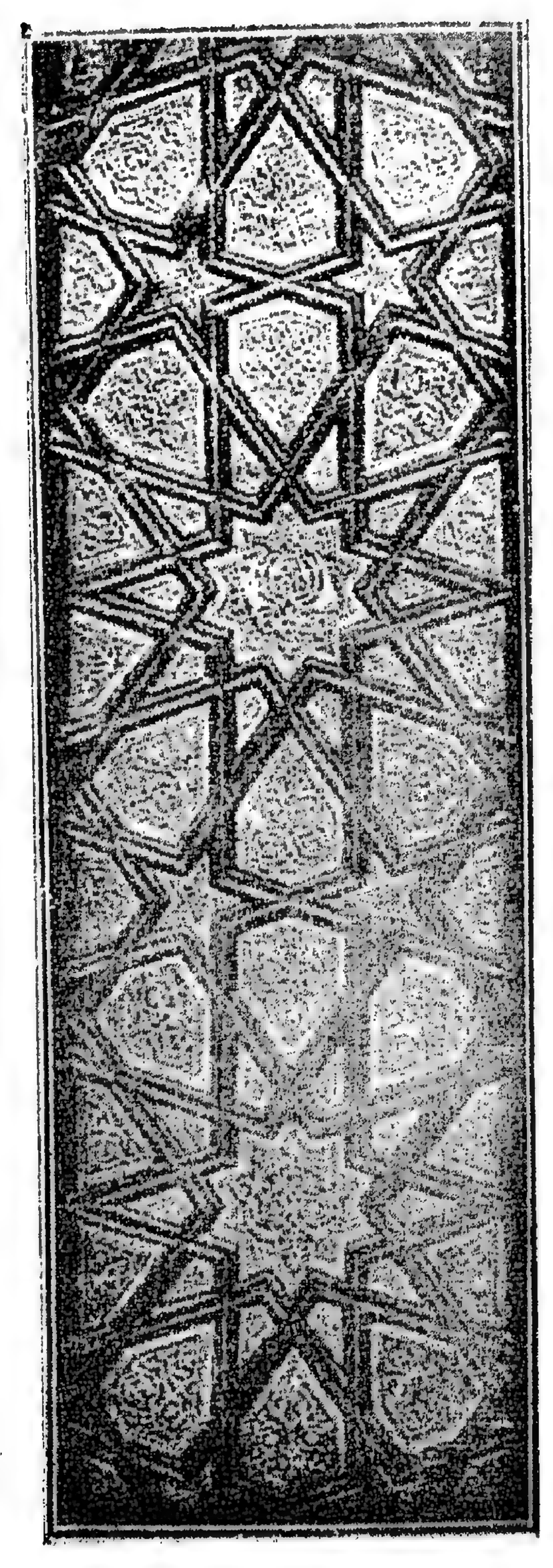
حشوة من الخشب عليها بسملة بالكوفي والنسخى على تركيبة قبر الامام الحسين رضى الله عنه بالقـــاهرة من صناعة مصر فى القرن (٦هـ/١٢م) بمتحف الفن الاسلامى (رقم سجل ١٥٠٢٥)

راجع أيضا : محمد مصطفي : دليل موجز صورة ٢٧ ص ٣٥ ٠



(شكل ٧٣)

منبر مدرسة الأشرف برسباى بالقـــاهرة يرجع الى سنة (٨٢٧هـ/١٤٢٤م) راجع أيضـــا : زكى حسن : أطلس : شكل ٤٠١ .



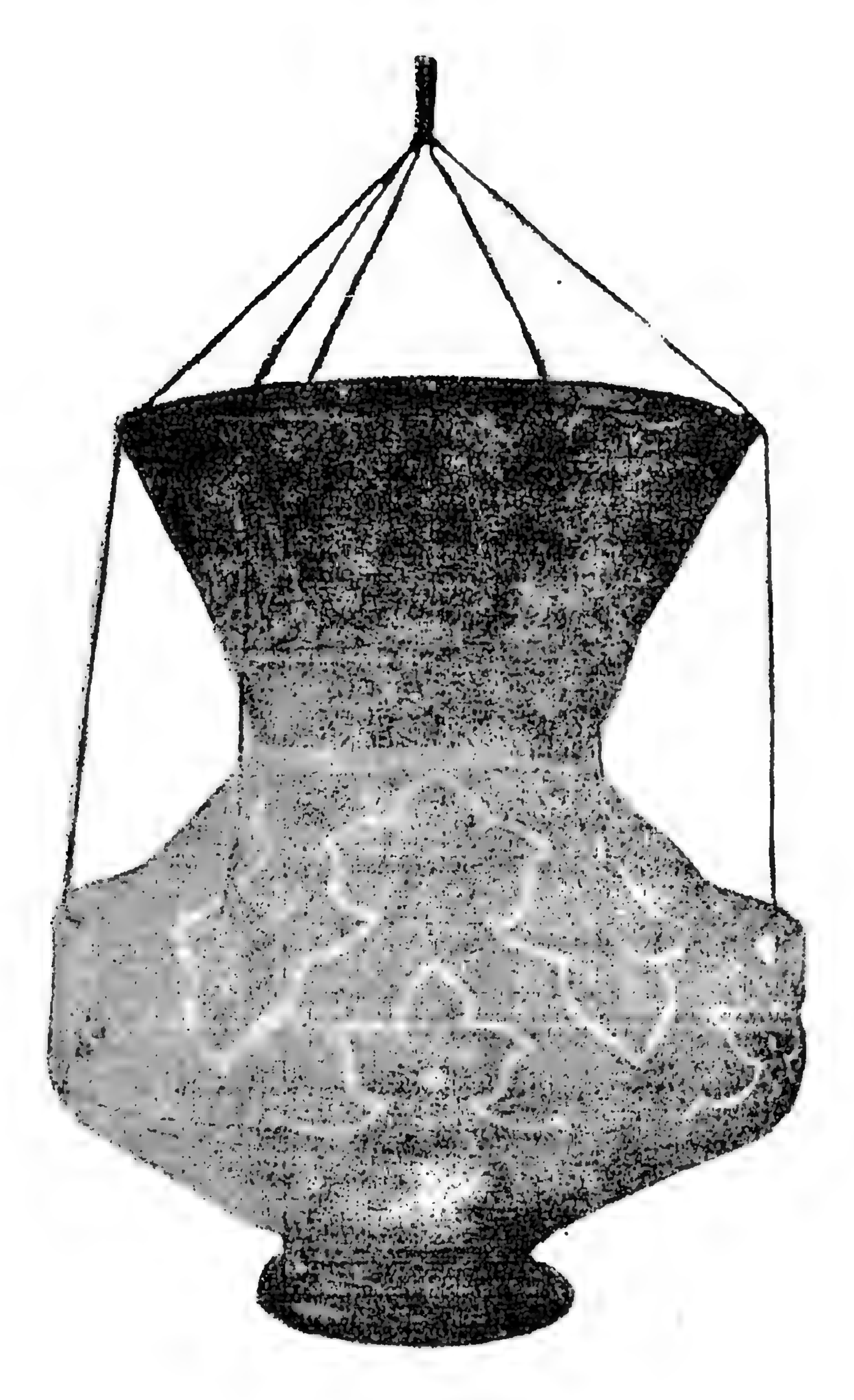
(شكل ٧٤)

مصراع باب من الخشب من صناعة مصر فى القرن (٩هـ/١٥م) فى متحف فكتوريا والبرت بلندن راجع أيضا : زكى حسن : اطلس : شكل ٤٠٢ ٠



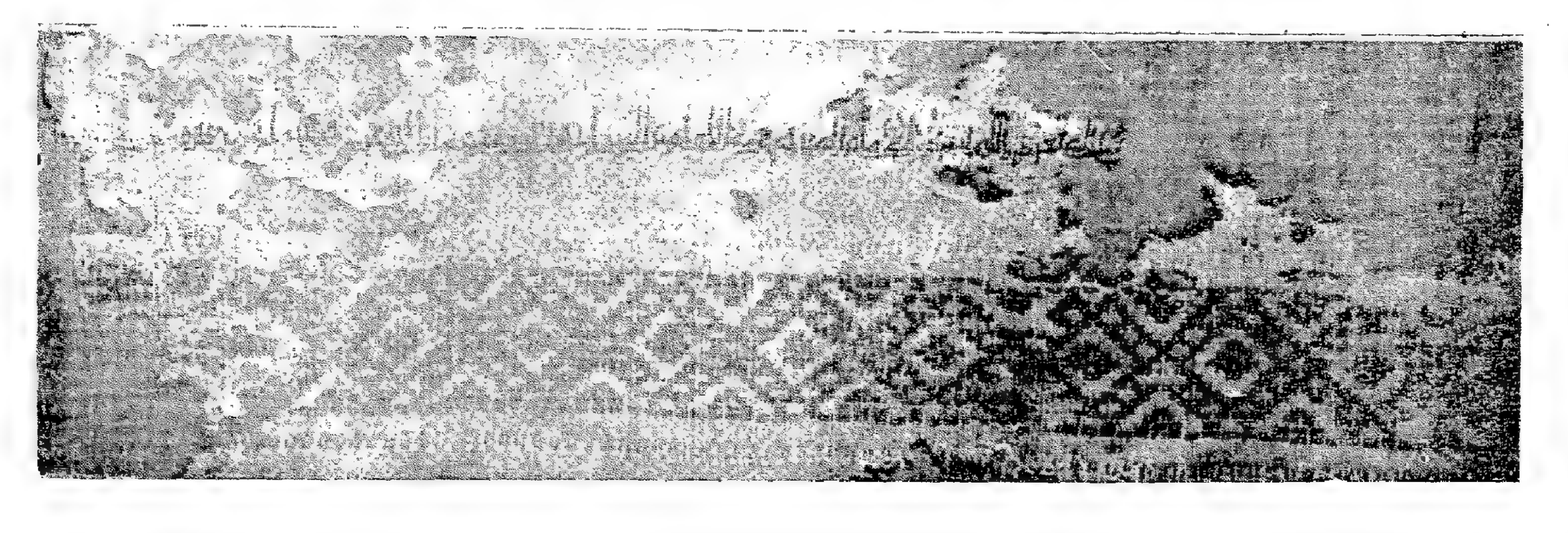
(شكل ٧٥)

مشكاة من الزجاج المموه بالمينا باسم السلطان الناصر حسن (ق ٨هـ/١٤م) فى متحف الفن الاسلامى : راجع أيضا : زكى حسن : اطلس شكل : ٧٦١



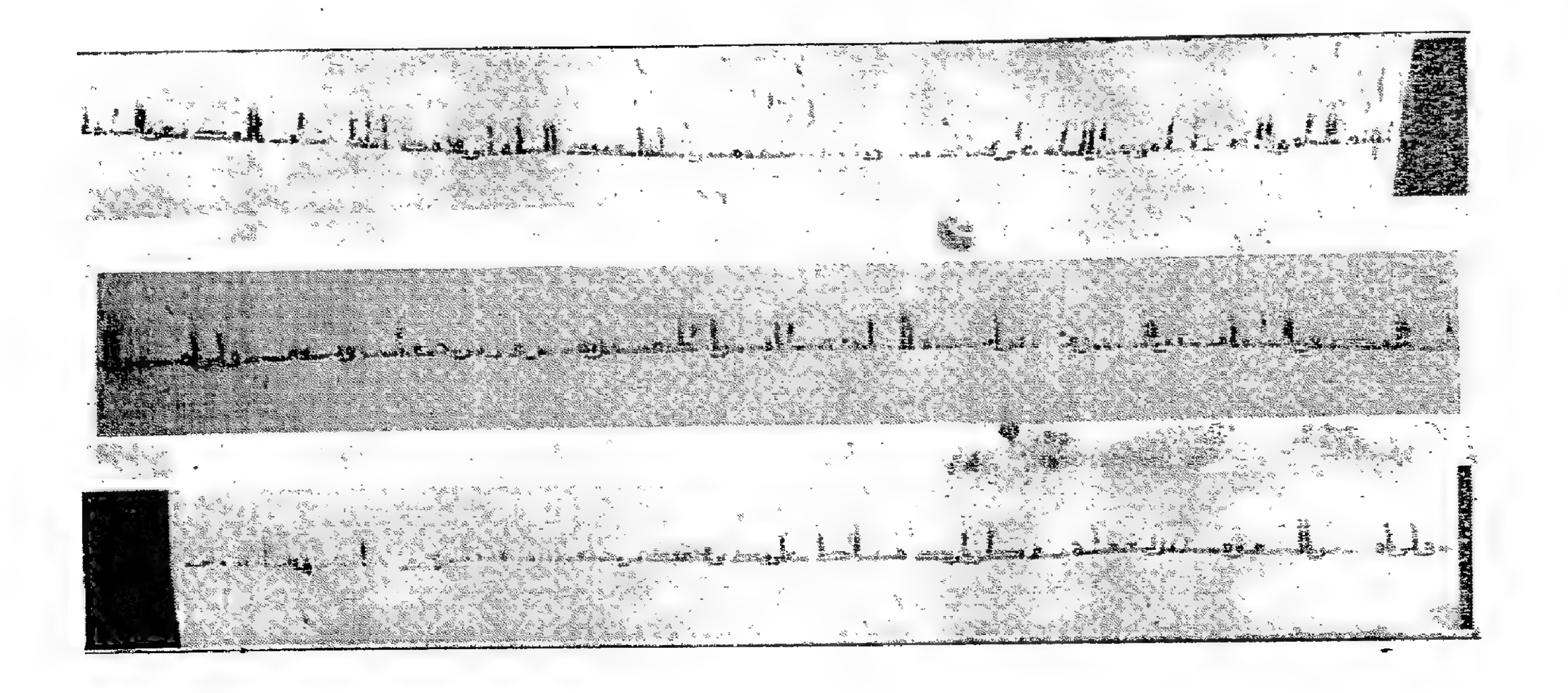
(شكل ٧٦)

مشكاة من الزجاج المموه بالمينا باسم السلطان الناصر حسن من صناعة مصر فى القرن (٨هـ/١٤م) فى متحف الفن الاسلامى (رقم سجل ٢٨٤٠) راجع أيضا : محمد مصطفى : دليل موجز : صورة ٣٢ .



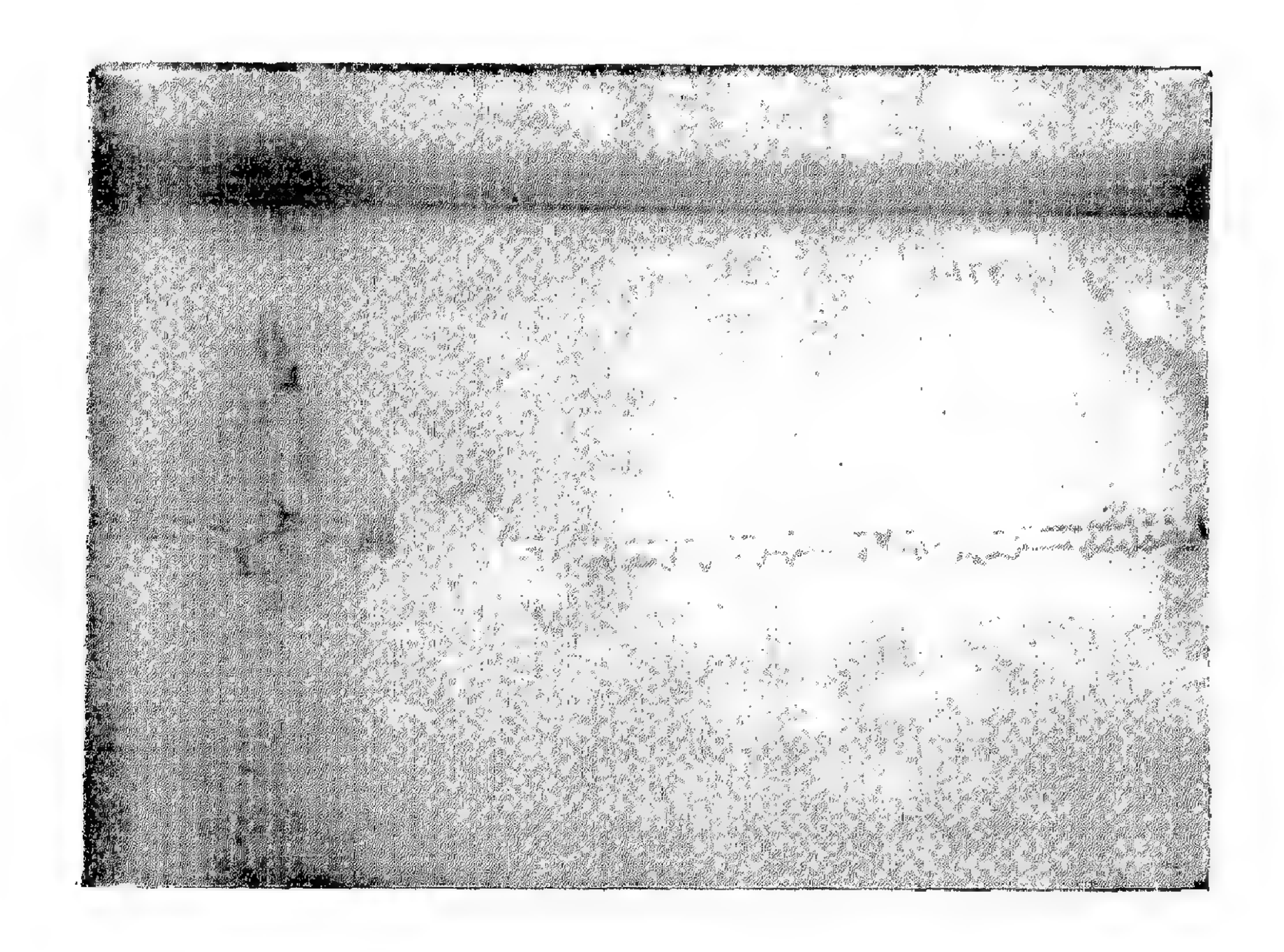
(شكل ٧٧)

قطعة نسيج من الكتان من صناعة الاسكندرية سنة (٢٧٣هـ/٨٨٥م) باسم المعتمد على الله العباسى فى متحف المنسوجات بواشنطون . راجع أيضا : زكى حسن : أطلس : شكل ٥٨٥ .



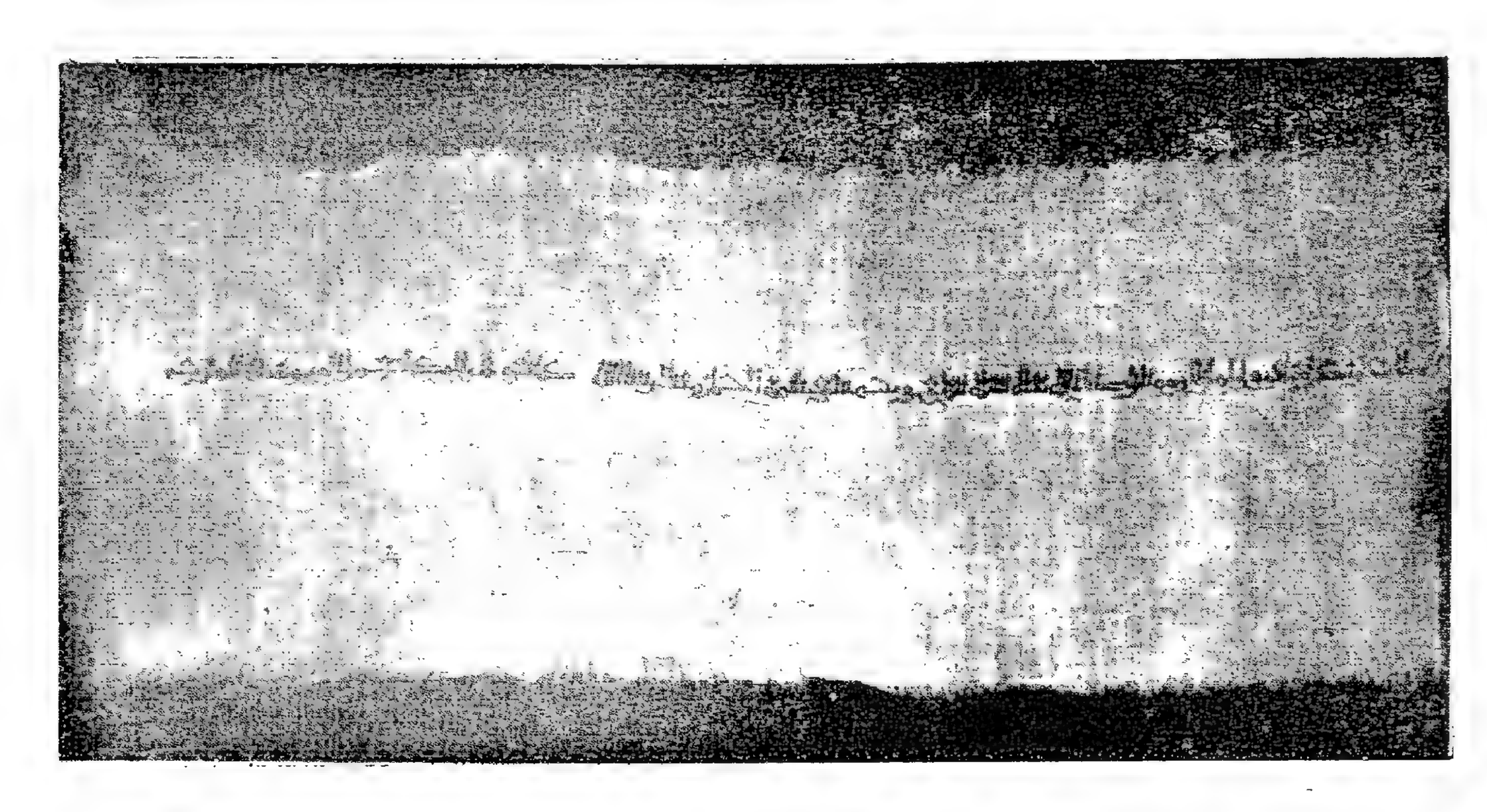
(شكل ٧٨)

قطعة نسيج من صناعة دمياط باسم المكتفى بالله العباسى تاريخهـــا (٢٨٩هـ/٩٠١م) بمتحف الفن الاسلامى (رقم سجل ٩٢٩٣) .



(شكل ٧٩)

قطعة نسيج من صناعة دمياط بدون اسم خليفة تاريخها (٤١٥هـ/١٠٢٤م) بمتحف الفن الاسلامى (رقم سجل ١٠١٢٣) .



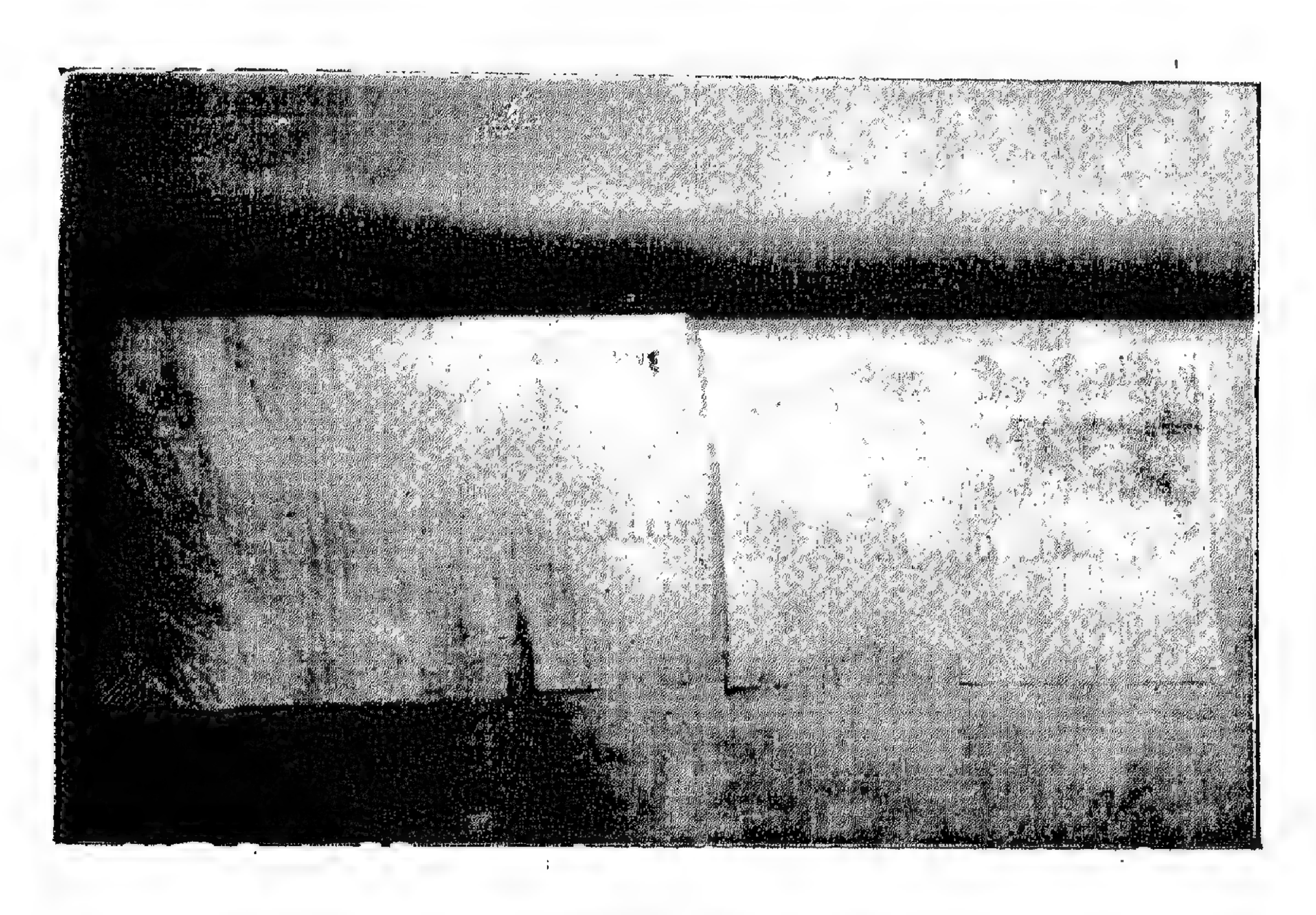
(شكل ٨٠)

قطعة نسيج من الكتان من صناعة شطا سنة (٣٥٧هـ/٩٦٨م) ·
فى مجموعة تانو · راجع أيضا : زكى حسن : أطلس : شكل ٥٨٤
سيدة كاشف : مصر فى عصر الأخشيديين ص ٢٩٨ ·



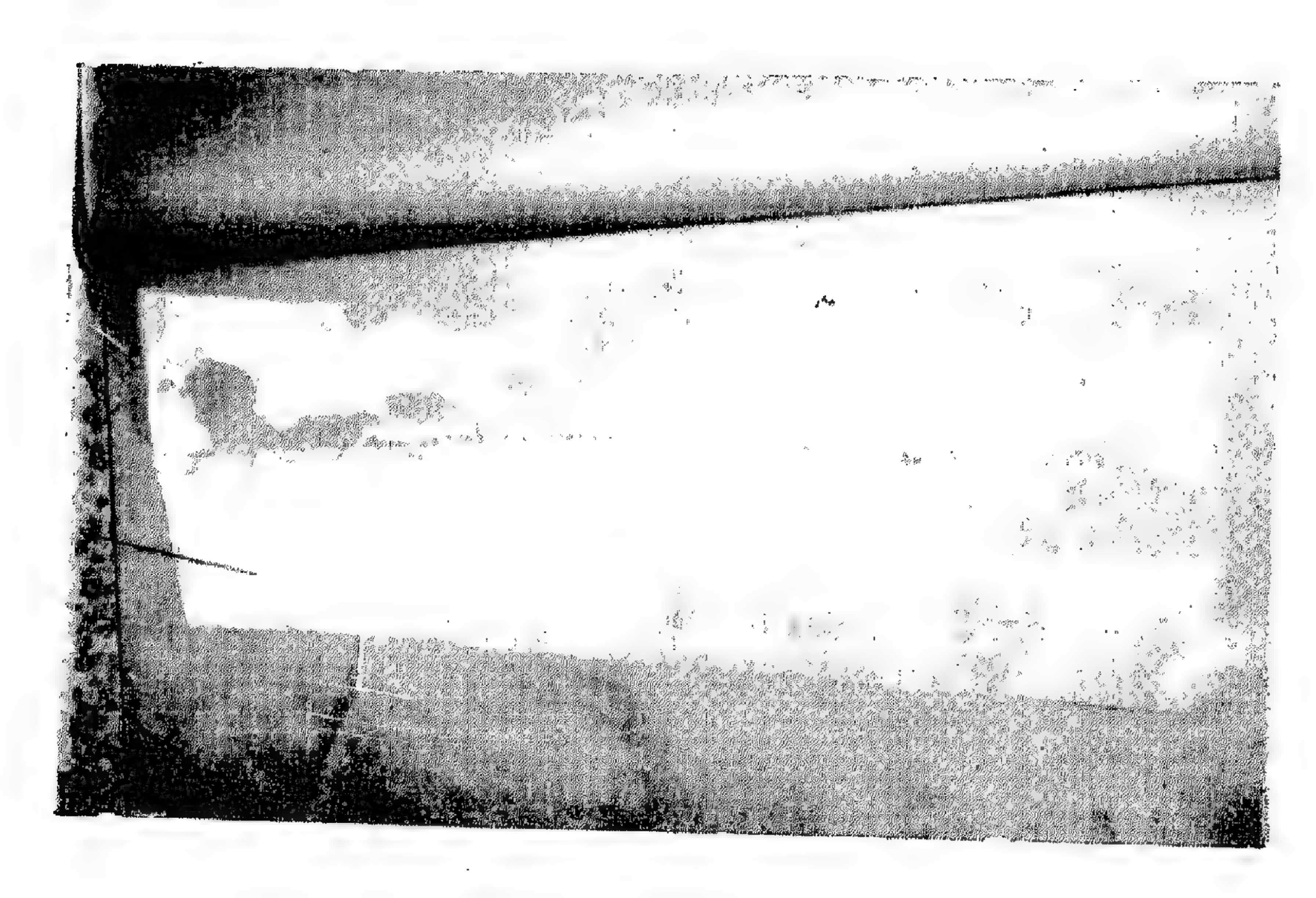
(شكل ٨١)

قطعة نسيج من صناعة تنيس باسم المعتمد بالله العباسى تاريخهـــا
(٢٨٧هـ/٩٠٠م) بمتحف الفن الاسلامى (رقم سجل ٢٩٢-١) .



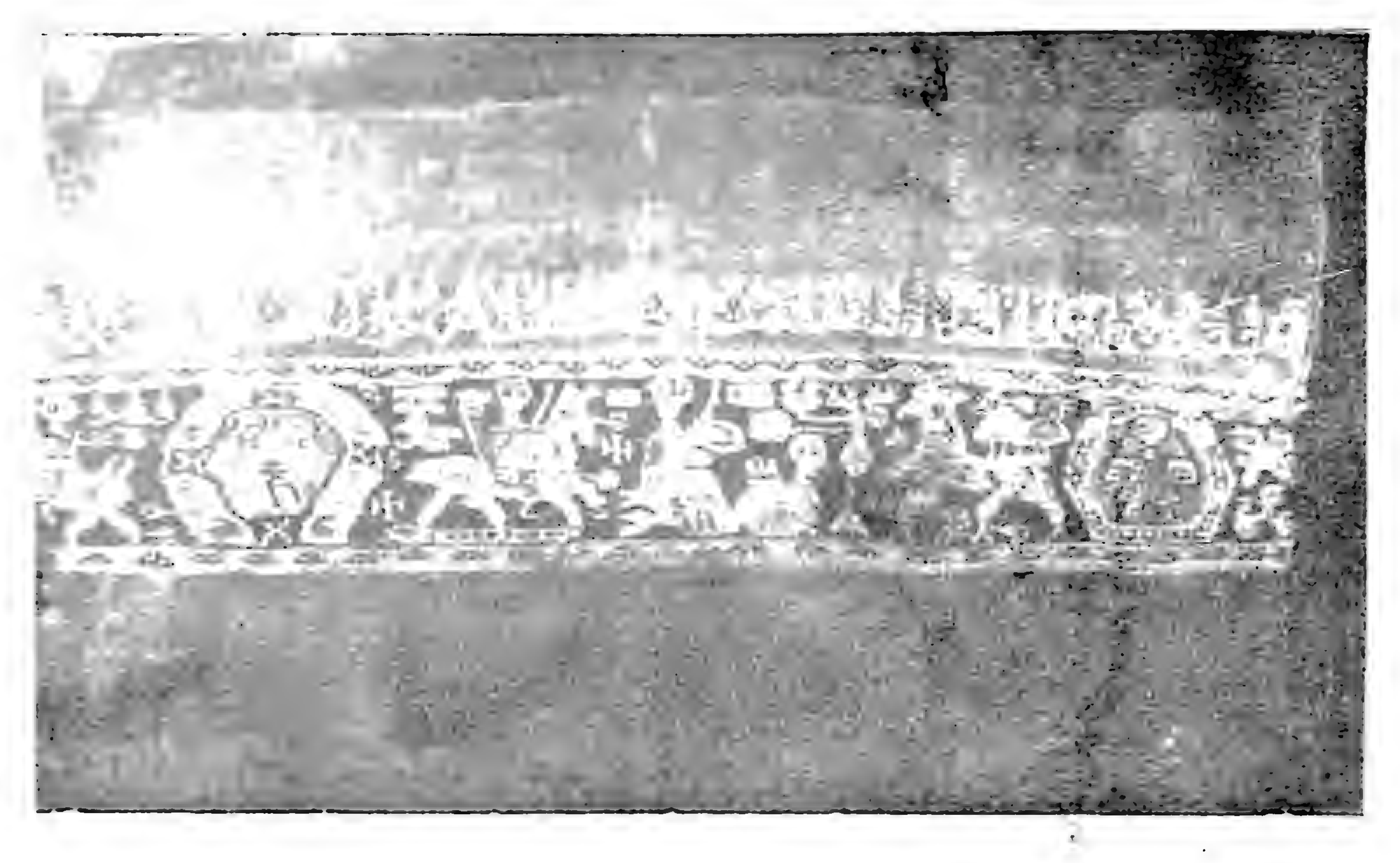
(شكل ٨٢)

قطعة نسيج من صناعة تنيس باسم المكتفى بالله العباسى تاريخهـــا (٢٩٣هـ/٩٠٥م) بمتحف الفن الاسلامى (رقم سجل ١٠٤٧٤) ٠



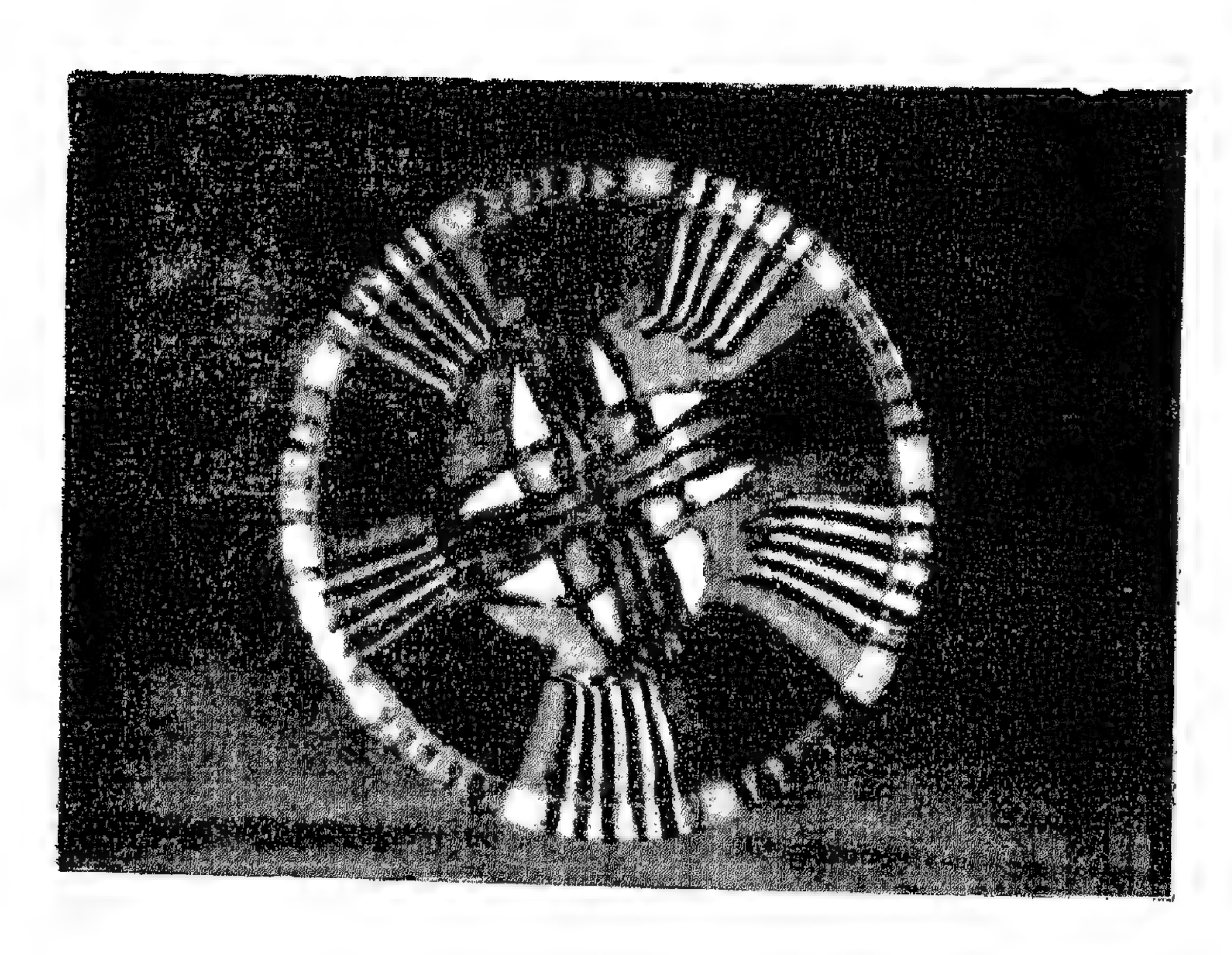
(شكل ٨٣)

قطعة نسيج من صناعة دبيق تاريخها (٢٠٨هـ/٨٢٣م) بمتحف الفن الاسلامى (رقم سجل ١٠٢٧٠) ٠



(شكل ٨٤)

قطعة نسيج من الصوف والكتان من صناعة الفيوم فى القرنين (٣ - ٤هـ/٩ - ١٠م) فى متحف الفن الاسلامى (رقم سجل ٩٠٥٢) راجع ايضا : زكى حسن : اطلس شكل ٥٦٧ .



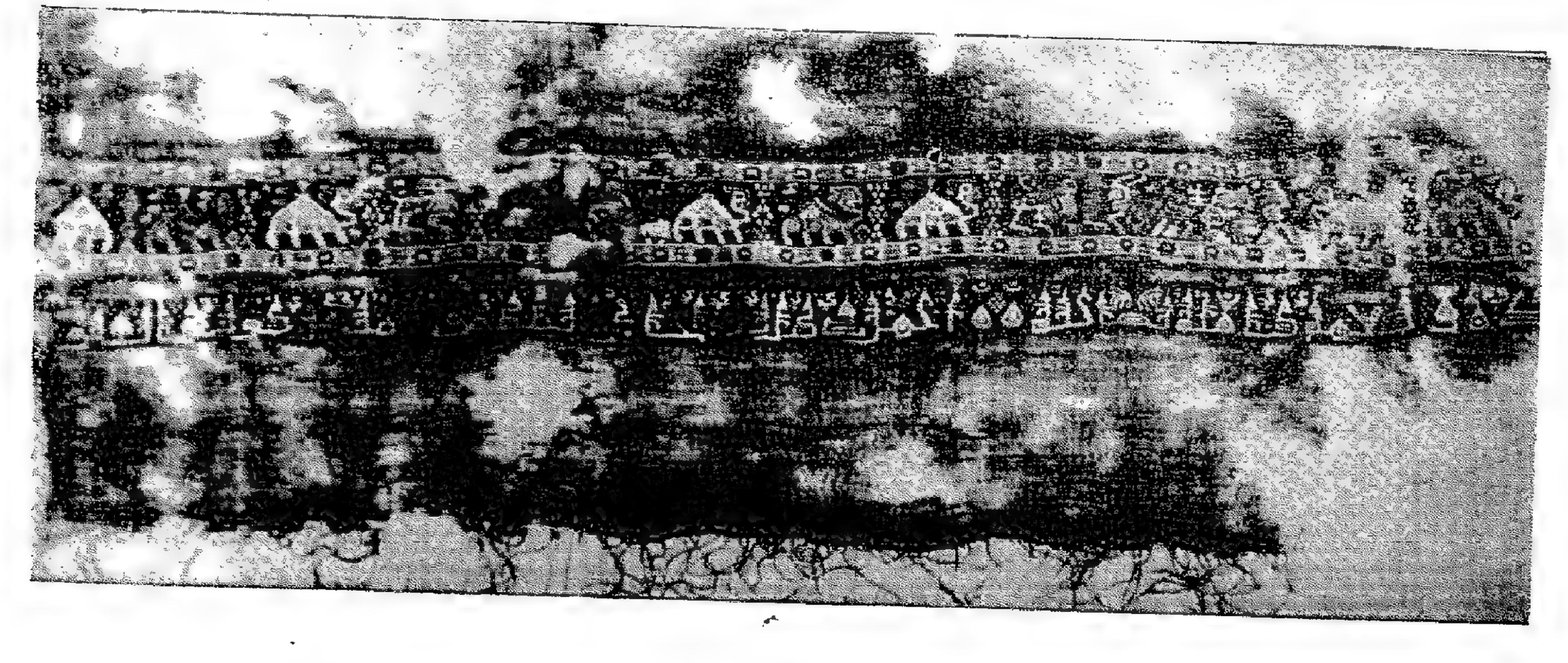
(شكل ٨٥)

صحن كبير من خزف الفيوم يؤرخ بالقرن (٥هـ/١١م) بمتحف الفن الاسلامى (رقم سجل ١٠٠٣٨)



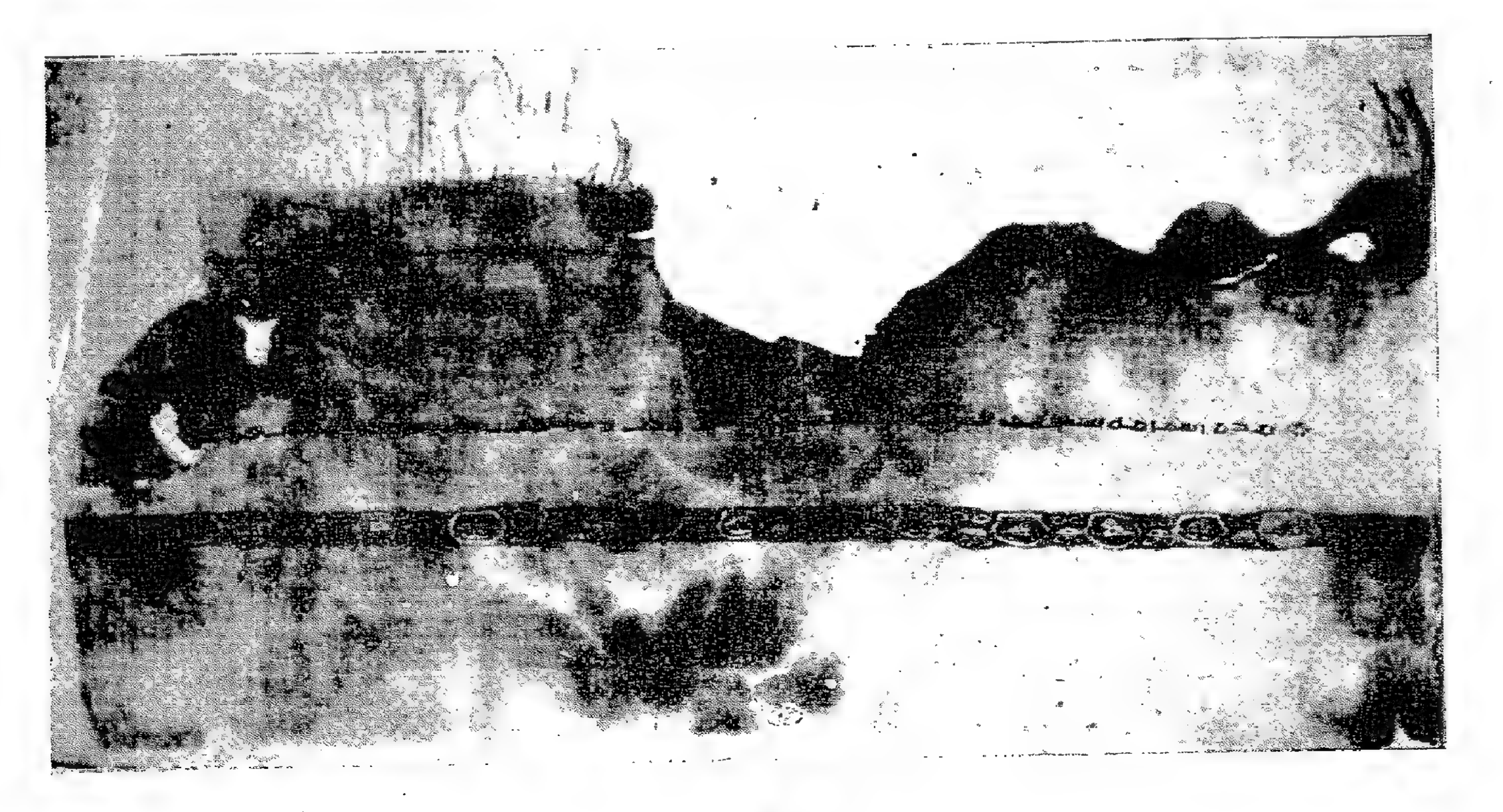
(شكل ٨٦)

ابريق من البرونز يقال انه ابريق مروان الثانى يرجع تاريخه الى القرن (١ هـ/٧ م) فى متحف الفن الاسلامى (رقم سجل ٩٢٨١)
راجع ايضا : زكى حسن : اطلس : شكل ٤٤٠ .



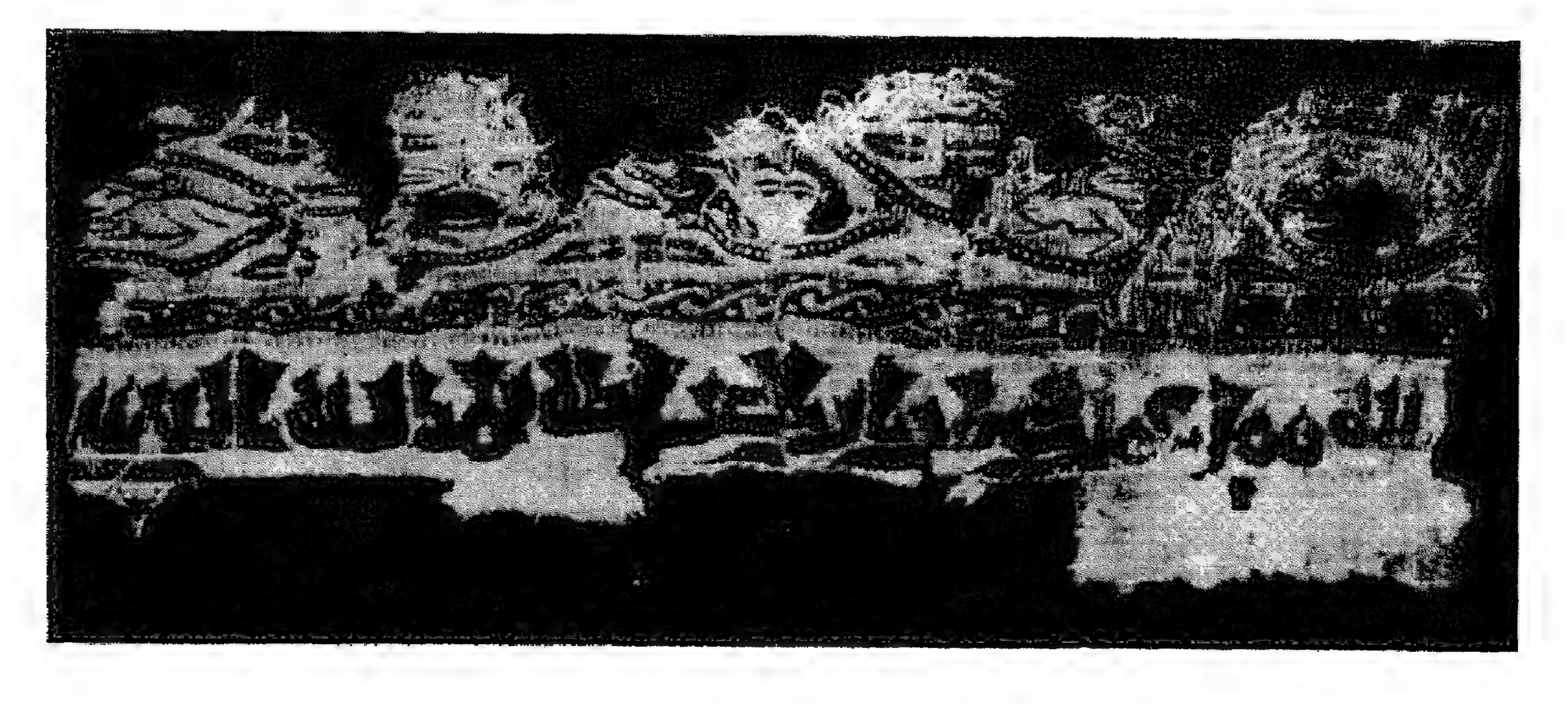
(شكل ٨٧)

قطعة نسيج من الصوف والكتان من صناعة مطمور بالفيوم في القرنين (٣ ـ ٤هـ/٩ ـ ١٠م) فى متحف الفن الاسلامى (رقم سجل ٩٠٦١) راجع أيضا : زكى حسن : أطلس : شكل ٥٦٦ .



(شكل ٨٨)

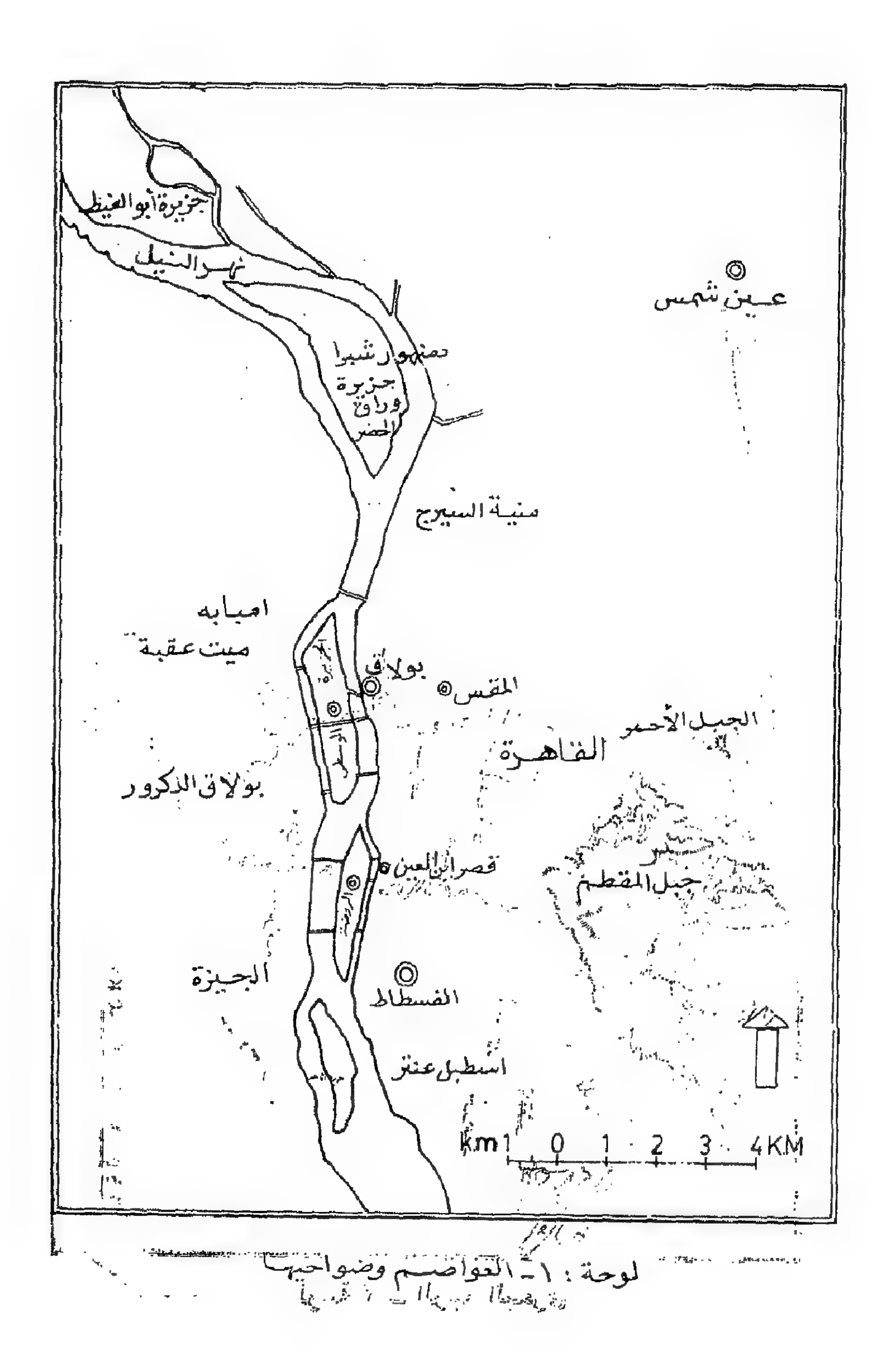
قطعة نسيج من عمامة باسم « سمويل بن موسى » مؤرخة تقريبا بسنة (١٨٨هـ/٨٠٧م) من صناعة سنهور بالفيوم في متحف الفن الاسلامى (رقم سجل ١٠٨٤٦) راجع أيضا : زكي حسن : أطلس : شكل ٥٥٩ .



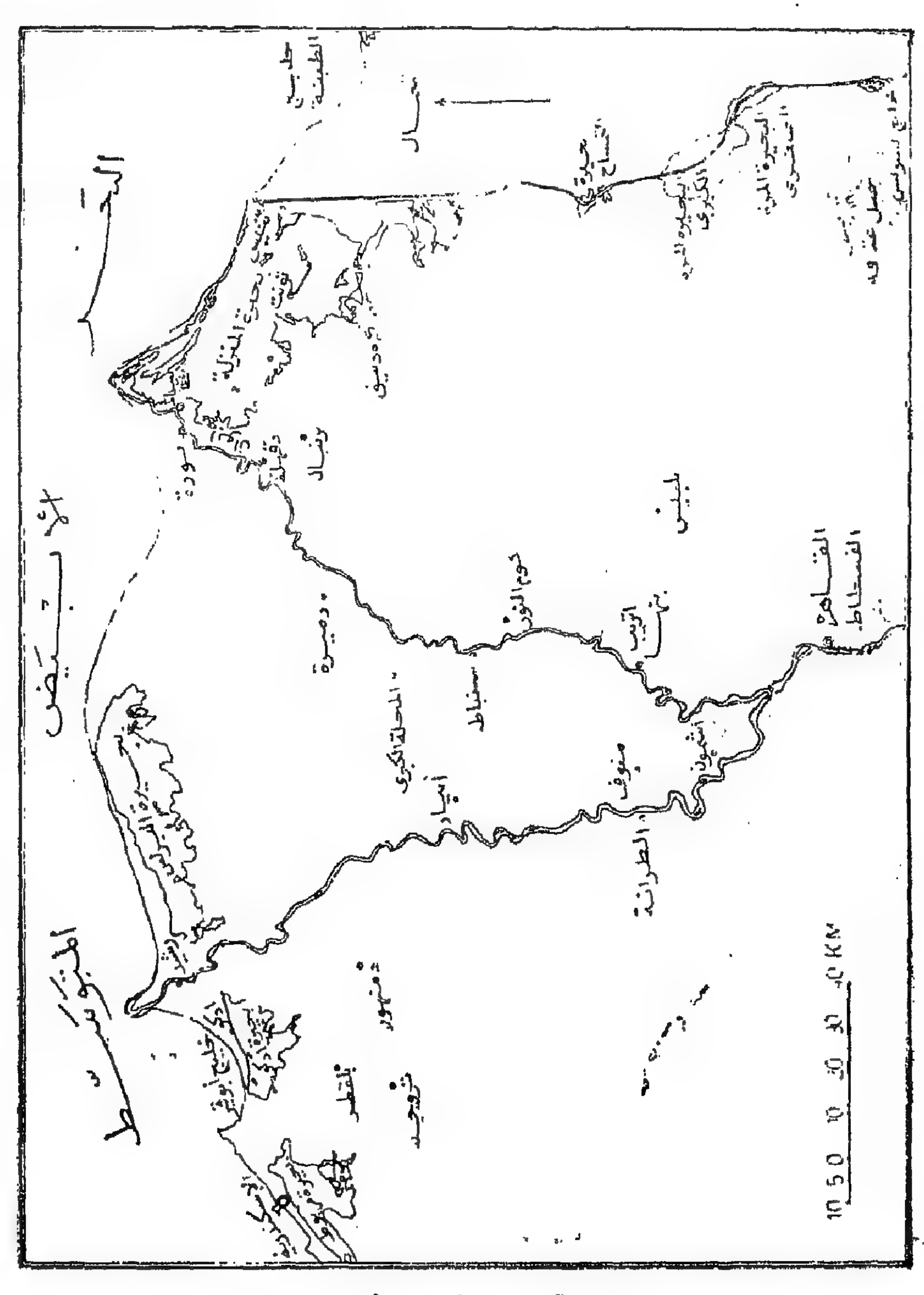
(شكل ٨٩)

قطعة نسيج من الصوف والكتان من صـــناعة البهنسا في القرن (٤هـ/١٠م) بمتحف الفن الاسلامي (رقم سجل ٧١٢٠) راجع أيضا : زكي حسن : اطلس : شكل ٥٦٥ .

الخرائط

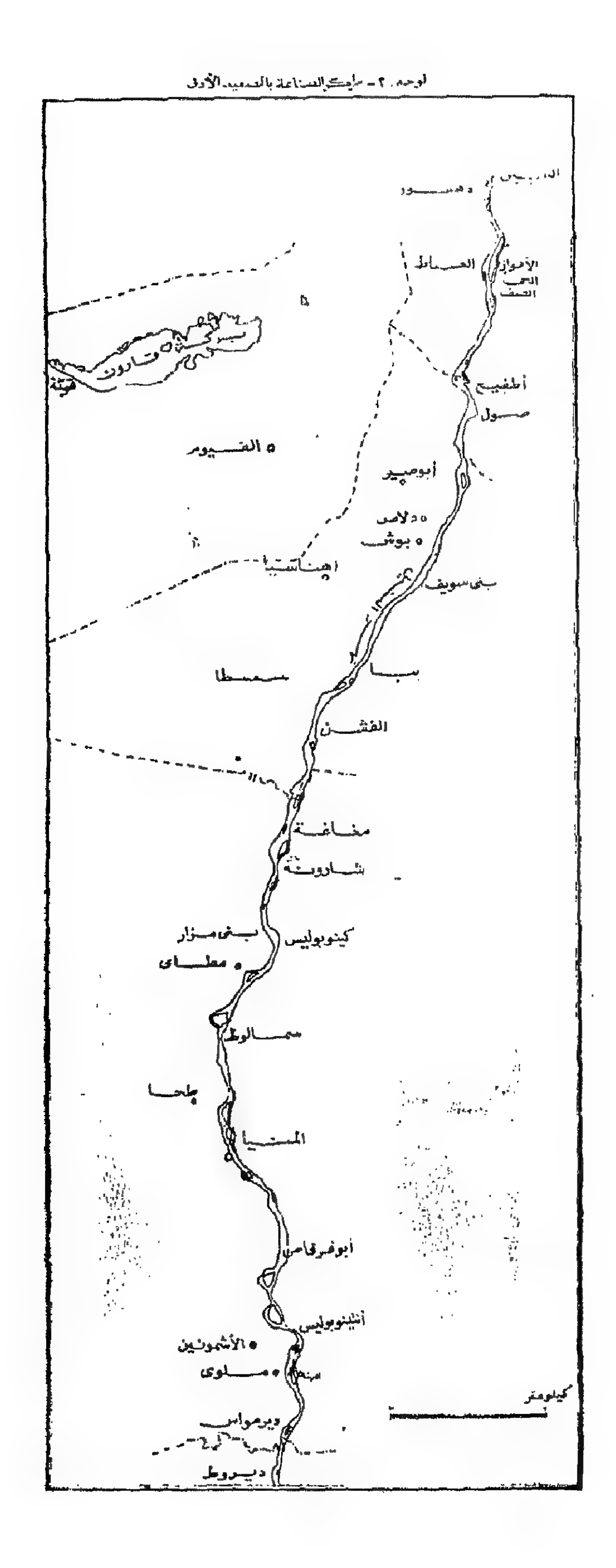


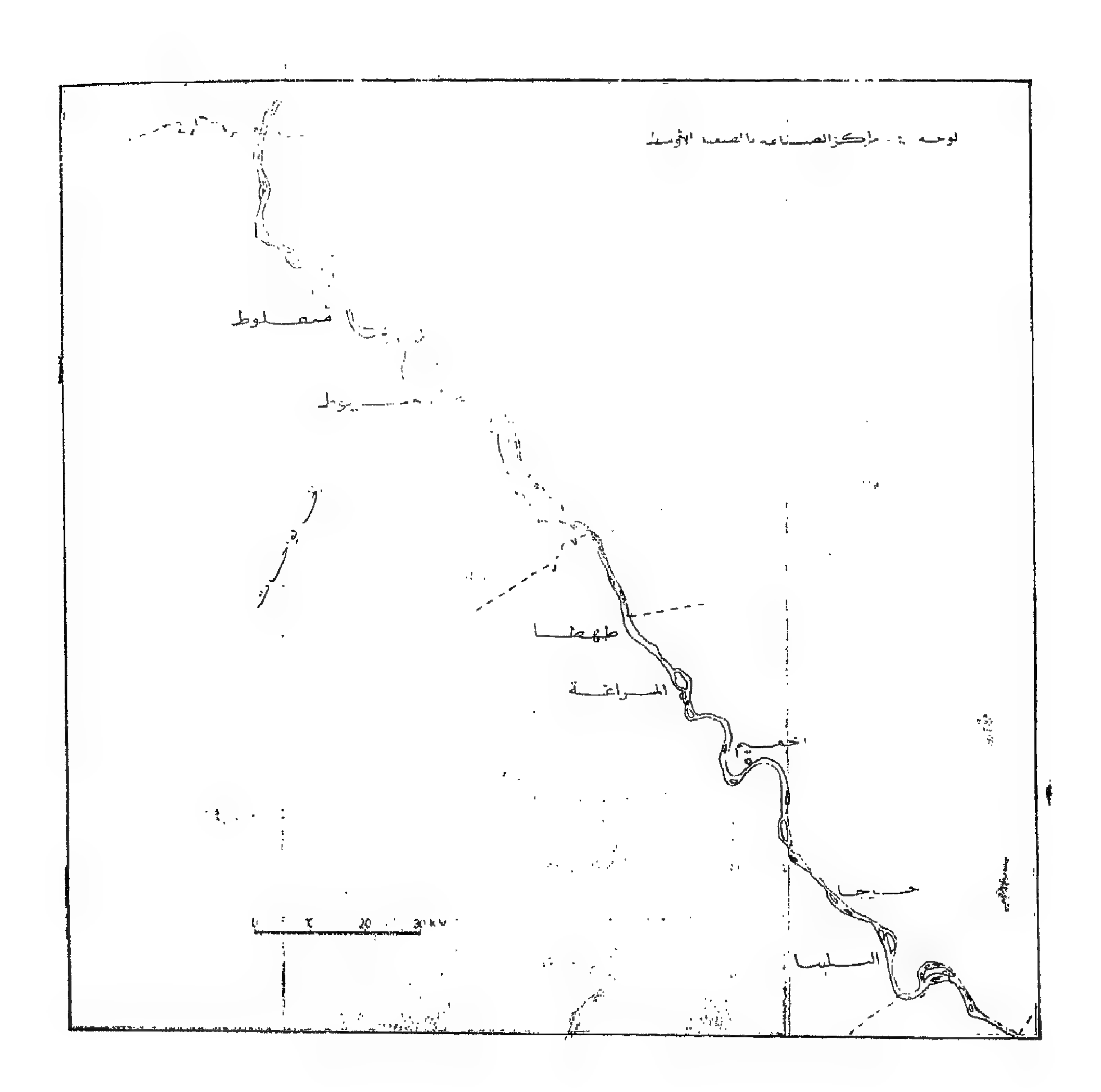
لوحة : ١ ـ العواصم وضواحيها

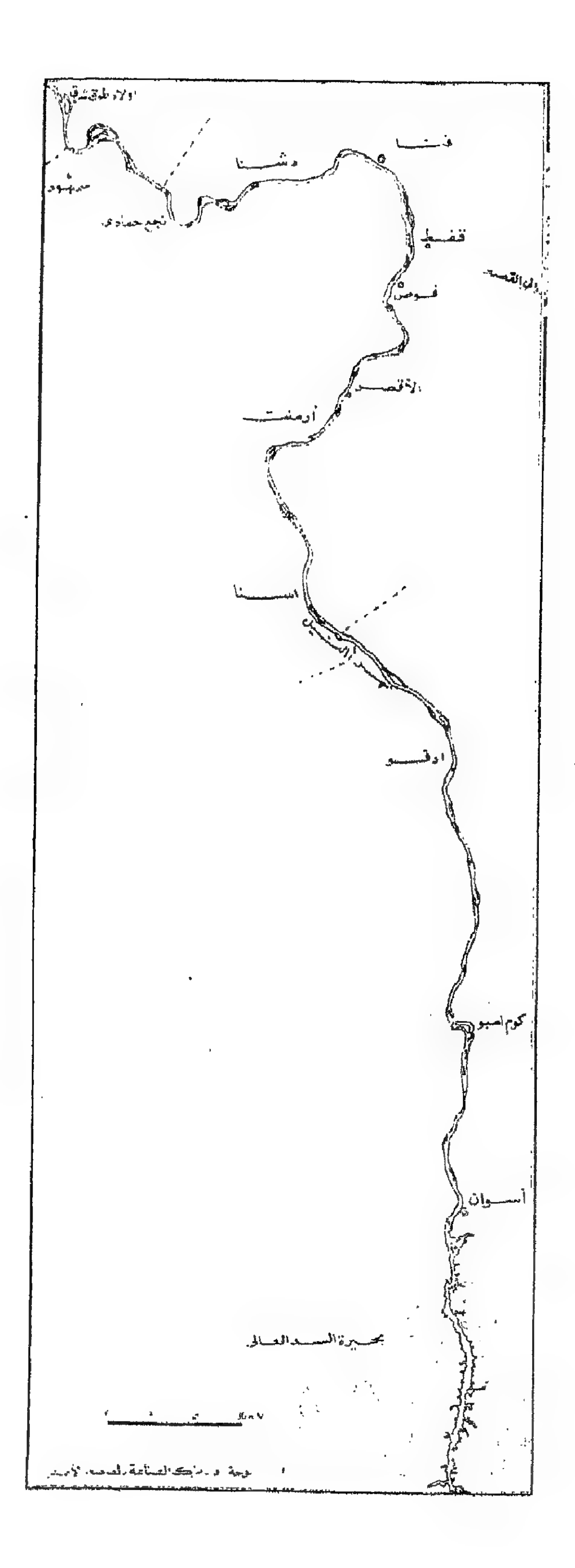


لوحة ٢ ـ الوجه البحرى

لوحة ٢ - مراكز الصناعة بالصعيد الأدنى




لوحة : مراكز الصناعة بالصعيد الأوسط
منفلوط
طهطا
المراغة



قنا
دشنا
نجع حمادي
قفط
قوص
الأقصر
أرمنت
اسنا
ادفو
كوم امبو
أسوان
بحيرة السد العالي

الفهرس

الصفحة

اهـــداء	٧
تمهيـد	٨
ـ **الباب الأول** : العواصم وضواحيها	١١
ـ **الفصل الأول** : الفســـطاط	١٥
١ ـ صناعة الفخـــار والخزف	١٨
٢ ـ صناعة الزجاج والبـلور	٢١
٣ ـ حرف وصناعات تعتمد على منتجـات زراعية	٢٤
(أ) صناعة الســكر والعسل	٢٤
(ب) طحن الغــلال	٢٥
(ج) صناعات الزيوت والصابون والشموع	٢٦
(د) صناعة الفقاع والنبيــذ	٢٧
(هـ) صناعة الورق	٢٨
٤ ـ صناعة الجلود والدباغة	٢٩
٥ ـ صناعة المعادن والحلى	٣٠
٦ ـ صناعة النسيج والسجاد والصـــباغة	٣٢
٧ ـ صناعة الخشب والعظم والعاج	٣٧
٨ ـ صناعة الســفن	٣٩
هوامش وتعليقات الفصـــل الأول	٤١
ـ **الفصل الثاني** : مدينة القاهرة	٥٥
١ ـ صناعة المعادن والحلى	٥٨
٢ ـ سك العملة	٦٠
٣ ـ صناعة النسيج والسجاد والصـــباغة	٦١
٤ ـ صـــناعة الجلود والدباغة	٦٤
٥ ـ صناعات الخشب والعظم والعـــاج	٦٥

٦ ـ صناعة الزجاج والبلور ٦٨
٧ ـ صناعات تعتمد على منتجات زراعية ٦٩
حواشي وتعليقات الفصل الثـانى ٧٣
ـ **الفصل الثالث** : ضواحي العاصمة ٧٩
١ ـ جزيرة الروضة ٧٩
٢ ـ عين شمس (المصرية) ٨٤
٣ ـ المقس ٨٨
٤ ـ مراكز أخرى بالقـاهرة ٩٠
حواشي وتعليقات الفصل الثـالث ٩٣
ـ **الباب الثاني** : مراكز الوجه البحرى ٩٧
ـ **الفصل الأول** : غرب الدلتا ١٠١
١ ـ الاسكندرية ١٠١
١ ـ صناعة النسيج ١٠٤
٢ ـ صناعة الزجاج والبلور ١٠٧
٣ ـ سـك العملة ١٠٨
٤ ـ بناء السـفن ١٠٩
٥ ـ صناعات أخرى متفرقة ١١٠
(أ) صناعة السكر والنبيذ والحصير والصابون . ١١٠
(ب) صناعتا الفخار والجلود ١١١
(أ) مدينة دمنهور الوحشى ١١٣
(ب) بلقطر ١١٣
(جـ) ترنوط ١١٣
(د) رشيد ١١٤
(هـ) ادكو ١١٦
حواشي وتعليقات الفصل الأول من الباب الثانى . ١١٧
ـ **الفصل الثاني** : وسط الدلتا ١٢٣
أولا : محافظة المنوفية ١٢٣
١ ـ أشـمون ١٢٣
٢ ـ منـوف ١٢٥
ثانيا : محافظة الغربية ١٢٦

١ ـ مدينة طنطا وضواحيها ١٢٧
٢ ـ المحلة الكبرى وضواحيها ١٢٩
٣ ـ مراكز أخرى متفرقة بالاقليم ١٣١
(أ) ابيار ١٣١
(ب) سمبنو ١٣٣
(ج) سنباط ١٣٣
(د) سمنود ١٣٣
ثالثا : محافظة دمياط ١٣٤
١ ـ مدينة دمياط ١٣٤
(أ) صناعة النسيج ١٣٦
(ب) بناء السفن ١٤١
(ج) صناعات أخرى تعتمد على منتجات
زراعية ١٤٢
٢ ـ شطا ١٤٣
٣ ـ بوره (كفر البطيخ) ١٤٦
٤ ـ مراكز فرعية أخرى ١٤٨
(أ) دميره ١٤٨
(ب) ابوان ١٤٩
(ج) دقهله ١٤٩
(د) وسيمه ١٤٩
حواشي وتعليقات الفصل الثانى ١٥١
ـ **الفصل الثالث** : شرق الدلتا ١٥٩
أولا ـ محافظة القليوبية : ١٥٩
١ ـ مدينة بنها ١٥٩
٢ ـ مدينة اتريب ١٦١
ثانيا ـ محافظة الشرقية : ١٦٢
١ ـ تنيس ١٦٢
١ ـ صناعة النسيج ١٦٦
٢ ـ صناعات أخرى غير النسيج فى تنيس . ١٧٣

(أ) صناعة الزجاج ١٧٣

(ب) صناعة المعادن ١٧٤

(ج) صناعة الفخار والخزف ١٧٥

(د) صناعات تعتمد على منتجات زراعية . ١٧٥

٢ ـ تونه ١٧٦

٣ ـ الفرما ١٧٩

(أ) صناعة النسيج ١٨١

(ب) صناعات تعتمد على منتجات زراعية . ١٨٢

ثالثا ـ محافظة الدقهلية : ١٨٢

١ ـ دبيق ١٨٣

٢ ـ برنبال ١٨٦

حواشي وتعليقات الفصل الثالث . . . ١٨٩

ـ **الباب الثالث** : مراكز الصناعة بالوجه القبلي ١٩٩

ـ **الفصل الأول** : الصعيد الأدنى ٢٠٣

أولا ـ محافظة الجيزة ٢٠٣

١ ـ الصالحية ٢٠٣

٢ ـ البدرشين ٢٠٤

ثانيا ـ محافظة بنى سويف ٢٠٥

١ ـ اهناسيا ٢٠٥

(أ) صناعة النسيج ٢١٧

(ب) صناعات أخرى تعتمد على منتجات زراعية . ٢٠٨

٢ ـ بوش ٢٠٨

٣ ـ طحا ٢٠٩

(أ) صناعة النسيج ٢١٠

(ب) صناعة المعادن ٢١١

٤ ـ دلاص ٢١١

(أ) صناعة النسيج ٢١٢

(ب) صناعة الجلود ٢١٣

(ب) صناعة المعادن ٢١٣
٥ ـ سمطا ٢١٤
ثالثا ـ محافظة الفيوم ٢١٤
١ ـ مدينة الفيوم ٢١٥
(أ) صناعة النسيج ٢١٧
(ب) صناعة الزجاج ٢١٨
(ج) صناعة الفخار والخزف ٢١٩
صناعة اعتمدت على منتجات زراعية . . ٢١٩
٢ ـ بوحير ٢٢١
٣ ـ مطمور ٢٢٢
٤ ـ سنهور ٢٢٣
حواشي وتعليقات الفصل الأول من الباب الثالث . ٢٢٥
ـ **الفصل الثاني** : الصعيد الأوسط ٢٣١
أولا ـ محافظة المنيا : ٢٣١
١ ـ الاشمونين ٢٣٢
(أ) صناعة النسيج ٢٣٤
(ب) صناعة الزجاج ٢٣٥
(ج) صناعات الخزف والبردى والعملات . ٢٣٥
٢ ـ القيس ٢٣٦
٣ ـ البهنسا ٢٣٨
٥ ـ أنصنا ٢٤٣
٥ ـ ملوى ٢٤٥
ثانيا ـ محافظة أسيوط : ٢٤٧
١ ـ مدينة أسيوط ٢٤٧
(أ) صناعة النسيج والصباغة ٢٤٨
(ب) صناعة السجاد ٢٥١
(ج) صناعات اعتمدت على منتجات زراعية . ٢٥١
(د) صناعات أخرى متفرقة ٢٥٣

٢ ـ أخميـــم ٢٥٣
(أ) صناعة النسيج ٢٥٥
(ب) صناعة الســـكر ٢٥٧
(ج) صـــناعتا الجلود والزجاج . . . ٢٥٨
٣ ـ مراكز أخرى متفرقة بالاقليم ٢٥٩
حواشي وتعليقات الفصل الثانى من الباب الثالث . ٢٦١
ـ **الفصل الثالث** : الصـــعيد الأعلى ٢٦٩
أولا ـ قنا : ٢٦٩
١ ـ مدينة قنا ٢٦٩
٢ ـ ســمهود ٢٧١
٣ ـ قفط ٢٧٢
٤ ـ قـــوص ٢٧٤
٥ ـ الاقــصر ٢٧٦
٦ ـ القصـــير ٢٧٧
ثانيا ـ محافظة أســوان ٢٧٧
(أ) صناعة الفخار ٢٧٩
(ب) صناعة المعادن ٢٧٩
(ج) صناعة شواهد القبور وأعمدة البناء وحجارة
الطواحين ٢٨٠
(د) صناعات اعتمدت على منتجات زراعية . . ٢٨١
ثالثا ـ محافظة اسنا ٢٨١
اســنا ٢٨٢
خاتمــة ٢٨٣
حواشي وتعليقات الفصل الثالث من الباب الثالث . . . ٢٨٥
مصادر ومراجع الكتاب ٢٨٩
الأشـــكال واللوحات ٣٠٣

ـ رقم الايداع بدار الكتب ٢٤٥٣ / ١٩٨٩

كانت المراكز الصناعية فى مصر الاسلامية ـ مثلها هى الآن ـ أساساً قامت عليه بعض التجمعات الحضارية الهامة ، فالصناعة تمثل عامل جذب للسكان للعمل فى الانتاج أو التسويق ، وكانت مصر حينذاك أحد أهم البلدان المنتجة للصناعات ذات الجودة العالية التى وجدت سبيلها إلى الأسواق العربية بل والأوربية وغيرها ، ويعالج الكتاب فى أبوابه الثلاث عواصم مصر الاسلامية ومراكز الصناعة فى الوجهين البحرى والقبلى فى ضوء الأبحاث والحفائر الأثرية والتحف والمقتنيات الأثرية .

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

٦٢٥ قرشاً